THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

النكت والعيون

أبوالحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي

الشهير بالماوردي

اقتصر فيه مصنفه على ما خفي من آيات القرآن الكريم، أما الجلي فتركه لفهم القارىء وقد جمع فيه بين أقاويل السلف والخلف، كما أضاف إلى ذلك ما ظهر له من معنى محتمل، ورتبه ترتبا بديعا، وقد اعتنى فيه أيضا بالتفسيرات اللغوية فيذكر أصول الكلمات ويستشهد عليها بالشعر ويربطها بالمعنى المراد من الآية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (1)

قوله عز وجل : { بِسْمِ اللهِ الْرَّحْمنِ الرَّحِيمِ } أجمعوا أنها من القرآن في سورة النمل ، وإنما اختلفوا في إثباتها في فاتحة الكتاب ، وفي أول كل سورة ، فأثبتها الشافعي في طائفة ، ونفاها أبو حنيفة في آخرين .

واختُلِفَ في قوله : { بِسْمِ } :

فذهب أبو عبيدة وطائفة إلى أنها صلة زائدة ، وإنما هو اللهُ الرحمنُ الرحيمُ ، واستشهدوا بقول لبيد :

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلاَمِ عَلَيْكُما ... وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كَامِلاً فَقَدِ اعْتَذَرْ

فذكر اسم السلام زيادة ، وإنما أراد : ثم السلام عليكما .

واختلف من قال بهذا في معنى زيادته على قولين :

أحدهما : لإجلال ذكره وتعظيمه ، ليقع الفرق به بين ذكره وذكر غيره من المخلوقين ، وهذا قول قطرب .

والثاني : ليخرج به من حكم القسم إلى قصد التبرُّك ، وهذا قول الأخفش .

وذهب الجمهور إلى أن « بسم » أصل مقصود ، واختلفوا في معنى دخول الباء عليه ، فهل دخلت على معنى الأمر أو على معنى الخبر على قولين :

أحدهما : دخلت على معنى الأمر وتقديره : ابدؤوا بسم الله الرحمن الرحيم وهذا قول الفراء .

والثاني : على معنى الإخبار وتقديره : بدأت بسم الله الرحمن الرحيم وهذا قولُ الزجَّاج .

وحُذِفت ألف الوصل ، بالإلصاق في اللفظ والخط ، لكثرة الاستعمال كما حُذفت من الرحمن ، ولم تحذف من الخط في قوله : { إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذَّي خَلَقَ } [العلق : آية1] لقلَّة استعماله .

الاسم : كلمة تدل على المسمى دلالة إشارةٍ ، والصفة كلمة تدل على الموصُوف دلالة إفادة ، فإن جعلت الصفة اسماً ، دلَّت على الأمرين : على الإشارة والإفادة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وزعم قوم أن الاسم ذاتُ المسمى ، واللفظ هو التسمية دون الاسم ، وهذا فاسد ، لأنه لو كان أسماءُ الذواتِ هي الذواتُ ، لكان أسماءُ الأفعال هي الأفعال ، وهذا ممتنع في الأفعال فامتنع في الذوات .

واختلفوا في اشتقاق الاسم على وجهين :

أحدهما : أنه مشتق من السمة ، وهي العلامة ، لما في الاسم من تمييز المسمى ، وهذا قول الفرَّاء .

والثاني : أنه مشتق من السمو ، وهي الرفعة لأن الاسم يسمو بالمسمى فيرفعه من غيره ، وهذا قول الخليل والزجَّاج .

وأنشد قول عمرو بن معدي كرب :

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَمْراً فَدَعْهُ ... وَجَاوِزْهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ
وَصِلْهُ بِالدُّعَاءِ فَكُلُّ أَمْرٍ ... سَمَا لَكَ أَوْ سَمَوْتَ لَهُ وُلُوعُ

وتكلف من رَاعَى معاني الحروف ببسم الله تأويلاً ، أجرى عليه أحكام الحروف المعنوية ، حتى صار مقصوداً عند ذكر الله في كل تسمية ، ولهم فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الباء بهاؤه وبركته ، وبره وبصيرته ، والسين سناؤه وسموُّه وسيادته ، والميم مجده ومملكته ومَنُّه ، وهذا قول الكلبي .

والثاني : أن الباء بريء من الأولاد ، والسين سميع الأصوات والميم مجيب الدعوات ، وهذا قول سليمان بن يسار .

والثالث : أن الباء بارئ الخلق ، والسين ساتر العيوب ، والميم المنان ، وهذا قول أبي روق .

ولو أن هذا الاستنباط يحكي عمَّن يُقْتَدى به في علم التفسير لرغب عن ذكره ، لخروجه عما اختص الله تعالى به من أسمائه ، لكن قاله متبوع فذكرتُهُ مَعَ بُعْدِهِ حاكياً ، لا محققاً ليكون الكتاب جامعاً لما قيل .

ويقال لمن قال « بسم الله » بَسْمَلَ على لُغَةٍ مُوَلَّدَةٍ ، وقد جاءت في الشعر ، قال عمر بن أبي ربيعة :

لَقَدْ بَسْمَلَتْ لَيْلَى غَدَاةَ لَقِيتُهَا ... فَيَا حَبَّذَا ذَاكَ الْحَبِيبُ المُبَسْمِلُ

فأما قوله : « الله » ، فهو أخص أسمائه به ، لأنه لم يتسَمَّ باسمه الذي هو « الله » غيره .

والتأويل الثاني : أن معناه هل تعلم له شبيهاً ، وهذا أعمُّ التأويلين ، لأنه يتناول الاسم والفعل .

وحُكي عن أبي حنيفة أنه الاسم الأعظم من أسمائه تعالى ، لأن غيره لا يشاركه فيه . واختلفوا في هذا الاسم هل هو اسم عَلَمٍ للذات أو اسم مُشْتَقٌّ من صفةٍ ، على قولين :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : أنه اسم علم لذاته ، غير مشتق من صفاته ، لأن أسماء الصفات تكون تابعة لأسماء الذات ، فلم يكن بُدٌّ من أن يختص باسم ذاتٍ ، يكون علماً لتكون أسماء الصفات والنعوت تبعاً .

والقول الثاني : أنه مشتق من أَلَهَ ، صار باشتقاقه عند حذف همزِهِ ، وتفخيم لفظه الله .

واختلفوا فيما اشْتُقَ منه إله على قولين :

أحدهما : أنه مشتق من الَوَلَه ، لأن العباد يألهون إليه ، أي يفزعون إليه في أمورهم ، فقيل للمألوه إليه إله ، كما قيل للمؤتَمِّ به إمام .

والقول الثاني : أنه مشتق من الألوهية ، وهي العبادة ، من قولهم فلان يتألَّه ، أي يتعبد ، قال رؤبةُ بن العجاج :

لِلَّهِ دَرُّ الْغَانِيَاتِ الْمُدَّهِ ... لَمَّا رَأَيْنَ خَلَقَ الْمُمَوَّهِ

سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ مِنْ تألُّهِي ... أي من تعبد ، وقد رُوي عن ابن عباس أنه قرأ : { وَيَذَرَكَ وءالِهَتَكَ } أي وعبادتك .

ثم اختلفوا ، هل اشتق اسم الإله من فعل العبادة ، أو من استحقاقها ، على قولين :

أحدهما : أنه مشتق من فعل العبادة ، فعلى هذا ، لا يكون ذلك صفة لازمة قديمة لذاته ، لحدوث عبادته بعد خلق خلقه ، ومن قال بهذا ، منع من أن يكون الله تعالى إلهاً لم يزل ، لأنه قد كان قبل خلقه غير معبود .

والقول الثاني : أنه مشتق من استحقاق العبادة ، فعلى هذا يكون ذلك صفة لازمة لذاته ، لأنه لم يزل مستحقّاً للعبادة ، فلم يزل إلهاً ، وهذا أصح القولين ، لأنه لو كان مشتقّاً من فعل العبادة لا من استحقاقها ، للزم تسمية عيسى عليه السلام إلهاً ، لعبادة النصارى له ، وتسمية الأصنام آلهة ، لعبادة أهلها لها ، وفي بطلان هذا دليل ، على اشتقاقه من استحقاق العبادة ، لا من فعلها ، فصار قولنا « إله » على هذا القول صفة من صفات الذات ، وعلى القول الأول من صفات الفعل .

(2/1)

وأما « الرحمن الرحيم » ، فهما اسمان من أسماء الله تعالى ، والرحيم فيها اسم مشتق من صفته .

وأما الرحمن ففيه قولان :

أحدهما : أنه اسم عبراني معرب ، وليس بعربي ، كالفسطاط رومي معرب ، والإستبرق فارسي معرب ، لأن قريشاً وهم فَطَنَةُ العرب وفُصَحَاؤهم ، لم يعرفوهُ حتى ذكر لهم ، وقالوا ما حكاه الله تعالى عنهم : { . . . وَمَا الرَّحْمنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً } [الفرقان : 60] ، وهذا قول ثعلب واستشهد بقول جرير :

أو تتركون إلى القسّين هجرتكم ... ومسحكم صلبهم رحمن قربانا

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قال : ولذلك جمع بين الرحمن والرحيم ، ليزول الالتباس ، فعلى هذا يكون الأصل فيه تقديم الرحيم على الرحمن لعربيته ، لكن قدَّم الرحمن لمبالغته .

والقول الثاني : أن الرحمن اسم عربي كالرحيم لامتزاج حروفهما ، وقد ظهر ذلك في كلام العرب ، وجاءت به أشعارهم ، قال الشنفري :

أَلاَ ضَرَبَتْ تِلْكَ الْفَتَاةُ هَجِينَهَا ... أَلاَ ضَرَبَ الرَّحْمنُ رَبِّي يَمِينَهَا

فإذا كانا اسمين عربيين فهما مشتقان من الرحمة ، والرحمة هي النعمة على المحتاج ، قال الله تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ } [الأنبياء : 107] ، يعني نعمةً عليهم ، وإنما سميت النعمةُ رحمةً لحدوثها عن الرحمة .

والرحمن أشدُّ مبالغةً من الرحيم ، لأن الرحمن يتعدى لفظه ومعناه ، والرحيم لا يتعدى لفظه ، وإنما يتعدى معناه ، ولذلك سمي قوم بالرحيم ، ولم يتَسَمَّ أحدٌ بالرحمن ، وكانت الجاهليةُ تُسمِّي اللهَ تعالى به وعليه بيت الشنفرى ، ثم إن مسيلمة الكذاب تسمَّى بالرحمن ، واقتطعه من أسماء الله تعالى ، قال عطاء : فلذلك قرنه الله تعالى بالرحيم ، لأن أحداً لم يتسمَّ بالرحمن الرحيم ليفصل اسمه عن اسم غيره ، فيكون الفرق في المبالغة ، وفرَّق أبو عبيدة بينهما ، فقال بأن الرحمن ذو الرحمة ، والرحيم الراحم .

واختلفوا في اشتقاق الرحمن والرحيم على قولين :

أحدهما : أنهما مشتقان من رحمة واحدةٍ ، جُعِل لفظ الرحمن أشدَّ مبالغة من الرحيم .

والقول الثاني : أنهما مشتقان من رحمتين ، والرحمة التي اشتق منها الرحمن ، غير الرحمة التي اشتق منها الرحيم ، ليصح امتياز الاسمين ، وتغاير الصفتين ، ومن قال بهذا القول اختلفوا في الرحمتين على ثلاثة أقوال :

أحدها : أن الرحمن مشتق من رحمة الله لجميع خلقه ، والرحيم مشتق من رحمة الله لأهل طاعته .

والقول الثاني : أن الرحمن مشتق من رحمة الله تعالى لأهل الدنيا والآخرة ، والرحيم مشتق من رحمتِهِ لأهل الدنيا دُون الآخرة .

والقول الثالث : أن الرحمن مشتق من الرحمة التي يختص الله تعالى بها دون عباده ، والرحيم مشتق من الرحمة التي يوجد في العباد مثلُها .

(3/1)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قوله عز وجل : { الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } .

أما { الحمد لله } فهو الثناء على المحمود بجميل صفاته وأفعاله ، والشكرُ الثناء عليه بإنعامه ، فكلُّ شكرٍ حمدٌ ، وليسَ كلُّ حمدٍ شكراً ، فهذا فرقُ ما بين الحمد والشكر ، ولذلك جاز أن يَحْمِدَ الله تعالى نفسه ، ولم يَجُزْ أن يشكرها .

فأما الفرق بين الحمد والمدح ، فهو أن الحمد لا يستحق إلا على فعلٍ حسن ، والمدح قد يكون على فعل وغير فعل ، فكلُّ حمدٍ مدحٌ وليْسَ كل مدحٍ حمداً ، ولهذا جاز أن يمدح الله تعالى على صفته ، بأنه عالم قادر ، ولم يجز أن يحمد به ، لأن العلم والقدرة من صفات ذاته ، لا من صفات أفعاله ، ويجوز أن يمدح ويحمد على صفته ، بأنه خالق رازق لأن الخلق والرزق من صفات فعله لا من صفات ذاته .

وأما قوله : { رب } فقد اختُلف في اشتقاقه على أربعة أقاويل :

أحدها : أنه مشتق من المالك ، كما يقال رب الدار أي مالكها .

والثاني : أنه مشتق من السيد ، لأن السيد يسمى ربّاً قال تعالى : { أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً } [يوسف : 41] يعني سيده .

والقول الثالث : أن الرب المدبِّر ، ومنه قول الله عزَّ وجلَّ : { وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ } وهم العلماء ، سموا ربَّانيِّين ، لقيامهم بتدبير الناس بعلمهم ، وقيل : ربَّةُ البيت ، لأنها تدبره .

والقول الرابع : الرب مشتق من التربية ، ومنه قوله تعالى : { وَرَبَآئِبُكُمُ اللاَّتِي في حُجُورِكُمْ } [النساء : 23] فسمي ولد الزوجة ربيبة ، لتربية الزوج لها .

فعلى هذا ، أن صفة الله تعالى بأنه رب ، لأنه مالك أو سيد ، فذلك صفة من صفات ذاته ، وإن قيل لأنه مدبِّر لخلقه ، ومُربِّيهم ، فذلك صفة من صفات فعله ، ومتى أَدْخَلت عليه الألف واللام . اختص الله تعالى به ، دون عباده ، وإن حذفتا منه ، صار مشتركاً بين الله وبين عباده .

وأما قوله : { العالمين } فهو جمع عَالَم ، لا واحد له من لفظه ، مثل : رهط وقوم ، وأهلُ كلِّ زمانٍ عَالَمٌ قال العجاج :

. . . . فَخِنْدِفٌ هَامَةُ هَذَا الْعَالَمِ

واختُلِف في العالم ، على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنّه ما يعقِل : من الملائكة ، والإنس ، والجنِّ ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أن العالم الدنيا وما فيها .

والثالث : أن العالم كل ما خلقه الله تعالى في الدنيا والآخرة ، وهذا قول أبي إسحاق الزجَّاج .

واختلفوا في اشتقاقه على وجهين :

أحدهما : أنه مشتق من العلم ، وهذا تأويل مَنْ جعل العالم اسماً لما يعقل .

والثاني : أنه مشتق من العلامة ، لأنه دلالة على خالقه ، وهذا تأويل مَنْ جعل العالم اسماً لكُلِّ مخلوقٍ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4)

قوله تعالى : { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } قرأ عاصم والكسائي { مالِكِ } وقرأ الباقون { مَلِك } وفيما اشتقا جميعاً منه وجهان :

أحدهما : أن اشتقاقهما من الشدة ، من قولهم ملكت العجين ، إذا عجنته بشدة .

والثاني : أن اشتقاقهما من القدرة ، قال الشاعر :

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا ... يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا

والفرق بين المالك والملك من وجهين :

أحدهما : أن المالك مَنْ كان خاصَّ المُلكِ ، والملِك مَنْ كان عَامَّ المُلْك .

والثاني : أن المالك من اختص بملك الملوك ، والملك من اختص بنفوذ الأمر .

واختلفوا أيهما أبلغ في المدح ، على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن المَلِك أبلغ في المدح من المالك ، لأنَّ كلّ مَلِكٍ مالِكٌ ، وليسَ كلُّ مالِكٍ ملِكاً ، ولأن أمر الملِكِ نافذ على المالِكِ .

والثاني : أن مالك أبلغ في المدح من مَلِك ، لأنه قد يكون ملكاً على من لا يملك ، كما يقال ملك العرب ، وملك الروم ، وإن كان لا يملكهم ، ولا يكون مالكاً إلا على من يملك ، ولأن المَلِك يكون على الناس وغيرهم .

والثالث : وهو قول أبي حاتم ، أن مَالِك أبلغ في مدح الخالق من مَلِك ، ومَلِك أبلغ من مدح المخلوق من مالك .

والفرق بينهما ، أن المالك من المخلوقين ، قد يكون غير ملك ، وإن كان الله تعالى مالكاً كان ملكاً ، فإن وُصف الله تعالى بأنه ملك ، كان ذلك من صفات ذاته ، وإن وصف بأنه مالك ، كان من صفات أفعاله .

وأما قوله تعالى : { يَوْمِ الدِّينِ } ففيه تأويلان :

أحدهما : أنه الجزاء .

والثاني : أنه الحساب .

وفي أصل الدين في اللغة قولان :

أحدهما : العادة ، ومنه قول المثقَّب العَبْدِي :

تَقُولُ وَقَدْ دَرَأْتُ لَهَا وَضِينِي ... أَهذَا دِينُهُ أَبَداً وَدِينِي

أي عادته وعادتي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : أنَّ أصل الدين الطاعة ، ومنه قول زهير بن أبي سُلمى :

لَئِن حَلَلْتَ بِجَوٍّ في بَنِي أَسَدٍ ... في دِينِ عَمْرٍو وَحَالَتْ بَيْنَنَا فَدَكُ

أي في طاعة عمرو .

وفي هذا اليوم قولان :

أحدهما : أنه يوم ، ابتداؤه طلوع الفجر ، وانتهاؤه غروب الشمس .

والثاني : أنه ضياء ، يستديم إلى أن يحاسب الله تعالى جميع خلقه ، فيستقر أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار .

وفي اختصاصه بملك يوم الدين تأويلان :

أحدهما : أنه يوم ليس فيه ملك سواه ، فكان أعظم من مُلك الدنيا التي تملكها الملوك ، وهذا قوله الأصم .

والثاني : أنه لما قال : { رَبِّ الْعَالَمِينَ } ، يريد به ملك الدنيا ، قال بعده : { مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ } يريد به ملك الآخرة ، ليجمع بين ملك الدنيا والآخرة .

(5/1)

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5)

قوله عز وجل : { إِيَاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }

قوله : { إِيَّاكَ } هو كناية عن اسم الله تعالى ، وفيه قولان :

أحدهما : أن اسم الله تعالى مضاف إلى الكاف ، وهذا قول الخليل .

والثاني : أنها كلمة واحدة كُنِّيَ بها عن اسم الله تعالى ، وليس فيها إضافة لأن المضمر لا يضاف ، وهذا قول الأخفش .

وقوله : { نَعْبُدُ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن العبادة الخضوع ، ولا يستحقها إلا الله تعالى ، لأنها أعلى مراتب الخضوع ، فلا يستحقها إلا المنعم بأعظم النعم ، كالحياة والعقل والسمع والبصر .

والثاني : أن العبادة الطاعة .

والثالث : أنها التقرب بالطاعة .

والأول أظهرها ، لأن النصارى عبدت عيسى عليه السلام ، ولم تطعه بالعبادة ، والنبي صلى الله عليه وسلم مطاع ، وليس بمعبودٍ بالطاعة .

(6/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)

قوله عز وجل : { اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيم } إلى آخرها .

أما قوله : { اهْدِنا الصِّراطَ المُسْتَقِيمَ } ففيه تأويلان :

أحدهما : معناه أرْشُدْنا ودُلَّنَا .

والثاني : معناه وفقنا ، وهذا قول ابن عباس .

وأما الصراط ففيه تأويلان :

أحدهما : أنه السبيل المستقيم ، ومنه قول جرير :

أَميرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى صِراطٍ ... إذَا اعْوَجَّ الْمَوَارِدُ مُسْتَقِيمِ

والثاني : أنه الطريق الواضح ومنه قوله تعالى : { وَلاَ تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُون } [الأعراف : 86] وقال الشاعر :

. . . . فَصَدَّ عَنْ نَهْجِ الصِّرَاطِ الْقَاصِدِ

وهو مشتق من مُسْتَرَطِ الطعام ، وهو ممره في الحلق .

وفي الدعاء بهذه الهداية ، ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنهم دعوا باستدامة الهداية ، وإن كانوا قد هُدُوا .

والثاني : معناه زدنا هدايةً .

والثالث : أنهم دعوا بها إخلاصاً للرغبة ، ورجاءً لثواب الدعاء . واختلفوا في المراد بالصراط المستقيم ، على أربعة أقاويل :

أحدها : أنه كتاب الله تعالى ، وهو قول علي وعبد الله ، ويُرْوَى نحوه عن النبي صلى الله عليه وسلم .

والثاني : أنه الإسلام ، وهو قول جابر بن عبد الله ، ومحمد بن الحنفية .

والثالث : أنه الطريق الهادي إلى دين الله تعالى ، الذي لا عوج فيه ، وهو قول ابن عباس .

والرابع : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخيار أهل بيته وأصحابه ، وهو قول الحسن البصري وأبي العالية الرياحي .

وفي قوله تعالى : { الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمُ } خمسة أقاويل : أحدها : أنهم الملائكة .

والثاني : أنهم الأنبياء .

والثالث : أنهم المؤمنون بالكتب السالفة .

والرابع : أنهم المسلمون وهو قول وكيع .

والخامس : هم النبي صلى الله عليه وسلم ، ومَنْ معه مِنْ أصحابه ، وهذا قول عبد الرحمن بن زيد

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

.
وقرأ عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير : (صِرَاطَ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)
وأما قوله : { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ } فقد روى عن عديٍّ بن حاتم قال : سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن المغضوب عليهم ، فقال : « هُمُ اليَهُود » وعن الضالين فقال : « هُمُ النَّصارى
» . وهو قول جميع المفسرين .
وفي غضب الله عليهم ، أربعة أقاويل :
أحدها : الغضب المعروف من العباد .
والثاني : أنه إرادة الانتقام ، لأن أصل الغضب في اللغة هو الغلظة ، وهذه الصفة لا تجوز على الله تعالى .
والثالث : أن غضبه عليهم هو ذَمُّهُ لهم .
والرابع : أنه نوع من العقوبة سُمِّيَ غضباً ، كما سُمِّيَتْ نِعَمُهُ رَحْمَةً .
والضلال ضد الهدى ، وخصّ الله تعالى اليهود بالغضب ، لأنهم أشد عداوة .
وقرأ عمر بن الخطاب (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَغَيْرِ الضَّآلِّين)

(7/1)

الم (1)

قوله عز وجل : { الم } اختلف فيه المفسرون على ثمانية أقاويل :
أحدها : أنه اسم من أسماء القرآن كالفرقان والذكر ، وهو قوله قتادة وابن جريج (88) .
والثاني : أنه من أسماء السور ، وهو قول زيد ابن أسلم .
والثالث : أنه اسم الله الأعظم ، وهو قول السدي والشعبي .
والرابع : أنه قسم أقسم الله تعالى به ، وهو من أسمائه ، وبه قال ابن عباس وعكرمة .
والخامس : أنها حروف مقطعة من أسماء وأفعال ، فالألف من أنا واللام من الله ، والميم من أعلم ، فكان معنى ذلك : أنا الله أعلم ، وهذا قول ابن مسعود وسعيد بن جبير ، ونحوه عن ابن عباس أيضاً .
والسادس : أنها حروف يشتمل كل حرف منها على معانٍ مختلفة ، فالألف مفتاح اسمه الله ، واللام مفتاح اسمه لطيف ، والميم مفتاح اسمه مجيد ، والألف آلاء الله ، والميم مجدُه ، والألِفُ سَنَةٌ ، واللامُ ثلاثون سنة ، والميم أربعون سنة ، آجال قد ذكرها الله .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والسابع : أنها حروف من حساب الجمل ، لما جاء في الخبر عن (91) عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس وجابر بن عبد الله ، قال : مَرَّ أبو ياسر بن أخطب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة الكتاب وسورة البقرة : { الم . ذلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ } فأتى أخاه حُيَيَّ بْنَ أَخْطبَ في رجال من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد ألم تذكر لنا أنك تتلو فيما أنزل اللهُ عليك : { الم . ذلك الكِتَابُ } فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بلى » ، فقالوا : « أجاءك بها جبريل من عند الله » . قال : « نعم » ، قالوا : « لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلم أنه بُيِّنَ لنبي منهم مدة ملكه وما أُكل أمته غيرك » ، فقال حُيَيُّ بن أخطب وأقبل على من كان معه ، فقال لهم : « الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة » ، ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « يا محمد هل كان مع هذا غيره » ؟ ، قال : « نعم » ، قال : « ماذا » ؟ قال : « المص » ، قال هذه أثقل وأطول ، الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون ، والصاد تسعون ، فهذه إحدى وستون ومائة سنة ، فهل مع هذا يا محمد غيره » ، قال : » نعم « ، قال : » ماذا « قال : » الر « قال : » هذه أثقل وأطول ، الألف واحد ، واللام ثلاثون ، والراء مائتان ، فهذه إحدى وثلاثون ومائتان سنةٍ ، فهل مع هذا يا محمد غيره « ، قال : » نعم « قال : » ماذا « ؟ ، قال : » المر « ، قال هذه أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مائتان ، فهذه إحدى وسبعون ومائتا سنة . . ، ثم قال : » لقد التبس علينا أمرك حتى ما ندري أقليلاً أعطيت أم كثيراً « ، ثم قاموا عنه ، فقال أبو ياسر لأخيه حُيَيَّ بن أخطبَ ولمن معه من الأحبار : » ما يدريكم لعله قد جمع هذا كله لمحمد إحدى وسبعون ، وإحدى وستون ومائة ، وإحدى وثلاثون ومائتان ، وإحدى وسبعون ومائتان ، فذلك سبعمائة سنة وأربع وثلاثون سنة « ، قالوا : » لقد تشابه علينا أمره « . فيزعمون أن هذه الآيات نزلت فيهم : { هُوَ الَّذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ } .

(8/1)

والثامن (92) : أنه حروف هجاء أَعلم الله تعالى بها العَرَب حين تحداهم بالقرآن ، أنه مُؤلَف من حروف كلام ، هي هذه التي منها بناء كلامهم ليكون عجزهم عنه أبلغ في الحجة عليهم ، إذ لم يخرج عن كلامهم .

فأما حروف أبجدَ فليس بناء كلامهم عليها ، ولا هي أصل ، وقد اختلف أهل العلم فيها على أربعة أقاويل :

أحدها : أنها الأيام الستة ، التي خلق الله تعالى فيها الدنيا ، وهذا قول الضحاك بن مزاحم (93) .

والثاني : أنها أسماء ملوك مَدْيَن ، وهذا قول الشعبي وفي قول بعض شعراء مَدْيَن دليل على ذلك

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قال شاعرهم :

أَلاَ يَا شُعَيْبٌ قَدْ نَطَقْتَ مَقَالَةً ... سَبَبْتَ بِهَا عَمْراً وَحَيَّ بني عَمْرو

مُلُوكُ بني حطّى وَهَوَّزُ مِنْهُمُ ... وَسَعْفَصُ أَصْلٌ لِلْمَكَارِمِ وَالْفَخْرِ

هُمُ صَبَّحُوا أَهْلَ الحِجَازِ بغارَةٍ ... كَمِثْلِ شُعَاعِ الشَّمْسِ أَوْ مَطْلَعِ الْفَجْرِ

والثالث : ما روى ميمون بن مهران (94) ، عن ابن عباس ، أن لأبي جاد حديثاً عجباً : (أبى) آدمُ الطاعة ، و (جد) في أكل الشجرة ، وأما (هوّز) ، فنزل آدم فهوى من السماء إلى الأرض ، وأما (حطي) فحطت خطيئته ، وأما (كلمن) فأكل من الشجرة ، ومَنَّ عليه بالتوبة ، وأما (سعفص) فعصى آدم ، فأُخرج من النعيم إلى النكد ، وأما قرشت فأقرّ بالذنب ، وسَلِمَ من العقوبة (95) .

والرابع : أنها حروف من أسماء الله تعالى ، روى ذلك معاوية بن قرة (96) ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم (97) .

(9/1)

ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2)

قوله تعالى : { ذَلِكَ الكِتَابُ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني التوراة والإنجيل ، ليكون إخباراً عن ماضٍ .

والثاني : يعني به ما نزل من القرآن قبل هذا بمكة والمدينة ، وهذا قول الأصم .

والثالث : يعني هذا الكتاب ، وقد يستعمل ذلك في الإشارة إلى حاضر ، وإن كان موضوعاً للإشارة إلى غائب ، قال خُفاف بن ندبة :

أَقُولُ لَهُ والرُّمْحُ يَأْطِرُ مَتْنُهُ ... تَأَمَّلْ خُفَافاً إِنَّنِي أَنَا ذَلِكَا

ومن قال بالتأويل الأول : أن المراد به التوراة والإنجيل ، اختلفوا في المخاطب به على قولين :

أحدهما : أن المخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم ، أي ذلك الكتاب الذي ذكرته في التوراة والإنجيل ، هو الذي أنزلته عليك يا محمد .

والقول الثاني : أن المخاطب به اليهود والنصارى ، وتقديره : أن ذلك الذي وعدتكم به هو هذا الكتاب ، الذي أنزلته على محمد عليه وعلى آله السلام . قوله عز وجل : { لاَ رَيْبَ فيهِ } وفيه تأويلان :

أحدهما : أن الريب هو الشك ، وهو قول ابن عباس ، ومنه قول عبد الله بن الزِّبَعْرَى :

لَيْسَ في الْحَقِّ يَا أُمَيْمَةُ رَيْبٌ ... إِنَّمَا الرَّيْبُ مَا يَقُولُ الْجَهُولُ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والتأويل الثاني : أن الريب التهمة ومنه قول جميل :

بُثَيْنَةُ قالتْ : يا جَمِيلُ أَرَبْتَنِي ... فَقُلْتُ : كِلاَنَا يَا بُثَيْنَ مُرِيب

قوله عزَّ وجلَّ : { هُدىً لِلْمُتَّقِينَ } ، يعني به هدىً من الضلالة .

وفي المتقين ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنهم الذين اتقوا ما حرم الله عليهم وأدَّوا ما افترض عليهم ، وهذا قول الحسن البصري .

والثاني : أنهم الذين يحذرون من الله تعالى عقوبته ويرجون رحمته وهذا قول ابن عباس .

والثالث : أنهم الذين اتقوا الشرك وبرئوا من النفاق وهذا فاسد ، لأنه قد يكون كذلك ، وهو فاسق وإنما خص به المتقين ، وإن كان هدىً لجميع الناس ، لأنهم آمنوا وصدقوا بما فيه .

(10/1)

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3)

{ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبَ }

قوله تعالى : { الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبَ } فيه تأويلان :

أحدهما : يصدقون بالغيب ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : يخشون بالغيب ، وهذا قول الربيع بن أنس (100) .

وفي الأصل الإيمان (101) ثلاثة أقوال :

أحدها : أن أصله التصديق ، ومنه قوله تعالى : { وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا } أي بمصدِّق لنا .

والثاني : أن أصله الأمان فالمؤمن يؤمن نفسه من عذاب الله ، والله المؤمنُ لأوليائه من عقابه .

والثالث : أن أصله الطمأنينة ، فقيل للمصدق بالخبر مؤمن ، لأنه مطمئن . وفي الإيمان ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنّ الإيمان اجتناب الكبائر .

والثاني : أن كل خصلة من الفرائض إيمان .

والثالث : أن كل طاعةٍ إيمان .

وفي الغيب ثلاثة تأويلات :

أحدها : ما جاء من عند الله ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : أنه القرآن ، وهو قول زر بن حبيش .

والثالث : الإيمان بالجنة والنار والبعث والنشور .

{ وَيُقِيمونَ الصَّلوة وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (3) }

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وفي قوله تعالى : { وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ } تأويلان :

أحدهما : يؤدونها بفروضها .

والثاني : أنه إتمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع فيها ، وهذا قول ابن عباس .

واختُلف لِمَ سُمِّي فعل الصلاة على هذا الوجه إقامةً لها ، على قولين :

أحدهما : من تقويم الشيء من قولهم قام بالأمر إذا أحكمه وحافظ عليه .

والثاني : أنه فعل الصلاة سُمِّي إقامة لها ، لما فيها من القيام فلذلك قيل : قد قامت الصلاة .

وفي قوله : { وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } ثلاثة تأويلات :

أحدها : إيتاء الزكاة احتساباً لها ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : نفقة الرجل على أهلِهِ ، وهذا قول ابن مسعود .

والثالث : التطوع بالنفقة فيما قرب من الله تعالى ، وهذا قول الضحاك :

وأصل الإنفاق الإخراج ، ومِنْهُ قيل : نَفَقَتِ الدابة إذا خرجت رُوحها .

واختلف المفسرون ، فِيمَنْ نزلت هاتان الآيتان فيه ، على ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها نزلت في مؤمني العرب دون غيرهم ، لأنه قال بعد هذا : { وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ } يعني به أَهْلَ الكتاب ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أنها مع الآيتين اللتين من بعد أربع آيات نزلت في مؤمني أهل الكتاب ، لأنه ذكرهم في بعضها .

والثالث : أن الآيات الأربع من أول السورة ، نزلت في جميع المؤمنين ، وروى ابن أبي نجيح (103) ، عن مجاهد قال : « نزلت أربع آيات من سورة البقرة في نعت المؤمنين ، وآيتان في نعت الكافرين ، وثَلاَث عَشْرَةَ في المُنافقين .

(11/1)

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4)

قوله تعالى : { وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ } وما بعدها .

أما قوله : { وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ } يعني القرآن ، { وَمَآ أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ } يعني به التوراة والإنجيل ، وما تقدم من كتب الأنبياء ، بخلاف ما فعلته اليهود والنصارى ، في إيمانهم ببعضها دون جميعها .

{ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ } فيه تأويلان :

أحدهما : يعني الدار الآخرة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : يعني النشأة الآخرة وفي تسميتها بالدار الآخرة قولان :

أحدهما : لتأخرها عن الدار الأولى .

والثاني : لتأخرها عن الخلق ، كما سميت الدنيا لدنّوها من الخلق .

وقوله : { يُوقِنُونَ } أي يعلمون ، فسمي العلم يقيناً لوقوعه عن دليل صار به يقيناً .

(12/1)

أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)

وقوله تعالى : { أُولئِكَ على هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ } يعني بيان ورشد .

{ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنهم الفائزون السعداء ، ومنه قول لبيد :

لَوْ أَنَّ حَيّاً مُدْرِكُ الْفَلاَحِ ... أَدْرَكَهُ مُلاَعِبُ الرِّمَاحِ

والثاني : المقطوع لهم بالخير ، لأن الفلح في كلامهم القطع ، وكذلك قيل للأكار فلاح ، لأنه يشق الأرض ، وقد قال الشاعر :

لَقَدْ عَلِمتَ يا ابنَ أُمِّ صحصحٍ ... أن الحديدَ بالحديدِ يُفلحْ

واختلف فيمن أُرِيدَ بهم ، على ثلاثة أوجه :

أحدها : المؤمنون بالغيب من العرب ، والمؤمنون بما أنزل على محمد ، وعلى من قبله من سائر الأنبياء من غير العرب .

والثاني : هم مؤمنو العرب وحدهم .

والثالث : جميع المؤمنين .

(13/1)

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6)

قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ كَفَروا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ } وأصل الكفر عند العرب التغطية ، ومنه قوله تعالى : { أَعْجَبَ الكُفَّار نَبَاتُهُ } يعني الزُّرَّاع لتغطيتهم البذر في الأرض ، قال لبيد :

في لَيْلَةٍ كَفَّرَ النُّجُومَ غَمَامُهَا ... .

أي غطَّاها ، فسمي به الكافر بالله تعالى لتغطيته نعم الله بجحوده .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وأما الشرك فهو في حكم الكفر ، وأصله في الإشراك في العبادة .

واختلف فِيمَنْ أُرِيدَ بذلك ، على ثلاثة أوجه :

أحدها : أنهم اليهود الذين حول المدينة ، وبه قال ابن عباس ، وكان يسميهم بأعيانهم .

والثاني : أنهم مشركو أهل الكتاب كلهم ، وهو اختيار الطبري .

والثالث : أنها نزلت في قادة الأحزاب ، وبه قال الربيع بن أنس .

(14/1)

خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (7)

قوله تعالى : { خَتَمَ اللهُ على قُلُوبِهِمْ } الختم الطبع ، ومنه ختم الكتاب ، وفيه أربعة تأويلات :

أحدها : وهو قول مجاهد (105) : أن القلب مثل الكف ، فإذا أذنب العبْدُ ذنباً ضُمَّ منه كالإصبع ، فإذا أذنب ثانياً ضم منه كالإصبع الثانية ، حتى يضمَّ جميعه ثم يطبع عليه بطابع .

والثاني : أنها سمة تكون علامة فيهم ، تعرفهم الملائكة بها من بين المؤمنين .

والثالث : أنه إخبار من الله تعالى عن كفرهم وإعراضهم عن سماع ما دعوا إليه من الحق ، تشبيهاً بما قد انسدَّ وختم عليه ، فلا يدخله خير .

والرابع : أنها شهادة من الله تعالى على قلوبهم ، بأنها لا تعي الذكر ولا تقبل الحقَّ ، وعلى أسماعهم بأنها لا تصغي إليه ، والغشاوة : تعاميهم عن الحق . وسُمِّي القلب قلباً لتقلُّبِهِ بالخواطر ، وقد قيل :

ما سُمِّيَ الْقَلْبُ إلاَّ مِنْ تَقَلُّبِهِ ... وَالرَّأْيُ يَصْرِفُ ، والإنْسَانُ أَطْوَارُ

والغشاوة : الغطاء الشامل .

(15/1)

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9)

قوله تعالى : { يُخَادِعُونَ اللهَ والَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إلاَّ أَنْفُسَهُمْ } يعني المنافقين يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، بأن يُظهروا من الإيمان خلاف ما يبطنون من الكفر ، لأن أصل الخديعة الإخفاء ، ومنه مخدع البيت ، الذي يخفى فيه ، وجعل الله خداعهم لرسوله خداعاً له ، لأنه دعاهم برسالته .

This file was downloaded from QuranicThought.com

{ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ } في رجوع وباله عليهم .

{ وَمَا يَشْعُرُون } يعني وما يفطنون ، ومنه سُمِّي الشاعر ، لأنه يفطن لما لا يفطن له غيره ، ومنه قولهم ليت شعري .

(16/1)

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (10)

قوله تعالى : { في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : شك ، وبه قال ابن عباس .

والثاني : نفاق ، وهو قول مقاتل ، ومنه قول الشاعر :

أُجَامِلُ أَقْوَاماً حَيَاءً وَقَدْ أَرَى ... صُدُورَهُمُ تَغْلِي عَلَيَّ مِراضُها

والثالث : أن المرض الغمُّ بظهور أمر النبي صلى الله عليه وسلم على أعدائه ، وأصل المرض الضعف ، يقال : مرَّض في القول إذا ضعَّفه .

{ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً } فيه تأويلان :

أحدهما : أنه دعاء عليهم بذلك .

والثاني : أنه إخبار من الله تعالى عن زيادة مرضهم عند نزول الفرائض ، والحدود . { وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } يعني مؤلم .

(17/1)

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (12)

قوله تعالى : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا في الأَرضِ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه الكفر .

والثاني : فعل ما نهى الله عنه ، وتضييع ما أمر بحفظه .

والثالث : أنه ممالأة الكفار .

وكل هذه الثلاثة ، فساد في الأرض ، لأن الفساد العدول عن الاستقامة إلى ضدها .

واختلف فيمَنْ أُريدَ بهذا القول على وجهين :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : أنها نزلت في قوم لهم يكونوا موجودين في ذلك الوقت ، وإنما يجيئون بعد ، وهو قول سليمان .

والثاني : أنها نزلت في المنافقين ، الذين كانوا موجودين ، وهو قول ابن عباس ومجاهد .

{ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أنهم ظنوا أن في ممالأة الكفار صلاحاً لهم ، وليس كما ظنوا ، لأن الكفار لو يظفرون بهم ، لم يبقوا عليهم ، فلذلك قال : { أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ } .

والثاني : أنهم أنكروا بذلك ، أن يكونوا فعلوا ما نهوا عنه من ممالأة الكفار ، وقالوا إنما نحن مصلحون في اجتناب ما نهينا عنه .

والثالث : معناه أن ممالأتنا الكفار ، إنما نريد بها الإصلاح بينهم وبين المؤمنين ، وهذا قول ابن عباس .

والرابع : أنهم أرادوا أن ممالأة الكفار صلاح وهدى ، وليست بفساد وهذا قول مجاهد .

فإن قيل : فكيف يصح نفاقهم مع مجاهدتهم بهذا القول؛ ففيه جوابان :

أحدهما : أنهم عرَّضوا بهذا القول ، وكنُّوا عنه من غير تصريح به .

والثاني : أنهم قالوا سراً لمن خلوا بهم من المسلمين ، ولم يجهروا به ، فبقوا على نفاقهم .

(18/1)

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آَمِنُوا كَمَا آَمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آَمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (13)

قوله تعالى : { وإذا قيل لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ } يعني أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم { قَالُوا أَنُؤْمِن كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ } فيه وجهان :

أحدهما : أنهم عنوا بالسفهاء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

والثاني : أنهم أرادوا مؤمني أهل الكتاب .

والسفهاء جمع سفيه ، وأصل السَّفَهِ الخِفَّةُ ، مأخوذ من قولهم ثوب سفيه ، وإذا كان خفيف النسيج ، فسمَّي خفةُ الحلم سفهاً ، قال السَمَوْأَلُ :

نَخَافُ أَنْ تَسْفَهَ أَحْلاَمُنَا ... فَنَخْمُلَ الدَّهْرَ مَعَ الْخَامِلِ

(19/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15)

قوله تعالى : { وَإِذَا خَلَوْا إِلى شَيَاطِينِهِمْ } في شياطينهم قولان :

أحدهما : أنهم اليهود ، الذين يأمرونهم بالتكذيب ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : رؤوسهم في الكفر ، وهذا قول ابن مسعود .

وفي قوله : { إِلى شَيَاطِينِهِمْ } ثلاثة أوجه :

أحدها : معناه مع شياطينهم ، فجعل « إلى » موضع « مع » ، كما قال تعالى : { مَنْ أَنْصَارِي إِلى اللهِ } [آل عمران : 52] أي مع الله .

والثاني : وهو قول بعض البصريين : أنه يقال خلوت إلى فلان ، إذا جعلته غايتك في حاجتك ، وخلوت به يحتمل معنيين :

أحدهما : هذا .

والآخر : السخرية والاستهزاء منه فعلى هذا يكون قوله : { وَإِذَا خَلَوْا إِلى شَيَاطِينِهِمْ } أفصح ، وهو على حقيقته مستعمل .

والثالث : وهو قول بعض الكوفيين : أن معناه إذا انصرفوا إلى شياطينهم فيكون قوله : { إلى } مستعملاً في موضع لا يصح الكلام إلا به .

فأما الشيطان ففي اشتقاقه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه فيعال من شطن ، أي بَعُدَ ، ومنه قولهم : نوى شطون (108) أي بعيدة ، وشَطَنَتْ دارُه ، أي بعدت ، فسمي شيطاناً ، إما لبعده عن الخير ، وإما لبعد مذهبه في الشر ، فعلى هذا النون أصلية .

والقول الثاني : أنه مشتق من شاط يشيط ، أي هلك يهلك كما قال الشاعر :

. . . . وَقَدْ يَشِيطُ عَلَى أَرْمَاحِنَا البَطَلُ

أي يهلك ، فعلى هذا يكون النون فيه زائدة .

والقول الفاصل : أنه فعلان من الشيط وهو الاحتراق ، كأنه سُمِّي بما يؤول إليه حاله .

{ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ } أي على ما أنتم عليه من التكذيب والعداوة ، { إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ } أي ساخرون بما نظهره من التصديق والموافقة .

قوله تعالى : { اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ } فيه خمسة أوجه :

أحدها : معناه أنه يحاربهم على استهزائهم ، فسمي الجزاء باسم المجازى عليه ، كما قال تعالى : { فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ } ، وليس الجزاء اعتداءً ، قال عمرو بن كلثوم :

أَلاَ لاَ يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا ... فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينا

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : أن معناه أنه يجازيهم جزاء المستهزئين .

والثالث : أنه لما كان ما أظهره من أحكام إسلامهم في الدنيا ، خلاف ما أوجبه عليهم من عقاب الآخرة ، وكانوا فيه اغترار به ، صار كالاستهزاء [بهم] .

والرابع : أنه لما حسن أن يقال للمنافق : { ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ } [الدخان : 49] ، صار القول كالاستهزاء به .

والخامس : ما حكي : أنهم يُفْتَح لهم باب الجحيم ، فيرون أنهم يخرجون منها ، فيزدحمون للخروج ، فإذا انتهوا إلى الباب ضربهم الملائكة ، بمقامع النيران ، حتى يرجعوا ، وهاذ نوع من العذاب ، وإن كان كالاستهزاء .

قوله عز وجل : { وَيَمُدُّهُمْ في طُغْيانِهِم يَعْمَهُونَ } وفي يمدهم تأويلان :

أحدهما : يملي لهم ، وهو قول ابن مسعود .

والثاني : يزيدهم ، وهو قول مجاهد .

يقال مددت وأمددت ، فحُكِيَ عن يونس أنه قال : مددت فيما كان من الشر ، وأمددت فيما كان من الخير ، وقال بعض الكوفيين : يقال : مددتُ فيما كانت زيادته منه ، كما يقال مَدّ النصر ، وأَمَدَّه نهر آخر ، وأمددت فيما حدثت زيادته من غيره ، كقولك أمْدَدْتُ الجيش بمددٍ ، وأمِدِ الجرح ، لأن المدة من غيره .

(20/1)

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (16)

قوله عز وجل : { أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ } الضلالة : الكفر ، والهدى : الإيمان .

وفي قوله : { اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ } ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه على حقيقة الشراء فكأنهم اشتروا الكفر بالإيمان .

والثاني : أنه بمعنى استحبوا الكفر على الإيمان ، فعبر عنه بالشراء ، لأن الشراء يكون فيما يستحبه مشتريه ، فإما أن يكون على معنى شراء المعاوضة فعلاً ، لأن المنافقين لم يكونوا قد آمنوا ، فيبيعوا إيمانهم .

والثالث : أنه بمعنى أخذوا الكفر وتركوا الإيمان ، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود .

{ فَمَا رَبِحَت تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : وما كانوا مهتدين ، في اشتراء الضلالة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

والثاني : وما كانوا مهتدين إلى التجارة التي اهتدى إليها المؤمنون .

والثالث : أنه لما كان التاجر قد لا يربح ، ويكون على هدى في تجارته نفى الله عنهم الأمرين من الربح والاهتداء ، مبالغة في ذمهم .

(21/1)

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (17) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (18)

قوله عز وجل : { مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً } المثل بالتحريك والتسكين ، والمَثَل بالتحريك مستعمل في الأمثال المضروبة ، والمِثْل بالتسكين مستعمل في الشيء المماثل لغيره .

وقوله : { كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً } فيه وجهان :

أحدهما : أنه أراد كمثل الذي أوقد ، فدخلت السين زائدة في الكلام ، وهو قول الأخفش .

والثاني : أنه أراد استوقد مِنْ غيره ناراً للضياء ، والنار مشتقة من النور .

{ فَلَمَّا أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُ } يقال ضاءت في نفسها ، وأضاءت ما حولها قال أبو الطمحان :

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ ... دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجِزْعَ ثَاقِبُهْ

قوله عز وجل : { ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ } فيه وجهان :

أحدهما : نور المستوقِد ، لأنه في معنى الجمع ، وهذا قول الأخفش .

والثاني : بنور المنافقين ، لأن المثل مضروب فيهم ، وهو قول الجمهور .

وفي ذهاب نورهم وجهان :

أحدهما : وهو قول الأصم ذهب الله بنورهم في الآخرة ، حتى صار ذلك سمةً لهم يُعْرَفُونَ بها .

والثاني : أنه عَنّى النور الذي أظهروه للنبي صلى الله عليه وسلم من قلوبهم بالإسلام . وفي قوله : { وَتَرَكَهُمْ في ظُلُمَاتٍ لاَ يُبْصِرُونَ } قولان :

أحدهما : معناه لم يأتهم بضياء يبصرون به .

والثاني : أنه لم يخرجهم منه ، كما يقال تركته في الدار ، إذا لم تَخرجْهُ منها ، وكأنَّ ما حصلوا فيه من الظلمة بعد الضياء أسوأ حالاً ، لأن من طُفِئَت عنه النار حتى صار في ظلمة ، فهو أقل بصراً ممن لم يزل في الظلمة ، وهذا مَثَل ضربه الله تعالى للمنافقين .

وفيما كانوا فيه من الضياء ، وجعلوا فيه من الظلمة قولان :

أحدهما : أن ضياءهم دخولهم في الإسلام بعد كفرهم ، والظلمة خروجهم منه بنفاقهم .

والثاني : أن الضياء يعود للمنافقين بالدخول في جملة المسلمين ، والظلمة زوالُهُ عنهم في الآخرة ،

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وهذا قول ابنِ عباسٍ وقتادةَ .

قوله تعالى : { صَمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ } وهذا جمع : أصم ، وأبكم ، وأعمى ، وأصل الصَّمَمُ الإنسداد ، يقال قناة صماء ، إذا لم تكن مجوفة ، وصممت القارورة ، إذا سددتها ، فالأصم : من انسدَّتْ خروق مسامعه .

أما البَكَمُ ، ففيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنه آفة في اللسان ، لا يتمكن معها من أن يعتمد على مواضع الحروف .

والثاني : أنه الذي يولد أخرس .

والثالث : أنه المسلوب الفؤاد ، الذي لا يعي شيئاً ولا يفهمه .

والرابع : أنه الذي يجمع بين الخَرَس وذهاب الفؤاد .

ومعنى الكلام ، أنهم صمٌّ عن استماع الحق ، بكم عن التكلم به ، عُمْيٌ عن الإبصار له ، رَوَى ذلك قتادة ، { فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ } يعني إلى الإسلام .

(22/1)

أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آَذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (19) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20)

قوله عز وجل : { أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وبَرْقٌ } في الصيِّبِ تأويلان :

أحدهما : أنه المطر ، وهو قول ابن عباس وابن مسعود .

والثاني : أنه السحاب ، قال علقمة بن عبدة :

كَأَنَّهُمَّ صَابَتْ عَلَيْهِمِ سَحَابَةٌ ... صَوَاعِقُهَا لِطَيْرِهِنَّ دَبِيبُ

فَلاَ تَعْدِلِي بَيْنِي وَبَيْنَ مُغَمِّرٍ ... سُقِيتِ غَوَادِي الْمُزنِ حِينَ تَصُوبُ

وفي الرعد ثلاثة أوجه : أحدها :

أنه مَلَكٌ ينعق بالغيث ، كما ينعق الراعي بغنمه ، فَسُمِّيَ الصوتُ رعداً باسم ذلك المَلك ، وبه قال الخليل .

والثاني : أنه ريح تختنق تحت السحاب فَتُصَوِّبُ ذلك الصوت ، وهو قول ابن عباس .

والثالث : أنه صوت اصطكاك الأجرام .

وفي البرق ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه ضرب الملك الذي هو الرعد للسحاب بمخراق من حديد ، وهو قول علي بن أبي طالب

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

رضي الله عنه .

والثاني : أنه ضربه بسوطٍ من نور ، وهذا قول ابن عباس .

والثالث : أنه ما ينقدح من اصطكاك الأجرام .

والصواعق جمع صاعقة ، وهو الشديد من صوت الرعد تقع معه قطعة نار ، تحرق ما أتت عليه .

وفي تشبيه المثل في هذه الآية أقاويل :

أحدها : أنه مَثَلٌ للقرآن ، شُبِّهَ المطرُ المُنَزَّلُ من السماء بالقرآن ، وما فيه من الظلمات بما في القرآن من الابتلاء ، وما فيه من الرعد بما في القرآن من الزجر ، وما فيه من البرق بما في القرآن من البيان ، وما فيه من الصواعق بما في القرآن من الوعيد الآجل ، والدعاء إلى الجهاد في العاجل ، وهذا المعنى عن ابن عباس .

والثاني : أنه مَثَلٌ ، لما يخافونه من وعيد الآخرة لشكهم في دينهم ، وما فيه من البرق بما في إظهار الإسلام من حقن دمائهم ومناكحهم ومواريثهم ، وما فيه من الصواعق بما في الإسلام من الزواجر بالعقاب في العاجل والآجل .

والثالث : أنه ضَرَبَ الصيِّب مَثَلاً بظاهر إيمان المنافق ، ومثل ما فيه من الظلمات بصلابته ، وما فيه من البرق بنور إيمانه ، وما فيه من الصواعق بهلاك نفاقه .

قوله عز وجل : { يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ } معناه يستلبها بسرعة .

{ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِم قَامُوا } وهذا مَثَلٌ ضربه الله تعالى للمنافقين ، وفيه تأويلان :

أحدهما : معناه كلما أضاء لهم الحق اتبعوه ، وإذا أظلم عليهم بالهوى تركوه .

والثاني : معناه كلما غنموا وأصابوا من الإسلام خيراً ، اتبعوا المسلمين ، وإذا أظلم عليهم فلم يصيبوا خيراً ، قعدوا عن الجهاد .

قوله عز وجل : { وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ } فالمراد الجمع وإن كان بلفظ الواحد . كما قال الشاعر :

كُلُوا في نِصْفِ بَطْنِكُمُ تَعِيشُوا ... فَإِنَّ زَمَانَكُم زَمَنٌ خَمِيصُ

(23/1)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله عز وجل : { فَلاَ تَجْعَلُوا للهِ أَنْداداً } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنَّ الأنداد الأكْفَاءُ ، وهذا قول ابن مسعود .

والثاني : الأشباه ، وهو قول ابن عباس .

والثالث : الأضداد ، وهو قول المفضل .

{ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : وأنتم تعلمون أن الله خلقكم ، وهذا قول ابن عباس وقتادة .

والثاني : معناه وأنتم تعلمون أنه لا ندَّ له ولا ضد ، وهذا قول مجاهد .

والثالث : معناه وأنتم تعقلون فعبر عن العقل بالعلم .

(24/1)

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24)

قوله عز وجل : { وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا } يعني في القرآن ، على عبدنا : يعني محمداً صلى الله عليه وسلم ، والعبد مأخوذ من التعبد ، وهو التذلل ، وسُمي المملوك من جنس ما يعقل عبداً ، لتذلله لمولاه .

{ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ } فيه تأويلان :

أحدهما : يعني من مثله من القرآن ، وهذا قول مجاهد وقتادة .

والثاني : فأتوا بسورة من مثل محمد صلى الله عليه وسلم من البشر ، لأن محمداً بشر مثلهم .

{ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني أعوانكم ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : آلهتكم ، لأنهم كانوا يعتقدون أنها تشهد لهم ، وهذا قول الفراء .

والثالث : ناساً يشهدون لكم ، وهذا قول مجاهد .

قوله عز وجل : { فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ } الوَقود بالفتح الحطب ، والوُقود بالضم التوقُّد ، والحجارة من كبريتٍ أسود ، وفيها قولان :

أحدهما : أنهم يعذبون فيها بالحجارة مع النار ، التي وقودها الناس ، وهذا قول ابن مسعود وابن عباس .

والثاني : أن الحجارة وقود النار مع الناس ، ذكر ذلك تعظيماً للنار ، كأنها تحرق الحجارة مع

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

إحراقها الناس .

وفي قوله : { أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ } قولان :

الأول : أنها وإن أعدت للكافرين ، فهي معدة لغيرهم من مستحقي العذاب من غير الكافرين ، وهي نار واحدة ، وإنما يتفاوت عقابهم فيها .

والثاني : أن هذه النار معدة للكافرين خاصة ، ولغيرهم من مستحقي العذاب نارٌ غيرها .

(25/1)

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (25)

قوله عز وجل : { وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ } بشر من البشارة ، أو خبر يرد عليك بما يَسُرُّ ، وقيل بما يُسرُّ ويُغِمُّ ، وإنما كثر استعماله فيما يَسُرُّ ، حتى عُدِلَ به عما يُغِمُّ ، وهو مأخوذ من البَشْرَةِ وهي ظاهر الجلد لتغيرها بأول خبر [يرد عليه] .

والجنات جمع جنة ، وهي البستان ذو الشجر ، وسمي جنة لأن ما فيه من الشجر يستره ، وقال المفضل : الجنة كل بستان فيه نخل ، وإن لم يكن فيه شجر غيره ، فإن كان فيه كَرْمٌ فهو فردوس ، كان فيه شجر غير الكرم أو لم يكن .

{ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ } يعني من تحت الشجر ، وقيل : إن أنهار الجنة تجري من غير أخدود .

قوله عز وجل : { كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هذا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ } ، يعني بقوله : { رُزِقُوا مِنْها مِنْ ثَمَرةٍ رِزْقاً } أي من ثمار شجرها .

{ قَالُوا هذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ } فيه تأويلان :

أحدهما : أن معناه : أن هذا الذي رُزِقْنَاهُ من ثمار الجنة ، مثلُ الذي رُزِقْنَاهُ من ثمار الدنيا ، وهذا قول ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة .

والثاني : أن ثمار الجنة إذا جنيت من أشجارها ، استخلف مكانها مثلها ، فإذا رأوا ما استخلف بعد الذي جُنِي ، اشتُبِه عليهم ، فقالوا : { هذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْل } ، وهو قول أبي عبيد ويحيى بن أبي كثير .

قوله عز وجل : { وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أن معنى التشابه أن كله خيار يشبه بعضه بعضاً وليس كثمار الدنيا ، التي لا تتشابه لأن فيها خياراً وغير خيار ، وهذا قول الحسن وقتادة وابن جريج .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثاني : أن التشابه في اللون دون الطعم فكأن ثمار الجنة في ألوان ثمار الدنيا ، وإن خالفتها في الطعم ، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود والربيع بن أنس .

والثالث : أن التشابه في الأسماء دون الألوان والطعوم ، فلا تشبه ثمار الجنة شيئاً من ثمار الدنيا في لون ولا طعم ، وهذا قول ابن الأشجعي وليس بشيء .

قوله عز وجل : { وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ } في الأبدان ، والأخلاق ، والأفعال ، فلا يَحِضْن ، ولا يلدْن ، ولا يذهَبْن إلى غائطٍ ولا بولٍ ، وهذا قول جميع أهل التفسير .

(26/1)

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (26) الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (27)

قوله عز وجل : { إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فما فوقها } .

في قوله : { لاَ يَسْتَحْيِي } ثلاثةُ تأويلاتٍ :

أحدها : معناه لا يترك (121) .

والثاني : [يريد] لا يخشى .

والثالث : لا يمتنع ، وهذا قول المفضل .

وأصل الاستحياء الانقباض عن الشيء والامتناع منه خوفاً من مواقَعَةِ القبح .

والبعوضة : من صغار البقِّ سُميت بعوضة ، لأنها كبعض البقَّة لصِغَرِها .

وفي قوله : { مَا بَعُوضَةً } ثلاثةُ أوجُهٍ :

أحدها : أن « ما » بمعنى الذي ، وتقديره : الذي هو بعوضة .

والثاني : أن معناه : ما بين بعوضة إلى ما فَوْقها .

والثالث : أن « ما » صلةٌ زائدةٌ ، كما قال النابغة :

قَالَتْ أَلاَ لَيْتَمَا هذَا الْحَمَامُ لَنَا ... إِلَى حَمَامَتِنَا وَنِصْفُهُ فَقَدِ

{ فَمَا فَوْقَهَا } فيه تأويلان :

أحدهما : فما فوقها في الكبر ، وهذا قول قتادة وابنِ جُريج .

والثاني : فما فوقها في الصغر ، لأن الغرض المقصود هو الصغر . وفي المثل ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه وارد في المنافقين ، حيث ضَرَبَ لهم المَثَلَيْنِ المتقدِّمين : مَثَلَهُمْ كمثل الذي استوقد ناراً ،

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقوله : أو كصيِّب من السماء ، فقال المنافقون : إن الله أعلى مِنْ أن يضرب هذه الأمثال ، فأنزل الله تعالى : { إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا } ، وهذا قول ابن مسعود وابن عباس .

والثاني : أن هذا مثلٌ مبتدأ ضَرَبَهُ الله تعالى مثلاً للدنيا وأهلها ، وهو أن البعوضة تحيا ما جاعت ، وإذا شبعت ماتت ، كذلك مثل أهل الدنيا ، إذا امتلأوا من الدنيا ، أخذهم الله تعالى عند ذلك ، وهذا قول الربيع بن أنس .

والثالث : أن الله عز وجل حين ذكر في كتابه العنكبوت والذباب وضربهما مثلاً ، قال أهل الضلالة : ما بال العنكبوت والذباب يذكران ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وهذا قول قتادةَ ، وتأويل الربيع أحسن ، والأولُ أشبَهُ .

قوله عز وجل : { يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً } فيه ثلاثةُ تأويلات :

أحدها : معناه بالتكذيب بأمثاله ، التي ضربها لهم كثيراً ، ويهدي بالتصديق بها كثيراً .

والثاني : أنه امتحنهم بأمثاله ، فَضَلَّ قوم فجعل ذلك إضلالاً لهم ، واهتدى قوم فجعله هدايةً لهم .

والثالث : أنه إخبار عمَّنْ ضلَّ ومن اهتدى .

قوله عز وجل : { الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ } .

أما النقض ، فهو ضد الإبرام ، وفي العهد قولان :

أحدهما : الوصيَّة .

والثاني : الموثق .

والميثاق ما وَقَعَ التوثق به .

وفيما تضمنه عهده وميثاقه أربعة أقاويل :

أحدها : أن العهد وصية الله إلى خلقه وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعة ، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معصية في كتبه ، وعلى لسان رسله ، ونقضهم ذلك بترك العمل به .

والثاني : أن عهده ما خلقه في عقولهم من الحجة على توحيده وصدق رسله بالمعجزات الدالة على صدقهم .

(27/1)

والثالث : أن عهده ما أنزله على أهل الكتاب [من] ، على صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، والوصية المؤكدة باتباعه ، فذلك العهد الذي نقضوه بجحودهم له بعد إعطائهم الله تعالى الميثاق من أنفسهم ، ليبينه للناس ولا يكتمونه ، فأخبر سبحانه ، أنهم نبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً .

والرابع : أن العهد الذي أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم ، الذي وصفه في قوله تعالى : {

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنا } [الأعراف : 172] .

وفي هذه الكتابة التي في ميثاقه قولان :

أحدهما : أنها كناية ترجع إلى اسم الله وتقديره من بعد ميثاق الله .

والثاني : أنها كناية ترجع إلى العهد وتقديره من بعد ميثاق العهد .

وفيمن عَنَاهُ الله تعالى بهذا الخطاب ، ثلاثة أقاويل :

أحدها : المنافقون .

والثاني : أهل الكتاب .

والثالث : جميع الكفار .

قوله عز وجل : { وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن الذي أمر الله تعالى به أن يوصل ، هو رسوله ، فقطعوه بالتكذيب والعصيان ، وهو قول الحسن البصري .

والثاني : أنَّه الرحمُ والقرابةُ ، وهو قول قتادة .

والثالث : أنه على العموم في كل ما أمر الله تعالى به أن يوصل .

قوله عز وجلَّ : { وَيُفْسِدُونَ في الأَرْضِ } وفي إفسادهم في الأرض قولان :

أحدهما : هو استدعاؤهم إلى الكفر .

والثاني : أنه إخافتهم السُّبُلَ وقطعهم الطريق .

وفي قوله : { أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } قولان :

أحدهما : أن الخسران هو النقصان ، ومنه قول جرير :

إنَّ سليطاً في الْخَسَارِ إنَّهُ ... أَوْلاَدُ قَوْمٍ حلفوا افنه

يعني بالخَسَار ، ما ينقُصُ حظوظهم وشرفهم .

والثاني : أن الخسران ها هنا الهلاك ، ومعناه : أولئك هم الهالكون .

ومنهم من قال : كل ما نسبه الله تعالى من الخسران إلى غير المسلمين فإنما يعني الكفر ، وما نسبه إلى المسلمين ، فإنما يعني به الذنب .

(28/1)

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (28)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
قوله عز وجل : { كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ } .
في قوله : { كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ } قولان :
أحدهما : أنه خارج مخرج التوبيخ .
والثاني : أنه خارج مخرج التعجب ، وتقديره : اعجبوا لهم ، كيف يكفرون!
وفي قوله : { وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ } ستة تأويلات :
أحدها : { وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً } أي لم تكونوا شيئاً ، { فَأَحْيَاكُمْ } أي خلقكم ، { ثُمَّ يُمِيتُكُمْ } عند انقضاء آجالكم ، { ثُمَّ يُحْيِيكُمْ } يوم القيامة ، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود .
والثاني : أن قوله : { وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً } يعني في القبور { فَأَحْيَاكُمْ } للمساءلة ، { ثُمَّ يُمِيتُكُمْ } في قبوركم بعد مساءلتكم ، ثم يحييكم عند نفخ الصور للنشور ، لأن حقيقة الموت ما كان عن حياةٍ ، وهذا قول أبي صالح .
والثالث : أن قوله : { وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً } يعني في أصلاب آبائكم ، { فَأَحْيَاكُمْ } أي أخرجكم من بطون أمهاتكم ، { ثُمَّ يُمِيتُكُمْ } الموتة التي لا بد منها ، { ثُم يُحْيِيكُمْ } للبعث يوم القيامة ، وهذا قول قتادة .
والرابع : أن قوله : { وَكُنْتُمْ أَمْواتاً } يعني : أن الله عز وجل حين أخذ الميثاق على آدم وذريته ، أحياهم في صلبه وأكسبهم العقل وأخذ عليهم الميثاق ، ثم أماتهم بعد أخذ الميثاق عليهم ، ثم أحياهم وأخرجهم من بطون أمهاتهم ، وهو معنى قوله تعالى : { يَخْلُقُكُمْ في بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ } [الزمر : 6] فقوله : { وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً } يعني بعد أخذ الميثاق ، { فَأَحْيَاكُمْ } بأن خلقكم في بطون أمهاتكم ثم أخرجكم أحياء ، { ثم يُمِيتُكُمْ } بعد أن تنقضي آجالكم في الدنيا ، { ثُمَّ يُحْيِيكُمْ } بالنشور للبعث يوم القيامة ، [وهذا] قول ابن زيدٍ .
والخامس : أن الموتة الأولى مفارقة نطفة الرجل جسده إلى رحم المرأة ، فهي مَيِّتَةٌ من حين فراقها من جسده إلى أن ينفخ الروح فيها ، ثم يحييها بنفخ الروح فيها ، فيجعلها بشراً سويّاً ، ثم يميته الموتة الثانية بقبض الروح منه ، فهو ميت إلى يوم ينفخ في الصور ، فيرُد في جسده روحه ، فيعود حياً لبعث القيامة ، فذلك موتتان وحياتان .
والسادس : أن قوله : { وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً } خاملي الذكر دارسي الأثر ، { فَأَحْيَاكُمْ } بالظهور والذكر ، { ثُمَّ يُمِيتُكُمْ } عند انقضاء آجَالكم ، { ثُمَّ يُحييكُمْ } للبعث ، واستشهد من قال هذا التأويل بقول أبي بُجَيْلَةَ السَّعْدِيِّ :
وَأَحْيَيْتَ مِنْ ذِكْرِي وَمَا كَانَ خاملاً ... وَلكِنَّ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ
وفي قوله : { ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } تأويلان :
أحدهما : إلى الموضع الذي يتولى الله الحكم بينكم .
والثاني : إلى المجازاة على الأعمال .
This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(29/1)

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (29)

قوله عز وجل : { ثُمَّ اسْتَوَى إِلى السَّمَاءِ } فيه ستة أقاويل :

أحدها : أن معنى قوله : { اسْتَوَى إِلى السَّمَاءِ } أي أقبل عليها ، وهذا قول الفراء .

والثاني : معناه : عمد إليها ، وقصد إلى خلقها .

والثالث : أنّ فِعْل الله تحوَّل إلى السماء ، وهو قول المفضل .

والرابع : معناه : ثم استوى أمره وصنعه الذي صَنَعَ به الأشياء إلى السماء ، وهذا قول الحسن البصري .

والخامس : معناه ثم استوت به السماء .

السادس : أن الاستواء والارتفاع والعلوَّ ، وممن قال بذلك : الربيع بن أنس ، ثم اختلف قائلو هذا التأويل في الذي استوى إلى السماء فعلا عليها على قولين :

أحدهما : أنه خالقها ومنشئها .

والثاني : أنه الدخان ، الذي جعله الله للأرض سماءً .

(30/1)

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30)

قوله عز وجل : { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ في الأَرْضِ خَلِيفَةً } ، في قوله : { وَإِذْ } وجهان :

أحدهما : أنه صلة زائدة ، وتقدير الكلام : وقال ربك للملائكة ، وهذا قول أبي عبيدة ، واستشهد بقول الأسود بن يعفر :

فَإِذَا وَذلِكَ لاَ مَهَاةَ لِذِكْرِهِ ... وَالدَّهْرُ يَعْقُبُ صَالِحاً بِفَسَادِ

والوجه الثاني : أن « إذ » كلمة مقصورة ، وليست بصلة زائدة ، وفيها لأهل التأويل قولان :

أحدهما : أن الله تعالى لما ذكَّر خلقه نِعَمَهُ عليهم بما خلقه لهم في الأرض ، ذكّرهم نِعَمَهُ على أبيهم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

آدَمَ { إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة } ، وهذا قول المفضَّل .

والثاني : أن الله تعالى ذكر ابتداء الخلق فكأنه قال : وابتدأ خلقكم { إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة } ، وهذا من المحذوف الذي دَلَّ عليه الكلام ، كما قال النمر بن تَوْلَب (127) :

فَإنَّ الْمَنِّيةَ مَنْ يَخْشَهَا ... فَسَوفَ تُصَادِفُهُ أَيْنَمَا

يريد : أينما ذهب .

فأما الملائكة فجمع مَلَكٍ ، وهو مأخوذ من الرسالة ، يقال : ألِكِني إليها أي أرسلني إليها ، قال الهذلي :

ألِكْنِي وَخَيْرُ الرَّسُو ... لِ أَعْلَمُهُمْ بنواحِي الخَبَرْ

والألوك الرِّسالة ، قال لبيد بن ربيعة :

وَغُلاَمٍ أَرْسَلَتْهُ أُمُّهُ ... بِأَلُوكٍ فَبَذَلْنَا مَا سَأَلْ

وانما سميت الرسالة ألوكاً لأنها تُؤْلك في الفم ، والفرس يألك اللجام ويعلكه ، بمعنى يمضغ الحديد بفمه .

والملائكة أفضل الحيوان وأعقل الخلق ، إلا أنهم لا يأكلون ، ولا يشربون ، ولا ينكحون ، ولا يتناسلون ، وهم رسل الله ، لا يعصونه في صغير ولا كبير ، ولهم أجسام لطيفة لا يُرَوْنَ إلا إذا قوَّى الله أبصارنا على رؤيتهم .

وقوله تعالى : { إِنِّي جَاعِلٌ في الأَرْضِ خَلِيفَةً } اختلف في معنى { جاعل } على وجهين :

أحدهما : أنه بمعنى خالق .

والثاني : بمعنى جاعل ، لأن حقيقة الجَعْل فِعْلُ الشيء على صفةٍ ، وحقيقة الإحداث إيجاد الشيء بعد العدم .

و { الأرض } قيل : إنها مكة ، وروى ابن سابط ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « دُحِيَت الأرضُ من مكةَ » ولذلك سميت أم القرى ، قال : وقبر نوح ، وهود ، وصالح ، وشعيب بن زمزم ، والركن ، والمقام .

وأما « الخليفة » فهو القائم مقام غيره ، من قولهم : خَلَفَ فلانٌ فلاناً ، والخَلَفُ بتحريك اللام من الصالحين ، والخَلْفُ بتسكينها من الطالحين ، وفي التنزيل : { فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ } [مريم : 59] ، وفي الحديث : « ينقل هذا العِلْمَ من كل خَلَفٍ عُدُولُهُ » . وفي خلافة آدم وذريته ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه كان في الأرض الجِنُّ ، فأفسدوا فيها ، سفكوا الدماء ، فأُهْلِكوا ، فَجُعِل آدم وذريته بدلهم ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أنه أراد قوماً يَخْلُفُ بعضهم بعضاً من ولد آدم ، الذين يخلفون أباهم آدم في إقامة الحق وعمارة الأرض ، وهذا قول الحسن البصري .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثالث : أنه أراد : جاعل في الأرض خليفةً يخْلُفُني في الحكم بين خلقي ، وهو آدم ، ومن قام مقامه من ولده ، وهذا قول ابن مسعود .

(31/1)

قوله عز وجل : { قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مِنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ } ، وهذا جواب من الملائكة حين أخبرهم ، أنه جاعل في الأرض خليفةً ، واختلفوا في جوابهم هذا ، هل هو على طريق الاستفهام أو على طريق الإيجاب؟ على وجهين :

أحدهما : أنهم قالوه استفهماً واستخباراً حين قال لهم : إني جاعلٌ في الأرض خليفة ، فقالوا : يا ربنا أَعْلِمْنَا ، أجاعل أنت في الأرض من يُفْسِدُ فيها ويسفك الدماء؟ فأجابهم : إني أعلم ما لا تعلمون ، ولم يخبرهم .

والثاني : أنه إيجاب ، وإن خرجت الألف مَخْرج الاستفهام ، كما قال جرير :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايا ... وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

وعلى هذا الوجه في جوابهم بذلك قولان :

أحدهما : أنهم قالوه ظناً وتوهُّماً ، لأنهم رأوا الجن من قبلهم ، قد أفسدوا في الأرض ، وسفكوا الدماء ، فتصوروا أنه إن استخلف استخلف في الأرض مَنْ يُفْسِدُ فيها ويَسْفِكُ الدماء .

وفي جوابهم بهذا وجهان :

أحدهما : أنهم قالوه استعظاماً لفعلهم ، أي كيف يفسدون فيها ، ويسفكون الدماء ، وقد أنعمت عليهم واستخلفتهم فيها فقال : إني أعلم ما لا تعلمون .

والثاني : أنهم قالوه تعجباً من استخلافه لهم أي كيف تستخلفهم في الأرض وقد علمت أنهم يفسدون فيها ويسفكون الدماء فقال : { إني أعلم ما لا تعلمون } .

وقوله : { وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ } السفك صب الدم خاصةً دون غَيْرِهِ من الماء والمائع ، والسفح مثله ، إلا أنه مستعمل في كل مائع على وجه التضييع ، ولذلك قالوا في الزنى : إنه سفاح لتضييع مائه فيه .

قوله عز وجل : { وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ } .

والتسبيح في كلامهم التنزيه من السوء على جهة التعظيم ، ومنه قول أعشى بني ثعلبة :

أَقُولُ لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ ... سُبْحَانَ مِنْ عَلْقَمَةَ الْفَاجِرِ

أي براءةً من علقمة .

ولا يجوز أن يسبَّحَ غَيْرُ اللهِ ، وإن كان منزهاً ، لأنه صار علَماً في الدين على أعلى مراتب التعظيم الَّتي لا يستحقها إلا اللهُ تعالى .

وفي المراد بقولهم : { وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ } أربعة أقاويل :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدها : معناه نصلي لك ، وفي التنزيل : { فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ } [الصافات : 143] ، أي من المصلين ، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود .

والثاني : معناه نعظِّمك ، وهذا قول مجاهد .

والثالث : أنه التسبيح المعروف ، وهذا قول المفضل ، واستشهد بقول جرير :

قَبَّحَ الإِلهُ وُجوهَ تَغْلِبَ كُلَّمَا ... سَبَّحَ الْحَجِيجُ وَكَبَّرُوا إهْلاَلاَ

وأما قوله : { وَنُقَدِّسُ لَكَ } فأصل التقديس التطهير ، ومنه قوله تعالى : { الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ } أي المطهَّرة ، وقال الشاعر :

فَأَدْرَكْنَهُ يَأْخُذْنَ بالسَّاقِ وَالنَّسَا ... كَمَا شَبْرَقَ الْوِلْدَانُ ثَوْبَ الْمُقَدَّسِ

أي المطهَّر .

وفي المراد بقولهم : { وَنُقَدِّسُ لَكَ } ثلاثةُ أقاويل :

أحدها : أنه الصلاة .

والثاني : تطهيره من الأدناس .

والثالث : التقديس المعروف .

وفي قوله تعالى : { قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ ما لاَ تَعْلَمُونَ } ثلاثةُ أقاويل :

أحدها : أراد ما أضمره إبليس من الاستكبار والمعصية فيما أُمِرُوا به من السجود لآدم ، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود .

والثاني : مَنْ في ذرية آدم في الأنبياء والرُّسُلِ الذين يُصْلِحُونَ في الأرض ولا يفسدون ، وهذا قول قتادة .

والثالث : ما اختص بعلمه من تدبير المصالح .

وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31)
قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آَدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا
أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ
(33)

قوله عز وجل : { وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا } في تسميته بآدم قولان :

أحدهما : أنه سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض ، وأديمها هو وجهها الظاهر ، وهذا قول ابن عباس ، وقد رَوَى أبو موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللهَ تعالى

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ ، قَبَضَها مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الأَرْضِ ، جَاءَ مِنْهُمُ الأَحْمَرُ ، وَالأَسوَدُ ، والأَبْيَضُ ، وَالسَهْلُ ، وَالخَبِيْثُ ، وَالطَّيِّبُ » . والثاني : أنه مأخوذ من الأدمة ، وهي اللون .

وفي الأسماء التي علَّمها الله تعالى آدَمَ ، ثلاثة أقْوَالٍ : أحدها : أسماء الملائكة .

والثاني : أسماء ذريته .

والثالث : أسماء جميع الأشياء ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة ، ومجاهد .

ثم فيه وجهان :

أحدهما : أن التعليم إنما كان مقصوراً على الاسم دون المعنى .

والثاني : أنه علمه الأسماء ومعانيها ، إذ لا فائدة في علم الأسماء بلا معاني ، فتكون المعاني هي المقصودة ، والأسماءُ دلائل عليها .

وإذا قيل بالوجه الأول ، أن التعليم إنما كان مقصوراً على ألفاظ الأسماء دون معانيها ، ففيه وجهان :

أحدهما : أنه علمه إياها باللغة ، التي كان يتكلم بها .

والثاني : أنه علمه بجميع اللغات ، وعلمها آدمُ ولده ، فلما تفرقوا تكلم كل قوم منهم بلسان استسهلوه منها وأَلِفوه ، ثم نسوا غيره فتطاول الزمن ، وزعم قوم أنهم أصبحوا وكل منهم يتكلمون بلغةٍ قد نسوا غيرها في ليلة واحِدةٍ ، ومثل هذا في العُرْفِ ممتنع .

قوله عز وجلَّ : { ثُمَّ عَرَضَهُمْ على الْمَلاَئِكَةِ } وفيما عرضه عليهم قولان :

أحدهما : أنه عرض عليهم الأسماء دون المسميات .

والثاني : أنه عرض عليهم المُسَمَّيْنَ بها .

وفي حرف ابن مسعود : { وَعَرَضَهُنَّ } وفي حرف أُبَيٍّ : { وَعَرَضَهَا } فكان الأصح توجه العرض إلى المُسَمَّيْنَ .

ثم في زمان عرْضِهِم قولان :

أحدهما : أنه عرضهم بعد أن خلقهم .

والثاني : أنه صورهم لقلوب الملائكة ، ثم عرضهم قبل خلقهم .

{ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } ومعنى أنبئوني خبروني مأخوذ من الإنباء ، وفي الإنباء قولان :

أَظْهَرُهُمَا : أنه الإخبار ، والنبأ الخبر ، والنبيء بالهمز مشتق من هذا .

والثاني : أن الإنباء الإعلام ، وإنما يستعمل في الإخبار مجازاً .

وقوله : { بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ } يعني الأسماءَ الَّتي علمها آدم . وفي قوله تعالى : { إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } ستة أقاويل :

أحدها : إن كنتم صادقين أني لا أخلق خَلْقاً إلا كنتم أعلم منه؛ لأنه هجس في نفوسهم أنهم أعلم من

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

غيرهم .

والثاني : إن كنتم صادقين فيما زعمتم أن خُلَفَائي يفسدون في الأرض .

والثالث : إن كنتم صادقين أني إنِ استخلفتكم فيها سبَّحْتموني وقَدَّسْتُموني ، فإن استخلفت غيركم فيها عصاني .

والرابع : إن كنتم صادقين فيما وقع في نفوسكم ، أني لا أخلق خلقاً إلا كنتم أفضل منه .

والخامس : معنى قوله : { إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } أي عالمين .

(33/1)

والسادس : أن معناه إن كنتم صادقين .

قوله عز وجل : { إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } العليم : هو العالم من غير تعليم ، وفي « الحكيم » ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه المُحْكِمُ لأفعاله .

والثاني : أنه المانع من الفساد ، ومنه سميت حَكَمَةُ اللجام ، لأنها تمنع الفرس من الجري الشديد ، وقال جرير :

أَبَنِي حَنِيفَةَ أَحْكِمُوا سُفَهَاءَكُمْ ... إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمُ أَنْ أَغْضَبَا

أي امنعوهم .

والثالث : أنه المُصِيبُ للحقِّ ، ومنه سمي القاضي حاكماً ، لأنه يصيب الحق في قضائه ، وهذا قول أبي العباس المبرد .

قوله تعالى : { وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ } : { مَا تُبْدُونَ } هو قولهم : { أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ } ، وفي { مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ } قولان :

أحدهما : ما أسرَّه إبليس من الكبر والعصيان ، وهذا قول ابن عباس ، وابن مسعود .

والثاني : أن الذي كتموه : ما أضمروه في أنفسهم أن الله تعالى لا يخلق خلقاً إلاَّ كانوا أكرمَ عليه منه ، وهو قول الحسن البصري .

(34/1)

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وقوله عز وجل : { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ } .
واختلف أهل التأويل في أمره الملائكة بالسجود لآدم ، على قولين :
أحدهما : أنه أمرهم بالسجود له تَكْرِمَةً وَتَعْظِيماً لشأنِهِ .
والثاني : أَنَّهُ جعله قِبْلَةً لهم ، فأمرهم بالسجود إلى قبلتهم ، وفيه ضرب من التعظيم .
وأصل السجود الخضوع والتطامن ، قال الشاعر :
بِجَمْعٍ تَضِلُّ الْبَلْقُ في حُجُرَاتِهِ ... تَرَى الأَكْمَ فِيهِ سُجَّداً لِلْحَوافِرِ
وسمى سجود الصلاة سجوداً ، لما فيه من الخضوع والتطامن ، فسجد الملائكة لآدم طاعةً لأمر الله تعالى إلا إبليس أَبَى أن يسجُدَ له حَسَداً واستكباراً .
واختلفوا في إبليس ، هل كان من الملائكة أم لا؟ على قولين :
أحدهما : أنه كان من الملائكة ، وهذا قول ابن عباس ، وابن مسعود ، وابن المسيب ، وابن جريج ، لأنه استثناء منهم ، فَدَلَّ على دخوله منهم .
والثاني : أنه ليس من الملائكة ، وإنما هو أبو الجن ، كما أن آدم أبو الإنس ، وهذا قول الحسن وقتادة وابن زيد ، ولا يمتنع جواز الاستثناء من غير جنسه ، كما قال تعالى : { مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ } [النساء : 157] وهذا استثناء منقطع .
واختُلِفَ في تَسْمِيتِهِ بإبليس على قولين :
أحدهما : أنه اسم أعجمي وليس بمشتقٍّ .
والثاني : أنه اسمُ اشتقاق ، اشتُقَّ من الإبلاس وهو اليأس من الخَيْرِ ، ومنه قوله تعالى : { فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ } [الأنعام : 44] أي آيِسُونَ من الخير ، وقال العجَّاج :
يَا صَاحِ هَلْ تَعْرِفُ رَسْماً مُكْرَساً ... قَالَ نَعَمْ أَعْرِفُهُ ، وَأَبْلَسَا
فأمَّا من ذهب إلى أن إبليس كان من الملائكة ، فاختلفوا في قوله تعالى : { إلاَّ إِبْلِيسَ كان مِنَ الْجِنِّ } [50 الكهف] لِمَ سماه الله تعالى بهذا الاسم ، على أربعة أقاويل :
أحدها : أنهم حي من الملائكة يُسَمَّوْن جنّاً كانوا من أشدِّ الملائكة اجتهاداً ، وهذا قول ابن عباس .
والثاني : أنه جعل من الجنِّ ، لأنه من خُزَّانِ الجنَّةِ ، فاشتق اسمه منها ، وهذا قول ابن مسعود .
والثالث : أنه سمي بذلك لأنه جُنَّ عن طاعة ربِّه ، وهذا قول ابن زيدٍ .
والرابع : أن الجنِّ لكلِّ ما اجْتَنَّ فلم يظهر ، حتى إنهم سَمَّوُا الملائكة جناً لاستتارهم ، وهذا قول أبي إسحاق ، وأنشد قول أعشى بني ثعلبة :
لَوْ كَانَ حَيٌّ خَالِدٍ أَوْ مُعَمَّرًا ... لَكَانَ سُلَيْمَان البري مِنَ الدَّهْرِ
بَرَاهُ إلهي وَاصْطَفَاهُ عِبَادُهُ ... وَمَلَّكَهُ ما بَيْنَ نُوبَا إلى مِصْرِ
وَسَخَّرَ مِنْ جِنِّ الْمَلاَئِكِ تِسْعَةً ... قِيَاماً لَدَيْهِ يعْمَلُونَ بِلاَ أَجْرِ
فسمَّى الملائكة جناً لاستتارهم .
وفي قوله تعالى : { وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ } ثلاثةُ أَقَاوِيلَ :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدها : أنه قد كان قبله قوم كفار ، كان إبليس منهم .

والثاني : أن معناه : وصار من الكافرين .

والثالث : وهو قول الحسن : انه كان من الكافرين ، وليس قبله كافرا ، كما كان من الجنِّ ، وليس قبله جِنٌّ ، وكما تقول : كان آدم من الإنس ، وليس قبله إنسيٌّ .

(35/1)

وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36)

قوله عز وجل : { وَقُلْنَا يا آدَمَ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ } .

إن الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم الأيسر بعد أن ألقى عليه النوم ، ولذلك قيل للمرأة : ضلع أعوج .

وسُمِّيت امرأةً لأنها خُلِقَتْ مِنَ المرءِ ، فأما تسميتها حواء ، ففيه قولان :

أحدهما : أنها سميت بذلك لأنها خلقت من حَيٍّ ، وهذا قول ابن عباسٍ ، وابن مسعود .

والثاني : أنها سميت بذلك ، لأنها أم كل حيٍّ .

واختُلِف في الوقت الذي خلقت فيه حواءُ على قولين :

أحدهما : أن آدم أُدْخِلَ الجنَّةَ وَحْدَهُ ، فَلَمَّا استوحش خُلِقَتْ حواءُ من ضِلْعِهِ بعد دخوله في الجنة ، وهذا قول ابن عباسٍ ، وابن مسعود .

والثاني : أنها خلقت من ضلعه قبل دخوله الجنة ، ثم أُدْخِلا معاً إلى الجنةِ ، لقوله تعالى : { وَقُلْنَا يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ } ، وهذا قول أبي إسحاق .

واختلف في الجَنَّةِ التي أُسْكِنَاهَا على قولين :

أحدهما : أنها جنةُ الخُلد .

والثاني : أنها جنةٌ أعدها الله لهما ، والله أعلم .

قوله عز وجل : { وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا } .

في الرغدِ ثلاثةُ تأويلاتٍ :

أحدها : أنه العيش الهني ، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود ، ومنه قول امرئ القيس :

بَيْنَمَا الْمَرْءُ تَرَاهُ نَاعِماً ... يَأْمَنُ الأَحْدَاثَ في عَيْشٍ رَغَدْ

والثاني : أنه العيش الواسع ، وهذا قول أبي عبيدة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
والثالث : أنه أراد الحلال الذي لا حساب فيه ، وهو قول مجاهد .
قوله عز وجل : { وَلاَ تَقْرَبَا هذِهِ الشَّجَرَةَ } .
اختلف أهل التفسير في الشجرة التي نُهيا عنها ، على أربعةِ أقاويل :
أحدها : أنها البُرُّ ، وهذا قول ابن عباس .
والثاني : أنها الكَرْمُ ، وهذا قول السُّدِّيِّ ، وجعدة بن هبيرة .
والثالث : أنها التِّين ، وهذا قول ابن جريجٍ ، ويحكيه عن بعض الصحابة .
والرابع : أنها شجرة الخلد التي تأكل منها الملائكة .
وفي قوله تعالى : { فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ } قولان :
أحدهما : من المعتدين في أكل ما لم يُبَحْ لكما .
والثاني : من الظالمين لأنفسكما في أكلكما .
واختلفُوا في معصية آدم بأكله من الشجرة ، على أي وجهٍ وقعت منه ، على أربعة أقاويل :
أحدها : أنه أكل منها وهو ناسٍ للنهي لقولِهِ تعالى : { ولقد عَهِدْنَا إلى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ } [طه : 115] وزعم صاحب هذا القول ، أن الأنبياء يلزمهم التحفظ والتيقُّظُ لكثرة معارفهم وعُلُوِّ منازلهم ما لا يلزم غيرهم ، فيكون تشاغله عن تذكُّر النهي تضييعاً صار به عاصياً .
والقول الثاني : أنه أكل منها وهو سكران فصار مؤاخذاً بما فعله في السُّكْرِ ، وإن كان غير قاصدٍ له ، كما يؤاخَذُ به لو كان صاحياً ، وهو قول سعيد بن المسيب .
والقول الثالث : أنه أكل منها عامداً عالماً بالنهي ، وتأول قوله : { وَلَقَدْ عَهْدْنَا إلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ }

(36/1)

[طه : 115] أي فَزَلَّ ، ليكون العَمْدُ في معصيةٍ يستحق عليها الذمَّ .
والرابع : أنه أكل منها على جهة التأويل ، فصار عاصياً بإغفال الدليل ، لأن الأنبياء لا يجوز أن تقع منهم الكبائر ، ولقوله تعالى في إبليس : { فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ } [الأعراف : 22] وهو ما صرفهما إليه من التأويل .
واختلف من قال بهذا في تأويله الذي استجاز به الأكل ، على ثلاثةِ أقاويلَ :
أحدها : أنه تأويل على جهةِ التنزيه دون التحريم .
والثاني : أنه تأويل النهي عن عين الشجرة دون جنسها ، وأنه إذا أكل من غيرها من الجنسِ لم يعصِ .
والثالث : أن التأويل ما حكاه الله تعالى عن إبليس في قوله : { مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إلاَّ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ } [الأعراف : 23] .

قوله عز وجل : { فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ } .

قرأ حمزة وحده : { فَأَزَالَهُمَا } بمعنى نحَّاهُما من قولك : زُلْتُ عن المكان ، إذا تنحَّيْتَ عنه ، وقرأ الباقون : { فَأَزَلَّهُمَا } بالتشديد بمعنى استزلَّهما من الزلل ، وهو الخطأ ، سمي زَلَلاً لأنه زوال عن الحقّ ، وكذلك الزّلة زوال عن الحق ، وأصله الزوال .

والشيطان الذي أزلهما هو إبليس .

واختلف المفسرون ، هل خلص إليهما حتى باشرهما بالكلام وشافههما بالخطاب أم لا؟ فقال عبد الله بن عباس ، ووهب بن منبه ، وأكثر المفسرين أنه خلص إليهما ، واستدلُّوا بقوله تعالى : { وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ } [الأعراف : 21] وقال محمد بن إسحاق : لم يخلص إليهما ، وإنما أوقع الشهوة في أنفسهما ، ووسوس لهما من غير مشاهدة ، لقوله تعالى : { فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ } [الأعراف : 20] ، والأول أظهر وأشهر .

وقوله تعالى : { فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ } يعني إبليس ، سبب خروجهما ، لأنه دعاهما إلى ما أوجب خروجهما .

قوله عزَّ وجلَّ : { وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ } .

الهُبوط بضم الهاء النزول ، وبفتحها موضع النزول ، وقال المفضل : الهبوط الخروج من البلدة ، وهو أيضاً دُخولها ، فهو من الأضداد ، وإذا كان الهبوط في الأصل هو النزول ، كان الدخُول إلى البلدة لسكناها نزولاً بها ، فصار هُبوطاً .

واختلفوا في المأمور بالهبوط ، على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه آدم ، وحواء ، وإبليس ، والحيَّةُ ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أنه آدم وذريته ، وإبليس وذريته ، وهذا قول مجاهد .

والثالث : أنه آدم ، وحواء ، والمُوَسْوِسُ .

والعدو اسم يستعمل في الواحد ، والاثنين ، والجمع ، والمذكر ، والمؤنث ، والعداوة مأخوذة من المجاوزة من قولك : لا يَعْدوَنَّكَ هذا الأمْرُ ، أيْ لا يُجاوِزَنَّكَ ، وعداهُ كذا ، أي جازوه ، فَسُمِّيَ عَدُوّاً لمجاوزةِ الحدِّ في مكروه صاحبه ، ومنه العَدْوُ بالقَدَم لمجاوزة المشْيِ ، وهذا إخبار لهم بالعداوة وتحذير لهم ، وليس بأمر ، لأن الله تعالى لا يأمر بالعداوة .

واخْتُلِفَ في الَّذينَ قِيلَ لهم : { بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عدُوٌّ } ، على قولين :

أحدهما : أنهم الذين قيل هلم اهبطوا ، على ما ذكرنا من اختلاف المفسرين فيه .

والثاني : أنهم بنو آدم ، وبنو إبليس ، وهذا قول الحسن البصري .

This file was downloaded from QuranicThought.com

قوله عز وجل : { وَلَكُمْ في الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ } فيه تأويلان :

أحدهما : أن المستقر من الأرض موضع مقامهم عليها ، لقوله تعالى : { جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَاراً } [غافر : 64] ، وهذا قول أبي العالية .

والثاني : أنه موضع قبورهم منها ، وهذا قول السُّدِّيِّ .

قوله عز وجلَّ : { وَمَتَاعٌ إلى حينٍ } :

والمتاع كل ما اسْتُمْتِعَ به من المنافع ، ومنه سُمِّيَتْ متعة النكاح ، ومنه قوله تعالى : { فَمَتِّعُوهُنَّ } [الأحزاب : 49] ، أي ادفعوا إليْهِنَّ ما ينتفعْنَ به ، قال الشاعر :

وَكُلُّ غَضَارَةٍ لَكَ من حَبِيب ... لها بِكَ ، أو لَهَوْتَ بِهِ ، مَتَاعُ

والحين : الوقت البعيد ، ف « حِينئِذٍ » تبعيد قولِكَ : « الآن » ، وفي المراد بالحين في هذا الموضع ثلاثة أقاويل :

أحدها : إلى الموت ، وهو قول ابن عباس والسُّدِّيِّ .

والثاني : إلى قيام الساعة ، وهو قول مجاهد .

والثالث : إلى أجلٍ ، وهو قول الربيع .

فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (39)

قوله عز وجلَّ : { فَتَلَّقى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلَمَاتٍ فتابَ عَلَيْهِ } :

أما « الكلام » فمأخوذ من التأثير ، لأن له تأثيراً في النفس بما يدلُّ عليه من المعاني؛ ولذلك سُمِّيَ الجُرْحُ كَلْماً لتَأْثِيره في البدن ، واللفظُ مشتق من قولك : لفظت الشيء ، إذا أخْرجْتَهُ من قلبك .

واختُلِفَ في الكلمات التي تلقَّاها آدم من ربِّه على ثلاثة أقاويل :

أحدها : قوله : { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ } [الأعراف : 23] وهذا قول الحسن ، وقتادة ، وابن زيد .

والثاني : قول آدم : اللهم لا إله إلا أنت ، سبحانك وبحمدك ، ربِّ إني ظلمت نفسي ، فاغفر لي ، إنك خير الغافرين ، اللهم لا إله إلا أنت ، سبحانك وبحمدك ، إنِّي ظلمت نفسي ، فتُب عليَّ ، إنَّك أنت التوابُ الرحيم ، وهذا قول مجاهد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

والثالث : أن آدم قال لربِّه إذ عصاه : ربِّ أرأيت إن تبت وأصلحت؟ فقال ربُّه : إني راجعك إلى الجنَّةِ ، وكانت هي الكلمات التي تلقاها من ربه ، وهذا قول ابن عباسٍ .

قوله عز وجل : { فَتَابَ عَلَيْهِ } ، أي قبل توبته ، والتوبةُ الرجوع ، فهي من العبد رجوعه عن الذنب بالندم عليه ، والإقلاع عنه ، وهي من الله تعالى على عبده ، رجوع له إلى ما كان عليه .

فإن قيل : فِلمَ قال : { فَتَابَ عَلَيْهِ } ، ولم يقُلْ : فتابَ علَيْهِما ، والتوبة قد توجهت إليهما؟ قيل : عنه جوابان :

أحدهما : لما ذكر آدم وحده بقوله : { فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ } ، ذكر بعده قبول توبته ، ولم يذكر توبة حوَّاء وإن كانت مقبولة التوبة ، لأنه لم يتقدم ذكرها .

والثاني : أن الاثنين إذا كان معنى فعلهما واحداً ، جاز أن يذكرَ أحدهما ، ويكونَ المعنى لهما ، كما قال تعالى : { وَإِذَا رَأَوا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا } [الجمعة : 11] وكما قال عز وجل : { وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ } [التوبة : 62] .

قوله تعالى : { إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } ، أي الكثيرُ القبولِ للتوبةِ ، وعقَّبه بالرحمة ، لئلا يخلِّيَ الله تعالى عباده من نِعَمِهِ .

وقال الحسن : لم يخلق الله تعالى آدم إلا للأرض ، فلو لم يعص لخرج على غير تلك الحال ، وقال غيره : يجوز أن يكون خَلَقَهُ للأرض إن عَصَى ، ولغيرها إن لم يعصِ .

ولم يُخْرِجِ اللهُ تعالى آدمَ من الجنة ويُهْبِطهُ على الأرض عقوبةً ، لأمرين : أحدهما : أن ذنبه كان صغيراً .

والثاني : أنه أُهْبِطَ بعد قبول توبته .

وإنما أُهْبِطَ لأحد أمرين : إمَّا تأديباً ، وإمَّا تغليظاً للمحنة .

(39/1)

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (40) وَآَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآَيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (41)

قوله عز وجل : { يا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُا نعمتي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ } .

وإسرائيل هو يعقوبُ بنُ إسحاقَ بن إبراهيمَ ، قال ابنُ عباس : « إسرا » بالعبرانية : عبد ، و « إيل » هو الله ، فكان اسمه عبدَ الله .

وقوله : { اذْكُروا نِعْمَتِيَ } والذكر اسم مشترك ، فالذكر بالقلب ضد النسيان ، والذكر باللسان ضد

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الإنصات ، والذكر الشرف ، وقال الكسائي : ما كان بالقلب فهو مضموم الذال ، وقال غيره : هو لغتان : ذِكر وذُكر ، ومعناهما واحد .

والمراد بالآية الذكر بالقلب ، وتقديره : لا تغفلوا عن نعمتي ، التي أنعَمْتُ عليكم ولا تَنَاسَوْها .

وفي النعمة التي أنعمها عليهم قولان :

أحدهما : عموم نِعَمِهِ الَّتي أنعم بها على خلْقِهِ ، كما قال تعالى : { وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا } [النحل : 18] .

والثاني : وهو قول الحسن البصري ، أنه أراد نِعَمَهُ عَلَى آبائهم ، إذ نجَّاهم من آل فرعون ، وجعل منهم الأنبياء ، وأنزل عليهم الكتب ، وفجَّر لهم الحَجَرَ ، وأنزل عليهم المنَّ والسلوى ، والنعم على الآباء ، نعم على الأبناء ، لأنهم يَشْرُفون بشرف آبائهم .

وفي قوله تعالى : { وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ } قولان :

أحدهما : أوفوا بعهدي الذي أخذتُ عليكم من الميثاق ، أن تؤمنوا بي وتصدقوا رُسُلي ، أُوفِ بعهدكم على ما وعدتكم من الجنة .

والثاني : قاله عبد الله بن عباس : أَوْفُوا بما أَمَرْتُكم ، أُوفِ بما وَعَدْتُكم إِيَّاهُ .

وفي تسمية ذلك عهداً قولان :

أحدهما : لأنه عَهْدُهُ في الكتب السالفةِ .

والثاني : أنه جعله كالعهد ، الذي هو يمين لِلُزُوم الوفاءِ بهما معاً .

قوله عز وجل : { وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ } يعني من القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ، { مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ } يعني من التوراة ، وفيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : مصدقاً لما في التوراة ، من توحيد الله وطاعته .

والثاني : مصدقاً لما في التوراة ، أنها من عند الله .

والثالث : مصدقاً لما في التوراة من ذكر القرآن ، وبَعْثِهِ مُحمداً صلى الله عليه وسلم نبيّاً .

وفي قوله تعالى : { وَلاَ تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ } ثلاثة أقاويل :

أحدها : ولا تكونوا أول كافرٍ بالقرآن من أهل الكتاب ، وهو قول ابن جريج .

والثاني : ولا تكونوا أول كافر بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم ، وهذا قول أبي العالية .

والثالث : ولا تكونوا أول كافرٍ بما في التوراة والإنجيل من ذكر محمدٍ وتصديقِ القرآن .

وفي قوله تعالى : { وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً } ثلاثةُ تأويلاتٍ :

أحدها : لا تأخذوا عليه أجراً ، وهو مكتوب عندهم في الكتاب الأول : « يا ابن آدم علِّم مجَّاناً كما عُلِّمْتَ مجَّاناً » ، وهذا قول أبي العالية .

والثاني : لا تأخذوا على تغييره وتبديله ثمناً ، وهذا قول الحسن البصري .

والثالث : لا تأخذوا ثمناً قليلاً على كتم ما فيه من ذكر محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، وتصديق القرآن ، وهذا قول السدي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (42) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (43)

قوله عز وجل : { وَلاَ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ } بعني لا تخلطوا الْحَقَّ بالباطلِ ، واللبس خلط الأمور ، وفيه قوله تعالى : { وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ } [الأنعام : 9] قال ابن عباسٍ : معناه : ولخلطنا عليهم ما كانوا يخلطون ، ومنه قول العجاج :

لَمَّا لَبَسْنَ الْحَقَّ بِالتَّجَنِّي ... غَنِينَ واسْتَبْدَلْنَ زَيْداً مِنِّي

وفي قوله : { الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : الصدق ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : اليهودية والنصرانية بالإسلام ، وهو قول مجاهد .

والثالث : الحقُّ : التوراةُ التي أُنْزِلَتْ على موسى ، والباطلُ : الذي كتبوه بأيديهم .

وقوله تعالى : { وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ } يعني محمداً ، ومعرفة نبوَّته ، { وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } أنه في الكتب التي بأيديكم ، وهذا قول الجميع .

قوله تعالى : { وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ } .

أما الصلاة : فقد مضى الكلام فيها .

وأما الزكاة : ففي تسمية صدقة الأموال بها ، قولان :

أحدهما : أنه من تثمير المال وزيادته ، ومنه قولهم : زَكا الزرع ، إذا زاد ، ويقال : زكا الفرد إذا صار زوجاً بزيادة الزائد عليه حتى صار شفعاً كما قال الشاعِرُ :

كَانُوا خَساً أَوْ زَكاً مِنْ دُونِ أَرْبَعَةٍ ... لَمْ يُخْلَقُوا وَجُدُودُ النَّاسِ تَعْتَلِج

فخساً : الوِتر ، وزكاً : الشفع ، وقال الراجز :

فَلاَ خَساً عَدِيدُهُ وَلاَ زَكاً ... كَمَا شِرَارُ الْبَقْلِ أَطْرَافُ السَّفَا

السَّفَا : شوك البهمي ، والبهمي : الشوك الممدود مثل السبلى .

والقول الثاني : أنَّها مأخوذة من التطهير ، ومنه قوله تعالى : { أَقَتَلْتَ نَفَساً زَاكِيَةً } [الكهف : 74] أي طاهرة من الذنوب .

وفيما يُطَهَّر قولان :

أحدهما : أنه تطهير المال حتى صار بأداء الحقِّ منه حلالاً ولولاه لَخَبُثَ .

الثاني : تطهير نفس المزكي ، فكأن المزكي طهَّر نفسه من الشُّحِّ والبخل .

قوله تعالى : { وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ } فيه قولان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
أحدهما : أنه أراد جملة الصلاة ، فعبر عنها بالركوع ، كما يقول الإنسان : فَرَعْتُ من ركوعي ، أي من صلاتي .
والثاني : أنه أراد الركوع الذي في الصلاة ، لأنه لم يكن في صلاة أهل الكتاب ركوعٌ ، فأَمَرَهُم بما لا يفعلونه في صلاتهم .
وفي أصل الركوع قولان :
أحدهما : أنه مأخوذ من التطامن والانحناء ، وهو قول الخليل ، وابن زيدٍ ، قال لبيد بنُ ربيعة :
أخبّر أخبار القرون التي مضت ... أدِبُّ كَأَنِّي كُلَّمَا قُمْتُ رَاكِعُ
والثاني : أنه مأخوذ من المذلَّة والخضوع ، وهو قول الأصمعي والمفضل ، قال الأضبطُ بنُ قريع السَّعْدِيُّ :
لاَ تُذِلَّ الضَّعِيفَ عَلَّكَ أَنْ تَرْ ... كَعَ يَوْماً وَالدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهْ

(41/1)

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (44)

قوله عز وجلَّ : { أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ } فيه ثلاثة أقاويل :
أحدها : أنهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله ، وهم يَعْصُونَهُ ، وهو قولُ السدي ، وقتادة ، لأنه قد يعبر بالبر عن الطاعة ، قال الشاعِرُ :
لاَهُمَّ إِنَّ آلَ بَكْرٍ دُونَكَا ... يَبَرُّكَ النَّاسُ وَيَفْجُرُونَكَا
أي يُطِيعونك .
والثاني : أنهم كانوا يأمرون الناس بالتمسك بكتاب ربهم ويتركونه بجحود ما فيه من نبوَّة محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، وهو قول ابن عباس .
والثالث : أنهم كانوا يأمرون بالصدقة ويضنون بها .

(42/1)

وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (45) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (46) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (47)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قوله عز وجل : { وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ } :

أما الصبر : فهو حبس النفس عما تُنازع إليه ، ومنه صبر صاحب المصيبة ، أن يحبس نفسه عن الجزع ، وسُمِّي الصوم صبراً لحبس النفس عن الطعام والشراب ، ولذلك سُمِّي شهرُ رمضانَ شهر الصبرِ ، وجاء في الحديث : « اقْتُلُوا الْقَاتِلَ ، وَاصْبِرُوا الصَّابِرَ » وذلك فيمن أمسك رجلاً حتى قتله آخر ، فأمر بقتل القاتل ، وحبس الممسك .

وفي الصبر المأمور به ، قولان :

أحدهما : أنه الصبرُ على طاعته ، والكف عن معصيته .

والثاني : أنه الصوم ، وقد كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا حَزَبَهُ أمرٌ استعان بالصلاة والصيام ، ورُوِيَ أنه رأى سلمان منبطحاً على وجهه ، فقال له : أشكو من بردٍ . قال : « قم فصلِّ الصلاة تُشْفَ » . وأما قوله تعالى : { وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ على الْخَاشِعِينَ } ففيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يعني : وإن الصلاة لثقيلة إلا على المؤمنين ، لعود الكناية إلى مؤنثِ اللفظِ .

والثاني : يعني الصبر والصلاة ، فأرادهما ، وإن عادت الكناية إلى الصلاة؛ لأنها أقرب مذكور ، كما قال الشاعِرُ :

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى في الْمَدِينَةِ رَحْلُهُ ... فَإِنّي وَقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبُ

والثالث : وإن إجابة محمد صلى الله عليه وسلم لشديدة إلا على الخاشعين .

والخشوع في الله : التواضع ، ونظيره الخضوع ، وقيل : إن الخضوع في البدن ، والخشوعَ في الصوت ، والبصر .

قوله تعالى : { الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ } فيه تأويلان :

أحدهما : يظنون أنهم ملاقو ربهم بذنوبهم ، لإشفاقهم من المعاصي التي كانت منهم .

والثاني : وهو قول الجمهور : أن الظن ها هنا اليقين ، فكأنه قال : الذين يَتَيَقَّنُون أنهم ملاقو ربهم ، وكذلك قوله تعالى : { إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيَهْ } أي تيقَّنت ، قال أبو داود :

رُبَّ هَمٍّ فَرَّجْتَهُ بِغَرِيمٍ ... وَغُيوبٍ كَشَفْتَهَا بِظُنُونِ

{ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه أراد بالرجوع الموت .

والثاني : أنهم راجعون بالإعادة في الآخرة ، وهو قول أبي العالية .

والثالث : راجعون إليه ، أي لا يملك أحد لهم ضرّاً ولا نفعاً غيره كما كانوا في بدءِ الخلق .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (48)

قوله عز وجل : { وَاتَّقُوا يَوْماً لاَ تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً } فيه تأويلان :

أحدهما : معناه : لا تُغنِي ، كما يقال : البقرة تَجْزِي عن سبعةٍ أي تُغني ، وهو قول السدي .

والثاني : معناه لا تقضي ، ومنه قولهم جزى الله فلاناً عني خيراً ، أي قضاه ، وهو قول المفضل .

{ وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ } قال الحسن : معناه لا يجيءُ بشفيعٍ تقبل شفاعته لعجزه عنه ، وقال غيره : بل معناه ، أن الشفيع لا يجيبه إلى الشفاعة له ، وأنَّه لو شُفِّعَ لشفَعَ .

قوله عز وجل : { وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ } : العَدْلُ بفتح العَيْنِ : الفِدْيَةُ ، وبكسرِ العَيْنِ : المِثلُ .

فأما قولهم : لا قَبل الله منه صرفاً ، ولا عدلاً ، ففيه أربعة أقاويل :

أحدها : أن الصرف العمل ، والعدل الفدية ، وهذا قول الحسن البصري .

والثاني : أن الصرف الدية ، والعدل رجل مكانه ، وهذا قول الكلبي .

والثالث : أن الصرف التطوع ، والعدل الفريضة ، وهذا قول الأصمعي .

والرابع : أن الصرف الحِيلَةُ ، والعدل الفدْية ، وهذا قول أبي عبيدة .

(44/1)

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (49) وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (50)

قوله عز وجل : { وَإِذْ نَجَّيناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ } يعني من قوم فرعون ، وآل الرَّجُلِ : هم الَّذين تؤول أمورهم إليه ، إما في نسب ، أو في صحبة ، وَاختُلِف في الآل والأهل على قولين :

أحدهما : أنهما سواء .

والثاني : وهو قول الكسائي : أنه يقال : آل الرجل ، إذا ذكر اسمهُ ، فإن كُنَي عنه قيل أهله ، ولم يُقَلْ آله ، كما يقال : أهل العلم ، وأهل البصرة ، ولا يقال : آل العلم ، وآل البصرة .

وفِرْعَوْنُ : قيل إنه ذلك الرجل بعينه ، وقيل إنه اسمُ كلِّ ملكٍ من ملوك العمالقة ، مثل قيصر للروم ، وكسرى للفرس ، وأن اسْمَ فِرْعَوْنِ موسَى : الوليدُ بنُ مُصْعَبٍ .

وفي قوله تعالى : { يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ } ثلاثةُ تأويلاتٍ :

أحدها : معناه يولونكم ، مِنْ قولهم : سَامَهُ خطة خَسْفٍ ، إذا أولاه .

والثاني : يُجَشِّمُونَكُمُ الأعمال الشَّاقَّة .

والثالث : يزيدونكم على سوء العذاب ، ومنه مساومة البيع ، إنما هو أن يزيد البائعُ المشتريَ على

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثمنٍ ، ويزيد المشتري على ثمنٍ ، وهذا قول المفضل .

قوله تعالى : { وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ } أي يستبقون ، وهو استفعال من الحياة ، لأنهم كانوا يُذَبِّحُونَ الذكور ، ويستبقون الإناث .

وأما اسم النساء ، فقد قيل : إنه ينطلق على الصغار ، والكبار ، وقيل : بل ينطلق على الكبار ، وإنما سَمَّي الصغار نساءً ، على معنى أنهنَّ يبقين ، حتَّى يصِرْنَ نساءً .

وإنما كان استبقاءُ النساء من سوء العذاب ، لأنهم كانوا يستبقونهن للاسترقاق والخدمة ، فصار ذلك هو سُوءَ العذاب ، لا الاستبقاء .

وفي قوله تعالى : { وَفِي ذَلِكُم بَلاَءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ } تأويلان :

أحدهما : أن فيما كانوا يفعلونه بهم : مِنْ سوء العذاب ، وذبح الأبناء ، واستحياء النساءِ شدةً وجهداً عظيماً .

والثاني : أن في إنجائهم من آل فرعونَ ، الذين كانوا يفعلون ذلك بهم نعمةٌ من ربِّهم عظيمةٌ ، وهو قول ابن عباسٍ ، ومجاهدٍ ، والسدي .

وأصل البلاء الاختبار في الخير والشر ، كما قال عز وجل : { وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً } [الأنبياء : 35] لأن الاختبار قد يكون بالخير كما يكون بالشر ، غير أن الأكثر في الشر أن يقال : بَلَوْتُه أَبْلُوهُ بلاءً ، وفي الخير : أَبْلَيْتُهُ أُبْلِيهِ إبْلاءً ، ومن ذلك قولُ زُهَيْرٍ :

جَزَى اللهُ بِالْإِحْسَانِ مَا فَعَلاَ بِكُمْ ... فَأَبْلاَهُمَا خَيْرَ الْبَلاءِ الَّذِي يَبْلُو

فجمع بين اللُّغتين .

قوله عز وجل : { وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ } فيه تأويلان : أحدهما : وإذ فصلنا بكم البحر ، لأن الفرْقَ : الفصل بين الشيئين ، فَفَرَقَ البحر اثني عشر طريقاً ، وكان عددهم ستمائة ألفٍ وعشرين ألفاً ، لا يُعَدُّ فيهم ابن عشرين لصغره ولا ابن ستين لكبره ، وكان على مقدمة فرعونَ هامانُ في ألفِ ألفٍ ، وسبعمائة حصانٍ ، وذلك قوله : { فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ . إِنَّ هَؤُلاَءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ } [الشعراء : 53 ، 54] وهذا قول السدي .

والثاني : أن معناه : وإذ فرقنا بينكم وبين البحر ، أي ميزنا ، فأصل الفرق التمييز بين الشيئين ، والفِرْقَةُ من الناس : الطائفة المتميزة من غيرهم .

والبحر سُمِّيَ بحراً لسعته وانبساطه ، ومنه قولهم : تبحَّر في العلم ، إذا اتَّسع فيه ، والبَحِيرَةُ : الناقةُ تُشَقُّ أُذُنُها شَقّاً واسعاً .

قوله تعالى : { فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ } فحذف ذِكْرَ فرْعَوْنَ وإن غَرِقَ معهم ، لأنه قد عُلِمَ دخوله فيهم .

قوله تعالى : { وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ } يعني إلى فَرْقِ البحر ، حتى سلكوا فيه ، وانطباقه على آل فرعون ، حتى غرقوا فيه .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (51) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (52) وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (53)

قوله تعالى : { وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً } :

أما مُوسَى ، فاسم يَجْمَعُ بين كلمتين بالقبطية وهما : ماء وشجر ، ف : مُوهو الماء ، و « سا » هو الشجر ، وإنما سُمِّيَ بهذا الاسم الجامع لهاتين الكلمتين ، لما ذكره السدي من أنَّ أمه لما خافت عليه جعلته في التابوت ، وألقته في اليم ، كما أُوحِيَ إليها ، فألقاه بين أشجار عند بيت فرعون ، فخرجت جَواريُّ آسيةَ امرأةِ فرعون يغتسلن ، فوجدنه ، فسُمِّيَ باسم المكان .

قال ابن إسحاق : وهو موسى بنُ عمرانَ بنِ يصهر بنِ فاهت بنِ لاوى بن يعقوب (إسرائيل) بنِ إسحاق بنِ إبراهيم .

وقوله تعالى : { أَرْبَعِينَ لَيْلَةً } قال ابنُ الكلبي : لما جاوز موسى ببني إسرائيل البحر ، قال له بنو إسرائيل : أليس وعدتنا أن تأتينا بكتابٍ من الله تعالى؟ فوعده الله أربعين ليلة ، ووعدها بني إسرائيل ، قال أبو العالية : هي ذو القِعْدةِ وعَشْرٌ من ذي الحِجَّة ، ثم اقتصر على ذكر الليالي دون الأيام ، وإن كانت الأيام تبعاً معها ، لأن أوَّلَ الشهورِ الليالي ، فصارت الأيامُ لها تبعاً .

قوله تعالى : { ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ } يعني اتخذتموه إلهاً من بعد خروج موسى إلى الميقات ، واستخلافِهِ هارونَ عليهم .

وسببُ ذلك فيما ذكر ابن عباسٍ ، أنَّ السامِرِيَّ كان من قومٍ يعبدون البقر ، فكان حبُّ ذلك في نفسه بعْدَ إظهاره الإسلام ، وكان قد عَرَفَ جبريل لأن أمه حين خافت عليه أن يُذْبَحَ خَلَّفَتْهُ في غار ، وأطبقت عليه ، وكان جبريل يأتيه ، فيغذوه بأصابعه ، فلمَّا رآه حين عبر البحر عرفه ، فقبض قبضةً من أثر فرسه ، وكان ابن مسعودٍ يقرأ : { فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ فَرَسِ الرَّسُولِ } ولم تزل القبضة في يده ، حتى فصل موسى إلى ربه ، وخلَّف هارون في بني إسرائيل ، فقال لهم هارون : قد تحمَّلْتُمْ أوزاراً من زينة القوم ، يعني أمتعةً وحُلِياً ، فَتَطَهَّرُوا منها فإنها نَجَسٌ ، فأوقد لهم ناراً ، وأمرهم بقذف ما كان معهم ففعلوا ، فأقبل السامِرِيُّ إلى النار وقال : يا نبيَّ الله أُلْقِي ما في يدي؟ قال : نعم ، وهو يظن أنَّهُ حُلِيٌّ ، فقذفه ، وقال : كن عجلاً جسداً له خوار .

واختلفوا : هل صار حيواناً لحماً ودماً أم لا؟

فقال الحسن : انقلب حيواناً لحماً ودماً ، وقال غيره لا يجوز لأن ذلك من آيات الله عز وجل التي لا يُظْهِرُها إلاَّ لمعجزَةِ نبيٍّ ، وإنما جعل فيه خروقاً تَدْخُلُها الرِّيحُ ، فَيَحْدُثُ فيهِ صوتٌ كالخوار .

ودافع من تابع الحسن على قوله هذا ، بوجهين :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : أنه لما قال : هذا إلهكم وإلهُ موسى ، فقد أبطل على نفسه أن يدَّعِيَ بذلك إعجاز الأنبياء ، فجاز أن يصح ذلك منه امتحاناً .

والثاني : أن ذلك لا يجوز في غير زمان الأنبياء ، ويجوز في زمان الأنبياء ، لأنهم يُظهِرُون إبطاله ، وقد كان ذلك في زمان نبيَّيْنِ .

(46/1)

واختلفوا في تسميته عجلاً :

فقال أبو العالية : لأنهم عَجِلُوا ، فاتخذوه إلهاً ، قبل أن يأتيهم موسى ، وقال غيره : بل سُمِّيَ بذلك ، لأنه صار عجلاً جسداً له خُوَارٌ .

ثُمَّ إنهم عكفوا على العجل يعبدونه ، فقال لهم هارون من قبل : يا قومِ إنما فتنتم به ، وإن ربكم الرحمن ، فاتبعوني ، وأطيعوا أمري ، قالوا : لن نبرح عليه عاكفين ، حتى يرجع إلينا موسى .

قوله عز وجل : { وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ } [طه : 90؛ 91] :

أما « إذ » فاسم للوقت الماضي ، و « إذا » اسم للوقت المستقبل ، و « الكتاب » هو التوراة .

وفي الفرقان أربعةُ أقاويلَ :

أحدها : أن الفُرْقان هو الكتاب فذكره باسمين تأكيداً ، وهو قول الفراء .

والثاني : أن الفُرْقَانَ : ما في التوراة من فَرْقٍ بني الحقِّ والباطلِ ، فيكون ذلك نعتاً للتوراة ، وهذا قول ابن عباس وأبي العالية .

والثالث : أن الفرقان النصر ، الذي فرَّق الله به بين موسى وفرعون ، حتى أنجى موسى وقومَهُ ، وأغرق فرعون وقومهُ ، وهذا قول أبي زيدٍ .

والرابع : أن الفرقان : انفراق البحر لِبَنِي إسرائيلَ ، حتى عبروا فيه .

(47/1)

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (54)

قوله عز وجل : { فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ } يعني : فارجعوا إلى طاعة خالقكم ، والبارئ الخالق ، والبريَّة الخلق ، وهي فعيلة ، بمعنى مفعولة ، غير أنها لا تهمز .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

واختلفوا في هذه التسمية على أربعة أقاويل :

أحدها : أنها مأخوذة من برأ اللهُ الخلْق ، يبرَؤُهم برءاً .

والثاني : أنها فعلية من البرء ، وهو التراب .

والثالث : أنها مأخوذة من برئ الشيء من الشيء ، وهو انفصاله عنه ، ومنه البراءة من الدين لانفصاله عنه ، وأبرأه الله من المرض ، إذا أزاله عنه .

وقوله تعالى : { فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ } فيه تأويلان :

أحدهما : معناه : ليقتل بعضكم بعضاً ، وهذا قول ابن عباس ، وسعيد بن جبيرٍ ، ومجاهد .

والثاني : استسلموا للقتل ، وجعل ذلك بمنزلة القتل ، وهذا قول أبي إسحاق .

وأصل القتل : إماتةُ الحركة ، ومنه : قتلت الخمر بالماء ، إذا مَزَجتها ، لأنك أمتَّ حركتها ، وإنما جُعل القتل توبة ، لأن من كفَّ عن الإنكار لعبادة العجل ، إنما كف خوفاً من القتال والقتل ، فجُعِلَت توبتهم بالقتل ، الذي خافوه ، هكذا قال ابن جريج .

قال ابن عباسٍ : احْتَبَى الَّذِين عكفوا على العجل فجلسوا ، وقام الذين لم يعكُفُوا عليه ، وأخذوا الخناجر ، وأصابتهم ظلمة فجعل بعضهم يقتل بعضاً ، حتى انجلت الظلمة من سبعين ألفَ قتيلٍ في ساعة من نهار ، وكانوا ينادون في تلك الحال : رحم الله عبداً صبر حتى يبلغ الله رضاه ، فحزِن موسى وبنو إسرائيل لذلك القتل ، فأوحى الله عز وجل إلى موسى : لا تحزن ، أَمَّا من قُتِل منكم فأحياء عندي يرزقون ، وأَمَّا من بقِيَ فقد قُبِلَتْ توبته ، فَبَشَّرَ بذلك بني إسرائيل .

(48/1)

وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (55) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (56)

قوله عز وجل : { . . . حَتَّى نَرى اللهَ جَهْرَةً } فيه تأويلان : أحدهما : علانية ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : عياناً ، وهو قول قتادة .

وأصل الجهر الظهور ، ومنه الجهر بالقراءة ، إنما هو إظهارها ، والمجاهرة بالمعاصي : المظاهرة بها .

{ فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ } يعني الموت ، { وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ } ما نزل بكم من الموت .

قوله عز وجل : { ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ } يعني الذين ماتوا بالصاعقة ، وهم السبعون الذين اختارهم موسى ليستمعوا مناجاة ربِّه له بعد أن تاب على من عبد العجل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وفي قوله تعالى : { ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ } تأويلان :

أحدهما : أنه إحياؤهم بعد موتهم لاستكمال آجالهم ، وهذا قول قتادة .

والثاني : أنهم بعد الإحياء سألوا أن يبعثوا أنبياء فبعثهم الله أنبياء ، وهذا قول السُّدِّيِّ .

وأصل البعث الإرسال ، وقيل : بل أصله : إثارة الشيء من محلِّه .

(49/1)

وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (57)

قوله عز وجل : { وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ } :

والغمام : هو ما غَمَّ السماء ، فغطَّاها من سحاب وقتام ، وكلُّ مُغَطٍّ فهُو غمام ، ومنه : غُمَّ الهلال ، أي غطاه الغَيْمُ .

وفي الغمام الذي ظلله الله عليهم تأويلان :

أحدهما : أنه السحابة ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : أنه الذي أتى الملائكة في يوم بدر ، مثل قوله تعالى : { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ } [البقرة : 210] وهذا قول مجاهد .

قوله عز وجل : { وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى } فيه سبعة أقاويل :

أحدها : أن المنَّ ما سقط على الشجر فيأكله الناس ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : أن المنَّ صمغة ، وهو قول مجاهد .

والثالث : أن المنَّ شرابٌ ، كان ينزل عليهم يشربونه بعد مزجِهِ بالماء ، وهو قول الربيع بن أنس .

والرابع : أن المنَّ عسل ، كان ينزل عليهم ، وهو قول ابن زيدٍ .

والخامس : أن المن الخبز الرقاق ، هو قول وهب .

والسادس : أنه الزنجبيل ، وهو قول السدي .

والسابع : أنه الترنجين .

وفي السلوى قولان :

أحدهما : أنه السماني .

والثاني : أنه طائر يشبه السماني كانت تحشره عليهم الريح الجنوب ، وهذا قول ابن عباس ، واشتقاقه من السلو ، كأنَّه مُسَلِّي عن غيره .

قال ابن جريج : كان الرجل منهم إن أخذ من المنِّ والسلوى زيادة على طعام يوم واحدٍ فسد ، إلا يومَ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الجمعة ، فإنهم كانوا إذا أخذوا طعامَ يومَيْنِ لم يفسد .

وفي قوله عز وجل : { كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ } ثلاثة تأويلاتٍ :

أحدها : الشَّهيَّات اللذيذة .

والثاني : أنه الحلال .

والثالث : أنها المباح .

(50/1)

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (58) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (59)

قولُه عزَّ وجلَّ : { وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ } :

اختلفوا فيها على ثلاثةِ أقاويلَ :

أحدها : أنها بيت المقدس ، وهو قول قتادة ، والربيع بن أنس .

والثاني : أنها قريةٌ ببيت المقدس ، وهو قول السدي .

والثالث : أنها « أريحا » قرب بيت المقدس ، وهو قول ابن زيد .

قوله عز وجل : { وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً } .

اختلفوا في الباب على قولين :

أحدهما : أنه باب حِطَّةَ وهو الباب الثامن ببيت المقدس ، وهذا قول مجاهد ، والسُّدِّيِّ .

والثاني : أنه باب القرية ، التي أمروا بدخولها .

وفي قوله : { سُجَّداً } تأويلان :

أحدهما : يعني : رُكَّعاً ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : معناه : خاضعين متواضعين . وأصل السجود الانحناء تعظيماً لمن يُسجَد له ، وخضوعاً ، ومنه قول الشاعر :

بَجَمْعٍ تَضَلُّ الْبَلْقُ في حُجُرَاتِهِ ... تَرَى الأكْمَ فِيهِ سُجَّداً لِلْحَوافِرِ

وقال أعشى قيس :

يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ الْمِلَي ... كِ طَوْراً سُجُوداً وَطَوْراً جِوَارا

وفي قوله تعالى : { وَقُولُوا حِطَّةٌ } أربعةُ تأويلاتٍ :

أحدها : أنه قول : لا إله إلا الله ، وهو قول عكرمة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثاني : أن « حِطَّة » المغفرة ، فكأنه أمر بالاستغفار ، وهو رواية سعيد بن جبيرٍ ، عن ابن عباسٍ .

والثالث : هو قولهم : هذا الأمر حق كما قيل لكم ، وهو رواية الضحاك ، عن ابن عباسٍ .

والرابع : معناه : حُطَّ عنا خطايانا ، وهو قول الحسن ، وقتادة ، وابن زيدٍ ، وهو أشبهُ بظاهر اللفظ .

قوله عز وجل : { نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ } أي نرحمكم ، ونسترها عليكم ، فلا نفضحكم بالعقوبة عليها .

والخطأ : العدولُ عن القصد ، يقال خَطِئَ الشيءَ خَطَأً ، إذا أصابه ولم يُرِدْهُ ، وأَخْطَأَ يُخْطِئُ ، إذا أراده ولم يُصِبْهُ ، فالأول خاطئ والثاني مُخطِئ .

وأصل المغفرة : التغطية والستر؛ ولذلك قيل للبيضة من الحديد : مِغْفَرٌ ، لأنها تُغَطِّي الرأسَ وتُغَطِّي الرأسَ وتُجِنُّهُ ، ومنه قول أوسِ بن حجر :

وَلاَ أَعْتِبُ ابْنَ الْعَمِّ إِنْ كَانَ مُخْطِئاً ... وَأَغْفِرُ عَنْهُ الْجَهْلَ إِنْ كَانَ جَاهِلاً

قوله تعالى : { فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ } يعني أنهم بَدَّلوا ما أُمِروا به من قول وفعل ، فأُمِرُوا أن يدخُلوا الباب سُجَّداً ، فَدَخَلُوا يزحفون على أستاهم ، وأن يقولوا : حِطَّةٌ ، فقالوا : حنطة في شعير ، مستهزئين بذلك .

{ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً من السَّمَاءِ } :

وفي الرجز ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه العذاب ، وهو قول ابن عباس وقتادة .

والثاني : أنه الغضب ، وهو قول أبي العالية .

والثالث : أنه الطاعون ، بعثه الله عليهم فأهلكهم ، وبقي الأبناء ، وهو قول ابن زيد .

(51/1)

وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (60)

قوله تعالى : { وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ } تقديره : وإذ استسقانا موسى لقومه ، والاستسقاء : طلب السَّقْيِ ، والعربُ تقول : سَقَيْتُهُ ، وأسقيتُه ، فقيل : إنهما لغتان ومعناهما واحد ، وقيل بل سقيته من سَقْيِ الشَّفةِ ، وأسْقَيْتُهُ : دللته على الماء .

{ فَقُلْنَا اضْرِب بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنَا } :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وفي الكلام محذوف ، وتقديره : فضرب فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا .

والانفجارُ : الانشقاق ، والأنبجاسُ أضيق منه ، لأنه يكون انبجاساً ثم يصير انفجاراً .

والعين من الأسماء المشتركة : فالعين من الماء مُشَبَّهَةٌ بالعين من الحيوان ، لخروج الماء منها ، كخروج الدمع من عين الحيوان .

فأمر موسى عند استسقائه ، أن يضرب بعصاه حجراً مُرَبَّعاً طُورِيّاً (من الطور) ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ، من كل جانب ثلاثةُ أعينٍ .

{ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ } يعني أن لكلِّ سبطٍ منهم عيناً ، قد عرفها لا يشرب من غيرها ، فإذا ارتحلوا انقطع ماؤه ، وحُمِلَ في الجوالق ، وكان بقدر الرأس .

{ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ } فيه تأويلان :

أحدهما : معناه لا تطغوا ، وهذا قول ابن زيد .

والثاني : معناه لا تسعوا في الأرض مفسدين ، وهو قول ابن عباس ، وأبي العالية الرياحي .

والعيثُ : شدة الفساد ، ومنه قول رؤبة :

وَعَاثَ فِينَا مُسْتَحِلٌّ عَائِثُ ... مُصَدِّقٌ أو فَاجِرٌ مُنَاكِثُ

(52/1)

وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (61)

قوله تعالى : { وَفُومِهَا } فيه ثلاثةُ تأويلاتٍ :

أحدها : أنه الحنطة ، وهو قول ابن عباسٍ ، وقتادة ، والسدي ، وأنشد ابن عباسٍ مَنْ سأله عن الفوم ، وأنه الحُنْطَة قَوْلَ أُحيحة بن الجُلاح :

قَدْ كُنْتُ أَغْنَى النَّاسِ شَخْصاً وَاحِداً ... وَرَدَ الْمَدِينَةَ عَنْ زِرَاعَةِ فُومِ

والثاني : أنَّه الخُبز ، وهو قول مجاهد ، وابن زيد ، وعطاء .

والثالث : أنه الثومُ بالثاء ، وذلك صريح في قراءة ابن مسعود ، وهو قول الربيع بن أنس والكسائي .

قوله تعالى : { اهْبِطُوا مِصْراً } : قرأ عامةُ القُرّاءِ بالتنوين ، وقرأ بعضهم بغير تنوين ، وهي كذلك ، وقراءة ابن مسعود بغير ألف .

وفي المصر الذي عناه قولان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : أنه أراد أيَّ مِصْرٍ ، أرادوا من غير تعيين؛ لأنَّ ما سألوا من البقل والقثَّاء والفوم ، لا يكون إلا في الأمصار ، وهذا قول قتادة ، والسدي ومجاهد ، وابن زيد .

والثاني : أنه أراد مصر فرعون ، الذي خرجوا منه ، وهذا قول الحسن ، وأبي العالية والربيع .

واختلف في اشتقاق المِصْرِ ، فمنهم من قال : إنه مشتق من القطع ، لانقطاعه بالعمارة ، ومنهم من قال : إنه مشتق من الفصل بينه وبين غيره ، قال عدي بن زيد :

وَجَاعِلُ الشَّمْسِ مِصْراً لاَ خَفَاءَ بِهِ ... بَيْنَ النَّهَارِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ قَدْ فَصَلاَ

وفي قوله تعالى : { وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ } تأويلان :

أحدهما : أنَّه من الذِّلَّة والصغار .

والثاني : أنَّه فَرَضَ الجِزْيَةَ عليهم ، وهذا قول الحسن وقتادة .

وفي « المسكنة » تأويلان :

أحدهما : أنها الفاقة ، وهو قول أبي العالية .

والثاني : أنه الفقر ، وهو قول السدي .

وفي قوله تعالى : { وَباءُو بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ } ثلاثة تأويلات :

أحدها : وهو قول أبي العباس المَبِّرد : أن أصل ذلك : المنزلة ، ومعناه أنهم نزلوا بمنزلة غضب الله ، ورُوي : أن رجلاً جاء برجلٍ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذا قاتل أخي ، قال « فَهُوَ بَوَاءٌ بِهِ » أي أنه مقتول ، فيصير في منزلته ، وتقول ليلى الأخيليَّةُ :

فَإِنْ يَكُنِ الْقَتْلَى بَوَاءً فَإِنَّكُمْ ... فَتىً مَا قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفِ بْنِ عَامِرِ

والثاني : وهو قول أبي إسحاق الزجّاج : أن أصل ذلك التسوية ، ومعناه : أنهم تساووا بغضب من الله ، ومنه ما يروى عن عبادة بن الصامت قال : « جعل الله الأنفال إلى نبيِّه صلى الله عليه وسلم ، فقسمها بينهم على بَوَاءٍ » ، أي على سواء بينهم في القسم .

والثالث : وهو قول الكسائي ، أن معناه أنهم رجعوا بغضب من الله ، قال : البواء : الرجوع ، إلا أنه لا يكون رجوعاً إلا بشيء : إمَّا بشرٍّ ، وإمَّا بخيرٍ .

وفي قوله تعالى : { وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ } قولان :

أحدهما : أن الله عز وجل؛ إنما جاز أن يُخَلِّي بين الكُفَّار وقتلِ الأنبياء ، لينالوا من رفيع المنازل ما لا ينالونه بغيره ، وليس ذلك بخذلان لهم ، كما يفعل بالمؤمنين من أهل طاعته .

والثاني : وهو قول الحسن ، أن الله عز وجل ، ما أمر نبيّاً بالحرب إلا نَصَرَهُ فلم يُقتَلْ ، وإنما خلَّى بين الكفار وبين قتل مَنْ لم يؤمر بالقتال مِنَ الأنبياء .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

و « الأنبياء » جمعُ « نبيٍّ » وقد جاء في جمع « نبيٍّ » : « نُبَّاء » ، قال العباس ابن مرداس السُّلمي ، يمدح النبيَّ صلى الله عليه وسلم :

يَا خَاتَمَ النُّبَّاءِ إِنَّكَ مُرْسَلٌ ... بِالْحَقِّ حَيْثُ هُدَى آلإلَهِ هَدَاكَا

وهو غير مهموز في قراءة الجمهور إلا نافعاً ، فإنه قرأ الأنبياء ، والنبيئين بالهمز .

وفيما أُخذ منه اسمُ النبيِّ ، ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه مأخوذ من النبأ ، وهو الخبر ، لأنه يُنْبِئُ عن الله ، أي يُخْبِرُ ، ومنه قوله تعالى : { أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى } [النجم : 36] .

والثاني : أن أصل النبيِّ هو الطريق ، قال القطامي :

لَمَّا وَرَدْنَا نبِيَاً وَاسْتَتَبَّ لَنَا ... مُسْتَحْفَرٌ بِخُطُوطِ النَّسْجِ مُنْسَحِلُ

فَسُمِّيَ رسُول الله صلى الله عليه وسلم نبيّاً ، لأنه الطريق إليه .

والثالث : أنه مأخوذ من النُّبُوَّةِ؛ لأن منزلة الأنبياء رفيعة .

(54/1)

إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62)

قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا } يعني : صدقوا بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم .

{ وَالَّذِينَ هَادُوا } هم اليهود ، وفي تسميتهم بذلك ، ثلاثة أقاويل :

أحدها : نُسِبُوا إلى يهوذا أكبر ولد يعقوب ، فقلبت العربُ الذال دالاً ، لأن الأعجمية إذا عُرِّبت ، غيرت من لفظها .

والثاني : أنه مأخوذ من قولهم : هَادَ القومُ يَهُودُون هَوْدَةً وهِيَادَةً ، إذا تابوا ، قال زهير :

سِوَى مَرْبَعٍ لَمْ تَأْتِ فِيهِ مَخَافَةً ... وَلاَ رَهَقاً مِنْ عَابِدٍ مُتَهَوِّدِ

يعني من عابد تائب ، فسموا يهوداً لتوبتهم من عبادة العجل .

والثالث : أنهم سُمُّوا يهوداً ، من أجل قولهم : إنَّا هُدْنا إليك ، وهذا قول ابن جُرَيج .

و { والنصارى } ، جمع وواحده « نصرانيٌّ » ، وقيل : « نصران » بإسقاط الياء ، وهذا قول سيبويه ، وقال الخليل بن أحمد : واحده نصْرِي ، والأول هو المستعمل .

وفي تسميتهم بذلك ، ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم سُمُّوا بذلك ، لقريةٍ تُسَمَّى « ناصرة » ، كان ينزلها عيسى عليه السلام ، فَنُسِبَ إليها ، فقيل : عيسى الناصري ، ثم نسب أصحابه إليه فقيل : النصارى ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثاني : أنهم سُمُّوا بذلك ، لنصرة بعضهم لبعضٍ ، قال الشاعر :

لمَّا رأيتُ نَبَطاً أَنْصَارَا ... شَمَّرْتُ عَنْ رُكْبَتِيَ الإِزَارَا

كُنْتُ لَهُمْ مِنَ النَّصَارَى جَارَا ... والثالث : أنهم سُمُّوا بذلك ، لقوله : { مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ } .

{ والصابئين } ، جمع ، واحده : صابئ ، واخْتُلِفَ في همزِهِ ، فهمزه الجمهور إلا نافعاً .

واخْتُلِف في المأخوذ منه هذا الاسم ، على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه مأخوذ من الطُّلُوعِ والظُّهُورِ ، من قولهم : صبأ نابُ البعير ، إذا طلع ، وهذا قول الخليل .

والثاني : أن الصابئ : الخارج من شيء إلى شيءٍ ، فسُمِّي الصابئون بهذا الاسم ، لخروجهم من اليهودية والنصرانية ، وهذا قول ابن زيدٍ .

والثالث : أنه مأخوذ من قولهم : صبا يصبو ، إذا مال إلى الشيء وأحبه ، وهذا قول نافع؛ ولذلك لم يهمز .

وَاخْتُلِفِ فيهم : فقال مجاهد ، والحسن ، وابن أبي نجيحٍ : الصابئون بين اليهود والمجوس ، وقال قتادة : الصابئون قوم يعبدون الملائكة ، ويصلون إلى القِبْلَة ، [ويقرأون الزبور ويصلون الخميس] وقال السدي : هم طائفة من أهل الكتاب ، وقال الخليل : هم قوم شبيه دينهم بدين النصارى ، إلا أن قبلتهم نَحْوَ مهب الجنوب حيال منتصف النهار ، يزعمون أنهم على دين نوح .

وفي قوله تعالى : { مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الأَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ } قولان :

أحدهما : أنها نزلت في سلمان الفارسيِّ وأصحابه النصارى الذين كان قد تنصَّر على أيديهم ، قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا قد أخبروه بأنه سيبعث ، وأنهم مؤمنون به إن أدركوه ، وهذا قول السدي .

والثاني : أنها منسوخة بقوله تعالى : { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ } [آل عمران : 85] ، وهو قول ابن عباس .

فإن قيل : فَلِمَ قال : { وَعَمِلَ صَالِحاً } على التوحيد ، ثم قال : { فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ } على الجمع؟ قيل : لأن اللفظ « مَنْ » لفظ الواحد ، ومعناه الجمع ، فمرةً يجمع على اللفظ ، ومرةً يجمع على المعنى ، قال الشاعر :

أَلِمَّا بِسَلْمَى عَنْكُمَا إِنْ عَرَضْتُمَا ... وَقُولاَ : لَهَا عُوجِي عَلَى مَنْ تَخَلَّفُوا

(55/1)

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (63) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (64)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله تعالى : { . . . وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ } وفي الطور ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه اسم الجبل ، الذي كلم الله عليه موسى ، وأنزلت عليه التوراة دون غيره ، وهذه رواية ابن جريج عن ابن عباس .

والثاني : أن الطور ما أَنْبَتَ من الجبال خاصة ، دون ما لم ينبت ، وهذه رواية الضحاك عن ابن عباس .

والثالث : أن الطور اسم لكل جبل ، وهو قول مجاهد ، وقتادة ، إلا أن مجاهداً قال : هو اسم كل جبل بالسريانية ، وقال قتادة : بل هو اسم عربي ، قال العجاج :

داني جناحيه من الطور فمر ... تقضّي البازي إذا البازيُّ كر

قال مجاهد : رُفِعَ الجبل فوقهم كالظُّلَّة ، فقيل : لتؤمِنُنَّ أو ليقعن عليكم ، فآمنوا .

وفي قوله تعالى : { خُذُواْ مَا ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ } ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن القوة الجِدّ والاجتهاد ، وهو قول ابن عباس ، وقتادة والسدي .

والثاني : يعني بطاعة الله تعالى ، وهو قول أبي العالية ، والربيع بن أنس .

والثالث : أنه العمل بما فيه ، وهو قول مجاهد .

(56/1)

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (65) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (66)

قوله عز وجل : { وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ في السَّبْتِ } وفي اعتدائهم في السبت قولان :

أحدهما : أنهم أخذوا فيه الحيتان على جهة الاستحلال ، وهذا قول الحسن .

والثاني : أنهم حبسوها في يوم السبت وأخذوها يوم الأحد ، والسبت هو اليوم المعروف . وفي تسميته بذلك أربعة أقاويل :

أحدها : أن السبت هو اسم للقطعة من الدهر فسمي ذلك اليوم به ، وهذا قول الزجاج .

والثاني : أنه سُمِّي بذلك لأنه سَبَت خَلْق كل شيء ، أي قطع وفرغ منه ، وهذا قول أبي عبيدة .

والثالث : أنه سُمِّي بذلك ، لأن اليهود يَسْبِتُون فيه ، أي يقطعون فيه الأعمال .

والرابع : أن أصل السبت ، الهدوء والسكون في راحة ودعة ، ولذلك قيل للنائم مسبوت لاستراحته وسكون جسده ، كما قال تعالى : { وَجَعَلْنَا نَوْمَكُم سُبَاتًا } . فَسُمِّي به اليوم لاستراحة اليهود فيه .

وفي قوله عز وجل : { . . . فَقُلْنَا لَهُمْ كُونوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ } قولان :

أحدهما : مُسِخُوا قردةً ، فصاروا لأجل اعتدائهم في السبت في صورة القردة المخلوقين من قبل ، في

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الأيام الستة .

قال ابن عباس : لم يعش مسخ قط فوق ثلاثة أيام ، ولم يأكل ولم يشرب .

والثاني : وهو قول مجاهد : أنهم لم يمسخوا قردة ، وإنما هو مَثَلَ ضربه الله لهم ، كما قال تعالى : { كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارَاً } [الجمعة : 5] .

وفي قوله تعالى : { خاسئين } تأويلان :

أحدهما : أن الخاسئ المُبْعَد المطرود ، ومنه قولهم خسأت الكلب ، إذا باعدته وطردته .

والثاني : أن معناه أذلاء صاغرون ، وهذا قول مجاهد . ورُوي عن ابن عباس : خاسئاً أي ذليلاً .

قوله تعالى : { فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا } وفي المجعول نكالاً ، ستة أقاويل :

أحدها : أنها العقوبة .

والثاني : أنها الحيتان .

والثالث : أنها القرية التي اعتدى أهلها .

والرابع : أنهم الأمة الذين اعتدوا ، وهم أهل أيلة .

والخامس : أنهم الممسوخون قردة .

والسادس : أنهم القردة الممسوخ على صورهم .

وفي قوله تعالى : { نَكَالاً } ثلاثة تأويلات :

أحدها : عقوبة ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : عبرة ينكل بها من رآها .

والثالث : أن النكال الاشتهار بالفضيحة .

وفي قوله تعالى : { لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا } خمسة تأويلات :

أحدها : ما بين يديها وما خلفها من القرى ، وهذه رواية عكرمة عن ابن عباس .

والثاني : ما بين يديها يعني من بعدهم من الأمم ، وما خلفها ، الذين كانوا معهم باقين ، وهذه رواية الضحاك عن ابن عباس .

والثالث : ما بين يديها ، يعني من دونها ، وما خلفها ، يعني لمن يأتي بعدهم من الأمم ، وهذا قول السدي .

والرابع : لما بين يديها من ذنوب القوم ، وما خلفها للحيتان التي أصابوها ، وهذا قول قتادة .

والخامس : ما بين يديها ما مضى من خطاياهم ، وما خلفها : خطاياهم التي أُهْلِكُوا بها ، وهذا قول مجاهد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67)

قوله تعالى : { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً } وكان السبب في أمر موسى لقومه بذلك ، ما ذكره المفسرون : أن رجلاً من بني إسرائيل كان غنياً ، ولم يكن له ولد ، وكان له قريب يرثه ، فاستبطأ موته ، فقتله سراً وألقاه في موضع الأسباط ، وادعى قتله على أحدهم ، فاحتكموا إلى موسى ، فقال : من عنده من ذلك علم؟ فقالوا : أنت نبي الله ، وأنت أعلم منا ، فقال : إن الله عز وجل يأمركم أن تذبحوا بقرة ، فلما سمعوا ذلك وليس في ظاهره جواب عما سألوا عنه { قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً } والهزء : اللعب والسخرية . قال الراجز :

قَدْ هَزِئَتْ مَنِّيَ أُمُّ طَيْسَلَهْ ... قَالَتْ أَرَاهُ مُعْدِماً لاَ شَيْءَ لَه

{ قَالَ : أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ } لأن الخروج عن جواب السائل المسترشد إلى الهزء ، جهل ، فاستعاذ منه موسى ، لأنها صفة تنتفي مع الأنبياء ، وإنما أمر والله أعلم بذبح البقرة دون غيرها ، لأنها من جنس ما عبدوه من العجل ، ليهون عندهم ما كانوا يرونه من تعظيمه ، وليعلم بإجابتهم زوال ما كان في نفوسهم من عبادته .

والقبرة اسم للأنثى ، والثور للذكر ، مثل ناقة وجمل ، وامرأة ورجل ، فيكون تأنيثه بغير لفظه . واسم البقرة مأخوذ من الشق من قولهم بقر بطنه إذا شقه ، لأنها تشق الأرض في الحرث .

(58/1)

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (68) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (69) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (71)

قوله عز وجل : { قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ } رَوَى الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوِ اعْتَرَضُوا بقرة ، فَذَبَحُوها ، لأَجْزَأَتْ عَنْهُم ، وَلَكِنَّهُم ، شَدَّدُوا ، فَشَدَّدَ الله عليهم » . { قَالَ : إِنَّه يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ } في الفارض تأويلان :

أحدهما : أنها الكبيرة الهَرِمَة ، وهو قول الجمهور . قال الراجز :

شيب أصداغي فرأسي أبيضُ ... محامل فيها رجال فرض

يعني بقوله : فُرّض ، أي هرمى .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : أنّ الفارض التي قد ولدت بطوناً كثيرة ، فيتسع لذلك جوفها ، لأن معنى الفارض في اللغة الواسع ، وهذا قول بعض المتأخرين ، واستشهد بقول الراجز :

يا رُبَّ ذي ضغن عليّ فارض ... له قروء كقروء الحائض

والبكر : الصغيرة التي لم تحمل ، والبكر من إناث البهائم ، وبني آدم ، ما لم يفتحله الفحل ، وهي مكسورة الباء ، فأما البَكْر بفتح الباء ، فهو الفتي من الإبل .

وقوله تعالى : { عَوانٌ بَيْنَ ذلكَ } والعوان النَّصَفُ التي قد ولدت بطناً أو بطنين ، { بين ذلك } يعني بين الصغيرة والكبيرة ، وهي أقوى ما تكون من البقر وأحسنه ، قال الشاعر :

فرحن عليه بين بِكرٍ عزيزة ... وبين عَوانٍ كالغمامة ناصِفِ

قوله تعالى : { . . . قَالَ : إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ } حُكِيَ عن الحسن البصري ، أن المراد بقوله صفراء ، أي سوداء شديدة السواد ، كما تقول العرب : ناقة صفراء أي سوداء ، ومنه قول الشاعر :

تلك خيلي منه وتلك ركابي ... هُنّ صفر أولادها كالزبيب

وقال الراجز :

وصفرٍ ليست بمصفرّة ... ولكنّ سوداءَ مثل الخُمُر

وقال سائر المفسرين : إنها صفراء اللون ، من الصفرة المعروفة ، وهو أصح ، لأنه الظاهر ، ولأنه قال : { فَاقِعٌ لَّوْنُهَا } والفاقع من صفات الصفرة ، وليس يوصف السواد بذلك ، وإنما يقال : أسود حالكٌ ، وأحمر قانٍ ، وأبيضُ ناصعٌ ، وأخضرُ ناضرٌ ، وأصفرُ فاقعٌ .

ثم فيما أُرِيدَ بالصفرة قولان :

أحدهما : صفراء القرن والظلف ، وهو قول سعيد بن جبير .

والثاني : صفراء اللون كله ، وهذا قول مجاهد .

وفي قوله تعالى : { فاقع لونها } ثلاثة تأويلات :

أحدها : الشديدة الصفرة ، وهذا قول ابن عباس ، والحسن .

والثاني : الخالص الصفرة ، وهذا قول قطرب .

والثالث : الصافي ، وهذا قول أبي العالية ، وقتادة .

{ تَسُرُّ النَّاظِرِينَ } فيه وجهان :

أحدهما : تعجب الناظرين بصفرتها ، فتعجب بالسرور ، وهو ما يتأثر به القلب ، والفرح ما فرحت به العين ، ويحتمل قوله : { تَسُرُّ النَّاظِرِينَ } وجهين :

أحدهما : بحسن لونها فتكون . . . . لصفرتها .

والثاني : حسن سمتها ، وصفت بذلك ، ليكون ذلك زيادة شرط في صفتها ، غير ما تقدم من ذكر صفرتها ، فتصير البقرة على الوجه الأول ، ذات وصف واحد ، وعلى الوجه الثاني ، ذات وصفين .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله تعالى : { قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ } فسألوا سؤالاً ثالثاً ، ولم يمتثلوا الأمر بعد البيان الثاني ، فروى ابن جريج ، عن قتادة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(59/1)

« أُمِرُوا بِأَدْنَى بَقَرةٍ وَلَكِنَّهُم لَمَّا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِم شَدَّدَ اللهُ عَلَيْهِم ، وَأيمُ اللهِ لَو أَنَّهُم لَمْ يَسْتَثْنُوا لَمَا بُيِّنَتْ لَهُم آخِرُ الأَبَدِ » يعني أنهم لو لم يقولوا : { وَإِنَّا إِن شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ } ما اهتدوا إليها أبداً .

قوله عز وجل : { قَالَ : إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ } يعني لم يذللها العمل .

{ تُثِيرُ الأَرْضَ } والإثارة تفريق الشيء ، أي ليست مما يثير الأرض للزرع ، ولا يسقى عليها الزرع .

[وقيل يثير فعل مستأنف والمعنى إيجاب الحرث لها وأنها كانت تحرث ولا تسقى] .

وليس هذا الوجه بشيء ، بل نفي عنها جميع ذلك .

{ مُسَلَّمَةٌ لاَ شِيَةَ فِيها } وفي ذلك أربعة تأويلات :

أحدها : مُسَلَّمَةٌ من العيوب ، وهذا قول قتادة ، وأبي العالية .

والثاني : مُسَلَّمَةٌ من العمل .

والثالث : مُسَلَّمَةٌ من غصب وسرقة ، فتكون حلالاً .

والرابع : مُسَلَّمَةٌ من . . . . . .

. وفي { شِيَةَ } ثلاثة أوجه :

أحدها : ليس فيها علامة خاصة ، حكاه السدي .

والثاني : أنه ليس فيها لون ، يخالف لونها من سواد أو بياض .

والثالث : أنه الوضَح وهو الجمع بين ألوان من سواد وبياض .

وأصله من وشي الثوب ، وهو تحسين عيوبه بألوان مختلفة ، ومنه قيل للساعي بالرجل عند السلطان واشٍ ، لأنه يحسّن كذبه عنده ، حتى يقبله منه .

{ قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِ } فيه تأويلان :

أحدهما : الآن بَيّنْت الحق ، وهو قول قتادة .

والثاني : معناه أنه حين بيّنها لهم ، قالوا هذه بقرة فلان ، الآن جئت بالحق فيها ، وهذا قول عبد الرحمن بن زيد .

وفي قوله تعالى : { فَذَبَحُوها وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ } تأويلان :

أحدهما : أنهم كادوا ألاّ يفعلوا لغلاء ثمنها ، لأنهم اشتروها على ما حَكَى ابن عباس ، ومحمد بن كعب : بملء مَسْكها ذهباً من مال المقتول . وقيل بوزنها عشر مرات .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثاني : أنهم كادوا ألاّ يفعلوا خوفاً من الفضيحة على أنفسهم في معرفة القاتل ، وهذا قول وهب ، وقال عكرمة : ما كان ثمنها إلا ثلاثة دنانير . وقيل : كانت البقرة وحشية .

(60/1)

وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (72) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73)

قوله عز وجل : { وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا } يعني من قتل الإسرائيلي؟ الذي قتله ابن أخيه ، وفي سبب قتله قولان :

أحدهما : لبنت له حسناء ، أحب أن يتزوجها .

والثاني : طلباً لميراثه ، وادعى قتله على بعض الأسباط .

وفي قوله تعالى : { . . . فَادَّارَأْتُم فيها } ثلاثة أوجه :

أحدها : أنّ الّدْرءَ الاعوجاج ، ومنه قول الشاعر :

أمسكت عنهم درء الأعادي ... وداووا بالجنون من الجنون

يعني اعوجاج الأعادي .

والثاني : وهو المشهور ، أن الدرء المدافعة ، ومعناه أي تدافعتم في القتل ، ومنه قول رؤبة بن العجاج :

أدركتها قدام كل مدره ... بالدفع عني درء كل منجه

والثالث : معناه اختلفتم وتنازعتم ، قاله السدي ، وقيل إن هذه الآية وإن كانت متأخرة في التلاوة ، فهي متقدمة في الخطاب على قوله تعالى : { وَإِذْ قَالَ مَوسَى لِقَومِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُم } الآية . لأنهم أُمِرُوا بذبحها ، بعد قتلهم ، واختلفوا في قاتله .

قوله تعالى : { وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ } أي والله مظهر ما كنتم تُسِرّون من القتل ، فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَو أَنَّ أَحَدَكُم يَعْمَلُ في صَخْرَةٍ صَمَّاءَ لَيْسَ لَهَا بَابٌ ، لأَخْرَجَ اللهُ عَمَلَهُ » . قوله تعالى : { فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا } اختلف العلماء في البعض الذي ضُرِبَ به القتيلُ من البقرة ، على خمسة أقاويل :

أحدها : أنه ضُرِبَ بفخذ البقرة ، وهذا قول مجاهد ، وعكرمة وقتادة .

والثاني : أنه ضُرِبَ بالبضعة التي بين الكتفين ، وهذا قول السدي .

والثالث : أنه ضُرِبَ بعظم من عظامها ، وهذا قول أبي العالية .

والرابع : أنه ضُرِبَ بأُذنها ، وهذا قول ابن زيد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والخامس : أنه ضُرِبَ بعجب ذنبها ، وهو الذي لا تأكله الأرض ، وهذا قول الفراء . والبعض : يَقِلُّ عن النصف .

{ كَذلِكَ يُحْيِي اللهُ المَوْتَى } يعني ، أنه لما ضُرِبَ القتيل ببعض البقرة ، أحياه الله وكان اسمه عاميل ، فقال قتلني ابن أخي ، ثم قبض ، فقال بنو أخيه : والله ما قتلناه ، فكذّبوا بالحق بعد معاينته .

قال الفراء : وفي الكلام حذف ، وتقديره : فقلنا اضربوه ببعضها ، ليحيا فضربوه ، فَحَيِيَ . كذلك يحيي الله الموتى ، فدل بذلك على البعث والنشور ، وجعل سبب إحيائه الضرب بميت ، لا حياة فيه ، لئلا يلتبس على ذي شبهة ، أن الحياة إنما انتقلت إليه مما ضرب به ، لتزول الشبهة ، وتتأكد الحجة .

وفي قوله تعالى : { كَذلِكَ يُحْيِي اللهُ المَوْتَى } وجهان :

أحدهما : أنه حكاية عن قول موسى لقومه .

والثاني : أنه خطاب من الله لمشركي قريش .

{ وَيُرِيكُم ءَايَاتِهِ } فيه وجهان :

أحدهما : علامة قدرته .

والثاني : دلائل بعثكم بعد الموت .

{ لَعَلَّكُم تَعْقِلُونَ } فيه وجهان :

أحدهما : تعملون .

والثاني : تعتبرون .

(61/1)

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (74)

قوله تعالى : { ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم } اختلف في المُشَار إليه بالقسوة ، على قولين :

أحدهما : بنو أخي الميت حين أنكروا قتله ، بعد أن سمعوه منه عند إحياء الله له ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : أنه أشار إلى بني إسرائيل كلهم ، ومن قال بهذا قال : من بعد ذلك : أي من بعد آياته كلها التي أظهرها على موسى .

وفي قسوتها وجهان :

أحدهما : صلابتها حتى لا تلين .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : عنفها حتى لا ترأف .

وفي قوله تعالى : { مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ } وجهان :

أحدهما : من بعد إحياء الموتى ، ويكون هذا الخطاب راجعاً إلى جماعتهم .

والثاني : من بعد كلام القتيل ، ويكون الخطاب راجعاً إلى بني أخيه .

وقوله تعالى : { فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً } يعني القلوب التي قست .

واختلف العلماء في معنى { أَوْ } في هذا الموضع وأشباهه كقوله تعالى : { فَكَانَ قَابَ قَوسَين أَوْ أَدْنَى } [النجم : 9] على خمسة أقاويل :

أحدها : أنه إبهام على المخاطبين ، وإن كان الله تعالى عالماً ، أي ذلك هو ، كما قال أبو الأسود الدؤلي :

أحب محمداً حباً شديداً ... وعباساً وحمزة أو علياً

فإن يك حبهم رشدا أُصِبه ... ولستُ بمخطئ إن كان غياً

ولا شَكَّ ، أن أبا الأسود الدؤلي ، لم يكن شاكّاً في حبِّهم ، ولكن أَبْهَمَ على مَنْ خاطبه ، وقد قِيل لأبي الأسود حين قال ذلك : شَكَكْتُ ، فقال كلا ، ثم استشهد بقوله تعالى : { وَإِنَّا إِيَّاكُم لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ } [سبأ : 24] وقال : أفكان شاكاً مَنْ أخبر بهذا؟

والثاني : أن { أَوْ } ها هنا بمعنى الواو ، وتقديره فهو كالحجارة وأشد قسوة ، ومثله قول جرير :

جاءَ الخلافة أو كانت له قدرا ... كما أتى ربَّه موسى على قَدَرِ

والثالث : أن { أَوْ } في هذا الموضع ، بمعنى بل أشد قسوة ، كما قال تعالى : { وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ } [الصافات : 147] يعني بل يزيدون .

والرابع : أن معناها الإباحة وتقديره ، فإن شبهتموها بالحجارة كانت مثلها ، وإن شبهتموها بما هو أشد ، كانت مثلها .

والخامس : فهي كالحجارة ، أو أشد قسوة عندكم .

ثم قال تعالى : { وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ } يعني أن من الحجارة ما هو أنفع من قلوبكم القاسية ، لِتَفَجِّرِ الأنهار منها .

ثم قال تعالى : { وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ } فاختلفوا في ضمير الهاء في « منها » ، إلى ماذا يرجع؟ على قولين :

أحدهما : إلى القلوب لا إلى الحجارة ، فيكون معنى الكلام : وإن من القلوب لما يخضع من خشية الله ، ذكره ابن بحر .

والقول الثاني : أنها ترجع إلى الحجارة ، لأنها أقرب مذكور .

واختلف من قال بهذا ، في هذه الحجارة على قولين :

أحدهما : أنها البرد الهابط من السَّحاب ، وهذا قول تفرد به بعض المتكلمين .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(62/1)

والثاني : وهو قول جمهور المفسرين : أنها حجارة الجبال الصلدة ، لأنها أشد صلابة .
واختلف من قال بهذا على قولين :
أحدهما : أنه الجبل الذي جعله الله دَكاً ، حين كلم موسى .
والثاني : أنه عام في جميع الجبال .
واختلف من قال بهذا ، في تأويل هبوطها ، على أربعة أقاويل :
أحدها : إن هبوط ما هبط من حشية الله ، نزل في ذلك القرآن .
والثاني : . . . .
والثالث : أن مِنْ عَظَّمَ مَنْ أمر الله ، يُرَى كأنه هابط خاشع ، كما قال جرير :
لما أتى خبر الزبير تواضعت ... سور المدينة والجبال الخشّع
والرابع : أن الله أعطى بعض الجبال المعرفة ، فعقل طاعة الله ، فأطاعه ، كالذي رُوِيَ عن الجذع ، الذي كان يستند إليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما تحول عنه حَنَّ ، رُوِيَ عن النبي أنه قال : « إنَّ حَجَراً كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ في الجاهِلِيَّةِ إنِّي لأَعْرَفُهُ الآنَ » ويكون معنى الكلام ، إنَّ من الجبال ما لو نزل عليه القرآن ، لهبط من خشية الله تذللاً وخضوعاً .

(63/1)

أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (76) أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (77)

قوله تعالى : { . . . وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُم يَسْمَعُون كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ } في ذلك قولان :
أحدهما : أنهم علماء اليهود والذين يحرفونه التوراة فيجعلون الحلال حراماً والحرام حلالاً ابتاعاً لأهوائهم وإعانة لراشيهم وهذا قول مجاهد والسدي .
والثاني : أنهم الذين اختارهم موسى من قومه ، فسمعوا كلام الله فلم يمتثلوا أمره وحرفوا القول في إخبارهم لقومهم ، وهذا قول الربيع بن أنس وابن إسحاق .
وفي كلام الله الذي يسمعونه قولان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدهما : أنها التوراة التي عَلِمَها علماء اليهود .

والثاني : الوحي الذي كانوا يسمعونه كما تسمعه الأنبياء .

وفي قوله تعالى : { مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلَوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } وجهان :

أحدهما : من بعد ما سمعوه ، وهم يعلمون أنهم يحرفونه .

والثاني : من بعد ما عقلوه ، وهم يعلمون ، ما في تحريفه من العقاب .

قوله تعالى : { وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ } فيهم قولان :

أحدهما : أنهم اليهود ، إذا خلوا مع المنافقين ، قال لهم المنافقون : أتحدثون المسلمين ، بما فتح الله عليكم . والثاني : أنهم اليهود ، قال بعضهم لبعض : { أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيكُم } وفيه أربعة أقاويل :

أحدها : بما فتح الله عليكم ، أي مما أذكركم الله به ، رواه الضحاك عن ابن عباس .

والثاني : بما أنزل الله عليكم في التوراة ، من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبعثه ، { لِيُحَآجُّوكم بَهِ عِنْدَ رَبِّكُم } رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وهو قول أبي العالية وقتادة .

والثالث : أنهم أرادوا قول يهود بني قريظة ، حين شبههم النبي صلى الله عليه وسلم ، بأنهم إخوة القردة ، فقالوا : من حدثك بهذا؟ وذلك حين أرسل إليهم ، علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وهذا قول مجاهد .

والرابع : أن ناساً من اليهود أسلموا ، ثم نافقوا فكانوا يحدثون المسلمين من العرب ، بما عُذِّبَ به (آباؤهم) ، فقال بعضهم لبعض ، أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ، وهذا قول السدي .

وفي { فتح الله } وجهان :

أحدهما : بما علمكم الله .

والثاني : بما قضاه الله ، والفتح عند العرب القضاء والحكم ، ومنه قول الشاعر :

ألا أبلغ بني عُصمُ رسولاً ... بأني عن فِتاحِكُم غنيُّ

ويُقَالُ للقاضي : الفتّاح ، ومنه قوله تعالى : { رَبَّنَا افْتَح بَيْنَنَا وَبَينَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ } [الأعراف : 89] .

قوله تعالى : { لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِنْدَ رَبِّكُم } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : { لِيُحَاجُّوكم بِهِ عِنْدَ رَبِّكم } ، فَحُذِفَ ذكُر الكتاب إيجازاً .

والثاني : { لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِنْدَ رَبِّكُم } فتظهر له الحُجَّة عليكم ، فيكونوا أولى بالله منكم ، وهذا قول الحسن .

والثالث : { لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِنْدَ رَبِّكُم } يوم القيامة ، كما قال تعالى : { ثُمَّ إِنَّكُم يَومَ القِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُم تَخْتَصِمُونَ } [الزمر : 31] .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (78) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (79)

قوله تعالى : { وَمِنْهُم أُمِّيُّونَ } فيه قولان :

أحدهما : أن الأُمّي : الذي لا يكتب ولا يقرأ ، وهو قول مجاهد وأظهرُ تأويله .

والثاني : أنَّ الأُمّيين : قوم لم يصدقوا رسولاً أرسله الله ، ولا كتاباً أنزله الله ، وكتبوا كتاباً بأيديهم ، وقال الجهال لقومهم : هذا من عند الله ، وهذا قول ابن عباس .

وفي تسمية الذي لا يكتب بالأمي قولان :

أحدها : أنه مأخوذ من الأمة ، أي على أصل ما عليه الأمّة ، لأنه باق على خلقته من أنه لا يكتب ، ومنه قول الأعشى :

وإنّ معاويةَ الأكرمين ... حسانُ الوجوه طوال الأمَمْ

والثاني : أنه مأخوذ من الأُم ، وفي أخذه من الأم تأويلان :

أحدهما : أنه مأخوذ منها ، لأنه على ما ولدته أُمُّهُ من أنه لا يكتب .

والثاني : أنه نُسِبَ إلى أُمّهِ ، لأن الكتاب في الرجال دون النساء ، فنسب من لا يكتب من الرجال إلى أمه ، لجهلها بالكتاب دونه أبيه .

وفي قوله تعالى : { لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ } أربعة تأويلات :

أحدها : إِلاَّ أَمَانِيَّ : يعني : إلا كذباً ، قاله ابن عباس ومجاهد ، قال الشاعر :

ولكنما ذاك الذي كان منكما ... أمانّي ما لاقت سماء ولا أرضا

والثاني : إِلاَّ أَمَانِيَّ ، يعني ، أنهم يَتَمَنَّونَ على الله ما ليس لهم ، قاله قتادة .

والثالث : إِلاَّ أَمَانِيَّ ، يعني [إلا أماني يعني إلا تلاوة من غير فهم قاله الفراء والكسائي ومنه قوله تعالى : { إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ في أمنيِّتِهِ } [سورة الحج : 52] يعني ألقى الشيطانُ في أُمنيِّتِه ، وقال كعب بن مالك :

تمنّى كتاب الله أول ليلهِ ... وآخرَه لاقي حمام المقادر

والرابع : أنَّ الأَمَانِيَّ : التقدير ، حكاه ابن بحر وأنشد قول الشاعر :

ولا تقولَنْ لشيء سوف أفعله ... حتى تَبَيّنَ ما يمني لك الماني

(وإلا) : في هذا الموضع بمعنى (لكن) وهو عندهم من الاستثناء المنقطع ومنه قوله تعالى : { مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ } [النساء : 157] قال النابغة :

حلفت يميناً غير ذي مثنوية ... ولا علم إلا حسن ظن بصاحب

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ وَإِنْ هُم إِلاَّ يَظُنُّونَ } فيه وجهان :

أحدهما : يكذبون ، قاله مجاهد .

والثاني : يحدثون ، قاله البصريون .

قوله تعالى : { فَوَيلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِم } في الويل ستة أقاويل :

أحدها : أنه العذاب ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنه التقبيح ، وهو قول الأصمعي . ومنه قوله تعالى : { وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ } [الأنبياء : 18] . وقال الشاعر :

كسا اللؤم سهما خضرة في جلودها ... فويل لسهم من سرابيلها الخُضْرِ

والثالث : أنه الحزن ، قاله المفضل .

والرابع : أنه الخزي والهوان .

والخامس : أن الويل وادٍ في جهنم ، وهذا قول أبي سعيد الخدري .

والسادس : أنه جبل في النار ، وهو قول عثمان بن عفان .

{ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِم } أي يغيرون ما في الكتاب من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته .

وفي قوله تعالى : { بِأَيْدِيهِم } تأويلان :

أحدهما : أنه أراد بذلك تحقيق الإضافة ، وإن كانت الكتابة لا تكون إلا باليد ، كقوله تعالى : { لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيّ } .

والثاني : أن معنى { بِأَيْدِيهِم } أي من تلقاء أنفسهم ، قاله ابن السراج .

وفي قوله تعالى : { لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنَاً قَلِيلاً } تأويلان :

أحدهما : ليأخذوا به عرض الدنيا ، لأنه قليل المدة ، كما قال تعالى : { قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ } وهذا قول أبي العالية .

والثاني : أنه قليل لأنه حرام .

{ وَوَيلٌ لَّهُم مِمَّا يَكْسِبُونَ } فيه وجهان :

أحدهما : من تحريف كتبهم .

والثاني : من أيام معاصيهم .

(65/1)

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (80)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله تعالى : { وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً } والفرق بين اللمس والمس ، أن مع اللمس إحساساً .

وفي الأيام المعدودة قولان :

أحدهما : أنها أربعون يوماً ، وهذا قول قتادة ، والسدي ، وعكرمة ، وأبي العالية ، ورواه الضحاك عن ابن عباس ، ومن قال بهذا اختلفوا في تقديرهم لها بالأربعين :

فقال بعضهم : لأنها عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل .

وقال ابن عباس : أن اليهود يزعمون أنهم ، وجدوا في التوراة مكتوباً ، أن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة ، وهم يقطعون مسيرة كل سنة في يوم ، فإذا انقطع المسير انقضى العذاب ، وهلكت النار ، وهذا قول من قدر « المعدودة » بالأربعين .

والقول الثاني : أن المعدودة التي تمسهم فيها النار سبعة أيام ، لأنهم زعموا ، أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة ، وأنهم يُعَذَّبُون عن كل ألف سنة يوماً ، وهذا قول مجاهد ، ورواية سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

(66/1)

بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (81) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (82)

قوله تعالى : { بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً } . أما (بلى) ، فجوات النفي ، وأما (نعم) فجواب الإيجاب ، قال الفراء : إذا قال الرجل لصاحبه : ما لك عَليَّ شيء ، فقال الآخر : نعم ، كان ذلك تصديقاً أن لا شيء عليه ، ولو قال بَلَى : كان رداً لقوله ، وتقديره : بَلَى لِيَ عليك .

وقوله : { مَن كَسَبَ سَيِّئَةً } اختلفوا في السيئة ها هنا ، على قولين :

أحدهما : أنها الشرك ، وهذا قول مجاهد .

والثاني : أنها الذنوب التي وعد الله تعالى عليها النار ، وهذا قول السدي .

وقوله تعالى : { وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ } فيه تأويلان :

أحدهما : أنه مات عليها ، وهذا قول ابن جبير .

والثاني : أنها سَدَّتْ عليه المسالك ، وهذا قول ابن السراج .

(67/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (83)

قوله تعالى : { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ } يعني في التوراة بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم . ويقال الميثاق الأول (حين أُخرِجوا) من صلب آدم .

{ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً } فمن قرأ حَسَناً ، يعني قولاً صدقاً في بعث محمد صلى الله عليه وسلم ، وبالرفع ، أي قولوا لجميع الناس حسناً ، يعني خالقوا الناس بِخُلُقٍ حسن .

(68/1)

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (84) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (86)

قوله تعالى : { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُ مِّن دِيَارِكُمْ } أما النفس فمأخوذة من النفاسة ، وهي الجلالة ، فنفس الإنسان أنفس ما فيه ، وأما الديار فالمنزل ، الذي فيه أبنية المقام ، بخلاف منزل الارتحال ، وقال الخليل : كل موضع حَلَّهُ قوم ، فهو دار لهم ، وإن لم يكن فيه أبنية .

فإن قيل : فهل يسفك أحد دمه ، ويخرج نفسه من داره؟ ففيه قولان :

أحدهما : معناه لا يقتل بعضكم بعضاً ، ولا يخرجه من داره ، وهذا قول قتادة ، وأبي العالية .

والثاني : أنه القصاص الذي يقتص منهم بمن قتلوه .

وفيه قول ثالث : أن قوله « أنفسكم » أي إخوانكم فهو كنفس واحدة .

قوله تعالى : { تَظَاهَرُونَ عَلَيهِم بِالإِثْمِ وَالعُدْوَانِ } يعني تتعاونون ، والإثم هو الفعل الذي يستحق عليه الذم ، وفي العدوان قولان :

أحدهما : أنه مجاوزة الحق .

والثاني : أنه في الإفراط في الظلم .

{ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ } وقرأ حمزة { أَسْرَى } . وفي الفرق بين أَسْرَى وأُسَارَى قولان :

أحدهما : أن أَسْرَى جمع أسير ، وأُسَارَى جمع أَسْرَى .

This file was downloaded from QuranicThought.com

والثاني : أن الأَسْرى الذين في اليد وإنْ لم يكونوا في وَثَاق ، وهذا قول أبي عمرو بن العلاء ، والأُسارَى : الذين في وَثَاق .

(69/1)

وَلَقَدْ آَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (87)

قوله تعالى : { وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ } يعني التوراة .

{ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ } والتَّقْفِيَةُ : الإتْباع ، ومعناه : وأَتْبَعْنَا ، يقال اسْتَقْفَيْتُهُ إذَا جئت من خلفه ، وسميت قافية الشعر قافية لأنها خلفه .

{ وَءَاتينا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ } وفيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن البينات الحجج .

والثاني : أنها الإنجيل .

والثالث : وهو قول ابن عباس ، أن البينات التي أوتيها عيسى إحياء الموتى ، وخلقه من الطين كهيئة الطير ، فيكون طيراً بإذن الله ، وإبراء الأسْقَام .

{ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ القُدْسِ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن روح القدس الاسم الذي يحيي به عيسى الموتى ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أنه الإنجيل ، سماه روحاً ، كما سمى الله القرآن روحاً في قوله تعالى : { وَكَذَلِكَ أَوحَينَا إِلَيكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا } .

والثالث : وهو الأظهر ، أنه جبريل عليه السلام ، وهذا قول الحسن وقتادة ، والربيع ، والسدي ، والضحاك .

واختلفوا في تسمية جبريل بروح القدس ، على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه سُمِّيَ رُوحاً ، لأنَّه بمنزلة الأرواح للأبدان ، يحيي بما يأتي به من البينات من الله عز وجل .

والثاني : أنه سمي روحاً ، لأن الغالب على جسمه الروحانية ، لرقته ، وكذلك سائر الملائكة ، وإنما يختص به جبريل تشريفاً .

والثالث : أنه سمي روحاً ، لأنه كان بتكوين الله تعالى له روحاً من عنده من غير ولادة .

والقُدُس فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : هو الله تعالى ، ولذلك سُمِّي عيسى عليه السلام روح القدس ، لأن الله تعالى كوَّنه من غير

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أب ، وهذا قول الحسن والربيع وابن زيد . قال ابن زيد : القدس والقدوس واحد .
والثاني : هو الظهر ، كأنه دل به على التطهر من الذنوب .
والثالث : أن القدس البركة ، وهو قول السدي .

(70/1)

وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ (88)

قوله تعالى : { وَقَالُواْ : قُلُوبُنَا غُلْفٌ } فيه تأويلات :
أحدهما : يعني في أَغْطِيَةٍ وَأَكِنَّةٍ لا تفقه ، وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد وقتادة ، والسدي .
والثاني : يعني أوعية للعلم ، وهذا قول عطية ، ورواية الضحاك عن ابن عباس .
{ بَل لَّعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ } وَاللَّعن : الطرد والإبعاد ، ومنه قول الشماخ :
ذعرتُ به القطا ونفيتُ عنه ... مقام الذئب كالرجل اللعين
ووجه الكلام : مقام الذئب اللعين كالرجل .
في قوله تعالى : { فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ } تأويلان :
أحدهما : معناه فقليل منهم من يؤمن ، وهذا قول قتادة ، لأن مَن آمن من أهل الشرك أكثر ممن آمن مِنْ أهل الكتاب .
والثاني : معناه فلا يؤمنون إلا بقليل مما في أيديهم ، وهو مروي عن قتادة . ومعنى { مَا } هنا الصلة للتوكيد كما قال مهلهل :
لو بأبانين جاء يخطبها ... خُضِّبَ ما أنف خاضب بدم

(71/1)

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (89)

قوله تعالى : { وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللهِ } يعني القرآن { مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ } فيه تأويلان :
أحدهما : مصدق لما في التوراة والإنجيل من الأخبار التي فيهما .
والثاني : مصدق بأن التوراة والإنجيل من عند الله عز وجل .
{ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا } يعني يستنصرون ، قال ابن عباس : إن اليهود كانوا

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يستنصرون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ، فلما بعثه الله تعالى من العرب كفروا به ، فقال لهم معاذ بن جبل ، وبشر بن البراء بن معرور : أو ما كنتم تخبروننا أنه مبعوث؟ فقال سلام بن مشكم : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كنا نذكر لكم ، فأنزل الله تعالى ذلك .

(72/1)

بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (90)

قوله تعالى : { بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ } اشتروا بمعنى باعوا .
{ أن يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْياً } يعني حسداً ، هكذا قال قتادة والسدي ، وأبو العالية ، وهم اليهود .
والبغي شدة الطلب للتطاول ، وأصله الطلب ، ولذلك سميت الزانية بَغِياً ، لأنها تطلب الزنى .
وفي قوله تعالى : { فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ } ثلاثة أقاويل :
أحدها : أن الغضب الأول لكفرهم بعيسى ، والغضب الثاني لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا قول الحسن ، وعكرمة ، والشعبي ، وقتادة ، وأبي العالية .
والثاني : أنه ما تقدم من كفرهم في قولهم عُزير ابن الله ، وقولهم يد الله مغلولة ، وتبديلهم كتاب الله ، ثم كفرهم بمحمد .
والثالث : أنه لما كان الغضب لازماً لهم كان ذلك توكيداً .
{ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ } المهين : المذل . والعذاب على ضربين :
فالمهين منها عذاب الكافرين لأنه لا يمحص عنهم ذنوبهم .
والثاني : غير مهين وهو ما كان فيه تمحيص عن صاحبه ، كقطع يد السارق من المسلمين ، وحد الزاني .

(73/1)

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (91) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (92)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
وقوله تعالى : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ } يعني القرآن .
{ قَالُواْ : نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا } يعني التوراة .
{ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ } يعني بما بعده .
{ وَهُوَ الْحَقُّ } يعني القرآن .
{ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ } يعني التوراة ، لأن كتب الله تعالى يصدق بعضها بعضاً .
{ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِن قَبْلُ } معناه فلم قتلتم ، فعبر عن الفعل الماضي بالمستقبل ، وهذا يجوز ، فيما كان بمنزلة الصفة ، كقوله تعالى : { وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ } أي ما تلت ، وقال الشاعر :
وإني لآتيكم بشكر ما مضى ... من الأمر واستحباب ما كان في غد
يعني ما يكون في غد ، وقيل معناه : فلم ترضون بقتل أنبياء الله ، إن كنتم مؤمنين؟

(74/1)

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آَتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (93)

قوله تعالى : { . . . خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ } يعني بجد واجتهاد .
{ وَاسْمَعُواْ } فيه تأويلان :
أحدهما : يعني فاعملوا بما سمعتم .
الثاني : أي اقبلوا ما سمعتم ، كما قيل سمع الله لمن حمده ، أي قبل الله حمده ، وقال الراجز :
السمعُ والطاعة والتسليم ... خير وأعفى لبني تميم
{ قَالُوا : سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا } فيه تأويلان :
أحدهما : أنهم قالوا ذلك حقيقة ، ومعناه سمعنا قولك وعصينا أمرك .
والثاني : أنهم لم يقولوه ولكن فعلوا ما دل عليه ، فقام الفعل منهم مقام القول كما قال الشاعر :
امتلأ الحوض وقال قَطْني ... مهلاً رويداً قد ملأت بطني
{ وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ العِجْلَ بِكُفْرِهِمْ } فيه تأويلان :
أحدهما : أن موسى برد العجل وذرّاه في الماء ، فكان لا يشربه أحد يحب العجل إلا ظهرت نخالة الذهب على شفتيه ، وهذا قول السدي ، وابن جريج .
والثاني : أنهم أُشربوا حب العجل في قلوبهم ، يقال أُشرِبَ قلبه حبَّ كذا ، قال زهير :
فصحوتُ عنها بعد حبٍّ داخل ... والحبُّ تُشربه فؤادَك : داء

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآَخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (94) وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (95) وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (96)

قوله تعالى : { قُلْ : إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْاْ الموت إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } يعني اليهود تزعم أن الجنة خالصة لهم من دون الناس ، وفيه قولان :

أحدهما : من دون الناس كلهم .

والثاني : من دون محمد وأصحابه الذين آمنوا به ، وهذا قول ابن عباس .

فقيل : { فَتَمَنَّوْاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } لأنه من اعتقد أنه من أهل الجنة ، كان الموت أحب إليه من الحياة ، لما يصير إليه من نعم الجنة ، ويزول عنه من أذى الدنيا ، ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لَو أَنَّ اليَهُودَ تَمَنَّوْا المَوتَ لَمَاتُوا وَرَأَوْا مَقَامَهُم مِنَ النَّارِ » . ثم قال تعالى : { وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ } تحقيقاً لكذبهم ، وفي تركهم إظهار التمني قولان :

أحدهما : أنهم علموا أنهم لو تمنوا الموت لماتوا ، كما قاله النبي صلى الله عليه وسلم ، فلذلك لم يتمنوه وهذا قول ابن عباس .

الثاني : أن الله صرفهم عن إظهار التمني ، ليجعل ذلك آية لنبيه صلى الله عليه وسلم .

ثم قال تعالى : { وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ } يعني اليهود .

{ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا } يعني المجوس ، لأن المجوس هم الذين { يَودُّ أَحَدُهُمْ لو يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ } ، كان قد بلغ من حبهم في الحياة أن جعلوا تحيتهم (عش ألف سنة) حرصاً على الحياة ، فهؤلاء الذين يقولون : أن لهم الجنة خالصة أحب في الحياة من جميع الناس ومن هؤلاء . { وَمَا هُو بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ } أي بمباعده من العذاب { أَن يُعَمَّرُ } لأنه لو عمَّر ما تمنى ، لما دفعه طول العمر من عذاب الله على معاصيه .

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (97) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (98)

This file was downloaded from QuranicThought.com

قوله تعالى : { قُلْ مَن كَانَ عَدُوّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ } وسبب نزول هذه الآية ، أن ابن صوريا وجملة من يهود (فدك) ، لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة سألوه ، فقالوا : يا محمد كيف نومك؟ فإنه قد أخبرنا عن نوم النبي الذي يأتي في آخر الزمان ، فقال : « تَنَامُ عَيْنَايَ وَقَلْبِي يَقْظَانُ » قالوا : صدقت يا محمد ، فأخبرنا عن الولد يكون من الرجل أو المرأة؟ فقال : « أَمَّا العِظَامُ وَالعَصَبُ وَالعُرُوقُ فَمِنَ الرَّجُلِ ، وَأَمَّا اللَّحْمُ وَالدَّمُ وَالظُّفْر وَالشَّعْر فَمِنَ المَرْأَةِ » قالوا : صدقت يا محمد ، فما بال الولد يشبه أعمامه ، ليس فيه من شبه أخواله شيء ، أو يشبه أخواله ، ليس فيه من شبه أعمامه شيء؟ فقال : « أيهما علا ماؤه كان الشبه له » قالوا : صدقت يا محمد ، فأخبرنا عن ربك ما هو؟ فأنزل الله تعالى : قال { هُوَ اللهُ أَحَدٌ } [الإخلاص الآية : 1] إلى آخر السورة ، قال له ابن صوريا : خصلة إن قلتها آمنتُ بك واتبعتُك ، أي ملك يأتيك بما يقول الله؟ قال : « جبريل » ، قال : ذاك عدونا ، ينزل بالقتال والشدة والحرب ، وميكائيل ينزل بالبشر والرخاء ، فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك آمنا بك ، فقال : عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند ذلك : فإني أشهد أن من كان عدّواً لجبريل ، فإنه عدو لميكائيل ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، فأما جبريل وميكائيل فهما اسمان ، أحدهما عبد الله والآخر عبيد الله ، لأن إيل هو الله وجبر هو عبد ، وميكا هو عبيد ، فكان جبريل عبد الله ، وميكائيل عبيد الله ، وهذا قول ابن عباس ، وليس له من المفسرين مخالف .

فإن قيل : فلم قال : { مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ } وقد دخل جبريل وميكائيل في عموم الملائكة فلِمَ خصهما بالذكر؟ فعنه جوابان :

أحدهما : أنهما خُصَّا بالذكر تشريفاً لهما وتمييزاً .

والثاني : أن اليهود لما قالوا جبريل عدوّنا ، وميكائيل ولينا ، خُصَّا بالذكر ، لأن اليهود تزعم أنهم ليسوا بأعداء لله وملائكته ، لأن جبريل وميكائيل مخصوصان من جملة الملائكة ، فنص عليهما لإبطال ما يتأولونه من التخصيص ، ثم قال تعالى : { فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ } ، ولم يقل لهم ، لأنه قد يجوز أن ينتقلوا عن العداوة بالإيمان .

(77/1)

وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آَيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (99) أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (100) وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (101) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (102) وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (103)

قوله عز وجل : { وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ } اختلف أهل التفسير في سبب ذلك ، على قولين :

أحدهما : أن الشياطين كانوا يسترقون السمع ويستخرجون السحر ، فَأَطْلَعَ الله سليمان ابن داود عليه ، فاستخرجه من أيديهم ، ودفنه تحت كرسيه ، فلم تكن الجن تقدر على أن تدنو من الكرسي ، فقالت الإنس بعد موت سليمان : إن العلم الذي كان سليمان يُسَخِّر به الشياطين والرياح هو تحت كرسيه ، فاستخرجوه وقالوا : كان ساحراً ولم يكن نبياً ، فتعلموه وعلّموه ، فأنزل الله تعالى براءة سليمان بهذه الآية .

والثاني : أن « آصف بن برخيا » وهو كاتب سليمان وَاطَأَ نَفَراً من الشياطين على كتاب كتبوه سحراً ودفنوه تحت كرسي سليمان ، ثم استخرجوه بعد موته وقالوا هذا سحر سليمان ، فبرأه الله تعالى من قولهم ، فقال : { وَمَا كَفَرَ سُلَيمَانُ } ، وهم ما نسبوه إلى الكفر ، ولكنهم نسبوه إلى السحر ، لكن لما كان السحر كفراً صاروا بمنزلة من نسبه إلى الكفر .

قال تعالى : { وَلَكْنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا } فيه قولان :

أحدهما : أنهم كفروا بما نسبوه إلى سليمان من السحر .

والثاني : أنهم كفروا بما استخرجوه من السحر .

{ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ } فيه وجهان :

أحدهما : أنهم ألقوه في قلوبهم فتعلموه .

والثاني : أنهم دلوهم على إخراجه من تحت الكرسي فتعلموه .

{ وَمَا أُنزِلَ عَلَى المَلَكَينِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ } وفي { مَا } ها هنا وجهان :

أحدهما : بمعنى الذي ، وتقديره الذي أنزل على الملكين .

والثاني : أنها بمعنى النفي ، وتقديره : ولم ينزل على الملكين .

وفي الملكين قراءتان : إحداهما : بكسر اللام ، كانا من ملوك بابل وعلوجها هاروت وماروت ، وهذا قول أبي الأسود الدؤلي ، والقراءة الثانية : بفتح اللام من الملائكة . وفيه قولان :

أحدهما : أن سحرة اليهود زعموا ، أن الله تعالى أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود ، فأكذبهم الله بذلك ، وفي الكلام تقديم وتأخير ، وتقديره : وما كفر سليمان ، وما أنزل على الملكين ، ولكن الشياطين كفروا ، يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت ، وهما رجلان ببابل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثاني : أن هاروت وماروت مَلَكان ، أَهْبَطَهُما الله عز وجل إلى الأرض ، وسبب ذلك ، أن الله تعالى لما أطلع الملائكة على معاصي بني آدم ، عجبوا من معصيتهم له مع كثرة أَنْعُمِهِ عليهم ، فقال الله تعالى لهم : أما أنكم لو كنتم مكانهم لعملتم مثل أعمالهم ، فقالوا : سبحانك ما ينبغي لنا ، فأمرهم الله أن يختاروا ملكين ليهبطا إلى الأرض ، فاختاروا هاروت وماروت فأُهْبِطَا إلى الأرض ، وأحل لهما كل شيء ، على ألا يُشْرِكا بالله شيئاً ، ولا يسرقا ، ولا يزنيا ، ولا يشربا الخمر ، ولا يقتلا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، فعرضت لهما امرأة وكان يحكمان بين الناس تُخَاصِمُ زوجها واسمها بالعربية : الزهرة ، وبالفارسية : فندرخت ، فوقعت في أنفسهما ، فطلباها ، فامتنعت عليهما إلا أن يعبدا صنماً ويشربا الخمر ، فشربا الخمر ، وعبدا الصنم ، وواقعاها ، وقتلا سابلاً مر بهما خافا أن يشهر أمرهما ، وعلّماها الكلام الذي إذا تكلم به المتكلم عرج إلى السماء ، فتكلمت وعرجت ، ثم نسيت ما إذا تكلمت به نزلت فمسخت كوكبا ، قال : كعب فوالله ما أمسيا من يومهما الذي هبطا فيه ، حتى استكملا جميع ما نهيا عنه ، فتعجب الملائكة من ذلك . ثم لم يقدر هاروت وماروت على الصعود إلى السماء ، فكانا يعلّمان السحر .

(78/1)

وذكر عن الربيع أن نزولهما كان في زمان (إدريس) .

وأما السحر فقد اختلف الناس في معناه :

فقال قوم : يقدر الساحر أن يقلب الأعيان بسحره ، فيحول الإنسان حماراً ، وينشئ أعياناً وأجساماً .

وقال آخرون : السحر خِدَع وَمَعَانٍ يفعلها الساحر ، فيخيل إليه أنه بخلاف ما هو ، كالذي يرى السراب من بعيد ، فيخيل إليه أنه ماء ، وكواكب السفينة السائرة سيراً حثيثاً ، يخيل إليه أن ما عاين من الأشجار والجبال سائرة معه .

وقد روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : سَحَرَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يهوديٌ من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم ، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخيّل إليه أنه يفعل الشيءَ وما فعله .

قالوا : ولو كان في وسع الساحر إنشاء الأجسام وقلب الأعيان عما هي به من الهيئات ، لم يكن بين الباطل والحق فصل ، ولجاز أن يكون جميع الأجسام مما سحرته السحرة ، فقلبت أعيانها ، وقد وصف الله تعالى سحرة فرعون { . . . فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِم أَنَّهَا تَسْعَى } .

وقال آخرون : وهو قول الشافعي إن الساحر قد يوسوس بسحره فيمرض وربما قتل ، لأن التخيل بدء الوسوسة ، والوسوسة بدء المرض ، والمرض بدء التلف .

فأما أرض { ببابل } ففيها ثلاثة أقاويل :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدها : أنها الكوفة وسوادها ، وسميت بذلك حيث تبلبلت الألسن بها وهذا قول ابن مسعود .

والثاني : أنها من نصيبين إلى رأس عين ، وهذا قول قتادة .

والثالث : أنها جبل نهاوند . وهي [فطر] من الأرض .

{ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ : إِنَّمَا نَحنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُر } بما تتعلمه من سحرنا .

{ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ } في المراد بقوله « منهما » ثلاثة أوجه :

أحدها : يعني من هاروت وماروت .

والثاني : من السحر والكفر .

والثالث : من الشيطان والملكين ، فيتعلمون من الشياطين السحر ، ومن الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه .

{ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ } يعني السحر .

{ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ } فيه تأويلان :

أحدهما : يعني بأمر الله .

والثاني : بعلم الله .

{ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ } يعني ما يضرهم في الآخرة ، ولا ينفعهم في الدنيا .

{ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ } يعني السحر الذي يفرقون به بين المرء وزوجه .

{ مَا لَهُ فِي الأَخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن الخلاق النصيب ، وهو قول مجاهد والسدي .

والثاني : أن الخلاق الجهة ، وهو قول قتادة .

والثالث : أن الخلاق الدين ، وهو قول الحسن .

قوله عز وجل : { وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُم لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } فيه تأويلان :

أحدهما : يعني ولبئس ما باعوا به أنفسهم من السحر والكفر في تعليمه وفعله .

والثاني : من إضافتهم السحر إلى سليمان ، وتحريضهم على الكذب .

(79/1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104) مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (105)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قوله تعالى : { يأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا } فيه تأويلان :

أحدهما : معناه لا تقولوا . . . وهو قول عطاء .

والثاني : يعني ارعنا سمعك ، أي اسمع منا ونسمع منك ، وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد .

واختلفوا لِمَ نُهِي المسلمون عن ذلك؟ على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها كلمة كانت اليهود تقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه الاستهزاء والسب؛ كما قالوا سمعنا وعصينا ، واسمع غير مسمع ، وراعنا ليّاً بألسنتهم ، فَنُهِيَ المسلمون عن قولها ، وهذا قول ابن عباس وقتادة .

والثاني : أن القائل لها ، كان رجلاً من اليهود دون غيره ، يقال له رفاعة بن زيد ، فَنُهِيَ المسلمون عن ذلك ، وهذا قول السدي .

والثالث : أنها كلمة ، كانت الأنصار في الجاهلية تقولها ، فنهاهم الله في الإسلام عنها .

{ وَقُولُوا انظُرْنَا } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : معناه أَفْهِمْنَا وبين لنا ، وهذا قول مجاهد .

والثاني : معناه أَمْهِلْنا .

والثالث : معناه أَقْبِلْ علينا وانظر إلينا .

{ وَاسْمَعُوا } يعني ما تؤمرون به .

(80/1)

مَا نَنْسَخْ مِنْ آَيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (106) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (107)

قوله تعالى : { مَا نَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ } في (معنى) نسخها ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه قبضها ، وهو قول السدي .

والثاني : أنه تبديلها ، وهو قول ابن عباس .

والثالث : أنه إثبات خطها وتبديل حكمها ، وهو قول ابن مسعود .

{ أَوْ نُنسِهَا } فيه قراءتان :

أحدهما : هذه ، والثانية : { أو ننسأها } .

فمن قرأ : { أو ننسها } ففي تأويله أربعة أوجه :

أحدها : أنه بمعنى أو نمسكها ، وقد ذكر أنها كانت في مصحف عبد الله ابن مسعود : { ما نُمْسِكُ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نَنْسَخْهَا نَجِيءُ بِخَيرٍ مِنْهَا أَو مِثْلِهَا } وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يقرأ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الآية ، ثم يَنْسَى وَتُرْفَعُ ، وكان سعد بن أبي وقاص يقرأ : { مَا نَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ نَنَسَهَا } ، بمعنى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيكون تقديره أو تنسى أنت يا محمد ، وقال القاسم بن ربيعة لسعد بن أبي وقاص : فإن سعيد بن المسيب يقرأ : { أو ننسها } ، فقال سعد : إن القرآن لم ينزل على ابن المسيب ، ولا على آل المسيب قال الله تعالى : { سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى } [الأعلى : 6] { وَآذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ } [الكهف : 24] وهذا معنى قول مجاهد وقتادة .

والثاني : أن ذلك بمعنى الترك ، من قوله تعالى : { نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُم } ، أي تركوه فتركهم ، فيكون تقدير الكلام : { ما ننسخ من آية } يعني نَرفَعُها ونبدِّلُها ، { أو نُنْسِهَا } أي نتركها ولا نبدلها ولا ننسخها ، وهذا قول ابن عباس والسدي .

والثالث : أن قوله ما ننسخ من آية أو ننسها قال : الناسخ والمنسوخ ، وهذا قول الضحاك .

والرابع : أن معنى ننسها أي نَمْحُها ، وهذا قول ابن زيد .

وأما من قرأ : { أو نَنْسَأْهَا } فمعناه نؤخرها ، من قولهم نَسَأْتُ هذا الأمر ، إذا أخرته ، ومن ذلك قولهم : بعت بنسَاءٍ أي بتأخير ، وهذا قول عطاء وابن أبي نجيح .

{ نَأْتِ بِخَيرٍ مِّنْها أو مِثْلِهَا } فيه تأويلان :

أحدهما : أي خير لكم في المنفعة ، وأرفق بكم ، وهذا قول ابن عباس :

والثاني : أن معنى خير منها ، أي أخف منها ، بالترخيص فيها ، وهذا معنى قول قتادة . فيكون تأويل الآية ، ما نغير من حكم آية فنبدله ، أو نتركه فلا نبدله ، نأت بخير لكم أيها المؤمنون حكماً منها ، إما بالتخفيف في العاجل ، كالذي كان من نسخ قيام الليل تخفيفاً ، وإما بالنفع بكثرة الثواب في الآجل ، كالذي كان من نسخ صيام أيام معدودات بشهر رمضان .

وقوله تعالى : { أَوَ مِثْلِهَا } يعني مثل حكمها ، في الخفة والثقل والثواب والأجر ، كالذي كان من نسخ استقبال بيت المقدس ، باستقبال الكعبة ، وذلك مثله في المشقة والثواب { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } .

{ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ } فإن قيل : أو كان النبي صلى الله عليه وسلم غير عالم بأن الله على كل شيء قدير ، وأن الله له ملك السموات والأرض؟ قيل : عن هذا ثلاثة أجوبة :

أحدها : أن قوله ألم تعلم بمعنى أعلمت .

والثاني : أنه خارج مخرج التقرير ، لا مخرج الاستفهام . كما قال الله تعالى : { وَإِذْ قَالَ : اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَم أَنتَ قُلْتَ لِلْنَّاسِ : اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ } [المائدة : 116] خرج مخرج التقرير لا مخرج الاستفهام .

والثالث : أن هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد به أمته ، ألا تراه قال بعد ذلك : { وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ } .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (108) وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (109) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (110)

قوله تعالى : { وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يرُدَّونكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً } سبب نزولها ، ما رُوِيَ أن نفراً من اليهود ، منهم فنحاص ، وزيد بن قيس ، دعوا حذيفة وعمار إلى دينهما ، وقالوا نحن أهدى منكم سبيلاً ، فقال لهم عمار : وكيف نقض العهد عندكم؟ قالوا : شديد ، قال عمار : فإني عاهدت ربي ألا أكفر بمحمد أبداً ، ولا أتبع ديناً غير دينه ، فقالت اليهود : أما عمار فقد صبأ وضل عن سواء السبيل ، فكيف أنت يا حذيفة؟ فقال حذيفة : الله ربي ، ومحمد نبيي ، والقرآن إمامي ، أطيع ربي ، وأقتدي برسولي ، وأعمل بكتاب ربي . فقالا : وإلهِ موسى ، لقد أُشْرِبَتْ قلوبُكُما حبَّ محمد ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية .

{ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَق } يعني من بعد ما تبين لليهود ، أن محمداً نبي صادق ، وأن الإسلام دين حق .

{ فَاْعْفُوا وَاصْفَحُوا } يعني بقوله فاعفوا ، أي اتركوا اليهود ، واصفحوا عن قولهم { حَتَّى يَأْتِيَ الله بِأَمْرِهِ } يعني مَا أَذِنَ بِهِ في (بني قريظة) ، من القتل والسبي ، وفي (بني النضير) من الجلاء والنفي .

(82/1)

وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (111) بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (112) وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (113)

قوله عز وجل : { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ } أما المساجد فهي مواضع العبادات ، وفي المراد بها هنا قولان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : ما نسب إلى التعبد من بيوت الله تعالى استعمالاً لحقيقة الاسم .

والثاني : أنَّ كُلَّ موضع من الأرض ، أقيمت فيه عبادة من بيوت الله وغيرها مسجد ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « جُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مَسْجِداً » . وفي المانع مساجد الله أن يُذْكَرَ فيها اسمه ، أربعة أقاويل :

أحدها : أنه بُخْتَ نصر وأصحابه من المجوس الذين خربوا بيت المقدس ، وهذا قول قتادة .

والثاني : أنهم النصارى الذين أعانوا (بُخْتَ نَصّر) على خرابه ، وهذا قول السدي .

والثالث : أنهم مشركو قريش ، منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام عام الحديبية ، وهذا قول عبد الرحمن بن زيد .

والرابع : أنه عَامٌّ في كل مشرك ، منع من كل مسجد .

وفي قوله تعالى : { وَسَعَى في خَرَابِهَا } تأويلان :

أحدهما : بالمنع من ذكر الله فيها .

والثاني : بهدمها .

{ أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوها إلاَّ خَآئِفِينَ } فيه تأويلان :

أحدهما : خائفين بأداء الجزية ، وهذا قول السدي .

والثاني : خائفين من الرعب ، إن قُدر عليهم عوقبوا ، وهذا قول قتادة .

(83/1)

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (114)

{ لَهُمْ في الدُّنْيَا خِزْيٌ } فيه تأويلان :

أحدهما : أنه قتل الحربي وجزية الذمي .

والثاني : أنه فتح مدائنهم عمورية ، وقسطنطينية ، ورومية ، وهذا قول ابن عباس .

{ وَلَهُمْ في الأخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ } هو أشد من كل عذاب ، لأنهم أظلم من كل ظالم .

(84/1)

وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (115)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله تعالى : { وَاللهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ } اختلف أهل التأويل في تأويلها ، وسبب نزولها ، على سبعة أقاويل :

أحدها : أن سبب ذلك ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يستقبل بصلاته بيت المقدس بعد هجرته ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً ، حتى قالت اليهود : إن محمداً وأصحابه ، ما دروا أين قبلتهم حتى هديناهم ، فأمرهم الله تعالى باستقبال الكعبة ، فتكلمت اليهود ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أن هذه الآية نزلت قبل أن يفرض استقبال القبلة ، فأباح لهم أن يتوجهوا بصلاتهم حيث شاءوا من نواحي المشرق والمغرب ، وهذا قول قتادة وابن زيد .

والثالث : أنها نزلت في صلاة التطوع للسائر حيث توجه ، وللخائف حيث تمكن من مشرق أو مغرب ، وهذا قول ابن عمر ، روى سعيد بن جبير عنه أنه قال : لما نزلت هذه الآية { فَأَينَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ } أن تصلي أينما توجهت بك راحلتك في السفر تطوعاً ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رجع من مكة يصلي على راحلته تطوعاً ، يومئ برأسه نحو المدينة .

والرابع : أنها نزلت ، فيمن خفيت عليهم القبلة ، ولم يعرفوا جهتها ، فَصَلُّوا إلى جهات مختلفة . روى عاصم بن عبد الله ، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أبيه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة ، فنزلنا منزلاً ، فجعل الرجل يأخذ الأحجار ، فيعمل مسجداً يصلي فيه ، فلما أصبحنا إذا نحن قد صلينا إلى غير القبلة ، فقلنا : يا رسول الله لقد صلينا ليلتنا هذه إلى غير القبلة ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

والخامس : أنها نزلت في النجاشي ، وروى أبو قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ أَخَاكُم النَّجَاشِيّ قَدْ مَاتَ فَصَلُّوا عَلَيْهِ » قالوا نصلي على رجل ليس بمسلم ، قال فنزلت : { وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم خَاشِعِينَ لِلَّه } [سورة آل عمران الآية : 199] قالوا : فإنه كان لا يصلي إلى القبلة ، فأنزل الله تعالى : { وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالمغْرِبُ فَأينَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ } .

والسادس : أن سبب نزولها أن الله تعالى لما أنزل قوله : { ادعُوني أَسْتَجِبْ لَكُم } قالوا إلى أين؟ فنزلت : { فأَينَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ } [البقرة : 115] .

والسابع : أن معناه وحيثما كنتم من مشرق أو مغرب ، فلكم قبلة تستقبلونها ، يعني جهة إلى الكعبة ، وهذا قول مجاهد .

ويجيء من هذا الاختلاف في قوله : { فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ } تأويلان : أحدهما : معناه فثم قبلة الله .

والثاني : فثم الله تعالى ، ويكون الوجه عبارة عنه ، كما قال تعالى : { وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ } [الرحمن : 27] .

وأما { ثَمَّ } فهو لفظ يستعلم في الإشارة إلى مكان ، فإن كان قريباً قيل : (هنا زيد) ، وإن كان بعيداً قيل : (هناك زيد) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (116) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (117)

قوله تعالى : { وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً } فيه قولان :

أحدهما : أنهم النصارى في قولهم : المسيح ابن الله .

والثاني : أنهم مشركو العرب في قولهم : الملائكة بنات الله .

{ سُبْحَانَهُ ، بَل لَّهُ مَا في السَّمَواتِ والأَرْضِ } قوله : { سُبْحَانَهُ } تنزيهاً له من قولهم { اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً } .

قوله : { لَهُ مَا في السَّمَواتِ والأَرْضِ } أي خالق ما في السموات والأرض .

{ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أي مطيعون ، وهذا قول قتادة ، والسدي ، ومجاهد .

والثاني : أي مقرون له بالعبودية ، وهو قول عكرمة .

والثالث : أي قائمون ، يعني يوم القيامة ، وهذا قول الربيع ، والقانت في اللغة القائم ، ومنه القنوت في الصلاة ، لأنه الدعاء في القيام .

قوله تعالى : { بَدِيعُ السَّمَواتِ والأَرْضِ } يعني منشئها على غير حد ولا مثال ، وكل من أنشأ ما لم يسبق إليه ، يقال له مبدع ، ولذلك قيل لمن خالف في الدين : مبتدع ، لإحداثه ما لم يسبق إليه { وَإِذَا قَضَى أَمْراً } أي أحكمه وحتمه ، وأصله الإحكام والفراغ ، ومنه قيل للحاكم قاض ، لفصله الأمور وإحكامه بين الخصوم ، وقيل للميت قد قَضَى أي فرغ من الدنيا ، قال أبو ذؤيب :

وعليهما مسرودتان قضاهما ... داود أو صنع السوابغ تُبّع

معنى قضاهما أي أحكمهما . وقال الشاعر في عمر بن الخطاب :

قضيت أموراً ثم غادرت بعدها ... بوائج في أكمامها لم تفتق

{ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ } فإن قيل في أي حال يقول له كن فيكون؟ أفي حالة عدمه أم في حال وجوده؟ فإن كان في حال عدمه ، استحال أن يأمر إلا مأموراً ، كما يستحيل أن يكون الأمر إلا من آمر ، وإن كان في حال وجوده ، فتلك حال لا يجوز أن يأمر فيها بالوجود والحدوث ، لأنه موجود حادث؟ .

قيل : عن هذا السؤال أجوبة ثلاثة :

أحدها : أنه خبر من الله تعالى عن نفوذ أوامره في خلقه الموجود ، كما أمر في بني إسرائيل ، أن يكونوا قردة خاسئين ، ولا يكون هذا وارداً في إيجاد المعدومات .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني : أن الله عز وجل عالم ، بما هو كائن قبل كونه ، فكانت الأشياء التي لم تكن وهي كائنة بعلمه ، قبل كونها مشابهة للأشياء التي هي موجودة ، فجاز أن يقول لها كوني ، ويأمرها بالخروج من حال العدم إلى حال الوجود ، لتصور جميعها له ولعلمه بها في حال العدم .

والثالث : أن ذلك خبر من الله تعالى ، عامٌ عن جميع ما يُحْدِثُه ، ويكوّنه ، إذا أراد خلقه وإنشاءه كان ووجد من غير أن يكون هناك قول يقوله ، وإنما هو قضاء يريده ، فعبر عنه بالقول وإن لم يكن قولاً ، كقول أبي النجم :

قد قالت الأنساع للبطن الحق ... قدما فآضت كالغسق المحقق

ولا قول هناك ، وإنما أراد أن الظهر قد لحق بالبطن ، وكقوله عمرو بن حممة الدوسي .

فأصبحت مثل النسر طارت فراخه ... إذا رام تطياراً يقال له قَعِ

(86/1)

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (118)

قوله تعالى : { وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِيَنَآ ءَايَةٌ } فيهم ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم النصارى ، وهو قول مجاهد .

والثاني : أنهم اليهود ، وهو قول ابن عباس .

والثالث : أنهم مشركو العرب ، وهو قول قتادة والسدي . وقوله : { لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللهُ } يعني هَلاَّ يكلمنا الله ، كقول الأشهب بن رملية :

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم ... بني ضَوْطَرَى لولا الكمى المقنعا

بمعنى هل لا تعدون الكمى المقنعا .

{ كَذلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ } فيهم قولان :

أحدهما : أنهم اليهود ، وهو قول مجاهد .

والثاني : أنهم اليهود والنصارى ، وهو قول قتادة .

قوله تعالى : { تَشَابَهَتْ قُلُوْبُهُمْ } يعني في الكفر ، وفيه وجهان :

أحدهما : تشابهت قلوب اليهود لقلوب النصارى ، وهذا قول مجاهد .

والثاني : تشابهت قلوب مشركي العرب لقلوب اليهود والنصارى ، وهذا قول قتادة .

(87/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (119)

قوله تعالى : { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً } يعني محمداً أرسله بدين الحق .
{ بَشِيراً وَنَذِيراً } يعني بشيراً بالجنة لمن أطاع ، ونذيراً بالنار لمن عصى .
{ وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ } أي لا تكون مؤاخذاً بكفرةٍ من كفر بعد البشرى والإنذار ، وقرأ بعض أهل المدينة : ولا تَسَلْ عن أصحاب الجحيم ، بفتح التاء وجزم اللام ، وذكر أن سبب نزولها ، ما رواه موسى بن عبيد عن محمد بن كعب القرظي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَيْتَ شِعري مَا فَعَلَ أَبَوَاي » فأنزل الله تعالى : { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ } .

(88/1)

وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (120) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (121)

قوله تعالى : { الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حقَّ تِلاَوَتِهِ } فيه قولان :
أحدهما : أنهم المؤمنون برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والكتاب هو القرآن ، وهذا قول قتادة .
والثاني : أنهم علماء اليهود ، والكتاب هو التوراة ، وهذا قول عبد الرحمن بن زيد .
{ يتلونه حق تلاوته } فيه تأويلان :
أحدهما : يقرؤونه حق قراءة .
والثاني : يتبعونه حق اتباعه ، فيحللون حلاله ، ويحرمون حرامه ، وهذا قول الجمهور .
{ أولئك يؤمنون به } يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم ، لأن من قرأ أحد الكتابين ، آمن به ، لِمَا فيهما من وجوب اتباعه .

(89/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (122) وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (123) وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124)

قوله تعالى : { وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلماتٍ فأتمهن } فيه محذوف وتقديره : واذكر إذا ابتلى يعني اختبر ، وإبراهيم بالسريانية أب رحيم ، وفي الكلمات التي ابتلاه الله عز وجل بها ، ثمانية أقاويل :

أحدها : هي شرائع الإسلام ، قال ابن عباس : ما ابتلى الله أحداً بهن ، فقام بها كلها ، غير إبراهيم ، ابتلي بالإسلام فأتمه ، فكتب الله له البراءة فقال : { وإبراهيم الذي وَفَّى } [النجم : 37] قال : وهي ثلاثون سهماً :

عشرة منها في سورة براءة : { التائبون ، العابدون ، الحامدون ، السائحون ، الراكعون ، الساجدون } [التوبة : 112] .

وعشرة في الأحزاب : { إنَّ المُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ ، وَالصَادِقِين والصَادِقَاتِ ، وَالصَابِرِينَ وَالصَابِرَاتِ ، وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ ، وَالْمُتَصَدِّقِينَ ، وَالْمُتَصَدِّقَاتِ ، وَالصَائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ ، وَالْحَافِظِينَ فروجَهُمْ وَالْحافِظَاتِ ، وَالذَاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالْذَّاكِرَاتِ ، أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغفِرَةً وَأجْراً عَظِيماً } [الأحزاب : 35] .

وعشرة في سورة المؤمنين : { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤمِنُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِم خَاشِعُونَ ، وَالَّذِينَ هُم عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ، إلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِم أوْ مَا مَلَكَتْ أيمَانُهُم فَإنَّهُم غَيرُ مَلُومِينَ ، فَمن ابتغى وَرَاءَ ذلِكَ فَأولئِكَ هُمُ العَادُونَ ، وَالَّذِينَ هُمُ لأَمَانَاتِهِم وَعَهْدِهِم رَاعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ، أُولئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [المؤمنون : 1 - 11] وفي سورة سأل سائل من { إلا المُصَلِّينَ ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ } [المعارج : 23] ، إلى { وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِم يُحَافِظُونَ } [المعارج : 34] .

والقول الثاني : إنها خصال من سُنَنِ الإسلام ، خمس في الرأس ، وخمس في الجسد ، فروى ابن عباس في الرأس : قص الشارب ، والمضمضة ، والاستنشاق ، والسواك ، وفرق الرأس . وفي الجسد تقليم الأظفار ، وحلق العانة ، والختان ، ونتف الإبط ، وغسل أثر البول والغائط بالماء . وهذا قول قتادة .

والقول الثالث : إنها عشر خصال ، ست في الإنسان وأربع في المشاعر ، فالتي في الإنسان : حَلْقُ العانة ، والختان ، ونَتْفُ الإبط ، وتقليم الأظفار ، وقص الشارب ، والغُسل يوم الجمعة . والتي في المشاعر : الطواف ، والسعي بين الصفا والمروة ، ورمي الجمار ، والإفاضة . روى ذلك الحسن عن ابن عباس .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والقول الرابع : إن الله تعالى قال لإبراهيم : إني مبتليك يا إبراهيم ، قال : تجعلني للناس إماماً؟ قال نعم ، قال : ومن ذريتي؟ قال : لا ينال عهدي الظالمين ، قال : تجعل البيت مثابة للناس؟ قال : نعم ، قال : وأمناً؟ قال : نعم ، قال : وتجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك؟ قال : نعم ، قال : وأرنا مناسكنا وتب علينا؟ قال : نعم ، قال : وتجعل هذا البلد آمناً؟ قال : نعم ، قال : وترزق أهله من الثمرات من آمن؟ قال : نعم ، فهذه الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم ، وهذا قول مجاهد .

والخامس : أنها مناسك الحج خاصة ، وهذا قول قتادة .

والقول السادس : أنها الخلال الست : الكواكب ، والقمر ، والشمس ، والنار ، والهجرة ، والختان ، التي ابتلي بهن فصبر عليهن ، وهذا قول الحسن .

(90/1)

والقول السابع : ما رواه سهل بن معاذ بن أنس عن أمه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله الذي وفّى؟ لأنه كان يقول كلما أصبح وكلما أمسى : سبحان الله حين تُمْسُونَ وحينَ تُصْبِحُونَ ، وله الحمْدُ في السّموَاتِ والأرْضِ وعَشِيّاً وحين تُظْهِرُونَ » . والقول الثامن ، ما رواه القاسم بن محمد ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى } قَالَ : أَتَدْرُونَ مَا وَفَّى؟ قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : وَفّى عَمَلَ يَوْمٍ بِأَرْبَعِ رَكْعَاتٍ فِي النَّهَارِ »

{ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً } أي مقصوداً متبوعاً ، ومنه إمام المصلين ، وهو المتبوع في الصلاة .

{ قال ومن ذريتي } فاحتمل ذلك وجهين :

أحدهما : أنه طمع في الإمامة لذريته ، فسأل الله تعالى ذلك لهم .

والثاني : أنه قال ذلك استخباراً عن حالهم ، هل يكونون أهل طاعة فيصيروا أئمة؟ فأخبره الله تعالى أن فيهم عاصياً وظالماً ، لا يستحق الإمامة ، فقال : { لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ } .

وفي هذا العهد ، سبعة تأويلات :

أحدها : أنه النبوة ، وهو قول السدي .

والثاني : أنه الإمامة ، وهو قول مجاهد .

والثالث : أنه الإيمان ، وهو قول قتادة .

والرابع : أنه الرحمة ، وهو قول عطاء .

والخامس : أنه دين الله وهو قول الضحاك .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والسادس : أنه الجزاء والثواب .

والسابع : أنه لا عهد عليك لظالم أنه تطيعه في ظلمة ، وهو قول ابن عباس .

(91/1)

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (126) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128)

قوله تعالى : { وَإِذْ جَعَلْنَا مَثَابَةً لِلنَّاسِ } فيه قولان :

أحدهما : مجمعاً لاجتماع الناس عليه في الحج والعمرة .

والثاني : مرجعاً من قولهم قد ثابت العلة إذا رجعت . وقال الشاعر :

مثاباً لأفناءِ القبائل كلها ... تحب إليها اليعملات الذوامل

وفي رجوعهم إليه وجهان :

أحدهما : أنهم يرجعون إليه المرة بعد المرة .

والثاني : أنهم في كل واحد من نُسُكَيَ الحج والعمرة يرجعون إليه من حل إلى حرم؛ لأن الجمع في كل واحد من النسكين بين الحل والحرم شرط مستحق .

قال تعالى : { وَأَمْناً } فيه قولان :

أحدهما : لأمنه في الجاهلية من مغازي العرب ، لقوله : { وءَامَنَهُم مِنْ خَوفٍ } [قريش : 4] .

والثاني : لأمن الجناة فيه من إقامة الحدود عليهم حتى يخرجوا منه .

{ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى } روى حماد ، عن أنس بن مالك قال : قال عمر بن الخطاب : قلت يا رسول الله ، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى ، فأنزل الله تعالى : { وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى } بكسر الخاء من قوله واتخذوا على وجه الأمر ، وقرأ بعض أهل المدينة : { وَاتَّخَذُوا } بفتح الخاء على وجه الخبر .

واختلف أهل التفسير في هذا المقام ، الذي أُمِرُوا باتخاذه مصلى ، على أربعة أقاويل :

أحدها : الحج كله ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أنه عرفة ومزدلفة والجمار ، وهو قول عطاء والشعبي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثالث : أنه الحرم كله ، وهو قول مجاهد .

والرابع : أنه الحجر الذي في المسجد ، وهو مقامه المعروف ، وهذا أصح .

وفي قوله : { مُصَلًّى } تأويلان :

أحدهما : مَدْعَى يَدْعِي فيه ، وهو قول مجاهد .

والثاني : أنه مصلى يصلي عنده ، وهو قول قتادة ، وهو أظهر التأويلين .

قوله تعالى : { وَعَهِدْنآ إِلى إِبْرَاهِمَ وَإِسْمَاعِيلَ } فيه تأويلان :

أحدهما : أي أَمَرْنَا .

والثاني : أي أوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل .

{ أنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : من الأصنام .

والثاني : من الكفار .

والثالث : من الأنجاس .

وقوله تعالى : { بَيْتِيَ } يريد البيت الحرام .

فإن قيل : فلم يكن على عهد إبراهيم ، قبل بناء البيت بيت يطهر ، قيل : عن هذا جوابان :

أحدهما : معناه وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن ابنيا بيتي مُطَهَّراً ، وهذا قول السدي .

والثاني : معناه أن طهرا مكان البيت .

{ لِلطَّائِفِينَ } فيهم تأويلان :

أحدهما : أنهم الغرباء الذين يأتون البيت من غربة ، وهذا قول سعيد بن جبير .

والثاني : أنهم الذين يطوفون بالبيت ، وهذا قول عطاء .

{ وَالْعَاكِفِينَ } فيهم أربعة تأويلات :

أحدها : أنهم أهل البلد الحرام ، وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة .

والثاني : أنهم المعتكفون وهذا قول مجاهد .

والثالث : أنهم المصلون وهذا قول ابن عباس .

والرابع : أنهم المجاورون للبيت الحرام بغير طواف ، وغير اعتكاف ، ولا صلاة ، وهذا قول عطاء .

{ والرُّكَّعِ السُّجُودِ } يريد أهل الصلاة ، لأنها تجمع ركوعاً وسجوداً .

(92/1)

قوله تعالى : { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً } يعني مكة { وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ } ليجمع لأهله الأمن والخصب ، فيكونوا في رغد من العيش .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ مَنْ ءَآمَنَ مِنْهُم بِاللهِ } فيه وجهان :

أحدهما : أن هذا من قول إبراهيم متصلاً بسؤاله ، أن يجعله بلداً آمناً ، وأن يرزق أهله الذين آمنوا به من الثمرات ، لأن الله تعالى قد أعلمه بقوله : { لاَ يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ } أن فيهم ظالماً هو بالعقاب أحق من الثواب ، فلم يسأل أهل المعاصي سؤال أهل الطاعات .

والوجه الثاني : أنه سؤاله كان عاماً مرسلاً ، وأن الله تعالى خص الإجابة لمن آمن منهم بالله واليوم الآخر ، ثم استأنف الإخبار عن حال الكافرين ، بأن قال : { وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً } يعني في الدنيا .

{ ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلى عَذَابِ النَّارِ } يعني بذنوبه إن مات على كفره .

واختلفوا في مكة ، هل صارت حراماً آمناً بسؤال إبراهيم أو كانت فيه كذلك؟ على قولين :

أحدهما : أنها لم تزل حرماً مِنَ الجَبَابِرَةِ والمُسَلَّطِينَ ، ومن الخسوف والزلازل ، وإنما سأل إبراهيم ربَّه : أن يجعله آمناً من الجذب والقحط ، وأن يرزق أهله من الثمرات ، لرواية سعيد بن المقبري ، قال : سمعت أبا شريح الخزاعي يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما افتتح مكة ، قتلت خزاعة رجلاً من هذيل ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال : « يأَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّموات وَالأَرْضَ فَهِيَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، لاَ يَحِلُّ لاِمْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليومِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ فِيها دَماً أَوْ يُعَضِّدُ بِهَا شَجَراً ، وَأَنَّهَا لاَ تَحِلُّ لأَحَدٍ بَعْدِي وَلَمْ تَحِلَّ لِي إلاَّ هَذِهِ السَّاعَةَ غَضَباً عَلَى أَهْلِهَا ، أَلاَ وَهِيَ قَدْ رَجِعَتْ عَلَى حَالِهَا بِالأَمْسِ ، أَلاَ لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الغَائِبَ . فَمَنْ قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ قَدْ قَتَلَ بِهَا فَقُولُوا : إِنَّ الله تَعَالَى قَدْ أَحَلَّهَا لِرَسُولِهِ وَلَمْ يُحِلَّهَا لَكَ »

والثاني : أن مكة كانت حلالاً قبل دعوة إبراهيم ، كسائر البلاد ، وأنها بدعوته صارت حرماً آمنا ، وبتحريمه لها ، كما صارت المدينة بتحريم رسول الله صلى الله عليه وسلم حراماً ، بعد أن كانت حلالاً ، لرواية أشعب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه سلم قال : « إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ عَبْدَ اللهِ وَخَلِيله ، وَإِنِّي عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وإِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ ، وإِنِّي حَرَّمْتُ المَدِينَةَ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا عَضَاهَا وَصَيْدُهَا ، لاَ يُحْمَلُ فِيهَا سِلاَحٌ لِقِتَالٍ ، وَلاَ يُقْطَعُ مِنْهَا شَجَرٌ لَعَلَفٍ »

قوله تعالى : { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ } أول من دله الله تعالى على مكان البيت إبراهيمُ ، وهو أول من بناه مع إسماعيل ، وأول من حجه ، وإنما كانوا قَبْلُ يصلون نحوه ، ولا يعرفون مكانه .

والقواعد من البيت واحدتها قاعدة ، وهي كالأساس لما فوقها .

{ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا } والمعنى : يقولان ربنا تقبل منا ، كما قال تعالى : { وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلاَمٌ عَلَيكُم } أي يقولون سلام عليكم ، وهي كذلك في قراءة أبيّ بن كعب : { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ وَيَقُولاَنِ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا } . وتفسير « إسماعيل » : إسمع يا الله ، لأن إيل بالسريانية هو الله ، لأن إبراهيم لما دعا ربه قال : اسمع يا إيل ، فلما أجابه ورزقه بما دعا من الولد ، سمّى بما دعا .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
(93/1)

قوله تعالى : { رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَينِ لَكَ } على التثنية ، وقرأ عوف الأعرابي : { مُسْلِمِينَ لك } على الجمع . ويقال : أنه لم يدع نَبيٌّ إلا لنفسه ولأمته إلا إبراهيم فإنه دعا مع دعائه لنفسه ولأمته لهذه الأمة في قوله : { وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ } والمسلم هو الذي استسلم لأمر الله وخضع له ، وهو في الدين القابل لأوامر الله سراً وجهراً .

{ وأَرِنَا مَنَاسِكَنَا } أي عرفنا مناسكنا ، وفيها تأويلان :

أحدهما : أنها مناسك الحج ومعالمه ، وهذا قول قتادة والسدي .

والثاني : أنها مناسك الذبائح التي تنسك لله عز وجل ، وهذا قول مجاهد وعطاء .

والمناسك جمع منسك ، واختلفوا في تسميته منسكاً على وجهين :

أحدهما : لأنه معتاد ويتردد الناس إليه في الحج والعمرة ، من قولهم إن لفلان منسكاً ، إذا كان له موضع معتاد لخير أو شر ، فسميت بذلك مناسك الحج لاعتيادها .

والثاني : أن النسك عبادة الله تعالى ، ولذلك سُمِّي الزاهد ناسكاً لعبادة ربه ، فسميت هذه مناسك لأنها عبادات .

(94/1)

رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129)

قوله تعالى : { رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِم } يعني في هذه الأمة { رَسُولاً مِنْهُم } يعني محمداً صلى الله عليه وسلم ، وقيل في قراءة أبيّ بن كعب { رَبَّنَا وَابْعَثْ فِي آخِرِهِم رَسُولاً مِنْهُم } .

وقد روى خالد بن معدان : أن نفراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسول الله أخبرنا عن نفسك ، قال : « نَعَم ، أَنَا دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ وَبُشْرَى عِيسَى » . { يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ } فيه تأويلان :

أحدهما : يقرأ عليهم حجتك .

والثاني : يبين لهم دينك .

{ ويُعَلِّمُهُم الْكِتَابَ } يعني القرآن .

{ وَالْحِكْمَةَ } فيها تأويلان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : أنها السنة ، وهو قول قتادة .

والثاني : أنها المعرفة بالدين ، والفقه فيه ، والاتباع له ، وهو قول ابن زيد .

{ وَيُزَكِّيهِمِ } فيه تأويلان :

أحدهما : معناه يطهرهم من الشرك بالله وعبادة الأوثان .

والثاني : يزكيهم بدينه إذا اتبعوه فيكونون به عند الله أزكياء .

(95/1)

وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (131) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (132)

قوله تعالى : { وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدهما : أن ذلك سفّه نفسه ، أي فَعَلَ بها من السفه ما صار به سفيهاً ، وهذا قول الأخفش .

والثاني : أنها بمعنى سفه في نفسه ، فحذف حرف الجر كما حذف من قوله تعالى : { وَلاَ تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ } أي عَلَى عقدة النكاح ، وهذا قول الزجَّاج .

والثالث : أنها بمعنى أهلك نفسه وأوْبَقَهَا ، وهذا قول أبي عبيدة .

قال المبرِّد وثعلب : سَفِه بكسر الفاء يتعدى ، وسفُه بضم الفاء لا يتعدى .

{ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا } أي اخترناه ، ولفظه مشتق من الصفوة ، فيكون المعنى : اخترناه في الدنيا للرسالة .

{ وَإنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } لنفسه في إنجائها من الهلكة .

قوله تعالى : { وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ } الهاء كناية ترجع إلى الملة لتَقَدُّم قولهِ : { وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ } ووصّى أبلغ من أوصى ، لأن أوصى يجوز أن يكون قاله مرة واحدة ، وَوَصَّى لا يكون إلا مراراً . { وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ } والمعنى أن إبراهيم وَصَّى ، ثم وَصَّى بعده يعقوبُ بَنِيهِ ، فقالا جميعاً : { يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ } يعني اختار لكم الدين ، أي الإسلام ، { فَلاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وأَنتُم مُسْلِمُونَ } فإن قيل : كيف يُنْهَونَ عن الموت وليس من فعلهم ، وإنما يُمَاتُون؟ قيل : هذا في سعة اللغة مفهوم المعنى ، لأن النهي تَوَجَّهَ إلى مفارقة الإسلام ، لا إلى الموت ، ومعناه : الزموا الإسلام ولا تفارقوه إلى الموت .

(96/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (133) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (134) وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (135)

قوله تعالى : { وَقَالُوا : كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارى تَهْتَدُوا } يعني أن اليهودَ قالوا : كونوا هوداً تهتدوا ، وقالت النصارى : كونوا نصارى تهتدوا ، فرد الله تعالى ذلك عليهم ، فقال : { قُلْ : بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً } وفي الكلام حذف ، يحتمل وجهين :

أحدهما : أن المحذوف بل نتبع ملة إبراهيم ، ولذلك جاء به منصوباً .

والثاني : أن المحذوف بل نهتدي بملة إبراهيم ، فلما حذف حرف الجر ، صار منصوباً ، والملة : الدين ، مأخوذ من الإملاء ، أي ما يُمْلُون من كتبهم .

وأما الحنيف ، ففيه أربعة تأويلات :

أحدها : أنه المخلص ، وهو قول السدي .

والثاني : أنه المتَّبع ، وهو قول مجاهد .

والثالث : الحاج ، وهو قول ابن عباس ، والحسن .

والرابع : المستقيم .

وفي أصل الحنيف في اللغة وجهان :

أحدهما : الميل ، والمعنى أن إبراهيم حَنَفَ إلى دين الله ، وهو الإسلام فسمي حنيفاً ، وقيل للرجل أحْنَف لميل كل واحدة من قدميه إلى أختها .

والوجه الثاني : أن أصله الاستقامة ، فَسُمِّي دين إبراهيم « الحنيفية » لاستقامته وقيل للرجل أحنف ، تطيّراً من الميل وتفاؤلاً بالاستقامة ، كما قيل لِلَّدِيغ سليم ، وللمُهْلِكَةِ من الأرض مفازة .

(97/1)

قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (136) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (137) صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (138)

This file was downloaded from QuranicThought.com

قوله تعالى : { فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا } فإن قيل : فهل للإيمان مثل لا يكون إيماناً؟ قيل معنى الكلام : فإن آمنوا مثل إيمانكم ، وصدَّقوا مثل تصديقكم فقد اهتدوا ، وهذا هو معنى القراءة وإن خالف المصحف .

{ وَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ } يعني في مشاقة وعداوة ، وأصل الشِّقَاقِ البُعْدُ ، من قولهم قد أخذ فلان في شِقٍّ ، وفلان في شِقٍّ آخر ، إذا تباعدوا . وكذلك قيل للخارج عن الجماعة ، قد شَقَّ عصا المسلمين لبُعْدِهِ عنهم .

قوله تعالى : { صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً } فيه تأويلان :

أحدهما : معناه دين الله ، وهذا قول قتادة .

وسبب ذلك أن النصارى كانوا يصبغون أولادهم في ماء لهم ، ويقولون هذا تطهير لهم كالختان ، فرد الله تعالى ذلك عليهم بأن قال : { صِبْغَةَ اللهِ } أي صبغة الله أحسن صبغة ، وهي الإسلام .

والثاني : أن صبغة الله ، هي خلقة الله ، وهذا قول مجاهد .

فإن كانت الصبغة هي الدين ، فإنما سُمِّيَ الدين صبغة ، لظهوره على صاحبه ، كظهور الصِّبْغِ عَلَى الثوبِ ، وإن كانت هي الخلقة فلإحداثه كإحداث اللون على الثوب .

(98/1)

قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (139) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (140) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (141)

قوله عز وجل : { أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ } يعني قالوا : { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وإِسْمَاعِيلَ وَإِسَحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ } وهم إثنا عشر سَبَطاً من ولد يعقوب ، والسَبْطُ الجماعة الذين يرجعون إلى أب واحد ، والسَبْطُ في اللغة : الشجر الذي يرجع بعضه إلى بعض { كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى قُلْ : أَأَنْتُم أَعْلَمُ أَمِ اللهُ } يعني اليهود تزعم أن هؤلاء كانوا هوداً ، والنصارى تزعم أنهم كانوا نصارى ، فرد الله عليهم بأن الله تعالى أعلم بهم منكم ، يعني بأنهم لم يكونوا هوداً ولا نصارى .

{ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } من كتمان الشهادة ، والارتشاء عليها من أغنيائهم وسفائهم .

(99/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (142) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (143)

قوله تعالى : { سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ } السُّفَهَاءُ : واحده سَفِيه ، والسَّفِيهُ : الخفيف الحلم ، من قولهم ثوب سفيه إذا كان خفيف النسج ، ورمح سفيه إذا أسرع نفوذه .

وفي والمراد بالسفهاء هَا هُنَا ثلاثة أقاويل :

أحدها : اليهود ، وهو قول مجاهد .

والثاني : المنافقون ، وهو قول السدي .

والثالث : كفار قريش وحكاه الزجاج .

{ مَا ولاَّهم عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا } يعني ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ، وهي بيت المقدس ، حيث كان يستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، بعد هجرته إلى المدينة بستة عشر شهراً في رواية البراء بن عازب ، وفي رواية معاذ بن جبل : ثلاثة عشر شهراً ، وفي رواية أنس بن مالك تسعة أشهر أو عشرة أشهر ، ثم نُسِخَتْ قبلةُ بيت المقدس باستقبال الكعبة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة في صلاة الظهر وقد صلى منها ركعتين نحو بيت المقدس ، فانصرف بوجهه إلى الكعبة ، هذا قول أنس بن مالك ، وقال البراء بن عازب : كنا في صلاة العصر بقباء ، فمر رجل على أهل المسجد وهم ركوع في الثانية ، فقال : أشهد لقد صَلَّيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَلَ مكة ، فداروا كما هم قِبَلَ البيت ، وقِبَلُ كل شيءٍ : ما قَابَلَ وَجْهَه .

واختلف أهل العلم في استقبال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس ، هل كان برأيه واجتهاده ، أو كان عن أمر الله تعالى لقوله : { وَمَا جَعَلْنَا الْقِبِلَةَ التَّي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبعُ الرَّسُوْلَ } ، وهذا قول ابن عباس وابن جريج .

والقول الثاني : أنه كان يستقبلها برأيه واجتهاده ، وهذا قول الحسن ، وعكرمة ، وأبي العالية ، والربيع . واختلفوا في سبب اختياره بيت المقدس على قولين :

أحدهما : أنه اختار بيت المقدس ليتألَّف أهل الكتاب ، وهذا قول أبي جعفر الطبري .

والثاني : لأن العرب كانت تحج البيت غير آلفة لبيت المقدس ، فأحب الله أن يمتحنهم بغير ما ألفوه ، ليعلم من يتبع ممن ينقلب على عَقِبَيْهِ ، وهذا قول أبي إسحاق الزجاج ، فلما استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة ، قال ابن عباس : أتى رفاعة بن قيس وكعب بن الأشرف والربيع وكنانة بن أبي الحُقَيْقِ ، فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ولاّك عن قبلتك التي كنت عليها

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وأنت تزعم أنك على ملةِ إبراهيم ودينه؟ ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها ، نتبعك ونصدقك . وإنما يريدون فتنته عن دينه ، فأنزل الله تعالى : { سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيها؟ قُل : لِلَّهِ الْمَشْرِقْ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } يعني حيثما أمر الله تعالى باستقباله من مشرق أو مغرب والصراط : الطريق : والمستقيم : المستوي .

(100/1)

قوله تعالى : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً } . فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني خياراً ، من قولهم فلان وسط الحَسَبِ في قومه ، إذا أرادوا بذلك الرفيع في حسبه ، ومنه قول زهير :

هُمْ وَسَطٌ يَرْضَى الإِلهُ بِحُكْمِهِمْ ... إِذَا نَزَلَت إِحْدَى اللَّيَالي بِمُعَظَّمِ

والثاني : أن الوسط من التوسط في الأمور ، لأن المسلمين تَوَسَّطُوا في الدين ، فلا هم أهل غلوٍّ فيه ، ولا هم أهل تقصير فيه ، كاليهود الذين بدّلوا كتاب الله وقتّلوا أنبياءهم وكَذَبوا على ربهم ، فوصفهم الله تعالى بأنهم وسط ، لأن أحب الأمور إليه أوسطها .

والثالث : يريد بالوسط : عدلاً ، لأن العدل وسط بين الزيادة والنقصان ، وقد روى أبو سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً } أي عَدْلاً .

{ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : لتشهدوا على أهل الكتاب ، بتبليغ الرسول إليهم رسالة ربهم .

والثاني : لتشهدوا على الأمم السالفة ، بتبليغ أنبيائهم إليهم رسالة ربهم ، وهذا مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أن الأمم السالفة تقول لهم : كيف تشهدون علينا ولم تشاهدونا ، فيقولون أعْلَمَنَا نبيُّ الله بما أُنْزِلَ عليه من كتاب الله .

والثالث : أن معنى قوله : { لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ } أي لتكونوا مُحْتَجِّينَ على الأمم كلها ، فعبر عن الاحتجاج بالشهادة ، وهذا قول حكاه الزجاج .

{ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يكون الرسول شهيداً على أمته أنْ قد بلّغ إليهم رسالة ربه .

والثاني : أنّ معنى ذلك أنْ يكون شهيداً لهم بإيمانهم ، وتكون (عليهم) بمعنى (لهم) .

والثالث : أن معنى قوله : { وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيكُمْ شَهِيداً } أي مُحْتَجّاً .

{ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا } أي بيت المقدس ، { إلاّ لِنَعَلَمَ مَن يَتَّبعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ } فإن قيل : الله أعلم بالأشياء قبل كونها ، فكيف جعل تحويل القِبْلَة طريقاً إلى علمه؟ قيل : في قوله : { إلاَّ لِنَعْلَمَ } أربعة تأويلات :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدها : يعني إلا ليعلم رسولي ، وحزبي ، وأوليائي؛ لأن من شأن العرب إضافة ما فعله أتْباعُ الرئيس إليه ، كما قالوا : فتح عمرُ بنُ الخطاب سوادَ العراق وجبي خَرَاجَهَا .

والثاني : أن قوله تعالى : { إلاَّ لِنَعْلَمَ } بمعنى : إلا لنرى ، والعرب قد تضع العلمَ مكان الرؤية ، والرؤية مكان العلم ، كما قال تعالى { أَلَمْ تَرَ كَيفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ } [الفيل : 1] يعني : ألم تعلم .

والثالث : قوله تعالى : { إلاَّ لِنَعْلَمَ } بمعنى إلا لتعلموا أننا نعلم ، فإنّ المنافقين كانوا في شك من علم الله بالأشياء قبل كونها .

والرابع : أن قوله : { إلاَّ لِنَعْلَمَ } بمعنى إلا لنميز أهل اليقين من أهل الشك ، وهذا قول ابن عباس .

قوله تعالى : { مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ } بمعنى فيما أمر به من استقبال الكعبة { مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ } بمعنى : ممن يَرْتَدُّ عن دينه ، لأن المرتد راجع مُنْقَلِب عما كان عليه ، فشبهه بالمُنْقلِب على عقبه ، لأن القبلة لمَّا حُوِّلَتْ ارْتَدَّ من المسلمين قَوْمٌ ، ونافق قوم ، وقالت اليهود : إن محمداً قد اشتاق إلى بلد أبيه ، وقالت قريش : إن محمداً قد علم أننا على هدى وسَيُتَابِعُنَا .

(101/1)

ثم قال تعالى : { وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرةً إلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : معناه وإن التولية عن بيت المقدس إلى الكعبة والتحويل إليها لكبيرةٌ ، وهذا هو قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة .

والثاني : إن الكبيرة هي القبلة بعينها التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوجه إليها من بيت المقدس قبل التحويل ، وهذا قول أبي العالية الرياحي .

والثالث : أن الكبيرة هي الصلاة ، التي كانوا صَلَّوْهَا إلى القبلة الأولى ، وهذا قول عبد الرحمن بن زيد .

ثم قال تعالى : { وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُم } يعني صلاتكم إلى بيت المقدس ، فسمى الصلاة إيماناً لاشتمالها على نية وقول وعمل ، وسبب ذلك أن المسلمين لما حُوِّلُوا عن استقبال بيت المقدس إلى الكعبة ، قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف من مات من إخواننا؟ فأنزل الله عز وجل : { وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُم } .

فإن قيل : هم سألوه عن صلاةِ غيرهم ، فأجابهم بحال صلاتهم؟ قيل : لأن القوم أشفقوا ، أن تكون صلاتهم إلى بيت المقدس مُحْبَطَةً لمنْ مات ومن بقي ، فأجابهم بما دَلَّ على الأمرين ، على أنه قد روى قوم أنهم قالوا : كيف تضيع صلاتنا إلى بيت المقدس فأنزل الله تعالى ذلك . { إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } الرأفة : أشد من الرحمة ، وقال أبو عمر عمرو بن العلاء : الرأفة أكثر من الرحمة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (144)

قوله تعالى : { قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ في السَّمَآءِ } هذه الآية متقدمة في النزول على قوله تعالى : { سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ } .

وفي قوله : { تَقَلُّبَ وَجْهِكَ في السَّمَاءِ } تأويلان :

أحدهما : معناه : تحول وجهك نحو السماء ، وهذا قول الطبري .

والثاني : معناه : تقلب عينيك في النظر إلى السماء ، وهذا قول الزجاج .

{ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبلةً تَرضاها } يعني الكعبة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضاها ويختارها ويسأل [ربه] أن يُحوَّل إليها .

واختُلِفَ في سبب اختياره لذلك على قولين :

أحدهما : مخالفة اليهود وكراهة لموافقتهم ، لأنهم قالوا : تتبع قبلتنا وتخالفنا في ديننا؟ وبه قال مجاهد ، وابن زيد .

والثاني : أنه اختارها ، لأنها كانت قبلة أبيه إبراهيم ، وبه قال ابن عباس .

فإن قيل : أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير راض ببيت المقدس أن يكون له قبلة ، حتى قال تعالى له في الكعبة { فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا } ؟ قيل : لا يجوز أن يكون رسول الله غير راض ببيت المقدس ، لَمَّا أمره الله تعالى به ، لأن الأنبياء يجب عليهم الرضا بأوامر الله تعالى ، لكن معنى ترضاها : أي تحبها وتهواها ، وإنما أحبها مع ما ذكرنا من القولين الأولين ، لما فيها من تآلف قومه وإسراعهم إلى إجابته ، ويحتمل أن يكون قوله : { تَرْضَاهَا } محمولاً على الحقيقة بمعنى : ترضى ما يحدث عنها من التأليف ، وسرعة الإجابة ، ثم قال تعالى مجيباً لرغبته وآمراً بطَلِبَتِه : { فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } أي حَوِّلْ وجهك في الصلاة ، شطر المسجد الحرام أي : نحو المسجد الحرام ، كما قال الهذلي :

إنَّ العسير بها دَاءٌ يُخَامِرُها ... فشطرُهَا نظَرُ العَيْنَيْنِ مَحْسُورُ

أي نحوها ، والشطر من الأضداد ، يقال : شطر إلى كذا إذا أقبل نحوه ، وشطر عن كذا إذا بَعُدَ منه وأعرض عنه ، وشِطْرُ الشيء : نصفه ، فأما الشاطر من الرجال فلأنه قد أخذ في نحوٍ غير الإستواء .

قوله تعالى : { الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } يعني به الكعبة ، لأنها فيه فعبر به عنها . واختلف أهل العلم في

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المكان ، الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يولي وجهه إليه :

فقال عبد الله بن عمرو بن العاص : { فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا } قال : حيال ميزاب الكعبة .

وقال عبد الله بن عباس : البيت كله ، وقبلة البيت الباب .

ثم قال تعالى : { وَحَيْثُمَا كَنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُم شَطْرَهُ } يعني نحو المسجد الحرام أيضاً تأكيداً للأمر الأول لأن عمومه يقتضيه ، لكن أراد بالتأكيد احتمال التخصيص ، ثم جعل الأمر الأول مواجهاً به النبي صلى الله عليه وسلم ، والثاني مواجهاً به جميع الناس ، فكلا الأمرين عام في النبي صلى الله عليه وسلم وجميع أمته ، لكن غاير بين الأمرين ليمنع من تغيير الأمر في المأمور به ، وليكون كل واحد منهما جارياً على عمومه .

ثم قال تعالى : { وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ } يعني اليهود والنصارى .

{ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ } يعني تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة .

{ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ } من الخوض في إِفْتَانِ المسلمين عن دينهم بذلك .

(103/1)

وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آَيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (145)

قوله تعالى : { وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ } يعني استقبال الكعبة .

{ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُم } يعني استقبال بيت المقدس ، بعد أن حُوِّلَتْ قِبْلَتُك إلى الكعبة .

{ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ } يعني أن اليهود لا تتبع النصارى في القبلة ، فهم فيها مختلفون ، وإن كانوا على معاندة النبي صلى الله عليه وسلم متفقين .

{ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ } يعني في القبلة .

{ مَن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ } يعني في تحويلها عن بيت المقدس إلى الكعبة .

{ إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ } وليس يجوز أن يفعل النبي ما يصير به ظالماً .

وفي هذا الخطاب وجهان :

أحدهما : أن هذه صفة تنتفي عن النبي ، وإنما أراد بذلك بيان حكمها لو كانت .

والوجه الثاني : أن هذا خطاب للنبي والمراد به أمته .

(104/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (146) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (147)

قوله تعالى : { الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ } يعني اليهود والنصارى ، أوتوا التوراة ، والإنجيل .

{ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ } فيه قولان :

أحدهما : يعرفون أن تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة حق كما يعرفون أبناءهم .

والثاني : يعرفون الرسول وصدق رسالته كما يعرفون أبناءهم .

{ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ } يعني علماءَهم وخواصَّهم .

{ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ } فيه قولان :

أحدهما : أن الحق هو استقبال الكعبة .

والثاني : أن الحق محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا قول مجاهد وقتادة .

{ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : يعلمون أنه حق متبوع .

والثاني : يعلمون ما عليه من العقاب المستحق .

{ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ } يعني استقبال الكعبة ، لا ما أخبرتك به شهود من قبلتهم .

{ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } أي من الشاكِّين يقال : امترى فلان في كذا إذا اعترضه اليقين مَرَّةً ، والشك أخرى ، فدافع أحدهما بالآخر .

فإن قيل : أفكان شاكّاً حين نهى عنه؟ قيل : هذا وإن كان خطاباً للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره من أمته .

(105/1)

وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (148)

قوله تعالى : { وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا } يعني ولكل أهل ملة من سائر الملل وجهة هو مولِّيها .

وفيه قولان :

أحدهما : قبلة يستقبلونها ، وهو قول ابن عباس وعطاء والسدي .

والثاني : يعني صلاة يصلونها ، وهو قول قتادة .

وفي قوله تعالى : { هُوَ مُوَلِّيها } قولان :

أحدهما : أن أهل كل وجهة هم الذين يَتَوَلَّونَهَا ويستقبلونها .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثاني : أن أهل كل وجهةٍ الله تعالى هو الذي يوليهم إليها ويأمرهم باستقبالها ، وقد قرئ { هُوَ مَوْلاها } وهذا حسن يدل على الثاني من القولين .

{ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ } فيه تأويلان :

أحدهما : معناه فسارعوا إلى الأعمال الصالحة ، وهو قول عبد الرحمن بن زيد .

والثاني : معناه : لا تُغْلَبوا على قبلتكم بما تقول اليهود من أنكم إذا اتبعتم قبلتهم اتبعوكم ، وهذا قول قتادة .

{ . . . يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعاً } إلى الله مرجعكم جميعاً ، يعني يوم القيامة .

{ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } يعني على إعادتكم إليه أحياء بعد الموت والبلى .

(106/1)

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (149) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (150)

ثم أكد الله أمره في استقبال الكعبة ، لما جرى من خوض المشركين ومساعدة المنافقين ، بإعادته فقال : { وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } تبييناً لِنَبِيِّهِ وصرفاً له عن الاغترار بقول اليهود : أنهم يتبعونه إن عاد .

{ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يقول ذلك ترغيباً لهم في الخير .

والثاني : تحذيراً من المخالفة .

ثم أعاد الله تعالى تأكيد أمره ، ليخرج من قلوبهم ما استعظموه من تحويلهم إلى غير ما أَلِفُوه ، فقال : { وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ } فأفاد كل واحد من الأوامر الثلاثة مع استوائها في التزام الحكم فائدة مستجده :

أما الأمر الأول فمفيد لنسخ غيره ، وأما الأمر الثاني فمفيد لأجل قوله تعالى :

{ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ } أنه لا يتعقبه نسخ .

وأما الأمر الثالث فمفيد أن لا حجة عليهم فيه ، لقوله : { لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ } .

ثم قال تعالى : { إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ } ليس يريد أن لهم عليكم حجة . وفيه قولان :

أحدهما : أن المعنى ، ولكن الذين ظلموا قد يحتجون عليكم بأباطيل الحجج ، وقد ينطلق اسم الحجة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

على ما بطل منها ، لإقامتها في التعلق بها مقام الصحيح حتى يظهر فسادها لمن علم ، مع خفائها على من جهل ، كما قال تعالى { حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ } فَسَمَّاهَا حجة ، وجعلها عند الله دَاحِضَةٌ .

والقول الثاني : أن المعنى لِئَلاَّ يكون للناس عليكم حُجَّةٌ بعد الذين ظلموا ، فتكون (إلاّ) بمعنى (بعد)] كما قيل في قوله تعالى : { وَلاَ تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاءُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ } [النساء : 22] أي بعدما قد سلف . وكما قيل في قوله تعالى : { لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا المَوتَ إِلاَّ المَوتَةَ الأولى } [الدخان : 56] أي بعد الموتة الأولى . وأراد بالذين ظلموا قريشاً واليهود ، لقول قريش حين استقبل الكعبة : قد علم أننا على هُدًى ، ولقول اليهود : إن رَجَعَ عنها تابعناه .

{ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَونِي } في المخالفة { وَلأُتِمَّ نِعْمَتي عَلَيْكُمْ } يحتمل وجهين :

أحدهما : فيما هديناكم إليه من القبلة .

والثاني : ما أعددته لكم من ثواب الطاعة .

(107/1)

كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (151) فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (152)

قوله تعالى : { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ } يعني من العرب { رَسُولاً مِّنكُمْ } يعني محمداً صلى الله عليه وسلم

{ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا } يعني القرآن .

{ وَيُزَكِّيكُمْ } فيه تأويلان :

أحدهما : يعني يطهركم من الشرك .

والثاني : أن يأمركم بما تصيرون به عند الله أزكياء .

{ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ } فيه تأويلان :

أحدهما : القرآن .

والثاني : الإخبار بما في الكتب السالفة من أخبار القرون الخالية .

{ وَالحِكْمَةَ } فيها تأويلان :

أحدهما : السنّة .

والثاني : مواعظ القرآن .

{ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } يعني من أحكام الدين وأمور الدنيا .

{ فَاذْكُرُوني أَذْكُرْكُمْ } فيه تأويلان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : اذكروني بالشكر أذكركم بالنعمة .

والثاني : اذكروني بالقبول أذكركم بالجزاء .

(108/1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153) وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (154)

قوله تعالى : { يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ والصَّلاَةِ } أما الصبر ها هنا ففيه قولان :

أحدهما : الثبات على أوامر الله تعالى .

والثاني : الصيام المقصود به وجه الله تعالى .

وأما الاستعانة بالصلاة فتحتمل وجهين :

أحدهما : الاستعانة بثوابها .

والثاني : الاستعانة بما يُتلى في الصلاة ليعرف به فضل الطاعة فيكون عوناً على امتثال الأوامر .

قوله تعالى : { وَلاَ تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ في سَبِيلِ اللهِ أَمْوَتٌ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ } وسبب ذلك أنهم كانوا يقولون لقتلى بدر وأُحُد : مات فلان ، ومات فلان ، فنزلت الآية وفيها تأويلان :

أحدهما : أنهم ليسوا أمواتاً وإن كانت أجسامهم أجسام الموتى بل هم عند الله أحياء النفوس منعّمو الأجسام .

والثاني : أنهم ليسوا بالضلال أمواتاً بل هم بالطاعة والهدى أحياء ، كما قال تعالى : { أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ في النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ في الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا } [الأنعام : 122] فجعل الضالَّ ميتاً ، والمُهْتَدي حياً .

ويحتمل تأويلاً ثالثاً : أنهم ليسوا أمواتاً بانقطاع الذكر عند الله وثبوت الأجر .

(109/1)

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (157)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قوله تعالى : { وَلَنَبْلُوَنَّكُم } يعني أهل مكة ، لما تقدم من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعلها عليهم سنين كسني يوسفَ حين قحطوا سبع سنين ، فقال الله تعالى مجيباً لدعاء نبيه : { وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ } الخوف يعني الفزع في القتال ، والجوع يعني المجاعة بالجدب .

{ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ } يحتمل وجهين :

أحدهما : نقصها بالجوائح المتلفة .

والثاني : زيادة النفقة في الجدب .

{ وَالأَنفُسِ } يعني ونقص الأنفس بالقتل والموت . { وَالثَّمَرَاتِ } قلة النبات وارتفاع البركات .

{ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ } يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : وبشر الصابرين على الجهاد بالنصر .

والثاني : وبشر الصابرين على الطاعة بالجزاء .

والثالث : وبشر الصابرين على المصائب بالثواب ، وهو أشبه لقوله من بعد :

{ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا : إِنَّا لِلَّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ } يعني : إذا أصابتهم مصيبة في نفس أو أهل أو مال قالوا : إنا لله : أي نفوسنا وأهلونا وأموالنا لله ، لا يظلمنا فيما يصنعه بنا { وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ } يعني بالبعث في ثواب المحسن ومعاقبة المسيء .

ثم قال تعالى في هؤلاء : { أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ } الصلاة اسم مشترك المعنى فهي من الله تعالى الرحمة ، ومن الملائكة الاستغفار ، ومن الناس الدعاء ، كما قال تعالى : { إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً } . وقال الشاعر :

صلّى على يحيى وأشياعه ... رَبٌّ كريمٌ وشفيع مطاع

قوله تعالى : { أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ } أي رحمة ، وذكر ذلك بلفظ الجمع لأن بعضها يتلو بعضاً .

ثم قال : { وَرَحْمَةٌ } فأعادها مع اختلافها للفظين لأنه أوكد وأبلغ كما قال : { مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى } .

وفي قوله تعالى : { وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ } وجهان محتملان :

أحدهما : المهتدون إلى تسهيل المصائب وتخفيف الحزن .

والثاني : المهتدون إلى استحقاق الثواب وإجزال الأجر .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (158)

قوله تعالى : { إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللهِ } أما الصفا والمروة فهما مبتدأ السعي ومنتهاه .

وفيه قولان :

أحدهما : أن الصفا : الحجارة البيض ، والمروة الحجارة السود . واشتقاق الصفا من قولهم صفا يصفو إذا خَلَص ، وهو جمع واحده صفاة .

والثاني : أن الصفا : الحجارة الصلبة التي لا تنبت شيئاً ، والمروة الحجارة الرخوة ، وهذا أظهر القولين في اللغة . يدل على الصفا قول الطرماح :

أبت لي قوتي والطول إلاّ ... يؤيسَ حافراً أبداً صفاتي

ويدل على المروة قول الكميت :

ويُوَلّي الأرضَ خفاً ذابلاً ... فإذا ما صادف المَرْوَ رضخ

وحُكِيَ عن جعفر بن محمد قال : نزل آدم على الصفا ، وحواء على المروة ، فَسُمِّي الصفا باسم آدم المصطفى وسميت المروة باسم المرأة .

وقيل إن اسم الصفا ذكّر بإساف وهو صنم كان عليه مذكر الاسم ، وأنثت المروة بنائلة وهو صنم كان عليه مؤنث الاسم .

وفي قوله : { مِن شَعَائِرِ اللهِ } وجهان :

أحدهما : يعني من معالم الله التي جعلها لعباده معلماً ، ومنه قول الكميت :

نقتّلهم جيلاً فجيلاً تراهُمُ ... شعائر قربان بها يُتَقَرَّبُ

والثاني : إن الشعائر جمع شعيرة وهو الخبر الذي أخبر الله تعالى عنه ، وهي من إشعار الله عباده أمر الصفا والمروة وما عليهم من الطواف بهما ، وهذا قول مجاهد .

ثم قال تعالى : { فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ } أما الحج ففيه قولان :

أحدهما : أنه القصد ، سمي به النسك لأن البيت مقصود فيه ، ومنه قول الشاعر :

وأشهد من عوف حلولاً كثيرة ... يحجون سب الزبرقان المزعفرا

يعني بقوله يحجون أي يكثرون التردد إليه لسؤدده ورياسته ، فسمي الحج حجاً لأن الحاج يأتي قِبَلَ البيت ثم يعود إليه لطواف الإفاضة ، ثم ينصرف إلى منى ويعود إليه لطواف الصدر ، فلتكرر العَوْد إليه مرة بعد أخرى قيل له : حاجّ .

وأما العمرة ففيها قولان :

أحدهما : أنها القصد أيضاً ، وكل قاصد لشيء فهو معتمر ، قال العجاج :

لقد غزا ابن معمر حين اعتمر ... مَغْزىً بعيداً من بعيد وصَبَر

يعني بقوله حين اعتمر أي حين قصد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والقول الثاني : أنها الزيارة ومنه قول الشاعر :

وجاشت النفسُ لمَّا جاءَ فَلُّهم ... وراكب جاءَ من (تثليث) معتمرا

أي زائراً .

ثم قال تعالى : { فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أن يَطَّوَّفَ بِهِمَا } ورفع الجناح من أحكام المباحث دون الواجبات . فذهب أبو حنيفة على أنّ السعي بين الصفا والمروة غير واجب في الحج والعمرة منسكاً بأمرين :

أحدهما : قوله تعالى : { فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا } ورفع الجناح من أحكام المباحات دون الواجبات .

والثاني : أن ابن عباس وابن مسعود قرَء : { فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن لاَّ يَطَّوَّفَ بِهِمَا } .

وذهب الشافعي ، ومالك ، وفقهاء الحرمين ، إلى وجوب السعي في النسكين تمسكاً بفحوى الخطاب ونص السنة ، وليس في قوله : { فَلاَ جُنَاحَ } دليل على إباحته دون وجوبه ، لخروجه على سبب ، وهو أن الصفا كان عليه في الجاهلية صنم اسمه إساف ، وعلى المروة صنم اسمه نائلة ، فكانت الجاهلية إذا سعت بين الصفا والمروة طافوا حول الصفا والمروة تعظيماً لإساف ونائلة ، فلما جاء الإسلام وألغيت الأصنام تَكَرَّهَ المسلمون أن يُوَافِقُوا الجاهلية في الطواف حول الصفا والمروة ، مجانبةً لما كانوا عليه من تعظيم إساف ونائلة ، فأباح الله تعالى ذلك لهم في الإسلام لاختلاف القصد فقال : { فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا } . وأما قراءة ابن مسعود ، وابن عباس : { فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن لاَّ يَطَّوَّفَ بِهِمَا } ، فلا حجة فيها على سقوط فرض السعي بينهما لأن (لا) صلة في الكلام إذا تقدمها جَحْد ، كقوله تعالى :

{ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ } [الأعراف : 12] بمعنى ما منعك أن تسجد ، وكما قال الشاعر :

ما كان يرضى رسول الله فعلهم ... والطيبان أبو بكر ولا عُمَرُ

{ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : ومن تطوع بالسعي بين الصفا والمروة ، وهذا قول مَنْ أسقط وجوب السعي .

والثاني : ومن تطوع بالزيادة على الواجب ، وهذا قول من أوجب السعي .

والثالث : ومن تطوع بالحج والعمرة بعد أداء فرضهما .

{ فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ } يحتمل تأويلين :

أحدهما : شاكر للعمل عليم بالقصد .

والثاني : شاكر للقليل عليم بالثواب .

This file was downloaded from QuranicThought.com

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (160) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (161) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (162)

قوله عز وجل : { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنَزَلْنَا } قيل : هم رؤساء اليهود ، كعب ابن الأشرف ، وكعب بن أسد ، وابن صوريا ، وزيد بن التابوت ، هم الذين كتموا ما أنزل الله .

{ مَنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى } فيه قولان :

أحدهما : أن البينات هي الحجج الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، والهدى : الأمر باتباعه .

والثاني : أن البينات والهدى واحد ، والجمع بينهما تأكيد ، وذلك ما أبان عن نبوته وهدى إلى اتباعه .

{ مَنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ في الْكِتَابِ } يعني القرآن .

{ أُولَئِكَ يَلْعَنَهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ } فيهم أربعة أقوال :

أحدها : أنهم كل شيء في الأرض من حيوان وجماد إلا الثقلين الإنس والجن ، وهذا قول ابن عباس والبراء بن عازب .

والثاني : اللاعنون : الاثنان إذا تلاعنا لحقت اللعنة مستحقها منهما ، فإن لم يستحقها واحد منهما رجعت اللعنة على اليهود ، وهذا قول ابن مسعود .

والثالث : أنهم البهائم ، إذا يبست الأرض قالت البهائم هذا من أجل عُصاةِ بني آدم ، وهذا قول مجاهد وعكرمة .

والرابع : أنهم المؤمنون من الإنس والجن ، والملائكة يَلعنون مَنْ كَفَرَ بالله واليوم الآخر ، وهذا قول الربيع بن أنس .

{ إلاَّ الَّذِينَ تَابُوا } يعني بالإسلام من كفرهم { وَأَصْلَحُوا } يحتمل وجهين :

أحدهما : إصلاح سرائرهم وأعمالهم .

والثاني : أصلحوا قومهم بإرشادهم إلى الإسلام { وَبَيَّنُوا } يعني ما في التوراة من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ووجوب اتباعه { فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِم } والتوبة من العباد : الرجوع عن الذنب ، والتوبة من الله تعالى : قبولها من عباده .

قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ } وإنما شرط الموت على الكفر لأن حُكْمَهُ يستقر

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بالموت عليه ويرتفع بالتوبة منه . { أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ } واللعنة من العباد : الطرد ، ومن الله تعالى : العذاب . { وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } وقرأ الحسن البصري : { وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعُونَ } بالرفع ، وتأويلها : أولئك جزاؤهم أن يلعنهم الله وتلعنهم الملائكة ويلعنهم الناس أجمعون .

فإن قيل : فليس يلعنهم جميع الناس لأن قومهم لا يلعنونهم ، قيل : عن هذا جوابان :

أحدهما : أن اللعنة من أكثر الناس يطلق عليها لعنة جميع الناس ، فغلب حكم الأكثر على الأقل .

والثاني : أن المراد به يوم القيامة يلعنهم قومهم مع جميع الناس كما قال تعالى : { يومَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً } [العنكبوت : 25] .

ثم قال تعالى : { خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ } فيه تأويلان :

أحدهما : لا يخفف بالتقليل والاستراحة .

والثاني : لا يخفف بالصبر عليه والاحتمال له .

{ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : لا يؤخرون عنه ولا يمهلون .

والثاني : لا ينظر الله عز وجل إليهم فيرحمهم .

(113/1)

وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (163)

قوله تعالى : { وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ } أراد بذلك أمرين :

أحدهما : أن إله جميع الخلق واحد ، لا كما ذهبت إليه عبدة الأصنام من العرب وغيرهم أن لكل قوم إلَهاً غير إله من سواهم .

والثاني : أن الإله وإنْ كان إلهاً لجميع الخلق فهو واحد لا ثاني له ولا مثل له . ثم أكد ذلك بقوله تعالى : { لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ } ، ثم وصف فقال : { الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } ترغيباً في عبادته وحثاً على طاعته .

(114/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (164)

ثم دل على ما ذكرهم من وحدانيته وقدرته ، بقوله تعالى : { إِنَّ في خَلْقِ السَّموات وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ } :

فآية السماء : ارتفاعها بغير عمد من تحتها ولا علائق من فوقها ، ثم ما فيها من الشمس والقمر والنجوم السائرة .

وآية الأرض : بحارها ، وأنهارها ، ومعادنها ، وشجرها ، وسهلها ، وجبلها .

وآية الليل والنهار : اختلافها بإقبال أحدهما وإدبار الآخر ، فيقبل الليل من حيث لا يعلم ، ويدبر النهار إلى حيث لا يعلم ، فهذا اختلافهما .

ثم قال : { وَالْفُلْكِ الَّتي تَجْرِي في الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ } الفلك : السفن ، الواحدُ والجمع بلفظ واحد ، وقد يذكر ويؤنث . والآية فيها : من وجهين :

أحدهما : استقلالها لحملها . والثاني : بلوغها إلى مقصدها .

ثم قال تعالى : { وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ } يعني به المطر المنزل منها ، يأتي غالباً عند الحاجة ، وينقطع عند الاستغناء عنه ، وذلك من آياته . ثم قال تعالى : { فَأَحْيَا الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا } وإحياؤها بذلك قد يكون من وجهين :

أحدهما : ما تجري به أنهارها وعيونها .

والثاني : ما ينبت به من أشجارها وزروعها ، وكلا هذين سبب لحياة الخلق من ناطق وبُهْم .

ثم قال تعالى : { وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ } يعني جميع الحيوان الذي أنشأه فيها ، سماه (دابة) لدبيبه عليها ، والآية فيها مع ظهور القدرة على إنشائها من ثلاثة أوجه :

أحدها : تباين خلقها .

والثاني : اختلاف معانيها .

والثالث : إلهامها وجوه مصالحها .

ثم قال تعالى : { وَتَصْرِيفَ الرِّيَاحِ } والآية فيها من وجهين :

أحدهما : اختلاف هبوبها في انتقال الشمال جنوبها ، والصبا دبوراً ، فلا يعلم لانتقالها سبب ، ولا لانصرافها جهة .

والثاني : ما جعله في اختلافها من إنعام ينفع ، وانتقام يؤذي .

وقد روى سعيد بن جبير عن شريح قال : ما هاجت ريح قط إلا لسُقْمٍ صحيح أو لشفاء سقيم والرياح جمع ريح وأصلها أرواح . وحكى أبو معاذ أنه كان في مصحف حفصة : { وَتَصْرِيفِ الأَرْوَاحِ } .

وقال ابن عباس : سميت الريح لأنها تريح ساعة بعد ساعة . قال ذو الرمة :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إذا هبت الأرواح من نحو جانب ... به آل مَيٍّ هاج شوقي هبوبها

ثم قال تعالى : { وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ } المسخر : المذلل ، والآية فيه من ثلاثة أوجه :

أحدها : ابتداء نشوئه وانتهاء تلاشيه .

والثاني : ثبوته بين السماء والأرض من غير عَمَد ولا علائق .

والثالث : تسخيره وإرساله إلى حيث يشاء الله عز وجل .

وهذه الآية قد جمعت من آياته الدالة على وحدانيته وقدرته ما صار لذوي العقول مرشداً وإلى الحق قائداً . فلم يقتصر الله بنا على مجرد الإخبار حتى قرنه بالنظر والاعتبار .

(115/1)

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (165) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (166) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (167)

ثم أخبر أن مع هذه الآيات الباهرة لذوي العقول { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَاداً } والأنداد الأمثال ، واحدها ند ، والمراد به الأصنام التي كانوا يتخذونها آلهة يعبدونها كعبادة الله تعالى مع عجزها عن قدرة الله في آياته الدالة على وحدانيته .

ثم قال تعالى : { يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ } يعني أنهم مع عجز الأصنام يحبونهم كحب الله مع قدرته .

{ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ } يعني من حب أهل الأوثان لأوثانهم ، ومعناه أن المخلصين لله تعالى هم المحبون حقاً .

قوله تعالى : { إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا } فيهم قولان :

أحدهما : أن الذين اتبعوا هم السادة والرؤساء تبرؤوا ممن اتبعهم على الكفر ، وهذا قول عطاء .

والثاني : أنهم الشياطين تبرؤوا من الإنس ، وهذا قول السدي .

{ وَرَأَوُا الْعَذَابَ } يعني به المتبوعين والتابعين . وفي رؤيتهم للعذاب وجهان محتملان :

أحدهما : تيقنهم له عند المعاينة في الدنيا .

والثاني : أن الأمر بعذابهم عند العرض والمساءلة في الآخرة .

{ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ } فيه خمسة تأويلات :

أحدها : أن الأسباب تواصلهم في الدنيا ، وهو قول مجاهد وقتادة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : المنازل التي كانت لهم في الدنيا ، وهو قول ابن عباس .

والثالث : أنها الأرحام ، وهو رواية ابن جريج عن ابن عباس .

والرابع : أنها الأعمال التي كانوا يعملونها في الدنيا ، وهو قول السدي .

والخامس : أنها العهود والحلف الذي كان بينهم في الدنيا .

{ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُم كَمَا تَبَرَّءُوا مَنَّا } يريد بذلك أن الأتباع قالوا للمتبوعين لو أن لنا كرة أي رجعة إلى الدنيا فنتبرأ منكم فيها كما تبرأتم منا في الآخرة .

{ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ } يريد المتبوعين والأتباع ، والحسرة شدة الندامة على محزون فائت .

وفي { أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ } وجهان :

أحدهما : برهم الذي حبط بكفرهم ، لأن الكافر لا يثاب مع كفره .

والثاني : ما نقصت به أعمارهم في أعمال المعاصي أن لا تكون مصروفة إلى طاعة الله .

{ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ } يريد به أمرين :

أحدهما : فوات الرجعة .

والثاني : خلودهم في النار .

(116/1)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (168) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (169)

قوله تعالى : { يَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلَلاً طَيِّباً } قيل إنها نزلت في ثقيف وخزاعة وبني مدلج فيما حرموه على أنفسهم من الأنعام والزرع ، فأباح لهم الله تعالى أكله وجعله لهم حلالاً طيباً .

{ وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ } وهي جمع خطوة ، واختلف أهل التفسير في المراد بها على أربعة أقاويل :

أحدها : أن خطوات الشيطان أعماله ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : أنها خطاياه وهو قول مجاهد .

والثالث : أنها طاعته ، وهو قول السدي .

والرابع : أنها النذور في المعاصي .

{ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ } أي ظاهر العداوة .

{ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالفَحْشَآءِ } قال السدي : السوء في هذا الموضع معاصي الله ، سميت سوءاً

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لأنها تسوء صاحبها بسوء عواقبها .

وفي الفحشاء ها هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : الزنى .

والثاني : المعاصي .

والثالث : كل ما فيه الحد ، سمي بذلك لفحش فعله وقبح مسموعه .

{ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ } فيه قولان :

أحدهما : أن تحرموا على أنفسكم ما لم يحرمه الله عليكم .

والثاني : أن تجعلوا له شريكاً .

(117/1)

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (170) وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (171)

{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ } يعني في تحليل ما حرموه من الأنعام والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام { قَالُوا : بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا } يعني في تحريم ذلك عليهم .

قوله تعالى : { وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَآءً وَنِدَآءً } فيه قولان :

أحدهما : أن مثل الكافر فيما يوعظ به مثل البهيمة التي ينعق بها تسمع الصوت ولا تفهم معناه ، وهذا قول ابن عباس ومجاهد .

والثاني : مثل الكافر في دعاء آلهته التي يعبدها من دون الله كمثل راعي البهيمة يسمع صوتها ولا يفهمه ، وهذا قول ابن زيد .

{ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ } أي صم عن الوعظ فلا يسمعونه ، بكم عن الحق فلا يذكرونه ، عمي عن الرشد فلا يبصرونه فهم لا يعقلونه ، لأنهم إذا لم يعملوا بما يسمعونه ويقولونه ويبصرونه كانوا بمثابة من فقد السمع والنطق والبصر . والعرب تقول لمن سمع ما لا يعمل به : أصم . قال الشاعر :

. . . . أصمُّ عَمّا ساءَه سميعُ

(118/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (172) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (173)

قوله تعالى : { إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ } أخبر الله تعالى بما حرم بعد قوله : { كُلُوا مِن طَيِّبَتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ } ليدل على تخصيص التحريم من عموم الإباحة ، فقال : { إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ } وهو ما فات روحه بغير ذكاة . { وَالدَّمَ } هو الجاري من الحيوان بذبح أو جرح .

{ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ } فيه قولان :

أحدهما : التحريم مقصور على لحمه دون غيره اقتصاراً على النص ، وهذا قول داود بن علي .

والثاني : أن التحريم عام في جملة الخنزير ، والنص على اللحم تنبيه على جميعه لأنه معظمه ، وهذا قول الجمهور .

{ وَمَآ أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ } يعني بقوله : { أُهِلَّ } أي ذبح وإنما سمي الذبح إهلالاً لأنهم كانوا إذا أرادوا ذبح ما قربوه لآلهتهم ذكروا عنده اسم آلهتهم وجهروا به أصواتهم ، فسمي كل ذابح جَهَر بالتسمية أو لم يجهر مُهِلاً ، كما سمي الإحرام إهلالاً لرفع أصواتهم عنده بالتلبية حتى صار اسماً له وإن لم يرفع عنده صوت . وفي قوله تعالى : { لِغَيْرِ اللهِ } تأويلان :

أحدهما : ما ذبح لغير الله من الأصنام وهذا قول مجاهد وقتادة .

والثاني : ما ذكر عليه اسم غير الله ، وهو قول عطاء والربيع .

{ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ } اضطر افتُعل من الضرورة ، وفيه قولان :

أحدهما : معناه : فمن أكره على أكله فلا إثم عليه ، وهو قول مجاهد .

والثاني : فمن احتاج إلى أكله لضرورة دعته من خوف على نفس فلا إثم عليه ، وهو قول الجمهور .

وفي قوله : { غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ } ثلاثة أقاويل :

أحدها : غير باغ على الإمام ولا عاد على الأمة بإفساد شملهم ، فيدخل الباغي على الإمام وأمته والعادي : قاطع الطريق ، وهو معنى قول مجاهد وسعيد بن جبير .

والثاني : غير باغ في أكله فوق حاجته ولا عاد يعني متعدياً بأكلها وهو يجد غيرها ، وهو قول قتادة ، والحسن ، وعكرمة ، والربيع ، وابن زيد .

والثالث : غير باغ في أكلها شهوة وتلذذاً ولا عاد باستيفاء الأكل إلى حد الشبع ، وهو قول السدي .

وأصل البغي في اللغة : قصد الفساد يقال بغت المرأة تبغي بِغَاءً إذا فَجَرَتْ . وقال الله عز وجل : { وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً } [النور : 33] وربما استعمل البغي في طلب غير الفساد ، والعرب تقول خرج الرجل في بغاء إبلٍ له ، أي في طلبها ، ومنه قول الشاعر :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لا يمنعنّك من بغا ... ء الخير تعقادُ التمائم

إن الأشائم كالأيا ... من ، والأيامن كالأشائم

(119/1)

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (174) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (175) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (176)

قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ } يعني علماء اليهود كتموا ما أنزل الله عز وجل في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وصحة رسالته . { وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً } يعني قبول الرُّشَا على كتم رسالته وتغيير صفته ، وسماه قليلاً لانقطاع مدته وسوء عاقبته . وقيل : لأن ما كانوا يأخذون من الرُشا كان قليلاً .

{ أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ } فيه تأويلان :

أحدهما : يريد أنه حرام يعذبهم الله عليه بالنار فصار ما يأكلون ناراً ، فسماه في الحال بما يصير إليه في ثاني الحال ، كما قال الشاعر :

وأمّ سماك فلا تجزعي ... فللموت ما تلد الوالدة

{ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : معناه يغضب عليهم ، من قولهم : فلان لا يكلم فلاناً إذا غضب عليه .

والثاني : لا يرسل إليهم الملائكة بالتحية .

والثالث : معناه لا يسمعهم كلامه .

{ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ } فيه قولان :

أحدهما : يعني لا يصلح أعمالهم الخبيثة .

والثاني : لا يثني عليهم ، ومن لا يثني الله عليه فهو معذب { وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } أي مؤلم موجع .

قوله تعالى : { أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى } يعني من تقدم ذكره من علماء اليهود اشتروا الكفر بالإيمان { وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ } يعني النار بالجنة .

{ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : معناه ما أجرأهم على النار ، وهذا قول أبي صالح .

والثاني : فما أصبرهم على عمل يؤدي بهم إلى النار .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثالث : معناه فما أبقاهم على النار ، من قولهم : ما أصبر فلاناً على الحبس ، أي ما أبقاه فيه .
والرابع : بمعنى أي شيء صبّرهم على النار؟

(120/1)

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (177)

قوله تعالى : { لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ } الآية ، فيها قولان :
أحدهما : أن معناها ليس البر الصلاة وحدها ، ولكن البر الإيمان مع أداء الفرائض التي فرضها الله ، وهذا بعد الهجرة إلى المدينة واستقرار الفروض والحدود ، وهذا قول ابن عباس ومجاهد .
والثاني : أن المعنَّي بذلك اليهود والنصارى ، لأن اليهود تتوجه إلى المغرب ، والنصارى تتوجه إلى المشرق في الصلاة ، ويرون ذلك هو البر ، فأخبرهم الله عز وجل ، أنه ليس هذا وحده هو البر ، حتى يؤمنوا بالله ورسوله ، ويفعلوا ما ذَكَرَ ، وهذا قول قتادة ، والربيع .
وفي قوله تعالى : { وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ } قولان :
أحدهما : معناه ولكن ذا البر من آمن بالله .
والثاني : معناه ولكن البرَّ بِرُّ مَنْ آمن بالله ، يعني الإقرار بوحدانيته وتصديق رسله ، حكاهما الزَّجَّاجُ .
وقوله تعالى : { وَالْيَوْمِ الآخِرِ } يعني التصديق بالبعث والجزاء .
{ والْمَلاَئِكَةِ } يعني فيما أُمِروا به ، مِنْ كَتْبَ الأعمال ، وتولي الجزاء .
{ وَالْكِتَابِ } يعني القرآن ، وما تضمنه من استقبال الكعبة ، وأن لا قبلة سواها .
{ وَالنَّبِيِّينَ } يعني التصديق بجميع الأنبياء ، وأن لا يؤمنوا ببعضهم ويكفروا ببعض . { وَءَاتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ } يعني على حب المال . قال ابن مسعود : أن يكون صحيحاً شحيحاً يطيل الأمل ويخشى الفقر . وكان الشعبي يروي عن فاطمة بنت قيس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ فِي المَالِ حَقاً سِوَى الزَّكَاةِ » وتلا هذه الآية { لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وَجُوهَكُمْ } إلى آخرها ، فذهب الشعبي والسدي إلى إيجاب ذلك لهذا الخبر ، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل : أي الصدقة أفضل؟ قال : « جُهْدٌ عَلَى ذِي الْقَرَابَةِ الْكَاشِحِ » . وذهب الجمهور إلى أنْ ليس في المال حق سوى الزكاة وأن ذلك محمول عليها أو على التطوع

This file was downloaded from QuranicThought.com

المختار .

وقوله تعالى : { وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى } يريد قرابة الرجل من طرفيه من قِبَل أبويه ، فإن كان ذلك محمولاً على الزكاة ، روعي فيهم شرطان :

أحدهما : الفقر .

والثاني : سقوط النفقة . وإن كان ذلك محمولاً على التطوع لم يعتبر واحد منهما ، وجاز مع الغنى والفقر ، ووجوب النفقة وسقوطها ، لأن فيهم مع الغنى صلة رحم مبرور .

{ والْيَتَامَى } وهم من اجتمع فيهم شرطان : الصغر وفقد الأب ، وفي اعتبار الفقر فيهم قولان كالقرابة .

{ وَالْمَسَاكِينَ } وهم من عُدِمَ قدرُ الكفاية وفي اعتبار إسلامهم قولان :

{ وابْنَ السَّبِيلِ } هم فقراء المسافرين { والسَّائِلِينَ وهم الذين ألجأهم الفقر إلى السؤال .

{ وَفِي الِّرقَابِ } وفيهم قولان :

أحدهما : أنهم عبيد يعتقون ، وهو قول الشافعي رحمه الله .

والثاني : أنهم مُكَاتَبُونَ يعانون في كتابتهم بما يعتقدون ، وهو قول الشافعي وأبي حنيفة .

{ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ } يعني إلى الكعبة على شروطها وفي أوقاتها .

{ وآتَى الزَّكَاةَ } يعني إلى مستحقها عند وجوبها .

{ وَالْمُوفُونَ بِعَهدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا } وذلك من وجهين :

(121/1)

أحدهما : النذور التي بينه وبين الله تعالى . والثاني : العقود التي بينه وبين الناس ، وكلاهما يجب عليه الوفاء به .

{ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ } قال ابن مسعود : البأساء الفقر ، والضراء السقم .

{ وَحِينَ الْبَأْسِ } أي القتال .

وفي هذا كله قولان :

أحدهما : أنه مخصوص في الأنبياء عليهم السلام لأنه لا يقدر على القيام بهذا كله على شروطه غيرهم .

والثاني : أنه عامٌّ ، في الناس كلهم لإرسال الكلام وعموم الخطاب .

{ أولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا } فيه وجهان :

أحدهما : طابقت نياتهم لأعمالهم .

والثاني : صدقت أقوالهم لأفعالهم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ وَأولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } فيه وجهان :

أحدهما : أن تخالف سرائرهم لعلانيتهم .

والثاني : أن يحمدهم الناس بما ليس فيهم .

(122/1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (178) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (179)

قوله عز وجل : { يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى } معنى قوله : { كُتِبَ عَلَيْكُمُ } أي فرض عليكم ، ومنه قول نابغة بني جعدة :

يا بنت عمي كتاب الله أخرجني ... عنكم فهل أمنعن الله ما فعلا

وقول عمر بن أبي ربيعة :

كتب القتل والقتال علينا ... وعلى الغانيات جر الذيول

والقصاص : مقابلة الفعل بمثله مأخوذ من قص الأثر .

ثم قال تعالى : { الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى } فاختلف أهل التأويل في ذلك على أربعة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في قوم من العرب كانوا أعزة أقوياء لا يقتلون بالعبد منهم إلا سيداً وبالمرأة منهم إلا رجلاً ، استطالة بالقوة وإدلالاً بالعزة ، فنزلت هذه الآية فيهم ، وهذا قول الشافعي ، وقتادة .

والثاني : أنها نزلت في فريقين كان بينهما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قتال ، فقتل من الفريقين جماعة من رجال ونساء وعبيد فنزلت هذه الآية فيهم ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم دية الرجل قصاصاً بدية الرجل ، ودية المرأة قصاصاً بدية المرأة ، ودية العبد قصاصاً بدية العبد ثم أصلح بينهم . وهذا قول السدي وأبي مالك .

والثالث : أن ذلك أمر من الله عز وجل بمقاصة دية القاتل المُقْتَص منه بدية المقتول المقتص له واستيفاء الفاضل بعد المقاصة ، وهذا قول عليّ كان يقول في تأويل الآية : أيما حر قتل عبداً فهو به قود ، فإن شاء موالي العبد أن يقتلوا الحر قتلوه وقاصّوهم بثمن العبد من دية الحر وأدوا إلى أولياء الحر بقية دِيته ، وأيما عبد قتل حراً فهو به قود ، فإن شاء أولياء الحر قتلوا العبد وقاصّوهم بثمن العبد وأخذوا بقية دية الحر ، وأيما رجل قتل امرأة فهو بها قود ، فإن شاء أولياء المرأة قتلوه ، وأدوا بقية الدية إلى أولياء الرجل ، وأيما امرأة قتلت رجلاً فهي به قود ، فإن شاء أولياء الرجل قتلوها

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وأخذوا نصف الدية .

والرابع : أن الله عز وجل فرض بهذه الآية في أول الإسلام أن يُقْتَلَ الرجل بالرجل ، والمرأة بالمرأة والعبد بالعبد ، ثم نَسَخَ ذلك قولُه في سورة المائدة { وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ } [المائدة : 45] وهذا قول ابن عباس .

ثم قال تعالى : { فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : فمن عفي له عن القصاص منه فاتّباع بمعروف وهو أن يطلب الولي الدية بمعروف ويؤدي القاتلُ الدية بإحسان ، وهذا قول ابن عباس ومجاهد .

والثاني : أن معنى قوله : { فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ } بمعنى فمن فضل له فضل وهذا تأويل من زعم أن الآية نزلت في فريقين كانا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل من كلا الفريقين قتلى فتقاصّا ديات القتلى بعضهم من بعض ، فمن بقيت له بقية فليتبعها بمعروف ، وليرد من عليه الفاضل بإحسان ، ويكون معنى { فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ } أي فضل له قِبل أخيه القاتل شيء ، وهذا قول السدي .

(123/1)

والثالث : أن هذا محمول على تأويل عليّ (رضي الله عنه) في أول الآية؟ في القصاص بين الرجل والمرأة والحر والعبد وأداء ما بينهما من فاضل الدية .

ثم في الاتباع بالمعروف والأداء إليه بإحسان وجهان ذكرهما الزَّجَّاج :

أحدهما : أن الاتباع بالمعروف عائد إلى ولي المقتول أن يطالب بالدية بمعروف ، والأداء عائد إلى القاتل أن يؤدي الدية بإحسان .

والثاني : أنهما جميعاً عائدان إلى القاتل أن يؤدي الدية بمعروف وبإحسان .

ثم قال تعالى : { ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ } يعني خيار الولي في القود أو الدية ، قال قتادة : وكان أهل التوراة يقولون : إنما هو قصاص أو عفو ليس بينهما أرش ، وكان أهل الإنجيل يقولون : إنما هو أرش أو عفو ليس بينهما قود ، فجعل لهذه الأمة القود والعفو والدية إن شاءوا ، أحلها لهم ولم تكن لأمة قبلهم ، فهو قوله تعالى : { ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِكُم وَرَحْمَةٌ } .

ثم قال تعالى : { فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ } يعني مَنْ قَتَلَ بعد أَخْذِهِ الدية فله عذاب أليم ، وفيه أربعة تأويلات :

أحدها : أن العذاب الأليم هو أن يقتل قصاصاً ، وهو قول عكرمة ، وسعيد بن جبير ، والضحاك .

والثاني : أن العذاب الأليم هو أن يقتله الإمام حتماً لا عفو فيه ، وهو قول ابن جريج ، وروي أن

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

النبي الله عليه وسلم كان يقول : « لاَ أُعَافِي رَجُلاً قَتَلَ بَعْدَ أَخْذِ الدِّيَةِ » . والثالث : أن العذاب الأليم هو عقوبة السلطان .

والرابع : أن العذاب الأليم استرجاع الدية منه ، ولا قود عليه ، وهو قول الحسن البصري .

قوله تعالى : { وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ } فيه قولان :

أحدهما : إذا ذكره الظالم المعتدي ، كف عن القتل فحيي ، وهذا قول مجاهد وقتادة .

والثاني : أن إيجاب القصاص على القاتل وترك التعدي إلى من ليس بقاتل حياة للنفوس ، لأن القاتل إذا علم أن نفسه تؤخذ بنفس من قتله كف عن القتل فَحِيِيَ أن يقتل قوداً ، أو حَيِيَ المقتول أن يقتل ظلماً .

وفي المعنيين تقارب ، والثاني أعم ، وهو معنى قول السدي .

وقوله تعالى : { يَا أُولِي الأَلْبَابِ } يعني يا ذوي العقول ، لأن الحياة في القصاص معقولة بالاعتبار .

وقوله تعالى : { لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } قال ابن زيد : لعلك تتقي أن تقتله فتقتل به .

(124/1)

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (180) فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (181) فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (182)

قوله عز وجل : { كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ } أي فرض عليكم ، وقوله : { إِذَا حَضَرَ } ليس يريد به ذكر الوصية عند حلول الموت ، لأنه في شغل عنه ، ولكن تكون العطية بما تقدم من الوصية عند حضور الموت ، ثم قال تعالى : { إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ } ، والخير : المال في قول الجميع ، قال مجاهد : الخير في القرآن كله المال . { إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ } [العاديات : 8] أي المال ، { إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي } [ص : 32] { فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً } [النور : 33] وقال شعيب : { إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ } [هود : 84] يعني الغنى والمال .

واختلف أهل العلم في ثبوت حكم هذه الآية ، فذهب الجمهور من التابعين والفقهاء إلى أن العمل بها كان واجباً قبل فرض المواريث لئلا يضع الرجل ماله في البُعَدَاء طلباً للسمعة والرياء ، فلما نزلت آية المواريث في تعيين المستحقين ، وتقدير ما يستحقون ، نسخ بها وجوب الوصية ومنعت السنّة من جوازها للورثة ، وقال آخرون : كان حكمها ثابتاً في الوصية للوالدين ، والأقربين حق واجب ،

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فلما نزلت آي المواريث وفرض ميراث الأبوين نسخ بها الوصية للوالدين وكل وارث ، وبقي فرض الوصية للأقربين الذين لا يرثون على حالة ، وهذا قول الحسن ، وقتادة ، وطاوس ، وجابر بن زيد .

فإن أوصى بثُلُثِهِ لغير قرابته ، فقد اختلف قائلو هذا القول في حكم وصيته على ثلاثة مذاهب :

أحدها : أن يرد ثلث الثلث على قرابته ويكون ثلثا الثلث لمن أوصى له به ، وهذا قول قتادة .

والثاني : أن يرد ثلثا الثلث على قرابته ويكون ثلثا الثلث لمن أوصى له به ، وهذا قول جابر بن زيد .

والثالث : أنه يريد الثلث كله على قرابته ، وهذا قول طاوس .

واختلف في قدر المال الذي يجب عليه أن يوصي منه على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه ألف درهم ، تأويلاً لقوله تعالى : { إِن تَرَكَ خَيْراً } أن الخير ألف درهم وهذا قول عليّ .

والثاني : من ألف درهم إلى خمسمائة درهم ، وهذا قول إبراهيم النخعي .

والثالث : أنه غير مقدر وأن الوصية تجب في قليل المال وكثيره ، وهذا قول الزهري .

ثم قال تعالى : { بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ } يحتمل قوله بالمعروف وجهين :

أحدهما : بالعدل الوسط الذي لا بخس فيه ولا شطط .

والثاني : يعني بالمعروف من ماله دون المجهول .

وقوله تعالى : { حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ } يعني بالتقوى من الورثة أن لا يسرف ، والأقربين أن لا يبخل ، قال ابن مسعود : الأجل فالأجل ، يعني الأحوج فالأحوج . وغاية ما لا سرف فيه : الثلث ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم « الثلث والثلث كثير

» . وروى الحسن أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وصّياً بالخمس وقالا يوصي بما رضي الله لنفسه ، : بالخمس ، وكان يقول : الخمس معروف ، والربع جهد ، والثلث غاية ما تجيزه القضاة .

(125/1)

ثم قال تعالى : { فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ } يعني فَمَنْ غَيَّرَ الوَصِيَّةَ بعدما سمعها ، وإنما جُعِلَ اللفظ مذكراً وإن كانت الوصية مؤنثة لأنه أراد قول المُوصِي ، وقوله مذكر . { فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ } أي يسمعونه ويَعْدِلون به عن مستحقه ، إما ميلاً أو خيانة ، وللميت أجر قصده وثواب وصيته ، وإن غُيِّرت بعده .

قوله تعالى : { إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } أي سميع لقول الموصِي ، عليم بفعل الوصي .

قوله عز وجل : { فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُم } اختلف المفسرون في تأويل ذلك ، على خمسة أقاويل :

أحدها : أن تأويله فمن حضر مريضاً ، وهو يوصي عند إشرافه على الموت ، فخاف أن يخطئ في

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وصيته ، فيفعل ما ليس له أو أن يتعمد جَوْراً فيها ، فيأمر بما ليس له ، فلا حرج على من حضره فسمع ذلك منه ، أن يصلح بينه وبين ورثته ، بأن يأمره بالعدل في وصيته ، وهذا قول مجاهد .

والثاني : أن تأويلها فمن خاف من أوصياء الميت جنفاً في وصيته ، فأصلح بين ورثته وبين المُوصَى لهم فيما أُوصِيَ به لهم حتى رد الوصية إلى العدل ، فلا إثم عليه ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة .

والثالث : أن تأويلها فمن خاف من موص جنفاً أو إثماً في عطيته لورثته عند حضور أجله ، فأعطى بعضاً دون بعض ، فلا إثم عليه أن يصلح بين ورثته في ذلك ، وهذا قول عطاء .

والرابع : أن تأويلها فمن خاف من موصٍ جنفاً ، أو إثماً في وصيته لغير ورثته ، بما يرجع نفعه إلى ورثته فأصلح بين ورثته ، فلا إثم عليه ، وهذا قول طاووس .

والخامس : أن تأويلها فمن خاف من موصٍ لآبائه وأقربائه جنفاً على بعضهم لبعض ، فأصلح بين الآباء والأقرباء ، فلا إثم عليه ، وهذا قول السدي .

وفي قوله تعالى : { جَنَفاً أَوْ إِثْماً } تأويلان :

أحدهما : أن الجنف الخطأ ، والإثم العمد ، وهذا قول السدي .

والثاني : أن الجنف الميل ، والإثم أن يكون قد أثم في أَثَرَةِ بعضهم على بعض ، وهذا قول عطاء وابن زيد .

والجنف في كلام العرب هو الجَوْرُ والعُدُولِ عن الحق ، ومنه قول الشاعر :

هم المولى وهمْ جنفوا علينا ... وإنا من لقائهمُ لَزُورُ

(126/1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (184)

قوله عز وجل : { يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ } بمعنى فرض عليكم الصيام ، والصيام من كل شيء الإمساك عنه ، ومن قوله تعالى : { إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً } أي صمتاً ، لأنه إمساك عن الكلام ، وذم أعرابي قوماً فقال : يصومون عن المعروف ويقصون على الفواحش ، وأصله مأخوذ من صيام الخيل ، وهو إمساكها عن السير والعلف ، قال النابغة الذبياني :

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمةٍ ... تحت العجاج وأخرى تعلك اللُّجما

ولذلك قيل لقائم الظهيرة : قد صام النهار ، لإبطاء الشمس فيه عن السير ، فصارت بالإبطاء

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كالممسكة عنه ، قال الشاعر :

فدعها وسَلِّ الهمَّ عنك بجَسْرَةٍ ... ذمولٍ إذا صام النهار وهجّرا

إلا أن الصيام في الشرع : إنما هو إمساك عن محظورات الصيام في زمانه ، فجعل الصيام من أوكد عباداته وألزم فروضه ، حتى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : كُلُّ عَمَلِ ابنِ آدَمَ لَهُ إلاَّ الصَّومَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، وَلَخَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِندَ اللهِ مَن رِيحِ المِسْكَ

» . وإنما اختص الصوم بأنه له ، وإن كان كل العبادات له ، لأمرين بَايَنَ الصومُ بِهِمَا سائِرَ الْعِبَادَاتِ :

أحدهما : أن الصوم منع من مَلاَذِّ النفس وشهواتها ، ما لا يمنع منه سائر العبادات .

والثاني : أن الصوم سر بين العبد وربه لا يظهر إلا له ، فلذلك صار مختصاً به ، وما سواه من العبادات ظاهر ، ربما فعله تصنّعاً ورياء ، فلهذا صار أخص بالصوم من غيره .

ثم قال تعالى : { كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ } وفيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم النصارى ، وهو قول الشعبي والربيع وأسباط .

والثاني : أنهم أهل الكتاب ، وهو قول مجاهد .

والثالث : أنهم جميع الناس ، وهو قول قتادة .

واختلفوا في موضع التشبيه بين صومنا ، وصوم الذين من قبلنا ، على قولين :

أحدهما : أن التشبيه في حكم الصوم وصفته ، لا في عدده لأن اليهود يصومون من العتمة إلى العتمة ، ولا يأكلون بعد النوم شيئاً ، وكان المسلمون على ذلك في أول الإسلام ، لا يأكلون بعد النوم شيئاً حتى كان من شأن عمر بن الخطاب وأبي قيس بن صرمة ما كان ، فأجلّ الله تعالى لهم الأكل والشرب ، وهذا قول الربيع بن أنس ، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بَيْنَ صَومِنَا وَصَومِ أهلِ الْكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحَرِ

» . والقول الثاني : أن التشبيه في عدد الصوم ، وفيه قولان :

أحدهما : أن النصارى كان الله فرض عليهم صيام ثلاثين يوماً كما فرض علينا ، فكان ربما وقع في القيظ ، فجعلوه في الفصل بين الشتاء والصيف ، ثم كفّروه بصوم عشرين يوماً زائدة ، ليكون تمحيصاً لذنوبهم وتكفيراً لتبديلهم ، وهذا قول الشعبي .

والثاني : أنهم اليهود كان عليهم صيام ثلاثة أيام من كل يوم عاشوراء ، وثلاثة أيام من كل شهر ، فكان على ذلك سبعة عشر شهراً إلى أن نسخ بصوم رمضان ، قال ابن عباس : كان أول ما نسخ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

شأن القبلة والصيام الأول .

وفي قوله تعالى : { لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } قولان :

أحدهما : لعلكم تتقون ما حرم عليكم في الصيام ، من أكل الطعام ، وشرب الشراب ، ووطء النساء ، وهو قول أبي جعفر الطبري .

والثاني : معناه أن الصوم سبب يؤول بصاحبه إلى تقوى الله ، لما فيه من قه النفس ، وكسر الشهوة ، وإذهاب الأشر ، وهو معنى قول الزجاج .

قوله عز وجل : { أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ } فيها قولان :

أحدهما : أنها أيام شهر رمضان التي أبانها من بعد ، وهو قول ابن أبي ليلى وجمهور المفسرين .

والثاني : أنها صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، كانت مفروضة قبل صيام شهر رمضان ، ثم نسخت به ، وهو قول ابن عباس ، وقتادة وعطاء ، وهي الأيام البيض من كل شهر ، وفيها وجهان :

أحدهما : أنه الثاني عشر وما يليه .

الوجه الثاني : أنها الثالث عشر وما يليه ، وهو أظهر الوجهين ، لأن أيام الشهر مجزأة عند العرب عشرة أجزاء ، كل جزء منها ثلاثة أيام ، تختص باسم ، فأولها ثلاث غرر ، ثم ثلاث شهب ، ثم ثلاث بهر ، ثم ثلاث عشر ، ثم ثلاث بيض ، ثم ثلاث درع ، والدرع هو سواد مقدم الشاة ، وبياض مؤخرها ، فقيل لهذه الثلاث درع ، لأن القمر يغيب في أولها ، فيصير ليلها درعاً ، لسواد أوله ، وبياض آخره ، ثم ثلاث خنس ، لأن القمر يخنس فيها ، أي يتأخر ، ثم ثلاث دهم ، وقيل حنادس لإظلامها ، ثم ثلاث فحم ، لأن القمر يتفحم فيها ، أي يطلع آخر الليل ، ثم ثلاث رادي ، وهي آخر الشهر ، مأخوذة من الرادة ، أن تسرع نقل أرجلها حتى تضعها في موضع أيديها .

وقد حكى أبو زيد ، وابن الأعرابي ، أنهم جعلوا للقمر في كل ليلة من ليالي العشر اسماً ، فقالوا ليلة عتمة سخيلة حل أهلها برميلة ، وابن ليلتين حديث مين مكذب ومبين ، ورواه ابن الأعرابي كذب ومين ، وابن ثلاث قليل اللباث ، وابن أربع عتمة ربع لا جائع ولا مرضع ، وابن خمس حديث وأنس ، وابن ست سِرْ وبِتْ ، وابن سبع دلجة الضبع ، وابن ثمان قمر إضحيان ، وابن تسع انقطع الشسع . وفي رواية غير أبي زيد : يلتقط فيه الجزع ، وابن عشر ثلث الشهر ، عن أبي زيد وعن غيره ، ولم يجعل له فيما زاد عن العشر اسماً مفرداً .

واختلفوا في الهلال متى يصير قمراً ، فقال قوم يسمى هلالا لليلتين ، ثم يُسَمَّى بعدها قمراً ، وقال آخرون يسمى هلالاً إلى ثلاث ، ثم يسمى بعدها قمراً ، وقال آخرون يسمى هلالاً إلى ثلاث ، ثم يسمى بعدها قمراً ، وقال آخرون يسمى هلالاً حتى يحجر ، وتحجيره أن يستدير بِخَطَّةٍ دقيقة ، وهو قول الأصمعي ، وقال آخرون يسمى هلالاً إلى أن يبهر ضوؤه سواد الليل ، فإذا بهر ضوؤه يسمى قمراً ، وهذا لا يكون إلا في الليلة السابعة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

[ثم عدنا إلى تفسير ما بقي من الآية] .
قوله تعالى : { فَمَنْ كَانَ مِنْكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ } يعني مريضاً لا يقدر مع مرضه على الصيام ، أو على سفر يشق عليه في سفره الصيام .
{ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ } فيه قولان :
أحدهما : أنه مع وجود السفر ، يلزمه القضاء سواء صام في سفره أو أفطر ، وهذا قول داود الظاهري .
والثاني : أن في الكلام محذوفاً وتقديره : فأفطر فعدة من أيام أخر ، ولو صام في مرضه وسفره لم يعد ، لكون الفطر بهما رُخْصَة لا حتماً ، وهذا قول الشافعي ، ومالك ، وأبي حنيفة ، وجمهور الفقهاء .
ثم قال تعالى : { وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ } هكذا قرأ أكثر القراء ، وقرأ ابن عباس ، ومجاهد : { وَعَلَى الَّذِينَ لاَ يَطِيقُونَهُ فدية } ، وتأويلها : وعلى الذين يكلفونه ، فلا يقدرون على صيامه لعجزهم عنه ، كالشيخ والشيخة والحامل والمرضع ، فدية طعام مسكين ، ولا قضاء عليهم لعجزهم عنه . وعلى القراءة المشهورة فيها تأويلان :
أحدهما : أنها وردت في أول الإسلام ، خيّر الله تعالى بها المطيقين للصيام من الناس كلهم بين أن يصوموا ولا يكفروا ، وبين أن يفطروا ويكفروا كل يوم بإطعام مسكين ، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى : { فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ } ، وقيل بل نسخ بقوله : { وَأَنْ تَصُومُوا خَيرٌ لَّكُم } ، وهذا قول ابن عمر ، وعكرمة ، والشعبي ، والزهري ، وعلقمة ، والضحاك .
والثاني : أن حكمها ثابت ، وأن معنى قوله تعالى : { وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ } أي كانوا يطيقونه في حال شبابهم ، وإذا كبروا عجزوا عن الصوم لكبرهم أن يفطروا ، وهذا سعيد بن المسيب ، والسدي .
ثم قال تعالى : { فَمَنْ تَطَوَّعَ خيراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ } فيه تأويلان :
أحدهما : فمن تطوع بأن زاد على مسكين واحد فهو خير له وهذا قول ابن عباس ومجاهد وطاووس والسدي .
والثاني : فمن تطوع بأن صام مع الفدية فهو خير له وهذا قول الزهري ورواية ابن جريج عن مجاهد .
ثم قال تعالى : { وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُم } يحتمل تأويلين :
أحدهما : أن الصوم في السفر خير من الفطر فيه والقضاء بعده .
والثاني : أن الصوم لمطيقه خير وأفضل ثواباً من التكفير لمن أفطر بالعجز .
{ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } يحتمل وجهين :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : إن كنتم تعلمون ما شَرَّعْتُه فيكم وَبَيَّنْتُه من دينكم .

والثاني : إن كنتم تعلمون فضل أعمالكم وثواب أفعالكم .

(129/1)

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (185)

قوله تعالى : { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ } أما الشهر فمأخوذ من الشهرة ، ومنه قيل قد شهر فلان سيفه ، إذا أخرجه ، وأما رمضان فإن بعض أهل اللغة يزعم أنه سمي بذلك ، لشدة ما كان يوجد فيه من الحر حتى ترمض فيه الفصال ، كما قيل لشهر الحج ذو الحجة ، وقد كان شهر رمضان يسمى في الجاهلية ناتقاً .

وأما مجاهد فإنه كان يكره أن يقال رمضان ، ويقول لعله من أسماء الله عز وجل .

وفي إنزاله قولان :

أحدهما : أن الله تعالى أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا في شهر رمضان في ليلة القدر منه ، ثم أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ، على ما أراد إِنْزَالَهُ عليه .

روى أبو مسلم عن وائلة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان ، وأُنْزِلتِ التوراةُ لست مضين من رمضان ، وأُنْزِلَ الإنجيلُ لثلاث عشرة خلت من رمضان ، وأُنْزِلَ القرآن لأربع وعشرين من رمضان .

والثاني : أنه بمعنى أنزل القرآن في فرض صيامه ، وهو قول مجاهد .

قوله تعالى : { هُدًى لِلنَّاسِ } يعني رشاداً للناس .

{ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ } أي بينات من الحلال والحرام ، وفرقان بين الحق والباطل .

{ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ } الشهر لا يغيب عن أحد ، وفي تأويله ثلاثة أقاويل :

أحدها : فمن شهد أول الشهر ، وهو مقيم فعليه صيامه إلى آخره ، وليس له أن يفطر في بقيته ، وهذا قول عليّ ، وابن عباس ، والسدي .

والثاني : فمن شهد منكم الشهر ، فليصم ما شهد منه وهو مقيم دون ما لم يشهده في السفر ، وهذا قول سعيد بن المسيب والحسن البصري .

والثالث : فمن شهد بالغاً عاقلاً مُكَلَّفاً فليصمه ، ولا يسقط صوم بقيته إذا جُن فيه ، وهذا قول أبي حنيفة ، وصاحبيه .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرْ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ } وإنما أعاد ذكر الفطر بالمرض والسفر مع قرب ذكره من قبل ، لأنه في حكم تلك الآية منسوخاً ، فأعاد ذكره ، لِئَلاَّ يصير بالمنسوخ مقروناً ، وتقديره فمن كان مريضاً أو على سفر في شهر رمضان فأفطر ، فعليه عدة ما أفطر منه ، أن يقضيه من بعده .

واختلفوا في المرض الذي يجوز معه الفطر في شهر رمضان ، على ثلاثة مذاهب :

أحدها : أنه كل مرضٍ لم يطق الصلاة معه قائماً ، وهذا قول الحسن البصري .

والثاني : أنه المرض الذي الأغلب من أمر صاحبه بالصوم الزيادة في علته زيادة غير محتملة ، وهو قول الشافعي .

والثالث : أنه كل مرض انطلق عليه اسم المرض ، وهو قول ابن سيرين .

فأما السفر ، فقد اختلفوا فيه على ثلاثة مذاهب :

أحدها : أنه ما انطلق اسم السفر من طويل أو قصير ، وهذا قول داود .

(130/1)

والثاني : أنه مسيرة ثلاثة أيام ، وهو قول أبي حنيفة .

واختلفوا في وجوب الفطر فيه على قولين :

أحدهما : أنه واجب وهو قول ابن عباس .

والثاني : أنه مباح ، وهو قول الجمهور .

ثم قال تعالى : { يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } قال ابن عباس : اليسر الإفطار ، والعسر الصيام في السفر ، ونحوه عن مجاهد وقتادة .

{ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ } يعني عدة ما أفطر ثم في صيام شهر رمضان بالقضاء في غيره .

{ ولِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ } قيل إنه تكبير الفطر من أول الشهر .

وقوله : { عَلَى مَا هَدَاكُمْ } يعني من صيام شهر رمضان ، ويحتمل أن يكون على عموم ما هدانا إليه من دينه .

{ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : تشكرون على هدايته لكم .

والثاني : على ما أنعم به من ثواب طاعته ، والله أعلم .

(131/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186)

قوله تعالى : { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ } اختلف أهل التأويل في سبب نزول هذه الآية ، على أربعة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في سائل سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد أقريبٌ ربنا فنناجيه ، أم بعيد فنناديه؟ فأُنْزِلَتْ هذه الآية ، وهو قول الحسن البصري .

والثاني : أنها نزلت في قوم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أي ساعة يدعون الله فيها ، وهذا قول عطاء والسدي .

والثالث : أنها نزلت جواباً لقوم قالوا : كيف ندعو؟ ، وهذا قول قتادة .

والرابع : أنها نزلت في قوم حين نَزَلَ قولُه تعالى : { ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } قالوا : إلى أين ندعوه؟ ، وهذا قول مجاهد .

وفي قوله تعالى : { قَرِيبٌ } تأويلان :

أحدهما : قريب الإجابة .

والثاني : قريب من سماع الدعاء .

وفي قوله تعالى : { أجيب دعوة الداعِ إذا دعانِ } تأويلان :

أحدهما : معناه أسمع دعوة الداعي إذا دعاني ، فعبر عن السماع بالإجابة ، لأن السماع مقدمة الإجابة .

والثاني : أنه أراد إجابة الداعي إلى ما سأل ، ولا يخلو سؤال الداعي أن يكون موافقاً للمصلحة أو مخالفاً لها ، فإن كان مخالفاً للمصلحة لم تجز الإجابة إليه ، وإن كان موافقاً للمصلحة ، فلا يخلو حال الداعي من أحد أمرين : إما أن يكون مستكملاً شروط الطلب أو مقصوراً فيها :

فإن استكملها جازت إجابته ، وفي وجوبها قولان :

أحدهما : أنها واجبة لأنها تجري مجرى ثواب الأعمال ، لأن الدعاء عبادة ثوابها الإجابة .

والثاني : أنها غير واجبة لأنها رغبة وطلب ، فصارت الإجابة إليها تفضلاً .

وإن كان مقصوراً في شروط الطلب لم تجب إجابته ، وفي جوازها قولان :

أحدهما : لا تجوز ، وهوقول من أوجبها مع استكمال شروطها .

والثاني : تجوز ، وهو قول من لم يوجبها مع استكمال شروطها .

وفي قوله تعالى : { فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي } أربعة تأويلات :

أحدها : أن الإستجابة بمعنى الإجابة ، يقال استجبت له بمعنى أجبته ، وهذا قول أبي عبيدة ، وأنشد قول كعب بن سعد الغنوي :

وداعٍ دَعَا : يا من يجيب إلي الندا ... فلم يستجبه عند ذلك مجيب

This file was downloaded from QuranicThought.com

أي فلم يجبه .

والثاني : أن الإستجابة طلب الموافقة للإجابة ، وهذا قول ثعلب .

والثالث : أن معناه فليستجيبوا إليَّ بالطاعة .

والرابع : فليستجيبوا لي ، يعني فليدعوني .

(132/1)

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (187)

قوله تعالى : { أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ } كان ابن مسعود يقرأ الرفث والرفوث جميعاً ، وهو الجماع في قوله ، وأصله فاحش القول ، كما قال العجاج :

. . . . عن اللغا ورفث الكلام

فيكنى به عن الجماع ، لأنه إذا ذُكِرَ في غير موضعه كان فحشاً .

وفي قوله تعالى : { هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ } ثلاث تأويلات :

أحدها : بمنزلة اللباس ، لإفضاء كل واحد منهما إلى صاحبه ، يستتر به كالثوب الملبوس ، كما قال النابغة الجعدي :

إذا ما الضجيج ثنى عطفها ... تثنت عليه فصارت لباساً

والثاني : أنهم لباس يعني السكن لقوله تعالى { وجعلنا الليل لباساً } [النبأ : 10] أي سكناً ، وهذا قول مجاهد وقتادة والسدي .

قوله تعالى : { عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ } سبب هذه الخيانة التي كان القوم يختانون أنفسهم ، شيئان :

أحدهما : إتيان النساء .

الثاني : الأكل والشرب ، وذلك أن الله تعالى أباح في أول الإسلام الأكل والشرب والجماع في ليل الصيام قبل نوم الإنسان ، وحرّمه عليه بعد نومه ، حتى جاء عمر بن الخطاب ذات ليلة من شهر رمضان ، يريد امرأته ، فقالت له : إني قد نمتُ ، وظن أنها تعتل عليه ، فوقع بها ، وجاء أبو قيس ابن صرمة ، وكان يعمل في أرض له ، فأراد الأكل ، فقالت له امرأته : نسخّر لك شيئاً ، فغلبته عيناه ، ثم أحضرت إليه الطعام ، فلم يأكل منه فلما أصبح لاقى جهداً . وأخبر عمر وأبو قيس

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان منهما ، فأنزل الله تعالى : { عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ } . { فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ } فيه تأويلان :

أحدهما : العفو عن ذنوبهم .

والثاني : العفو عن تحريم ذلك بعد النوم .

ثم قال تعالى : { فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ } يريد به الجماع ، لأن أصل المباشرة من إلصاق البشرة بالبشرة ، وكان ذلك منه بياناً لما كان في جماع عمر .

وفي قوله تعالى : { وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ } ثلاثة أقوال :

أحدها : طلب الولد ، وهو قول مجاهد ، وعكرمة ، والسدي .

والثاني : ليلة القدْر ، وهو قول ابن عباس ، وكان يقرأ { وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ } .

والثالث : ما أحل الله تعالى لكم ورخص فيه ، وهذا قول قتادة .

ثم قال تعالى فيما كان من شأن أبي قيس بن صرمة : { وَكُلُواْ واشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ } اختلف في المراد بالخيط الأبيض والخيط الأسود ، على ثلاثة أقاويل :

أحدها : ما رواه سهل بن سعد قال : لما نزلت { فَكُلُواْ واشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ } ، فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود ، فلا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما ، فأنزل الله تعالى بعدُ { مِنَ الْفَجْرْ } ، فعلموا أنه إنما يعني الليل والنهار .

(133/1)

والقول الثاني : أنه يريد بالخيط الأبيض ضوء النهار ، وهو الفجر الثاني ، وبالخيط الأسود سواد الليل قبل الفجر الثاني . وروى الشعبي عن عدي بن حاتم : أنه عند إلى خيطين أبيض وأسود ، وجعلهما تحت وسادته ، فكان يراعيهما في صومه ، ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إِنَّكَ لَعَرِيضُ الْوِسَادَةِ ، إِنَّمَا هُوَ بَيَاضُ النَّهَارِ وَسَوَادُ اللَّيلِ » . وسُمِّيَ خيطاً ، لأن أول ما يبدو من البياض ممتد كالخيط ، قال الشاعر :

الخيط الأبيض ضوء الصبح منفلق ... والخيط الأسْودُ لون الليل مكتومُ

والخيط في كلامهم عبارة عن اللون .

والثالث : ما حكي عن حذيفة بن اليمان أن الخيط الأبيض ضوء الشمس ، ورويَ نحوُهُ عن عليّ وابن مسعود . وقد روى زِرٌ بن حبيش عن حذيفة قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يتسحر وأنا أرى مواقع النبل ، قال : قلت بعد الصبح؟ قال : هو الصبح إلا أنه لم تطلع الشمس ، وهذا قول قد

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

انعقد الإجماع على خلافه ، وقد روى سوادة بن حنظلة عن سَمُرة بن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاَ يَمْنَعَنَّكُم مِنْ سُحُورِكُم أذانُ بِلالٍ وَلاَ الفَجْرُ المُسْتَطِيلُ وَلَكِن الفَجْرُ المُسْتَطِيرُ فِي الأُفُقِ » . وروى الحارث بن عبد الرحمن عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الفَجْرُ فَجْرَانِ ، فَالَّذِي كَأَنَّهُ ذَنَبُ السرحانِ لاَ يُحرِّمُ شَيْئاً ، وَأَمَّا الْمُسْتَطِيرُ الّذِي يَأْخُذُ الأُفُقَ فَإِنَّهُ يُحِلُّ الصَّلاَةَ وَيُحَرِّمُ الطَّعَامَ

» . فأما الفجر ، فإنه مصدر من قولهم فَجَرَ الماءُ يَفْجُرُ فَجْراً ، إذا جرى وانبعث ، فلذلك قيل للطالع من تباشير ضياء الشمس من مطلعها : (فجر) لانبعاث ضوئه ، فيكون زمان الصوم المجمع على تحريم الطعام والشراب فيه وإباحته فيما سواه : ما بين طلوع الفجر الثاني وغروب الشمس .

روى عطاء عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أَعْظَمُ الصَّائِمِينَ أَجْراً أَقْرَبُهُم من اللَّيلِ وَالنَّهَارِ إفْطَاراً

» . { ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ } يعني به غروب الشمس .

وفي قوله تعالى : { وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ } تأويلان :

أحدهما : عني بالمباشرة الجماع ، وهو قول الأكثرين .

والثاني : ما دون الجماع من اللمس والقبلة ، قاله ابن زيد ومالك .

{ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ } أي ما حرم ، وفي تسميتها حدود الله وجهان :

أحدهما : لأن الله تعالى حدها بالذكر والبيان .

والثاني : لما أوجبه في أكثر المحرمات من الحدود .

وقوله تعالى : { كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ } فيه وجهان :

أحدهما : يعني بآياته علامات متعبداته .

والثاني : أنه يريد بالآيات هنا الفرائض والأحكام .

(134/1)

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (188)

{ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ } فيه تأويلان :

أحدهما : بالغصب والظلم .

والثاني : بالقمار والملاهي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى الْحُكَّامِ } مأخوذ من إدلاء الدلو إذا أرسلته .

ويحتمل وجهاً ثانياً معناه : وتقيموا الحجة بها عند الحاكم ، من قولهم : قد أدلى بحجته إذا قام بها .

وفي هذا المال قولان :

أحدهما : أنه الودائع وما لا تقوم به بينة من سائر الأموال التي إذا جحدها ، حكم بجحوده فيها .

والثاني : أنها أموال اليتامى التي هو مؤتمي عليها .

{ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ } يحتمل وجهين :

أحدهما : لتأكلوا بعض أموال الناس بالإثم ، فعبر عن البعض بالفريق .

والثاني : على التقديم والتأخير ، وتقديره : لتأكلوا أموال فريق من الناس بالإثم .

وفي (أكله) ثلاثة أوجه :

أحدها : بالجحود .

والثاني : بشهادة الزور .

والثالث : برشوة الحكام .

{ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : وأنتم تعلمون أنها للناس .

والثاني : وأنتم تعلمون أنها إثم .

قال مقاتل : نزلت هذه الآية في امرئ القيس الكندي ، وعبدان بن ربيعة الحضرمي ، وقد اختصما في أرض كان عبدان فيها ظالماً وامرؤ القيس مظلوماً ، فأراد أن يحلف ، فنزلت هذه الآية ، فكفّ عن اليمين .

(135/1)

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (189)

قوله تعالى : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ } سبب نزولها ، أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غَنَمة ، وهما من الأنصار ، سألا النبي صلى الله عليه وسلم عن زيادة الأهلة ونشأتها ، فنزلت هذه الآية ، وأُخِذَ اسم الهلال من استهلال الناس برفع أصواتهم عند رؤيته ، والمواقيت : مقادير الأوقات لديونهم وحجهم ، ويريد بالأهلة وشهورها ، وقد يعبّر عن الهلال بالشهر لحلوله فيه ، قال الشاعر :

أخوان من نجدٍ على ثقةٍ ... والشهرُ مثلُ قلامةِ الظُّفرِ
حتى تكامل في استدارته ... في أربع زادت على عشر

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثم قال تعالى : { وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا } فيه ستة أقاويل :

أحدها : أن سبب نزول ذلك ، ما روى داود عن قيس بن جبير : أن الناس كانوا إذا أحرموا لم يدخلوا حائطاً من بابه ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم داراً ، وكان رجل من الأنصار يقال له رفاعة بن أيوب ، فجاء فتسور الحائط على رسول الله ، فلما خرج من باب الدار خرج رفاعة ، فقال رسول الله : « مَا حَمَلَكَ عَلَى ذلِكَ؟ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ رَأَيْتُكَ خَرَجْتَ مِنْهُ فَخَرَجْتُ مِنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ : إِنّي رَجُلٌ أَحْمَسُ فَقَالَ : إِنْ تَكُنْ أَحْمَسَ فَدِيْنُنَا وَاحِدٌ » فأنزل الله تعالى : { لَيْسَ البِرُّ } الآية ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة ، وعطاء ، وقوله : أحمس يعني من قريش ، كانوا يُسَمَّوْنَ (الحُمْسَ) لأنهم تحمسوا في دينهم أي تشددوا ، والحَمَاسَةُ الشدة ، قال العجاج :

وكمْ قَطَعْنا مِنْ قِفافٍ حُمْسِ ... أي شداد .

والقول الثاني : عنى بالبيوت النساء ، سُمِّيَتْ بيوتاً للإيواء إليهن ، كالإيواء إلى البيوت ، ومعناه : لا تأتوا النساء من حيث لا يحل من ظهورهن ، وأتوهن من حيث يحل من قُبُلهن ، قاله ابن زيد .

والثالث : أنه في النسيء وتأخير الحج به ، حين كانوا يجعلون الشهر الحلال حراماً بتأخير الحج ، والشهر الحرام حلالاً بتأخير الحج عنه ، ويكون ذكر البيوت وإتيانها من ظهورها مثلاً لمخالفة الواجب في الحج وشهوره ، والمخالفة إتيان الأمر من خلفه ، والخلف والظهر في كلام العرب واحد ، حكاه ابن بحر .

والرابع : أن الرجل كان إذا خرج لحاجته ، فعاد ولم ينجح لم يدخل من بابه ، ودخل من ورائه ، تطيراً من الخيبة ، فأمرهم الله أن يأتوا بيوتهم من أبوابها .

والخامس : معناه ليس البر أن تطلبوا الخير من غير أهله ، وتأتوه من غير بابه ، وهذا قول أبي عبيدة .

والقول السادس : أنه مثلٌ ضربه الله عز وجل لهم ، بأن يأتوا البر من وجهه ، ولا يأتوه من غير وجهه .

(136/1)

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (190) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (191) فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (192) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (193)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
قوله تعالى : { وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ } فيها قولان :
أحدهما : أنها أول آية نزلت بالمدينة في قتال المشركين ، أُمِرَ المسلمون فيها بقتال مَنْ قاتلهم من المشركين ، والكف عمن كف عنهم ، ثم نُسِخَتْ بسورة براءة ، وهذا قول الربيع ، وابن زيد .
والثاني : أنها ثابتة في الحكم ، أُمِرَ فيها بقتال المشركين كافة ، والاعتداء الذي نهوا عنه : قتل النساء والولدان ، وهذا قول ابن عباس ، وعمر بن عبد العزيز ، ومجاهد . وفي قوله تعالى : { وَلاَ تَعْتَدُوا } ثلاثة أقاويل :
أحدها : أن الاعتداء قتال من لم يقاتل .
والثاني : أنه قتل النساء والولدان .
والثالث : أنه القتال على غير الدِّين .
قوله تعالى : { وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ } يعني حيث ظفرتم بهم ، { وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ } يعني من مكة .
{ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ } يعني بالفتنة الكفر في قول الجميع ، وإنما سمي الكفر فتنة ، لأنه يؤدي إلى الهلاك كالفتنة .
{ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ } فيه قولان :
أحدهما : أن ذلك منسوخ لأن الله تعالى قد نَهَى عن قتال أهل الحرم إلا أن يبدؤا بالقتال ، ثم نُسِخَ ذلك بقوله : { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ } ، وهذا قول قتادة .
والقول الثاني : أنها محكمة وأنه لا يجوز أن نبدأ بقتال أهل الحرم إلا أن يبدأوا بالقتال ، وهذا قول مجاهد .

(137/1)

الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (194)

قوله تعالى : { الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ } في سبب نزولها قولان :
أحدهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان قد أحرم بالعمرة في ذي القعدة سنة ست ، فصدّه المشركون عن البيت ، فصالحهم على أن يقضي في عامه الآخر ، فحل ورجع ، ثم اعتمر قاضياً في ذي القعدة سنة سبع ، وأحلّت له قريش مكة حتى قضى عمرته . فنزل قوله تعالى : { الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ } يعني ذا القعدة الذي قضى فيه العمرة من عامه وهو من الأشهر الحرم بالشهر الحرام الذي صدوكم فيه ، وهو ذو القعدة في العام الماضي ، سمي ذو القعدة لقعود

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

العرب فيه عن القتال لحرمته .

ثم قال تعالى : { وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ } لأن قريشاً فخرت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صدّته ، فاقتص الله عز وجل له ، وهذا قول قتادة والربيع بن زيد .

والقول الثاني : أن سبب نزولها أن مشركي العرب ، قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : أَنُهِيتَ يا محمد عن قتالنا في الشهر الحرام؟ فقال نعم ، فأرادوا أن يقاتلوه في الشهر الحرام ، فأنزل الله تعالى : { الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ } أي إن استحلوا قتالكم في الشهر الحرام ، فاستحلوا منهم مثل ما استحلوا منكم ، وهذا قول الحسن البصري .

(138/1)

وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (195)

قوله تعالى : { وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ } يعني الجهاد .

{ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُم إِلى التَّهْلُكَةِ } وفي الباء قولان :

أحدهما : أنها زائدة ، وتقديره ولا تلقوا أيديكم إلى التهلكة .

والقول الثاني : أنها غير زائدة أي ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة ، والتهلكة والهلاك واحد .

وفي : { وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُم إِلى التَّهْلُكَةِ } ستة تأويلات :

أحدها : أن تتركوا النفقة في سبيل الله تعالى ، فتهلكوا بالإثم ، وهذا قول بن عباس ، وحذيفة .

والثاني : أي لا تخرجوا بغير زاد ، فتهلكوا بالضعف ، وهذا قول زيد ابن أسلم .

والثالث : أي تيأسوا من المغفرة عند ارتكاب المعاصي ، فلا تتوبوا ، وهذا قول البراء بن عازب .

والرابع : أن تتركوا الجهاد في سبيل الله ، فتهلكوا ، وهذا قول أبي أيوب الأنصاري .

والخامس : أنها التقحم في القتال من غير نكاية في العدو ، وهذا قول أبي القاسم البلخي .

والسادس : أنه عام محمول على جميع ذلك كله ، وهو قول أبي جعفر الطبري .

ثم قال تعالى : { وَأَحْسِنُواْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه عنى به الإحسان في آداء الفرائض ، وهو قول بعض الصحابة .

والثاني : وأحسنوا الظن بالقَدَرِ ، وهو قول عكرمة .

والثالث : عُودُوا بالإحسان على مَنْ ليس بيده شيء ، وهذا قول زيد بن أسلم .

(139/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (196)

قوله تعالى : { وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ للهِ } وقرأ ابن مسعود فيما رواه عنه علقمة : { وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ بِالْبَيتِ } واختلفوا في تأويل إتمامها على خمسة أقاويل :

أحدها : يعني وأتموا الحج لمناسكه وسننه ، وأتموا العمرة بحدودها وسننها ، وهذا قول مجاهد ، وعلقمة بن قيس .

والثاني : أن إتمامهما أَنْ تُحْرِمَ بهما من دُوَيْرَةِ أهلك ، وهذا قول علي ، وطاوس ، وسعيد بن جبير .

والثالث : أن إتمام العمرة ، أن نخدم بها في غير الأشهر الحرم ، وإتمام الحج أن تأتي بجميع مناسكه ، حتى لا يلزم دم لجبران نقصان ، وهذا قول قتادة .

والرابع : أن تخرج من دُوَيْرَةِ أهلك ، لأجلهما ، لا تريد غيرهما من تجارة ، ولا مكسب ، وهذا قول سفيان الثوري .

والخامس : أن إتمامهما واجب بالدخول فيهما ، وهذا قول الشعبي ، وأبي بردة ، وابن زيد ، ومسروق .

ثم قال تعالى : { فَإِنْ أُحصِرْتُمْ فَمَا استَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ } في هذا الإحصار قولان :

أحدهما : أنه كل حابس من عدوّ ، أو مرض ، أو عذر ، وهو قول مجاهد ، وقتادة ، وعطاء ، وأبي حنيفة .

والثاني : أنه الإحصار بالعدوّ ، دون المرض ، وهو قول ابن عباس ، وابن عمر ، وأنس بن مالك ، والشافعي .

وفي { فَمَا استَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ } قولان :

أحدهما : شاةٌ ، وهو قول ابن عباس ، والحسن ، والسدي ، وعلقمة ، وعطاء ، وأكثر الفقهاء .

والثاني : بدنة ، وهو قول عمر ، وعائشة ، ومجاهد ، وطاوس ، وعروة ، وجعلوه فيما استيسر من صغار البُدْن وكبارها .

وفي اشتقاق الهدي قولان :

أحدهما : أنه مأخوذ من الهدية .

والثاني : مأخوذ من قولهم هديتُه هَدْياً ، إذا سقته إلى طريق سبيل الرشاد .

ثم قال تعالى : { وَلاَ تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُم حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ } .

وفي محل هدي المحصر ، ثلاثة أقاويل :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدها : حيث أُحْصِر من حِلٍ أو حَرَم ، وهذا قول ابن عمر ، والمِسْوَر بن مخرمة ، وهارون بن الحكم ، وبه قال الشافعي .

والقول الثاني : أنه الحَرَم ، وهو قول عليّ ، وابن مسعود ومجاهد ، وبه قال أبو حنيفة .

والقول الثالث : أن مَحِلّهُ أن يتحلل من إحرامه بادئاً نسكه ، والمقام على إحرامه إلى زوال إحصاره ، وليس للمحرم أن يتحلل بالاحصار بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن كان إحرامُه بعمرة لم يَفُتْ وإن كان بحج قضاه بالفوات بعد الإحلال منه ، وهذا مروي عن ابن عباس ، وعائشة ، وبه قال مالك .

ثم قال تعالى : { فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ } معناه : فحلَقَ ، فعليه ذلك .

أما الصيام ففيه قولان :

أحدهما : صيام ثلاثة أيام ، وهذا قول مجاهد ، وعلقمة ، وإبراهيم ، والربيع ، وبه قال الشافعي .

والقول الثاني : صيام عشرة أيام كصيام المتمتع ، وهو قول الحسن وعكرمة .

وأما الصدقة ففيها قولان :

أحدهما : ستة مساكين ، وهو قول من أوجب صيام ثلاثة أيام .

(140/1)

والقول الثاني : إطعام عشرة مساكين ، وهو قول من أوجب صيام عشرة أيام .

وأما النسك فشاة .

ثم قال تعالى : { فَإِذَا أَمِنتُم } وفيه تأويلان :

أحدهما : من خوفكم .

والثاني : من مرضكم .

{ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا استَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ } اختلفوا في هذا المتمتع على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه المُحْصَرُ بالحج ، إذا حَلَّ منه بالإحصار ، ثم عاد إلى بلده متمتعاً بعد إحلاله ، فإذا قضى حجَّه في العام الثاني ، صار متمتعاً بإحلالٍ بيْن الإحْرَامَين ، وهذا قول الزبير .

والثاني : فمن نسخ حَجَّهُ بعمرة ، فاستمتع بعمرة بعد فسخ حَجِّهِ ، وهذا قول السدي .

والثالث : فمن قَدِمَ الحرم معتمراً في أشهر الحج ، ثم أقام بمكة حتى أحرم منها بالحج في عامِهِ ، وهذا قول ابن عباس ، وابن عمر ، ومجاهد ، وعطاء ، والشافعي .

وفي { فَمَا استَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ } ما ذكرناه من القولين .

ثم قال تعالى : { فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّمٍ فِي الْحَجِّ } اختلفوا في زمانها من الحج على قولين :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : بعد إحرامه وقبل يوم النحر ، وهذا قول علي ، وابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، وطاوس ، والسدي ، وسعيد بن جبير ، وعطاء ، والشافعي في الجديد .

والثاني : أنها أيام التشريق ، وهذا قول عائشة ، وعروة ، وابن عُمر في رواية سالم عنه ، والشافعي في القديم .

واختلفوا في جواز تقديمها قبل الإحرام بالحج على قولين :

أحدهما : لا يجوز ، وهذا قول ابن عمر ، وابن عباس .

والثاني : يجوز .

واختلف قائلو ذلك في زمان تقديمه قبل الحج على قولين :

أحدهما : عشر ذي الحجة ، ولا يجوز قبلها ، وهو قول مجاهد ، وعطاء . والثاني : في أشهر الحج ، ولا يجوز قبلها ، وهو قول طاوس .

ثم قال تعالى : { وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ } وفي زمانها قولان :

أحدهما : إذا رجعتم من حجكم في طريقكم ، وهو قول مجاهد .

والثاني : إذا رجعتم إلى أهليكم في أمصاركم ، وهو قول عطاء ، وقتادة ، وسعيد بن جبير ، والربيع .

ثم قال تعالى : { تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أنها عشرة كاملة في الثواب كمن أهدى ، وهو قول الحسن .

والثاني : عشرة كَمَّلَت لكم أجر من أقام على إحرامه فلم يحل منه ولم يتمتع .

والثالث : أنه خارج مخرج الخبر ، ومعناه معنى الأمر ، أي تلك عشرة ، فأكملوا صيامها ولا تفطروا فيها .

والرابع : تأكيد في الكلام ، وهو قول ابن عباس .

ثم قال تعالى : { ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } وفي حاضريه أربعة أقاويل :

أحدها : أنهم أهل الحرم ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وطاوس .

والثاني : أنهم مَن بيْن مكة والمواقيت ، وهو قول مكحول ، وعطاء .

والثالث : أنهم أهل الحَرَمِ ومَنْ قرُب منزله منه ، كأهل عرفة ، والرجيع ، وهو قول الزهري ، ومالك .

والرابع : أنهم مَن كان على مسافة لا يقصر في مثلها الصلاة ، وهو قول الشافعي .

(141/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفيّة الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (197)

قوله تعالى : { الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ } اختلفوا في تأويله على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه شوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة بأسرها ، وهذا قول قتادة ، وطاوس ، ومجاهد ، عن ابن عمر وهو مذهب مالك .

والثاني : هو شوال ، وذو القعدة ، وعشرة أيام من ذي الحجة ، وهذا قول أبي حنيفة .

والثالث : هن شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة ، إلى طلوع الفجر من يوم النحر ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، والشعبي ، والسدي ، ونافع ، عن ابن عمر ، وعطاء ، والضحاك ، والشافعي .

ثم قال تعالى : { فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ } فيه تأويلان :

أحدهما : أنه الإهلال بالتلبية ، وهو قول عمر ومجاهد وطاوس .

والثاني : أنه الإحرام ، وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة وعطاء ، والشافعي .

{ فَلاَ رَفَثَ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه الجماع ، وهو قول ابن عمر ، والحسن ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، وقتادة ، والزهري .

والثاني : أنه الجماع أو التعرض له بمُوَاعَدَةٍ أو مُدَاعَبَةٍ ، وهو قول الحسن البصري .

والثالث : أنه الإفْحَاشُ للمرأة في الكرم ، كقولك إذا أحللنا فعلنا بك كذا من غير كناية ، وهو قول ابن عباس ، وطاوس .

{ وَلاَ فُسُوقَ } فيه خمسة تأويلات :

أحدها : أنه فِعْلُ ما نُهِيَ عنه في الإحرام ، من قتل صيد ، وحلق شَعْر ، وتقليم ظفر ، وهو قول عبد الله بن عمر .

والثاني : أنه السباب ، وهو قول عطاء ، والسدي .

والثالث : أنه الذبح للأصنام ، وهو قول عبد الرحمن بن زيد .

والرابع : التنابز بالألقاب ، وهو قول الضحاك .

والخامس : أنه المعاصي كلها ، وهو قول ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وطاووس .

{ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَج } فيه ستة تأويلات :

أحدها : هو أن يجادل الرجل صاحبه ، يعني يعصيه ، وهذا قول ابن عباس ومجاهد .

الثاني : هو السباب ، وهو قول ابن عمر وقتادة .

والثالث : أنه المِرَاءُ والاختلاف فِيمَنْ هو أَبَرُّهُم حَجّاً ، وهذا قول محمد بن كعب .

والرابع : أنه اختلاف كان يقع بينهم في اليوم الذي يكون فيه حجهم ، وهذا قول القاسم بن محمد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والخامس : أنه اختلافهم في مواقف الحج ، أيهم المصيب موقف إبراهيم ، وهذا قول ابن زيد .

والسادس : أن معناه ألاّ جدال في وقته لاستقراره ، وإبطال الشهر الذي كانوا ينسؤونه في كل عام ، فربما حجوا في ذي القعدة ، وربما حجوا في صفر ، وهذا قول أبي جعفر الطبري .

وفي قوله تعالى : { وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى } تأويلان :

أحدهما : تزوّدوا بالأعمال الصالحة ، فإن خير الزاد التقوى .

والثاني : أنها نزلت في قوم من أهل اليمن ، كانوا يحجون ولا يتزودون ، ويقولون : نحن المتوكلون ، فنزلت فيهم : { وَتَزَوَّدُوا } ، يعني من الطعام .

(142/1)

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (198)

قوله تعالى : { لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ } روى ابن عباس قال : كان ذو المجاز وعكاظ متجرين للناس في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام تركوا ذلك ، حتى نزلت : { لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ } وكان ابن الزبير يقرأ { فِي مَوَاقِيتِ الْحَجِّ } .

{ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : معناه فإذا رجعتم من حيث بَدَأْتُم .

والثاني : أن الإفاضة : الدفع عن اجتماع ، كفيض الإناء عن امتلاء .

والثالث : أن الإفاضة الإسراع من مكان إلى مكان .

وفي { عَرَفَاتٍ } قولان :

أحدهما : أنها (جمع) عرفة .

والثاني : أنها اسم واحد وإن كان بلفظ الجمع . وهذا قول الزجاج .

واختلفوا في تسمية المكان عرفة على أربعة أقاويل :

أحدها : أن آدم عرف فيه حواء بعد أن أُهْبِطَا من الجنة .

والثاني : أن إبراهيم عرف المكان عند الرؤية ، لما تقدم له في الصفة .

والثالث : أن جبريل عرَّف فيه الأنبياء مناسكهم .

والرابع : أنه سُمِّيَ بذلك لعلو الناس فيه ، والعرب تسمي ما علا (عرفة) و (عرفات) ، ومنه سُمِّيَ عُرف الديك لعلوه .

{ فَاذْكُرُواْ اللهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ } والمَشْعَرُ المَعْلَمُ ، سُمِّيَ بذلك ، لأن الدعاء عنده ، والمقام فيه

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
من معالم الحج ، وحد المشعر ما بين منى ومزدلفة مِنْ حَد مفضي مَأزمَي عرفة إلى محسر ، وليس مأزماً عرفة من المشعر .

(143/1)

ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (199)

قوله تعالى : { ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ } فيه قولان :
أحدهما : أنها نزلت في قريش ، وكانوا يسمون الحمس ، لا يخرجون من الحرم في حجهم ، ويقفون مزدلفة ، ويقولون نحن من أهل الله ، فلا نخرج من حرم الله ، وكان سائر العرب يقفون بعرفات ، وهي موقف إبراهيم عليه السلام ، فأنزل الله تعالى : { ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ } يعني جميع العرب ، وهذا قول عائشة ، وعروة ، ومجاهد ، وقتادة .
والقول الثاني : أنها أمر لجميع الخلق من قريش وغيرهم ، أن يفيضوا من حيث أفاض الناس ، يعني بالناس إبراهيم ، وقد يعبر عن الواحد باسم الناس ، قال الله تعالى : « الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ » [آل عمران : 173] وكان القائل واحداً ، وهو نعيم بن مسعود الأشجعي ، وهذا قول الضحاك .
وفي قوله تعالى : { وَاسْتَغْفِرُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } تأويلان :
أحدهما : استغفروه من ذنوبكم .
والثاني : استغفروه مما كان من مخالفتكم في الوقت والإفاضة .

(144/1)

فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (200) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (201) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (202)

قوله تعالى : { فَإِذَا قَضَيتُم مَّنَاسِكَكُمْ } أما المناسك ، فهي المتعبدات ، وفيها ها هنا تأويلان :
أحدهما : أنها الذبائح ، وهذا قول مجاهد .
والثاني : ما أمروا بفعله في الحج ، وهذا قول الحسن البصري .
وفي قوله تعالى : { فَاذْكُرُواْ اللهَ } تأويلان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
أحدهما : أن هذا الذكر هو التكبير في أيام مِنى .

والثاني : أنه جميع ما سُنَّ من الأدعية في مواطن الحج كلها .

وفي قوله تعالى : { كَذِكْرِكُمْ ءَابآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً } ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنهم كانوا إذا فرغوا من حجهم في الجاهلية جلسوا في منى حَلَقاً وافتخروا بمناقب آبائهم ، فأنزل الله تعالى ذكره { فَاذْكُرُواْ اللهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً } ، وهذا قول مجاهد ، وقتادة .

والثاني : أن معناه ، فاذكروا الله كذكركم الأبناء الصغار للآباء ، إذا قالوا : أَبَهْ أُمَّه ، وهذا قول عطاء ، والضحاك .

والثالث : أنهم كانوا يدعون ، فيقول الواحد منهم : اللهم إن أبي كان عظيم الجفنة ، عظيم القبّة ، كثير المال ، فاعطني مثل ما أعطيته ، فلا يذكر غير أبيه ، فأُمِرُوا بذكر الله ، كذكرهم آباءهم ، أو أشد ذكراً ، وهو قول السدي .

قوله تعالى : { وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الأَخِرَةِ حَسَنَةً } فيها أربعة تأويلات :

أحدها : أنه الحسنة العافية في الدنيا والآخرة ، وهو قول قتادة .

والثاني : أنها نِعَمُ الدنيا ونِعَمُ الآخرة ، وهو قول أكثر أهل العلم .

والثالث : أن الحسنة في الدنيا العلمُ ، والعبادة ، وفي الآخرة الجنة ، وهو قول الحسن ، والثوري .

والرابع : أن الحسنة في الدنيا المال ، وفي الآخرة الجنة ، وهو قول ابن زيد ، والسدي .

(145/1)

وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (203)

قوله تعالى : { وَاذْكُرُواْ اللهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ } هي أيام منى قول جميع المفسرين ، وإن خالف بعض الفقهاء في أن أشرك بين بعضها وبين الأيام المعلومات .

{ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَّ إِثْمَ عَلَيْهِ } يعني تعجل النفْر الأول في اليوم الثاني من أيام منى .

{ وَمَن تَأَخَّرَ } يعني إلى النفْر الثاني ، وهو الثالث من أيام منى .

{ فَلاَّ إِثْمَ عَلَيْهِ } وفي الإثم ها هنا ، خمسة تأويلات :

أحدها : أن من تعجل فلا إثم عليه في تعجله ، ومن تأخر فلا إثم عليه في تأخره ، وهذا قول عطاء .

والثاني : أن من تعجل في يومين ، فمغفور له ، لا إثم عليه ، ومن تأخر فمغفور له ، لا إثم عليه ، وهذا قول ابن مسعود .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثالث : فلا إثم عليه ، إن اتّقى فيما بقي من عمره ، وهذا قول أبي العالية ، والسدي .

والرابع : فلا إثم عليه ، إن اتقى في قتل الصيد في اليوم الثالث ، حتى يحلّوا أيام التشريق ، وهذا قول ابن عباس .

والخامس : فلا إثم عليه ، إن اتقى إصابة ما نُهِي عنه ، فيغفر له ما سلف من ذنبه ، وهذا قول قتادة .

فأما المراد بذكر الله تعالى في الأيام المعدودات ، فهو التكبير فيها عقب الصلوات المفروضات ، وَاخْتُلِفَ فيه على أربعة مذاهب :

أحدها : أنه تكبير من بعد صلاة الصبح ، يوم عرفة ، إلى بعد صلاة العصر ، من آخر أيام التشريق ، وهذا قول علي رضي الله عنه ، وبه قال من الفقهاء أبو يوسف ، ومحمد .

والثاني : أنه تكبير من صلاة الفجر ، من يوم عرفة ، إلى صلاة العصر ، من يوم النحر ، وهذا قول ابن مسعود ، وبه قال من الفقهاء أو حنيفة .

والثالث : أنه يكبر من بعد صلاة الظهر ، من يوم النحر ، إلى بعد صلاة العصر ، من آخر أيام التشريق ، وهذا قول زيد بن ثابت .

والرابع : أنه يكبر من بعد صلاة الظهر ، من يوم النحر ، إلى آخر صلاة الصبح ، من آخر التشريق ، وهذا قول عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وبه قال من الفقهاء الشافعي .

(146/1)

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (204) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (205) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (206) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (207)

قوله تعالى : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } فيه قولان :

أحدهما : يعني من الجميل والخير .

والثاني : من حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والرغبة في دينه .

{ وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن يقول : اللهم اشهد عليّ فيه ، وضميره بخلافه .

والثاني : معناه : وفي قلبه ما يشهد الله أنه بخلافه .

والثالث : معناه : ويستشهد الله على صحة ما في قلبه ، ويعلم أنه بخلافه . وهي في قراءة ابن

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مسعود { وَيَسْتَشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ } .

{ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ } والألد من الرجال الشديد الخصومة ، وفي الخصام قولان :

أحدهما : أنه مصدر ، وهو قول الخليل .

والثاني : أنه جمع خصيم ، وهو قول الزجاج .

وفي تأويل : { أَلَدُّ الْخِصَامِ } هنا أربعة أوجه :

أحدها : أنه ذو جدال ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : يعني أنه غير مستقيم الخصومة ، لكنه معوجها ، وهذا قول مجاهد ، والسدي .

والثالث : يعني أنه كاذب ، في قول الحسن البصري .

والرابع : أنه شديد القسوة في معصية الله ، وهو قول قتادة .

وقد روى ابن أبي مليكة ، عن عائشة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى الأَلَدُّ الخَصِمُ

» . وفيمن قصد بهذه الآية وما بعدها قولان :

أحدهما : أنه صفة للمنافق ، وهذا قول ابن عباس ، والحسن .

والثاني : أنها نزلت في الأخنس بن شريق ، وهو قول السدي .

قوله تعالى : { وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ } في قوله تولى تأويلان :

أحدهما : يعني غضب ، حكاه النقاش .

والثاني : انصرف ، وهو ظاهر قول الحسن .

وفي قوله تعالى : { لِيُفْسِدَ فِيهَا } تأويلان :

أحدهما : يفسد فيها بالصد .

والثاني : بالكفر .

{ وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ } فيه تأويلان :

أحدهما : بالسبي والقتل .

والثاني : بالضلال الذي يؤول إلى السبي والقتل .

{ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ } معناه لا يحب أهل الفساد . وقال بعضهم لا يمدح الفساد ، ولا يثني عليه ، وقيل أنه لا يحب كونه ديناً وشرعاً ، ويحتمل : لا يحب العمل بالفساد .

قوله تعالى : { وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ } فيه تأويلان :

أحدهما : معناه دعته العزة إلى فعل الإثم .

والثاني : معناه إذا قيل له اتق الله ، عزت نفسه أن يقبلها ، للإثم الذي منعه منها .

قوله تعالى : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللهِ } يشري نفسه أي يبيع ، كما قال تعالى : { وَشَرَوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ } [يوسف : 20] أي باعوه ، قال الحسن البصري : العمل الذي باع به نفسه الجهاد في سبيل الله .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

واخْتُلِفَ فيمن نزلت فيه هذه الآية ، على قولين :

أحدهما : نزلت في رجل ، أمر بمعروف ونهى عن منكر ، وقتل ، وهذا قول علي ، وعمر ، وابن عباس .

والثاني : أنها نزلت في صُهيب بن سنان اشترى نفسه من المشركين بماله كله ، ولحق بالمسلمين ، وهذا قول عكرمة .

(147/1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (208) فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (209)

قوله تعالى : { يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السلْمِ كَآفَّةً } قرأ ابن كثير ، ونافع ، والكسائي بفتح السين ، والباقون بكسرها ، واختلف أهل اللغة في الفتح والكسر ، على وجهين :

أحدهما : أنهما لغتان تستعمل كل واحدة منهما في موضع الأخرى .

والثاني : معناهما مختلف ، والفرق بينهما أن السِّلم بالكسر الإسلام ، والسَّلم بالفتح المسالمة ، من قوله تعالى : { وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا } [الأنفال : 61] وفي المراد بالدخول في السلم ، تأويلان :

أحدهما : الدخول في الإسلام ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك .

والثاني : معناه ادخلوا في الطاعة ، وهو قول الربيع ، وقتادة .

وفي قوله : { كَافَّةً } تأويلان :

أحدهما : عائد إلى الذين آمنوا ، أن يدخلوا جميعاً في السلم .

والثاني : عائد إلى السلم أن يدخلوا في جميعه .

{ وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ } يعني آثاره .

{ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ } فيه تأويلان :

أحدهما : مبين لنفسه .

والآخر : مبين بعدوانه .

واختلفوا فيمن أبان به عدوانه على قولين :

أحدهما : بامتناعه من السجود لآدم .

والثاني : بقوله : { لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً } [الإسراء : 62] .

واختلفوا فيمن أمر بالدخول في السلم كافة ، على ثلاثة أقاويل :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدها : أن المأمور بها المسلمون ، والدخول في السلم العمل بشرائع الإسلام كلها ، وهو قول مجاهد ، وقتادة .

والثاني : أنها نزلت في أهل الكتاب ، آمنوا بمن سلف من الأنبياء ، فأُمِروا بالدخول في الإسلام ، وهو قول ابن عباس ، والضحاك .

والثالث : أنها نزلت في ثعلبة ، وعبد الله بن سلام ، وابن يامين ، وأسد ، وأسيد ابني كعب ، وسعيد بن عمرو ، وقيس بن زيد ، كلهم من يهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يوم السبت كنا نعظمه ونَسْبِتُ فيه ، وإن التوراة كتاب الله تعالى ، فدعنا فلنصم نهارنا بالليل ، فنزلت هذه الآية ، وهو قول عكرمة .

قوله تعالى : { فَإِن زَلَلْتُم } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : معناه عصيتم .

والثاني : معناه كفرتم .

والثالث : إن ضللتم وهذا قول السدي .

{ مِّن بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أنها حجج الله ودلائله .

والثاني : محمد ، وهو قول السدي .

والثالث : القرآن ، وهو قول ابن جريج .

والرابع : الإسلام .

{ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } يعني عزيز في نفسه ، حكيم في فعله .

(148/1)

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (210)

قوله تعالى : { هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالمَلاَئِكَةُ } ، قرأ قتادة { فِي ظِلاَلٍ الغَمَامِ } وفيه تأويلان :

أحدهما : أن معناه إلا أن يأتيهم الله بظلل من الغمام ، وبالملائكة .

والثاني : إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام .

(149/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آَتَيْنَاهُمْ مِنْ آَيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (211) زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (212)

قوله تعالى : { سَلْ بَنِي إِسْرَآءِيل كَمْ ءَاتَيْنَاهُم مِنْ ءَايَةِ بَيِّنَةٍ } ليس السؤال على وجه الاستخبار ، ولكنه على وجه التوبيخ .

وفي المراد بسؤاله بني إسرائيل ، ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنبياؤهم .

والثاني : علماؤهم .

والثالث : جميعهم . والآيات البينات : فَلْقُ البحر ، والظلل من الغمام ، وغير ذلك .

{ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ } يعني بنعمة الله برسوله صلى الله عليه وسلم .

قوله تعالى : { زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا } في الدنيا وتزيينها لهم ، ثلاثة أقاويل :

أحدها : زينها لهم الشيطان ، وهو قول الحسن .

والثاني : زينها لهم الذين أغووهم من الإنس والجن ، وهو قول بعض المتكلمين .

والثالث : أن الله تعالى زينها لهم بالشهوات التي خلقها لهم .

{ وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ } لأنهم توهموا أنهم على حق ، فهذه سخريتهم بضعفة المسلمين . وفي الذي يفعل ذلك قولان :

أحدهما : أنهم علماء اليهود .

والثاني : مشركو العرب .

{ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } يعني أنهم فوق الكفار في الدنيا .

{ وَاللهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } .

فإن قيل : كيف يرزق من يشاء بغير حساب وقد قال تعالى : { عَطَاءً حِسَاباً } [النبأ : 36] ففي هذا ستة أجوبة :

أحدها : أن النقصان بغير حساب ، والجزاء بالحساب .

والثاني : بغير حساب لسعة ملكه الذي لا يفنى بالعطاء ، لا يقدر بالحساب .

والثالث : إن كفايتهم بغير حساب ولا تضييق .

والرابع : دائم لا يتناهى فيصير محسوباً ، وهذا قول الحسن .

والخامس : أن الرزق في الدنيا بغير حساب ، لأنه يعم به المؤمن والكافر فلا يرزق المؤمن على

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قدر إيمانه ولا الكافر على قدر كفره .

والسادس : أنه يرزق المؤمنين في الآخرة وأنه لا يحاسبهم عليه ولا يَمُنُ عليهم به .

(150/1)

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (213)

قوله تعالى : { كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً } في قوله : { أُمَّةً وَاحِدَةً } خمسة أقاويل :

أحدها : أنهم كانوا على الكفر ، وهذا قول ابن عباس والحسن .

والثاني : أنهم كانوا على الحق ، وهو قول قتادة والضحاك .

والثالث : أنه آدم كان على الحق إماماً لذريته فبعث الله النبيين في ولده ، وهذا قول مجاهد .

والرابع : أنهم عشر فرق كانوا بين آدم ونوح على شريعة من الحق فاختلفوا ، وهذا قول عكرمة .

والخامس : أنه أراد جميع الناس كانوا أمة واحدة على دين واحد يوم استخرج الله ذرية آدم من صلبه ، فعرضهم على آدم ، فأقروا بالعبودية والإسلام ، ثم اختلفوا بعد ذلك . وكان أُبيّ بن كعب يقرأ : { كَانَ الْبَشَرُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّيْنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ } . وهذا قول الربيع وابن زيد .

وفي قوله تعالى : { وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ } قولان :

أحدهما : في الحق .

والثاني : في الكتاب وهو التوراة . { إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ } يعني اليهود .

{ مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ } يعني الحجج والدلائل { بَغْياً بَيْنَهُمْ } مصدر من قول القائل : بغى فلان على فلان ، إذا اعتدى عليه .

{ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أراد الجمعة ، لأن أهل الكتاب اختلفوا فيها فضلوا عنها ، فجعلها اليهود السبت ، وجعلها النصارى الأحد ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا من الحق بإذنه ، فهدى الله الذين آمنوا إليها ، وهذا قول أبي هريرة .

والثاني : أنهم اختلفوا في الصلاة ، فمنهم من يصلي إلى الشرق ومنهم من يصلي إلى بيت المقدس ، فهدانا الله للقبلة ، وهذا قول ابن زيد .

والثالث : أنهم اختلفوا في الكتب المنزلة ، فكفر بعضهم بكتاب بعض فهدانا الله للتصديق بجميعها .

(151/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (214) يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (215)

قوله تعالى : { يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ، قُلْ : مَآأَنفَقْتُم مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ } فيها قولان :

أحدهما : أنها نزلت قبل آية الزكاة في إيجاب النفقة على الأهل والصدقة ثم نسختها آية الزكاة ، وهذا قول السدي .

والثاني : أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه عن أموالهم أين يضعونها ، فأنزل الله هذه الآية ، وهذا قول ابن زيد .

(152/1)

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (216)

قوله تعالى : { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ } بمعنى فرض . وفي فرضه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والثاني : أنه خطاب لكل أحد من الناس كلهم أبداً حتى يقوم به من فيه كفاية ، وهذا قول الفقهاء والعلماء .

والثالث : أنه فرض على كل مسلم في عينه أبداً ، وهذا قول سعيد بن المسيب .

ثم قال تعالى : { وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ } والكرْهُ بالضم إدخال المشقة على النفس من غير إكراه أحد . والكَره بالفتح إدخال المشقة على النفس بإكراه غيره له . ثم فيه قولان :

أحدهما : أنه فيه حذفاً وتقديره : وهو ذو كره لكم وهذا قول الزجاج .

والثاني : معناه وهو مكروه لكم ، فأقام المقدّر مُقامه .

ثم في كونه كرهاً تأويلان :

أحدهما : وهو كره لكم قبل التعبد وأما بعده فلا .

الثاني : وهو كره لكم في الطباع قبل الفرض وبعده . وإنما يحتمل بالتعبد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

ثم قال تعالى : { وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ } وفي عسى ها هنا قولان :

أحدهما : أنه طمع المشفق مع دخول الشك .

والثاني : أنها بمعنى قد . وقال الأصم : { وَعَسَى أن تَكْرَهُوا شَيئاً } من القتال { وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ } يعني في الدنيا بالظفر والغنيمة ، وفي الآخرة بالأجر والثواب ، { وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً } يعني من المتاركة والكف { وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ } ، يعني في الدنيا بالظهور عليكم وفي الآخرة بنقصان أجوركم .

{ وَاللهُ يَعْلَمُ } ما فيه مصلحتكم { وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }

.

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (217) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (218)

قوله تعالى : { يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ، قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ } والسبب في نزول هذه الآية أن عبد الله بن جحش خرج بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعة نفر من أصحابه وهم أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، عكاشة بن محصن ، وعتبة بن غزوان ، وسهيل بن البيضاء ، وخالد ابن البكير ، وسعد بن أبي وقاص ، وواقد بن عبد الله ، وعبدُ الله بن جحش كان أميرهم ، فتأخر عن القوم سعد وعتبة ليطلبا بعيراً لهما ضَلَّ ، فلقوا عمرو بن الحضرمي فرماه واقد بن عبد الله التميمي بسهم فقتله واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، وغُنمت العير ، وكان ذلك في آخر ليلة من جمادى الآخِرة أو أول ليلة من رجب ، فعيرت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقدم عبد الله بن جحش فلامه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولامه المسلمون حتى أنزل الله فيه هذه الآية .

واختلفوا فيمن سأل عن ذلك على قولين :

أحدهما : أنهم المشركون ليعيّروا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستحلوا قتاله فيه ، وهو قول الأكثر .

والثاني : أنهم المسلمون سألوا عن القتال في الشهر الحرام ليعلموا حكم ذلك . فأخبرهم الله تعالى :

This file was downloaded from QuranicThought.com

أن الصد عن سبيل الله وإخراج أهل الحرم منه والفتنة أكبر من القتل في الشهر الحرام وفي الحرم ، وهذا قول قتادة .

واختلفوا في تحريم القتال في الأشهر الحرم هل نسخ أم لا؟ فقال الزهري : هو منسوخ بقوله تعالى : { وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً } . وقال عطاء : هو ثابت الحكم ، وتحريم القتال فيه باقٍ غير منسوخ ، والأول أصح لما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه غزا هوازن بحنين ، وثقيفاً بالطائف ، وأرسل أبا العاص إلى أوطاس لحرب مَنْ بها من المشركين في بعض الأشهر الحرم ، وكانت بيعة الرضوان على قتال قريش في ذي القعدة .

وقوله تعالى : { وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ } أي يرجع ، كما قال تعالى : { فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً } [الكهف : 64] أي رجعا ، ومن ذلك قيل : استرد فلان حقه .

{ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ } أي بطلت ، وأصل الحبوط الفساد ، فقيل في الأعمال إذا بطلت حبطت لفسادها .

قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ } الآية . وسبب نزولها أن قوماً من المسلمين قالوا في عبد الله بن جحش ومن معه : إن لم يكونوا أصابوا في سفرهم وزراً فليس فيه أجر ، فأنزل الله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ } يعني بالله ورسوله ، { وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ } يعني عن مساكنة المشركين في أمصارهم ، وبذلك سمي المهاجرون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرين لهجرهم دورهم ومنازلهم كراهة الذل من المشركين وسلطانهم ، { وَجَاهَدُواْ } يعني قاتلوا ، وأصل المجاهدة المفاعلة من قولهم جهد كذا إذا أكدّه وشق عليه ، فإن كان الفعل من اثنين كل واحد منهما يكابد من صاحبه شدة ومشقة قيل فلان يجاهد فلاناً . وأما { فِي سَبِيلِ اللهِ } فطريق الله ، وطريقه : دينه .

فإن قيل : فكيف قال : { أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ } ورحمة الله للمؤمنين مستحقة؟ ففيه جوابان :

أحدهما : أنهم لما لم يعلموا حالهم في المستقبل جاز أن يرجوا الرحمة خوفاً أن يحدث من مستقبل أمورهم مالا يستوجبونها معه .

والجواب الثاني : أنهم إنما رجوا الرحمة لأنهم لم يتيقنوها بتأدية كل ما أوجبه الله تعالى عليهم .

(154/1)

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (219) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (220)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله تعالى : { يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ } الآية : يعني يسألك أصحابك يا محمد عن الخمر والميسر وشربها ، وهذه أول آية نزلت فيها .

والخمر كل ما خامر العقل فستره وغطى عليه ، من قولهم خَمَّرتُ الإناء إذا غطيته ، ويقال هو في خُمار الناس وغمارهم يراد به دخل في عُرضهم فاستتر بهم ، ومن ذلك أُخذ خمار المرأة لأنه يسترها ، ومنه قيل هو يمشي لك الخمر أي مستخفياً ، قال العجاج :

في لامع العِقْبان لا يأتي الخَمَرْ ... يُوجّهُ الأرضَ ويستاق الشّجَرْ

يعني بقوله لا يأتي الخمر أي لا يأتي مستخفياً لكن ظاهراً برايات وجيوش .

فأما الميسر فهو القمار من قول القائل يَسر لي هذا الشيء يَسْراً ومَيْسِراً ، فالياسر اللاعب بالقداح ثم قيل للمقامر ياسر ويَسَر كما قال الشاعر :

فبت كأنني يَسَرٌ غبينٌ ... يقلب بعدما اختلع القداحا

{ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ } قرأ حمزة والكسائي { . . . . . . كَثِيرٌ } بالثاء .

وفي إثمهما تأويلان :

أحدهما : أن شارب الخمر يسكر فيؤذي الناس ، وإثم الميسر : أن يقامر الرجل فيمنع الحق ويظلم ، وهذا قول السدي .

والثاني : أن إثم الخمر زوال عقل شاربها إذا سكر حتى يغْرُب عنه معرفة خالقه . وإثم الميسر : ما فيه من الشغل عن ذكر الله وعن الصلاة ، ووقوع العداوة والبغضاء كما وصف الله تعالى : { إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيطَانُ أَن يُوقِعَ بَينَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخمر وَالْمَيسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ } [المائدة : 90] وهذا قول ابن عباس .

وأما قوله تعالى : { وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ } فمنافع الخمر أثمانها وربح تجارتها ، وما ينالونه من اللذة بشربها ، كما قال حسان بن ثابت :

ونشربها فتتركنا ملوكاً ... وأُسْداً ما ينهنها اللقاءُ

وكما قال آخر :

فإذا شربت فإنني ... رَبُّ الخَوَرْنَق والسدير

وإذا صحوتُ فإنني ... ربُّ الشويهة والبعير

وأما منافع الميسر ففيه قولان :

أحدهما : اكتساب المال من غير كدّ .

والثاني : ما يصيبون من أنصباء الجزور ، وذلك أنهم كانوا يتياسرون على الجزور فإذا أفلح الرجل منهم على أصحابه نحروه ثم اقتسموه أعشاراً على عدة القداح ، وفي ذلك يقول أعشى بني ثعلبة :

وجزور أيسار دعوت إلى الندى ... أوساط مقفرة أخف طلالها

وهذا قول ابن عباس ومجاهد والسدي .

ثم قال تعالى : { وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا } فيه تأويلان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : أن إثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما بعد التحريم ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : أن كلاهما قبل التحريم يعني الإثم الذي يحدث من أسبابهما أكبر من نفعهما ، وهو قول سعيد بن جبير .

وفي قوله تعالى : { وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ } ستة تأويلات :

أحدها : بما فضل عن الأهل ، وهو قول أبن عباس .

(155/1)

والثاني : أنه الوسط في النفقة ما لم يكن إسرافاً أو إقتاراً ، وهو قول الحسن .

والرابع : إن العفو أن يؤخذ منهم ما أتوا به من قليل أو كثير ، وهو قول مروي عن ابن عباس أيضاً .

والخامس : أنه الصدقة عن ظهر غِنى ، وهو قول مجاهد .

والسادس : أنه الصدقة المفروضة وهو مروي عن مجاهد أيضاً .

واختلفوا في هذه النفقة التي هي العفو هل نسخت ؟ فقال ابن عباس نسخت بالزكاة . وقال مجاهد هي ثابتة .

واختلفوا في هذه الآية هل كان تحريم الخمر بها أو بغيرها؟ فقال قوم من أهل النظر : حرمت الخمر بهذه الآية . وقال قتادة وعليه أكثر العلماء : أنها حرمت بأية المائدة .

وروى عبد الوهاب عن عوف عن أبي القُلوص زيد بن علي قال : أنزل الله عز وجل في الخمر ثلاث آيات فأول ما أنزل الله تعالى : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخمْرِ والْمِيسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا } ، فشربها قوم من المسلمين أو من شاء الله منهم حتى شربها رجلان ودخلا في الصلاة وجعلا يقولان كلاماً لا يدري عوف ما هو ، فأنزل الله تعالى : { يا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الَّصلاة وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ } فشربها من شربها منهم وجعلوا يتوقّونها عند الصلاة ، حتى شربها فيما زعم أبو القلوص رجل فجعل ينوح على قتلى بدر ، وجعل يقول :

تحيي بالسلامة أم بكرٍ ... وهل لي بعد قومي من سلام

ذريني اصطبحْ بكراَ فإني ... رأيت الموت نبّث عن هشام

ووديني المغيرة لو فدوه ... بألف من رجال أو سوام

وكائن بالطَويّ طويَّ بدرٍ ... من الشيزي تُكَلّلُ بالسنامَ

وكائن بالطَويّ طويَّ بدر ... من الفتيان والحلل الكرامِ

قال : فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء فزعاً يجر رداءه من الفزع حتى انتهى إليه ،

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فلما عاينه الرجل ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً كان بيده ليضربه ، فقال : أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسول الله ، لا أطعمها أبداً ، فأنزل الله في تحريمها { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ } إلى قوله : { فَهَلْ أَنْتُم مُّنْتَهُونَ } [المائدة : 9091] فقالوا : انتهينا .

وروى موسى عن عمرو عن أسباط عن السدي قال : نزلت هذه الآية : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ والْمِيسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ } فلم يزالوا يشربونها حتى صنع عبد الرحمن بن عوف طعاماً ودعا ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم علي بن أبي طالب وعمر رضي الله عنهما ، فشربوا حتى سكروا ، فحضرت الصلاة فأمهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقرأ : { قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ } [الكافرون : 1] فلم يُقِمْها ، فأنزل الله تعالى يشدد في الخمر { يا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ } إلى قوله : { مَا تَقُولُونَ } فكانت لهم حلالاً يشربونها من صلاة الغداة حتى يرتفع النهار أو ينتصف فيقومون إلى صلاة الظهر وهم صاحون ، ثم لا يشربونها حتى يصلوا العتمة ، ثم يشربونها حتى ينتصف الليل ، وينامون ويقومون إلى صلاة الفجر وقد أصبحوا ، فلم يزالوا كذلك يشربونها حتى صنع سعد بن أبي وقاص طعاماً ودعا ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم رجل من الأنصار ، فسوى لهم رأس بعير ثم دعاهم إليه ، فلما أكلوا وشربوا من الخمر سكروا وأخذوا في الحديث فتكلم سعد بشيء فغضب الأنصاري فرفع لحى البعير وكسر أنف سعد ، فأنزل الله تعالى نسخ الخمر وتحريمها ، فقال تعالى :

(156/1)

{ يا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ } [المائدة : 90] إلى قوله : { فَهَلْ أَنْتُم مُّنْتَهُونَ } .

قوله تعالى : { ... وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ : إِصْلاَحٌ لَهُم خَيرٌ } قال المفسرون : لمّا نزلت سورة بني إسرائيل ، وقوله تعالى : { وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } ، وفي سورة النساء : { إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِم نَاراً } تحرج المسلمون أن يخلطوا طعامهم بطعام من يكون عندهم من الأيتام ، وكانوا يعزلون طعامهم هم طعامهم ، وشرابهم عن شرابهم ، حتى ربما فسد طعامهم ، فشق ذلك عليهم ، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى : { وَإِنَّ تُخَالِطوهُم فَإِخْوَانُكُم } ، يعني في الطعام ، والشراب ، والمساكنة ، وركوب الدابة ، واستخدام العبد قال الشعبي : فمن خالط يتيماً ، فليوسع عليه ، ومن خالط بأكل فلا يفعل .

{ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ } قال ابن زيد : الله يعلم حين تخلط مالك بماله ، أتريد أن تصلح

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ماله أو تفسد ماله بغير حق .
{ وَلَو شَاءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُم } فيه تأويلان :
أحدهما : لَشدّد عليكم ، وهو قول السدي .
والثاني : لجعل ما أصبتم من أموال اليتامى موبقاً ، وهو قول ابن عباس . { إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } يعني عزيز في سلطانه وقدرته على الإعنات ، حكيم فيما صنع من تدبيره وتركه الإعنات .

(157/1)

وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آَيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (221)

قوله تعالى : { وَلاَ تَنكِحُوا الْمُشركاتِ حَتَّى يُؤمِنَّ } اختلفوا فيها على ثلاثة أقاويل :
أحدها : أنها في جميع المشركات الكتابيات وغير الكتابيات ، وأن حكمها غير منسوخ ، فلا يجوز لمسلم أن ينكح مشركة أبداً ، وذكر أن طلحة بن عبيد الله نكح يهودية ، ونكح حذيفة نصرانية ، فغضب عمر بن الخطاب غضباً شديداً ، حتى كاد يبطش بهما ، فقالا نحن نطلق يا أمير المؤمنين ولا تغضب ، فقال : لئن حل طلاقهن لقد حل نكاحهن ، ولكن ينزعن منكم صغرَةً قمأةً .
والثاني : أنها نزلت مراداً بها مشركات العرب ، ومن دان دين أهل الكتاب ، وأنها ثابتة لم نسخ شيء منها ، وهذا قول قتادة ، وسعيد بن جبير .
والثالث : أنها عامة في جميع المشركات ، وقد نسخ منهن الكتابيات ، بقوله تعالى في المائدة : { وَالْمُحْصَنَاتِ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُم } وقد روى الصلت بن بهرام ، عن سفيان قال : تزوج حذيفة بن اليمان يهودية ، فكتب إليه عمر ابن الخطاب ، خلِّ سبيلها ، فكتب إليه أتزعم أنها حرام فأخلى سبيلها ؟ فقال : لا أزعم أنها حرام ، ولكني أخاف أن تقاطعوا المؤمنات منهن ، والمراد بالنكاح التزويج ، وهو حقيقة في اللغة ، وإن كان مجازاً في الوطء ، قال الأعشى :
ولا تقربن جارةً إنّ سِرّها ... عليك حرام فانكحن أو تأبّدا
أي فتزوج أو تعفف .
قوله تعالى : { وَلأَمَةٌ مُؤمِنَةٌ خَيرٌ مِنَ مُشرِكَةٍ } يعني ولنكاح أمة مؤمنة ، خير من نكاح حرة مشركة من غير أهل الكتاب وإنْ شَرُف نسبها وكَرُم أصلها ، قال السدي : نزلت هذه الآية في عبد الله بن رواحة ، كانت له أمة سوداء ، فلطمها في غضب ، ثم ندم ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال : « ما هي يا عبد الله » قال : تصوم ، وتصلي ، وتحسن الوضوء ، وتشهد الشهادتين

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

، فقال رسول الله : « هَذِه مُؤمِنَةٌ » . فقال ابن رواحة : لأعتقنها ولأتزوجها ، ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين ، فأنزل الله تعالى هذا .

{ وَلَو أَعجَبَتكُم } يعني جمال المشركة وحسبها ومالها .

{ وَلاَ تُنكِحُوا المُشرِكِينَ حَتَّى يُؤمِنُوا } هذا على عمومه إجماعاً ، لا يجوز لمسلمة أن تنكح مشرك أبداً . روى الحسن عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَتَزَوَّجُ نِسَاءَ أَهْلِ الكِتَابِ وَلاَ يَتَزَوَّجُونَ نِسَاءَنَا » وفي هذا دليل على أن أولياء المرأة أحق بتزويجها من المرأة .

(158/1)

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (222) نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (223)

قوله تعالى : { وَيَسئَلُونَكَ عَنِ المَحِيضِ قُل هُوَ أَذىً } قال السدي : السائل كان ثابت بن الدحداح الأنصاري ، وكانت العرب ومن في صدر الإسلام من المسلمين يجتنبون مُساكنة الحُيَّض ومؤاكلتهن ومشاربتهن ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت هذه الآية ، وهذا قول قتادة . وقال مجاهد : كان يعتزلون الحُيَّض في الفرج ، ويأتونهن في أدبارهن مدة حيضهن ، فأنزلت هذه الآية ، والأذى هو ما يؤذي من نتن ريحه ووزره ونجاسته .

{ فَاعتَزِلُوا النِسَآءَ فِي المَحِيضِ } اختلفوا في المراد بالإعتزال على ثلاثة أقاويل :

أحدها : اعتزل جميع بدنها أن يباشره بشيء من بدنه ، وهذا قول عبيدة السلماني .

والثاني : ما بين السرة والركبة ، وهذا قول شريح .

والثالث : الَفرج وهذا قول عائشة وميمونه وحفصة وجمهور المفسرين .

ثم قال تعالى : { وَلاَ تَقرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطهُرنَ } فيه قراءتان :

إحداهما : التخفيف وضم الهاء ، وهي قراءة الجمهور ، ومعناه بانقطاع الدم وهو قول مجاهد وعكرمة .

والثانية : بالتشديد وفتح الهاء ، قرأ بها حمزة ، والكسائي وعاصم ، وفي رواية أبي بكر عنه ، ومعناها حتى تغتسل .

ثم قال تعالى : { فَإِذَا تَطَهَّرْنَ } يعني بالماء ، فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : معناه إذا اغتسلن وهو قول ابن عباس وعكرمة والحسن .

والثاني : الوضوء ، وهو قول مجاهد ، وطاوس .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثالث : غسل الفرج .

وفي قوله تعالى : { فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ } أربعة تأويلات :

أحدها : القُبُل الذي نهى عنه في حال الحيض ، وهو قول ابن عباس .

الثاني : فأتوهن من قِبَل طهرهن ، لا من قِبَل حيضهن ، وهذا قول عكرمة ، وقتادة .

والثالث : فأتوا النساء من قِبَل النكاح لا من قِبَل الفجور ، وهذا قول محمد ابن الحنفية .

والرابع : من حيث أحل لكم ، فلا تقربوهن محرمات ، ولا صائمات ولا معتكفات ، وهذا قول الأصم .

{ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ المُطَهِّرِينَ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : المتطهرين بالماء ، وهذا قول عطاء .

والثاني : يحب المتطهرين من أدبار النساء أن يأتوها ، وهذا قول مجاهد .

والثالث : يحب المتطهرين من الذنوب ، أن لا يعودوا فيها بعد التوبة منها ، وهو محكي عن مجاهد أيضاً .

قوله تعالى : { نِسَاؤُكُم حَرثٌ لَكُمْ } أي مزدرع أولادكم ومحترث نسلكم ، وفي الحرث كناية عن النكاح ، { فَأْتُوا حَرثَكُمْ } فانكحوا مزدرع أولادكم .

{ أَنَّى شِئتُمْ } فيه خمسة تأويلات :

أحدها : يعني كيف شئتم في الأحوال ، روى عبد الله بن علي أن أناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جلسوا يوماً ويهودي قريب منهم ، فجعل بعضهم يقول : إني لآتي امرأتي وهي مضطجعة ، ويقول الآخر إني لآتيها وهي قائمة ، ويقول الآخر : إني لآتيها وهي على جنبها ، ويقول الآخر إني لآتيها وهي باركة ، فقال اليهودي : ما أنتم إلا أمثال البهائم ولكنا إنما نأتيها على هيئة واحدة ، فأنزل الله تعالى هذه الآية وهذا قول عكرمة .

(159/1)

والثاني : يعني من أي وجه أحببتم في قُبلها ، أو من دُبْرِها في قُبلها .

روى جابر أن اليهود قالوا : إن العرب يأتون النساء من أعجازهن ، فإذا فعلوا ذلك جاء الولد أحول ، فَأَكْذَبَ الله حديثهم وقال : { نِسَاؤُكُم حَرثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرثَكُمْ أَنَّى شِئتُمْ } ، وهذا قول ابن عباس ، والربيع .

والثالث : يعني من أين شئتم وهو قول سعيد بن المسيب وغيره .

والرابع : كيف شئتم أن تعزلوا أو لا تعزلوا ، وهذا قول سعيد بن المسيب .

والخامس : حيث شئتم من قُبُلٍ ، أو من دُبُرٍ ، رواه نافع ، عن ابن عمر وروى عن غيره .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وروى حبيش بن عبد الله الصنعاني ، عن ابن عباس أن ناساً من حِمْير أتوا النبي صلى الله عليه وسلم يسألونه عن أشياء ، فقال رجل منهم : يا رسول الله : إني رجل أحب النساء ، فكيف ترى في ذلك؟ فأنزل الله تعالى في سورة البقرة بيان ما سألوا عنه ، فأنزل فيما سأل عنه الرجل : { نِسَاؤُكُم حَرثٌ لَكُمْ فَأتُوا حَرثَكُمْ أَنَّى شِئتُمْ } ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مُقْبِلَةً وَمُدْبِرَةً إِذا كان في الفرج

» . { وَقَدِموُاْ لأَنفُسِكم } الخير ، وهو قول السدي .

والثاني : وقدموا لأنفسكم ذكر الله عز وجل عند الجماع ، وهو قول ابن عباس .

(160/1)

وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (224) لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (225)

قوله تعالى : { وَلاَ تَجْعَلُواْ اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ } أما العرضة في كلام العرب ، فهي القوة والشدة ، وفيها ها هنا تأويلان :

أحدهما : أن تحلف بالله تعالى في كل حق وباطل ، فتتبذل اسمه ، وتجعله عُرضة .

والثاني : أن معنى عُرضة ، أي علة يتعلل بها في برّه ، وفيها وجهان :

أحدهما : أن يمتنع من فعل الخير والإصلاح بين الناس إذا سئل ، فيقول عليّ يمين أن لا أفعل ذلك ، أو يحلف بالله في الحال فيعتلّ في ترك الخير باليمين ، وهذا قول طاووس ، وقتادة ، والضحاك ، وسعيد بن جبير .

والثاني : أن يحلف بالله ليفعلن الخير والبر ، فيقصد في فعله البر في يمينه ، لا الرغبة في فعله .

وفي قوله : { أَن تَبَرُّواْ } قولان :

أحدهما : أن تبروا في أيمانكم .

والثاني : أن تبروا في أرحامكم .

{ وَتَتَقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ النَّاسِ } هو الإصلاح المعروف { وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } سميع لأيمانكم ، عليم باعتقادكم .

قوله تعالى : { لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغوِ فِي أَيْمانِكُم } أما اللغو في كلام العرب ، فهو كل كلام كان مذموماً ، وفضلا لا معنى له ، فهو مأخوذ من قولهم لغا فلان في كلامه إذا قال قبحاً ، ومنه قوله تعالى : { وَإِذَا سَمِعُواْ اللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ } [القصص : 55] . فأما لغو اليمين التي لا يؤاخذ الله تعالى بها ، ففيها سبعة تأويلات :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدها : ما يسبق به اللسان من غير قصد كقوله : لا والله ، وبلى والله ، وهو قول عائشة ، وابن عباس ، وإليه ذهب الشافعي ، روى عبد الله بن ميمون ، عن عوف الأعرابي ، عن الحسن بن أبي الحسن قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوم ينضلون يعني يرمون ، ومع النبي صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه ، فرمى رجل من القوم ، فقال أصاب والله ، أخطأت والله ، فقال الذي مع النبي صلى الله عليه وسلم : حنث الرجل يا رسول الله ، فقال : « كَلاَّ أَيْمَانُ الرُّمَاةِ لَغْوٌ وَلاَ كَفَّارَةَ وَلاَ عُقُوبَةَ

» . والثاني : أن لغو اليمين ، أن يحلف على الشيء يظن أنه كما حلف عليه ، ثم يتبين أنه بخلافه ، وهو قول أبي هريرة .

والثالث : أن لغو اليمين أن يحلف بها صاحبها في حال الغضب على غير عقد قلب ولا عزم ، ولكن صلة للكلام ، وهو قول طاوس .

وقد روى يحيى بن أبي كثير عن طاووس عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاَ يَمِينَ فِي غَضَبٍ

» . والرابع : أن لغو اليمين أن يحلف بها في المعصية ، فلا يكفر عنها ، وهو قول سعيد بن جبير ، ومسروق ، والشعبي ، وقد روى عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(161/1)

« مَنْ نَذَرَ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ فَلاَ نَذْرَ لَهُ ، وَمَنْ حَلَفَ عَلَى مَعْصِيَةٍ فَلاَ يَمِينَ لَهُ ، وَمَنْ حَلَفَ عَلَى قَطِيعَةِ رَحِمٍ فَلاَ يَمِينَ لَهُ

» . والخامس : أن اللغو في اليمين ، إذا دعا الحالف على نفسه ، كأن يقول : إن لم أفعل كذا فأعمى الله بصري ، أو قلل من مالي ، أو أنا كافر بالله ، وهو قول زيد بن أسلم .

والسادس : أن لغو اليمين هو ما حنث فيه الحالف ناسياً ، وهذا قول النخعي .

ثم قوله تعالى : { وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن يحلف كاذباً أو على باطل ، وهذا قول إبراهيم النخعي .

والثاني : أن يحلف عمداً ، وهذا قول مجاهد .

والثالث : أنه اعتقاد الشرك بالله والكفر ، وهذا قول ابن زيد .

{ وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ } غفور لعباده ، فيما لغوا من أيمانهم ، حليم في تركه مقابلة أهل حسنته بالعقوبة على معاصيهم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (226) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (227)

قوله تعالى : { لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ } معنى قوله تعالى : { يُؤْلُونَ } أي يقسمون ، والألية : اليمين ، قال الشاعر :

كُفِينا مَنْ تعنّت من نِزَار ... وأحلَلْنا إليه مُقسِمينا

وفي الكلام حذف ، تقديره : للذين يؤلون أن يعتزلوا من نسائهم لكنه إنما دل عليه ظاهر الكلام .

واختلفوا في اليمن التي يصير بها مولياً على قولين :

أحدهما : هي اليمين بالله وحده .

والثاني : هل كل عين لزم الحلف في الحنث بها ما لم يكن لازماً له وكلا القولين عن الشافعي .

واختلفوا في الذي إذا حلف عليه صار مُولياً على ثلاثة أقاويل :

أحدها : هو أن يحلف على امرأته في حال الغضب على وجه الإضرار بها ، أن لا يجامعها في فرجها ، وأما إن حلف على غير وجه الإضرار ، وعلى غير الغضب فليس بمولٍ ، وهو قول عليّ ، وابن عباس وعطاء .

والثاني : هو أن يحلف أن لا يجامعها في فرجها ، سواء كان في غضب أو غير غضب ، وهو قول الحسن ، وابن سيرين ، والنخعي ، والشافعي .

والثالث : هو كل يمين حلف بها في مساءة امرأته على جماع أو غيره ، كقوله والله لأسوءنك أو لأغيظنك ، وهو قول ابن المسيب ، والشعبي ، والحكم .

ثم قال تعالى : { فَإِن فَآؤُوا } يعني رجعوا ، والفيء والرجوع من حال إلى حال ، لقوله تعالى : { حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ } [الحجرات : 9] أي ترجع ، ومنه قول الشاعر :

ففاءَتْ ولم تَقْضِ الذي أقبلت له ... ومِنْ حَاجَةِ الإنسانِ ما ليْسَ قاضيا

وفي الفيء ثلاثة تأويلات :

أحدها : الجماع لا غير ، وهو قول ابن عباس ، ومن قال إن المُولَي هو الحالف على الجماع دون غيره .

والثاني : الجماع لغير المعذور ، والنية بالقلب وهو قول الحسن وعكرمة .

والثالث : هو المراجعة باللسان بكل غالب أنه الرضا ، قاله ابن مسعود ، ومن قال إن المُولي هو الحالف على مساءة زوجته .

ثم قال تعالى : { فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } وفيه ثلاثة تأويلات :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدها : أراد غفران الإثم وعليه الكفارة ، قاله عليّ وابن عباس وسعيد بن المسيب .

والثاني : غفور بتخفيف الكفارة إسقاطها ، وهذا قول من زعم أن الكفارة لا تلزم فيما كان الحنث براً ، قاله الحسن ، وإبراهيم .

والثالث : غفور لمأثم اليمين ، رحيم في ترخيص المخرج منها بالتفكير ، قاله ابن زيد .

ثم قال تعالى : { وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ } الآية . قرأ ابن عباس وإن عزموا السّراح ، وفيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن عزيمة الذي لا يفيء حتى تمضي أربعة أشهر فتطلق بذلك . واختلف من قال بهذا في الطلاق الذي يلحقها على قولين :

أحدهما : طلقة بائنة ، وهو قول عثمان ، وعليّ ، وابن زيد ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود ، وابن عمر ، وابن عباس .

والثاني : طلقة رجعية ، وهو قول ابن المسيب ، وأبي بكر بن عبد الرحمن ، وابن شبرمة .

(163/1)

الثاني : أن تمضي الأربعة الأشهر ، يستحق عليها أن يفيء ، أو يطلق ، وهو قول عمر ، وعلي في رواية عمرو بن سلمة ، وابن أبي ليلى عنه ، وعثمان في رواية طاووس عنه ، وأبي الدرداء وعائشة وابن عمر في رواية نافع عنه .

روى سُهَيْلُ بن أبي صالح عن أبيه قال : « سألت اثني عشر رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يُولي من امرأته فكلهم يقول : ليس عليه شيء حتى تمضي أربعة أشهر فيوقف ، فإن فاء وإلاّ طلق » وهو قول الشافعي ، وأهل المدينة .

والثالث : ليس الإيلاء بشيء ، وهو قول سعيد بن المسيب ، في رواية عمرو ابن دينار عنه .

وفي قوله تعالى : { فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } تأويلان :

أحدهما : يسمع إيلاءه .

والثاني : يسمع طلاقه . وفي { عَلِيمٌ } تأويلان :

أحدهما : يعلم نيته .

والثاني : يعلم صبره .

(164/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (228)

قوله عز وجل : { وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ } يعني المخليات ، والطلاق : التخلية كما يقال للنعجة المهملة بغير راع : طالق ، فسميت المرأة المَخْلي سبيلها بما سميت به النعجة المهمل أمرها ، وقيل إنه مأخوذ من طلق الفرس ، وهو ذهابه شوطاً لا يمنع ، فسميت المرأة المُخْلاَةُ طالقاً لأنها لا تمنع من نفسها بعد أن كانت ممنوعة ، ولذلك قيل لذات الزوج إنها في حباله لأنها كالمعقولة بشيء ، وأما قولهم طَلَقَتْ المرأة فمعناه غير هذا ، إنما يقال طَلَقَتْ المرأة إذا نَفَسَتْ ، هذا من الطلْق وهو وجع الولادة ، والأول من الطَّلاَقِ .

ثم قال تعالى : { يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ } أي مدة ثلاثة قروء ، واختلفوا في الأقراء على قولين :

أحدهما : هي الحِيَضُ ، وهو قول عمر ، وعليّ ، وابن مسعود ، وأبي موسى ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، وعكرمة ، والسدي ، ومالك ، وأبي حنيفة ، وأهل العراق ، استشهاداً بقول الشاعر :

يا رُبَّ ذي صغن عليّ فارض ... له قروءٌ كقروءِ الحائض

والثاني : هي الأطهار ، وهو قول عائشة ، وابن عمر ، وزيد بن ثابت ، والزهري ، وأبان بن عثمان ، والشافعي ، وأهل الحجاز ، استشهاداً بقول الأعشى :

أفي كلِّ عامٍ أنتَ جَاشِمُ غزوةً ... تَشُدُّ لأقصاها عزيمَ عزائِكَا

مُوَرّثَةً مالاً وفي الحيِّ رِفعَةٌ ... لِمَا ضاعَ فيها من قروءِ نِسائكا

واختلفوا في اشتقاق القرء على قولين :

أحدهما : أن القرء الاجتماع ، ومنه أخذ اسم القرآن لاجتماع حروفه ، وقيل : قد قرأ الطعام في شدقه وقرأ الماء في حوضه إذا جمعه ، وقيل : ما قرأتِ الناقة سَلَى قط ، أي لم يجتمع رحمها على ولد قط ، قال عمرو بن كلثوم :

تُرِيكَ إذا دَخَلْتَ على خَلاءٍ ... وقد أمنَتْ عُيونُ الكَاشِحِينا

ذِرَاعَيْ عَيْطَلٍ أدْمَاءَ بكرٍ ... هَجَانَ اللون لم تقرأْ جَنِينَا

وهذا قول الأصمعي ، والأخفش ، والكسائي ، والشافعي ، فمن جعل القروء اسماً للحيض سماه بذلك ، لاجتماع الدم في الرحم ، ومن جعله اسماً للطهر فلاجتماعه في البدن .

والقول الثاني : أن القرء الوقت ، لمجيء الشيء المعتاد مجيؤه لوقت معلوم ، ولإدبار الشيء المعتاد إدباره لوقت معلوم ، وكذلك قالت العرب : أَقْرَأَتْ حاجة فلان عندي ، أي دنا وقتها وحان قضاؤها .

وأَقْرَأَ النجم إذا جاء وقت أُفوله ، وقرأ إذا جاء وقت طلوعه ، قال الشاعر :

إذا ما الثُّرَيَّا وقد أقْرَأَتْ ... .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقيل : أقرأت الريح ، إذا هبت لوقتها ، قال الهذلي :

كَرِهتُ العقْرَ عَقْرَ بني شليل ... إذا لِقَارِئِهَا الرِّياح

يعني هبت لوقتها ، وهذا قول أبي عمرو بن العلاء .

فمن جعل القرْء اسماً للحيض ، فلأنه وقت خروج الدم المعتاد ، ومن جعله اسماً للطهر ، فلأنه وقت احتباس الدم المعتاد .

ثم قال تعالى : { وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ في أَرْحَامِهِنَّ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه الحيض ، وهو قول عكرمة ، والزهري ، والنخعي .

(165/1)

والثاني : أنه الحمل ، قاله عمر وابن عباس .

والثالث : أنه الحمل والحيض قاله عمر ومجاهد .

{ إن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ } وعيد من الله لهن ، واختلف في سبب الوعيد على قولين :

أحدهما : لما يستحقه الزوج من الرجعة ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : لإلحاق نسب الوليد بغيره كفعل الجاهلية ، وهو قول قتادة .

ثم قال تعالى : { وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ في ذَلِكَ } البعل : الزوج ، سُمِّيَ بذلك ، لعلوه على الزوجة بما قد ملكه عن زوجيتها ومنه قوله تعالى : { أَتَدْعُونَ بَعْلاً } [الصافات : 125] أي رَبّاً لعلوه بالربوبية ، { أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذلِكَ } أي برجعتهن ، وهذا مخصوص في الطلاق الرجعي دون البائن .

{ إنْ أَرَادُوا إِصْلاَحاً } يعني إصلاح ما بينهما من الطلاق .

ثم قال تعالى : { وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ } وفيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : ولهن من حسن الصحبة والعشرة بالمعروف على أزواجهن ، مثل الذي عليهن من الطاعة ، فيما أوجبه الله تعالى عليهن لأزواجهن ، وهو قول الضحاك .

والثاني : ولهن على أزواجهن من التصنع والتزين ، مثل ما لأزواجهن ، وهو قول ابن عباس .

والثالث : أن الذي لهن على أزواجهن ، ترك مضارتهن ، كما كان ذلك لأزواجهن ، وهو قول أبي جعفر .

ثم قال تعالى : { وَلِلرِّجَالِ عَلَيهِنَّ دَرَجَةٌ } وفيه خمسة تأويلات :

أحدها : فضل الميراث والجهاد ، وهو قول مجاهد .

والثاني : أنه الإِمْرَةُ والطاعة ، وهو قول زيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن .

والثالث : أنه إعطاء الصداق ، وأنه إذا قذفها لاعنها ، وإن قذفته حُدَّتْ ، وهو قول الشعبي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

والرابع : أفضاله عليها ، وأداء حقها إليها ، والصفح عما يجب له من الحقوق عليها ، وهو قول ابن عباس وقتادة .

والخامس : أن جعل له لحْية ، وهو قول حميد .

(166/1)

الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (229) فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (230)

قوله تعالى : { الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ } فيه تأويلان :

أحدهما : أنه بيان لعدد الطلاق وتقديره بالثلاث ، وأنه يملك في الاثنين الرجعة ولا يملكها في الثالثة ، وهو قول عروة وقتادة ، وروى هشام بن عروة عن أبيه قال : كان الرجل يطلق ناسياً ، إنْ راجع امرأته قبيل أن تنقضي عدتها كانت امرأته ، فغضب رجل من الأنصار على امرأته ، فقال لها : لا أقربك ولا تختلين مني ، قالت له كيف؟ أطلقك فإذا دنا أجلك راجعتك ، فشكت زوجها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى : { الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ } الآية .

والتأويل الثاني : أنه بيان لسنة الطلاق أن يوقع في كل قول طلقة واحدة ، وهو قول عبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، ومجاهد .

قوله تعالى : { فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ } فيه تأويلان :

الأول : هذا في الطلقة الثالثة ، روى سفيان ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي رزين قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : الطلاق مرتان فأين الثالثة؟ قال : { فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ } ، وهذا قول عطاء ، ومجاهد .

والثاني : { فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ } الرجعة بعد الثانية { أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ } والإمساك عن رجعتها حتى تنقضي العدة ، وهو قول السدي ، والضحاك . الإحسان هو تأدية حقها ، والكف عن أذاها .

ثم قال تعالى : { وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً } يعني من الصداق { إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ } قرأ حمزة بضم الياء من يخافا ، وقرأ الباقون بفتحها ، والخوف ها هنا بمعنى الظن ، ومنه قول الشاعر :

أتاني كلامٌ عن نصيبٍ يقوله ... وما خِفْتُ بالإسلامِ أنك عائبي

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يعني وما ظننت .

وفي { أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ } أربعة تأويلات :

أحدها : أن يظهر من المرأة النُّشُوز وسوء الخُلُق ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : أن لا تطيع له أمراً ، ولا تبرّ له قَسَماً ، وهو قول الحسن ، والشعبي .

والثالث : هو أن يبدي لسانها أنها له كارهة ، وهو قول عطاء .

والرابع : أن يكره كل واحد منهما صاحبه ، فلا يقيم كل واحد منهما ما أوجب الله عليه من حق صاحبه ، وهو قول طاووس ، وسعيد بن المسيب ، والقاسم بن محمد ، روى ثابت بن يزيد ، عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المُخْتَلِعَاتُ والمُنْتَزِعَاتُ هُنَّ المُنَافِقَاتُ » . يعني التي تخالع زوجها لميلها إلى غيره .

ثم قال تعالى : { فإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ } فيه قولان :

أحدهما : افتدت به نفسها من الصداق وحده من غير زيادة ، وهو قول عليّ ، وعطاء ، والزهري ، وابن المسيب ، والشعبي ، والحكم ، والحسن .

والقول الثاني : يجوز أن تُخَالِعَ زوجها بالصداق وبأكثر منه ، وهذا قول عمر ، وابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والنخعي ، والشافعي . رَوَى عبد الله بن محمد بن عقيل : أن الرُّبَيِّعَ بنت مُعَوّذ بن عفراء حدثته قالت : كان لي زوج يُقِلُّ عليَ الخبز إذا حضر ، ويحرمني إذا غاب ، قالت : وكانت مني زَلَّةٌ يوماً فقلت : أَنْخَلِعُ منك بكل شيء أملكه ، قال : نعم ، قالت ففعلت ، قالت : فخاصم عمي معاذ بن عفراء إلى عثمان بن عفان ، فأجاز الخلع ، وأمره أن يأخذ ما دون عقاص الرأس .

(167/1)

واختلفوا في نسخها ، فَحُكِيَ عن بكر بن عبد الله أن الخلع منسوخ بقوله تعالى : { وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوجٍ وَءَاتَيتُم إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيئاً } [النساء : 20] وذهب الجمهور إلى أن حكمها ثابت في جواز الخلع .

وقد روى أيوب ، عن كثير مولى سَمُرَة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أُتِيَ بامرأة ناشزة ، فأمر بها إلى بيت كثير ، فحبسها ثلاثاً ، ثم دعاها فقال : كيف وجدت مكانك؟ قالت : ما وجدتُ راحة منذ كنت إلا هذه الليالي التي حبستني ، فقال لزوجها : اخلعها ولو من قرطها .

وقوله تعالى : { فَإِن طَلَّقَهَا } فيه قولان :

أحدهما : أنها الطلقة الثالثة وهو قول السدي .

والثاني : أن ذلك تخيير لقوله تعالى : { أَو تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ } ، وهو قول مجاهد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوجاً غَيرَهُ } يعني أنها لا تحل للزوج المطلق ثلاثاً حتى تنكح زوجاً آخر ، وفيه قولان :

أحدهما : أن نكاح الثاني إذا طلقها منه أحلها للأول سواء دخل بها أو لم يدخل ، وهو قول سعيد بن المسيب .

والثاني : أنها لا تحل للأول بنكاح الثاني ، حتى يدخل بها فتذوق عسيلته ويذوق عسيلتها ، للسنّة المروية فيه ، وهو قول الجمهور .

(168/1)

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (231)

قوله تعالى : { وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ } أي قاربْن انقضاء عِدَدهن ، كما يقول المسافر : بلغت بلد كذا إذا قاربه .

{ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ } هو المراجعة قبل انقضاء العدة { أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ } وهو تركها حتى تنقضي العدة .

{ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُواْ } هو أن يراجع كلما طلّق حتى تطول عدتها إضراراً بها .

{ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ } يعني في قصد الإضرار ، وإن صحت الرجعة ، والطلاق .

رَوَى حميد بن عبد الرحمن ، عن أبي موسى الأشعري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب على الأشعريين ، قالوا : يقول أحدهم قد طلقت ، قد راجعت ، ليس هذا بطلاق المسلمين ، طلقوا المرأة في قبل عدتها ولا تتخذوا آيات الله هزواً .

وروى سليمان بن أرقم : أن الحسن حدثهم : أن الناس كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يُطَلِّق أو يعتق ، فيقال : ما صنعت؟ فيقول : كنت لاعباً ، قال رسول الله صلى اله عليه وسلم : « مَنْ طَلَّقَ لاَعِباً أَو أَعْتَقَ لاَعِباً جَازَ عَلَيهِ » . قال الحسن : وفيه نزلت : { وَلاَ تَتَّخِذُوا ءَايَاتِ اللهِ هُزُواً } .

(169/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (232)

قوله تعالى : { وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ } بلوغ الأجل ها هنا [تناهيه] ، بخلاف بلوغ الأجل في الآية التي قبلها ، لأنه لا يجوز لها أن تنكح غيره قبل انقضاء عدتها ، قال الشافعي : فدخل اختلاف المعنيين على افتراق البلوغين .

ثم قال تعالى : { فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ } وفي العضل قولان :

أحدهما : أنه المنع ، ومنه قولهم : داء عضال إذا امتنع من أن يُداوَى ، وفلان عُضَلَةٌ أي داهية ، لأنه امتنع بدهائه .

والقول الثاني : أن العضل الضيق ، ومنه قولهم : قد أعضل بالجيش الفضاء ، إذا ضاق بهم .

وقال عمر بن الخطاب : قد أعضل بي أهل العراق ، لا يرضون عن والٍ ، ولا يرضى عنهم والٍ ، وقال أوس بن حجر .

وليس أخُوكَ الدَّائِمُ العَهْدِ بالَّذِي ... يذُمُّك إن ولَّى وَيُرْضِيك مُقبِلاً

ولكنه النَّائي إذا كُنتَ آمِناً ... وصاحِبُكَ الأدْنَى إذا الأمْرُ أعْضَلاَ

فنهى الله عز وجل أولياء المرأة عن عضلها ومنعها من نكاح مَنْ رضيته من الأزواج .

وفي قوله عز وجل : { إِذَا تَرَاضَوا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ } تأويلان :

أحدهما : إذا تراضى الزوجان .

والثاني : إذا رضيت المرأة بالزوج الكافي . قال الشافعي : وهذا بيّن في كتاب الله تعالى يدل على أن ليس للمرأة أن تنكح بغير وليّ .

واختلف أهل التأويل فيمن نزلت فيه هذه الآية على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في معقل بن يسار زوّج أخته ، ثم طلقها زوجها وتراضيا بعد العدة أن يتزوجها ، فَعَضَلَهَا معقل ، وهذا قول الحسن ، وقتادة ، ومجاهد .

والثاني : أنها نزلت في جابر بن عبد الله مع بنت عم له ، وقد طلقها زوجها ، ثم خطبها فأبى أن يزوجه بها ، وهذا قول السدي .

والثالث : أنها نزلت عموماً في نهي كل ولي عن مضارة وليّته من النساء أن يعضلها عن النكاح ، وهذا قول ابن عباس ، والضحاك ، والزهري .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (233)

قوله تعالى : { وَالْوَلِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ } والحول السنة ، وفي أصله قولان :

أحدهما : أنه مأخوذ من قولهم : حال الشيء إذا انقلب عن الوقت الأول ، ومنه استحالة الكلام لانقلابه عن الصواب . والثاني : أنه مأخوذ من التحول عن المكان ، وهو الانتقال منه إلى المكان الأول .

وإنما قال حولين كاملين ، لأن العرب تقول : أقام فلان بمكان كذا حولين وإنما أقام حولاً وبعض آخر ، وأقام يومين وإنما أقام يوماً وبعض آخر ، قال الله تعالى : { وَاذْكُرُوا اللهَ في أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَومَينِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيهِ } [البقرة : 203] ومعلوم أن التعجل في يوم وبعض يوم .

واختلف أهل التفسير فيما دلت عليه هذه الآية من رضاع حولين كاملين ، على تأويلين :

أحدهما : أن ذلك في التي تضع لستة أشهر فإن وضعت لتسعة أشهر أرضعت واحداً وعشرين شهراً ، استكمالاً لثلاثين شهراً ، لقوله تعالى : { وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْراً } [الأحقاف : 15] وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أن ذلك أمر برضاع كل مولود اختلف والداه في رضاعه أن يرضع حولين كاملين ، وهذا قول عطاء والثوري .

ثم قال تعالى : { وَعَلَى الْمَولُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ } يريد بالمولود له الأب عليه في ولده للمرضعة له رزقهن وكسوتهن بالمعروف وفيه قولان :

أحدهما : أن ذلك في الأم المطلقة إذا أرضعت ولدها فلها رزقها من الغذاء ، وكسوتها من اللباس . ومعنى بالمعروف أجرة المثل ، وهذا قول الضحاك .

والثاني : أنه يعني به الأم ذات النكاح ، لها نفقتها وكسوتها بالمعروف في مثلها ، على مثله من يسار ، وإعسار .

ثم قال تعالى : { لاَ تُضَارَ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا } أي لا تمتنع الأم من إرضاعه إضراراً بالأب ، وهو قول جمهور المفسرين .

وقال عكرمة : هي الظئر المرضعة دون الأم .

ثم قال تعالى : { وَلاَ مَولُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ } وهو الأب في قول جميعهم ، لا ينزع الولد من أمه إضراراً بها .

ثم قال تعالى : { وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذلِكَ } فيه أربعة أقاويل :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدها : أن الوارث هو المولود نفسه ، وهذا قول قبيصة بن ذؤيب .

والثاني : أنه الباقي من والدي بعد وفاة الآخر منهما ، وهو قول سفيان .

والثالث : أنه وارث الولد ، وهذا قول الحسن ، والسدي .

والرابع : أنه وارث الولد ، وفيه أربعة أقاويل :

أحدها : وارثه من عصبته إذا كان أبوه ميتاً سواء كان عماً أو أخاً أو ابن أخ أو ابن عم دون النساء من الورثة ، وهذا قول عمر بن الخطاب ، ومجاهد .

والثاني : ورثته من الرجال والنساء ، وهو قول قتادة .

والثالث : هم مِنْ ورثته من كان منهم ذا رحم محرم ، وهذا قول أبي حنيفة .

(171/1)

والرابع : أنهم الأجداد ثم الأمهات ، وهذا قول الشافعي .

وفي قوله تعالى : { مثل ذلك } تأويلان :

أحدهما : أن على الوارث مثل ما كان على والده من أجرة رضاعته ونفقته ، وهو قول الحسن ، وقتادة ، وإبراهيم .

والثاني : أن على الوارث مثل ذلك في ألاَّ تضار والدة بولدها ، وهذا قول الضحاك ، والزهري .

ثم قال تعالى : { فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيهِمَا } والفصال : الفصام ، سمي فصالاً لانفصال المولود عن ثدي أمه ، من قولهم قد فاصل فلان فلاناً إذا فارقه من خلطة كانت بينهما . والتشاور : استخراج الرأي بالمشاورة .

وفي زمان هذا الفِصال عن تراض قولان :

أحدهما : أنه قبل الحولين إذا تراضى الوالدان بفطام المولود فيه جاز ، وإن رضي أحدهما وأبى الآخر لم يجز ، وهذا قول مجاهد ، وقتادة ، والزهري ، والسدي .

والقول الثاني : أنه قبل الحولين وبعده ، وهذا قول ابن عباس .

ثم قال تعالى : { وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلاَدَكُم } يعني لأولادكم ، فحذف اللام اكتفاء بأن الاسترضاع لا يكون للأولاد ، وهذا عند امتناع الأم من إرضاعه ، فلا جناح عليه أن يسترضع له غيرها ظِئْراً .

{ إذا سَلَّمْتُم مَّا ءَاتَيتُم بِالْمَعْرُوفِ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : إذا سلمتم أيها الآباء إلى الأمهات أجور ما أرضعن قبل امتناعهن ، وهذا قول مجاهد ، والسدي .

والثاني : إذا سلّمتم الأولاد عن مشورة أمهاتهم إلى من يتراضى به الوالدان في إرضاعه ، وهذا قول

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قتادة ، والزهري .

والثالث : إذا سلّمتم إلى المرضعة التي تستأجر أجرها بالمعروف ، وهذا قول سفيان .

(172/1)

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (234)

قوله تعالى : { وَالَّذِينَ يُتَوَفَّونَ مِنكُم وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً } يعني بالتربص زمان العِدّة في المتوَّفى زوجُها ، وقيل في زيادة العشرة على الأشهر الأربعة ما قاله سعيد بن المسيب وأبو العالية أن الله تعالى ينفخ الروح في العشرة ، ثم ذكر العشر بالتأنيث تغليباً لليالي على الأيام إذا اجتمعت لأن ابتداء الشهور طلوع الهلال ودخول الليل ، فكان تغليب الأوائل على الثواني أوْلى .

واختلفوا في وجوب الإِحْدَادِ فيها على قولين :

أحدهما : أن الإِحْدَاد فيها واجب ، وهو قول ابن عباس ، والزهري .

والثاني : ليس بواجب ، وهو قول الحسن .

روى عبد الله ابن شداد بن الهاد ، عن أسماء بنت عُمَيس قالت : لمّا أصيب جعفر بن أبي طالب ، قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَسَلَّبِي ثَلاَثاً ثُمَّ اصْنَعِي مَا شِئْتِ » . والإِحْدَادُ : الامتناع من الزينة ، والطيب ، والترجل ، والنُّقْلة .

ثم قال تعالى : { فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيكُم فِيمَا فَعَلنَّ فِي أَنْفُسِهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ } فإن قيل : فما المعنى في رفع الجناح عن الرجال في بلوغ النساء أجلهن؟ ففيه جوابان :

أحدهما : أن الخطاب تَوَجّه إلى الرجال فيما يلزم النساء من أحكام العِدّة ، فإذا بلغن أجلهن ارتفع الجناح عن الرجال في الإنكار عليهن وأخذهن بأحكام عددهن .

والثاني : أنه لا جناح على الرجال في نكاحهن بعد انقضاء عِدَدِهن .

ثم قوله تعالى : { فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف } تأويلان : أحدهما : من طيب ، وتزين ، ونقلة من مسكن ، وهو قول أبي جعفر الطبري .

والثاني : النكاح الحلال ، وهو قول مجاهد . وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى : { وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِم مَتَاعاً إِلَى الْحَولِ غَيرَ إِخْرَاجٍ } [البقرة : 240] فإن قيل : فهي متقدمة والناسخ يجب أن يكون متأخراً ، قيل هو في التنزيل متأخر ، وفي التلاوة متقدم . فإن قيل :

This file was downloaded from QuranicThought.com

فَلِمَ قُدِّم في التلاوة مع تأخره في التنزيل؟ قيل : ليسبق القارىء إلى تلاوته ومعرفة حكمه حتى إن لم يقرأ ما بعده من المنسوخ أجزأه .

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (235)

قوله تعالى : { وَلاَ جُنَاحَ عَلَيكُم فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطبَةِ النِّسَاءِ } أما التعريض ، فهو الإشارة بالكلام إلى ما ليس فيه ذكر النكاح ، وأما الخِطبة بالكسر فهي طلب النكاح ، وأما الخُطبة بالضَّم فهي كلام يتضمن وعظاً أو بلاغاً . والتعريض المباح في العدة أن يقول لها : ما عليك أَيْمة ولعل الله أن يسوق إليك خيراً ، أو يقول : رُبَّ رجلٍ يَرْغب فيك ، غلى ما جرى مجرى هذه الألفاظ .

ثم قال تعالى : { أو أكننتم في أنفسكم } يعني ما أسررتموه من عقدة النكاح .

ثم قال تعالى : { عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً } في السر خمسة تأويلات :

أحدها : أنه الزنى ، وهو قول الحسن ، وأبي مجلز ، والسدي ، والضحاك وقتادة .

والثاني : ألا تأخذوا ميثاقهن وعهودهن في عِددهن ألا ينكحن غيركم ، وهذا قول ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والشعبي .

والثالث : ألا تنكحوهن في عِددهن سراً ، وهو قول عبد الرحمن بن زيد .

والرابع : أن يقول لها : لا تفوتني نفسك ، وهو قول مجاهد .

والخامس : الجماع ، وهو قول الشافعي .

ثم قال تعالى : { إلا أن تقولوا قولاً معروفاً } معناه : قولوا قولاً معروفاً ، وهو التعريض . ثم قال تعالى : { وَلاَ تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحَ حَتَى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ } .

وفي الكلام حذف وتقديره : ولا تعزموا على عقدة النكاح ، يعني التصريح بالخطبة . وفي { حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ } قولان :

أحدهما : معناه فرض الكتاب أجله ، يريد انقضاء العدّة ، فحذف الفرض اكتفاء بما دل عليه الكلام .

والثاني : أنه أراد بالكتاب الفرض تشبيهاً بكتاب .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (236)

قوله تعالى : { لاَ جُنَاحَ عَلَيكُم إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ } وقرأ حمزة والكسائي : { تُمَاسُّوهُنَّ } .

{ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً } . وفيه قولان :

أحدهما : معناه ولم تفرضوا لهن فريضة .

والثاني : أن في الكلام حذفاً وتقديره : فرضتم أو لم تفرضوا لهن فريضة . والفريضة : الصدق وسمي فريضة لأنه قد أوجبه لها ، وأصل الفرض : الواجب ، كما قال الشاعر :

كانت فريضة ما أتيت كما ... كان الزِّناءُ فَرِيضةَ الرجْمِ

وكما يقال : فرض السلطان لفلان في الفيء ، يعني أوجب له ذلك .

ثم قال تعالى : { وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الموسر قَدَرُهُ وَعَلَى المُقْتِرِ قَدَرُهُ } أي أعطوهن ما يتمتعن به من أموالكم على حسب أحوالكم في الغنى والإقتار . واختلف في قدر المتعة على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن المتعة الخادم ، ودون ذلك الوَرِق ، ودون ذلك الكسوة ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : أنه قدر نصف صداق مثلها ، وهو قول أبي حنيفة .

والثالث : أنه مُقَدَّر باجتهاد الحاكم ، وهو قول الشافعي .

ثم قال تعالى : { مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ } واختلفوا في وجوبها على أربعة أقاويل :

أحدها : أنها واجبة لكل مطلقة ، وهو قول الحسن ، وأبي العالية .

والثاني : أنها واجبة لكل مطلقة إلا غير المدخول بها ، فلا متعة لها ، وهو قول ابن عمر ، وسعيد بن المسيب .

والثالث : أنها واجبة لغير المدخول بها إذا لم يُسمّ لها صداق ، وهو قول الشافعي .

والرابع : أنها غير واجبة ، وإنما الأمر بها ندب وإرشاد ، وهو قول شريح ، والحكم .

(175/1)

وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (237)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قوله تعالى : { وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ } وهو أول الطلاقين لمن كان قبل الدخول كارهاً ، لرواية سعيد ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لاَ يُحِبُّ الذوَّاقِينَ وَلا الذَّوَّاقَاتِ » . يعني الفراق بعد الذوق .

ثم قال تعالى : { وَقَدْ فَرَضْتُم لَهُنَّ فَرِيضَةً } يعني صداقاً { فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُم } فيه قولان :

أحدهما : معناه فنصف ما فرضتم لهن ليس عليكم غيره لهن ، { إِلاَّ أَن يَعْفُونَ } يعني به عفو الزوجة ، ليكون عفوها أدعى إلى خِطْبَتِها ، ويرغّب الأزواج فيها .

ثم قال تعالى : { أَو يَعفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ } وفيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الذي بيده عقدة النكاح هو الولي ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، وطاووس ، والحسن ، وعكرمة ، والسدي .

الثاني : هو الزوج ، وبه قال علي ، وشريح ، وسعيد بن المسيب وجبير بن مطعم ، ومجاهد ، وأبو حذيفة .

والثالث : هو أبو بكر ، والسيد في أمته ، وهو قول مالك .

ثم قال تعالى : { وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى } وفي المقصود بهذا الخطاب قولان :

أحدهما : أنه خطاب للزوج وحده ، وهو قول الشعبي .

والثاني : أنه خطاب للزوج والزوجة ، وهو قول ابن عباس . وفي قوله : { أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى } تأويلان :

أحدهما : أقرب لاتقاء كل واحد منهما ظُلْمَ صاحبه .

والثاني : أقرب إلى اتقاء معاصي الله .

(176/1)

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (238) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (239)

قوله عز وجل : { حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ } وفي المحافظة عليها قولان :

أحدهما : ذكرها .

والثاني : تعجيلها .

ثم قال تعالى : { وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى } وإنما خص الوسطى بالذكر وإن دخلت في جملة الصلوات لاختصاصها بالفضل ، وفيها خمسة أقاويل :

أحدها : أنها صلاة العصر ، وهو قول عليّ ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، وأبي أيوب ، وعائشة ، وأم سلمة ، وحفصة ، وأم حبيبة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

روى عمرو بن رافع ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت لكاتب مصحفها : إذا بلغتَ مواقيت الصلاة فأخبرني ، حتى أخبرك بما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبرها قالت : أكتب ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَهِيَ صَلاَةُ الْعَصْرِ » . وروى محمد بن سيرين ، عن عبيدة السلماني ، عن عليّ رضي الله عنه قال : لم يُصَلِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر يوم الخندق إلا بعدما غربت الشمس فقال : « مَا لَهُم مَلأَ اللهُ قُلُوبَهُم وَقُبُورَهُم نَاراً شَغَلُونَا عَنِ الصَّلاَةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ » . وروى التيمي ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الصَّلاَةُ الوُسْطَى صَلاَةُ الْعَصْرِ » . والقول الثاني : أنها صلاة الظهر ، وهو قول زيد بن ثابت ، وابن عمر . قال ابن عمر : هي التي توجه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القبلة .

وروى ابن الزبير عن زيد بن ثابت قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر بالهاجرة ، ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحابه منها ، قال فنزلت : { حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الوُسْطَى } وقال إن قبلها صلاتين وبعدها صلاتين .

والقول الثالث : أنها صلاة المغرب ، وهو قول قبيصة بن ذؤيب لأنها ليست بأقلها ولا بأكثرها ولا تقصر في السفر ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤخرها عن وقتها ولم يعجلها .

والقول الرابع : أنها صلاة الصبح ، وهو قول ابن عباس ، وأبي موسى الأشعري ، وجابر بن عبد الله ، قال ابن عباس يصليها بين سواد الليل وبياض النهار ، تعلقاً بقوله تعالى : { وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ } ولا صلاة مفروضة يقنت فيها إلا الصبح ، ولأنها بين صلاتي ليل وصلاتي نهار .

والقول الخامس : أنها إحدى الصلوات الخمس ولا تعرف بعينها ، ليكون أبعث لهم على المحافظة على جميعها ، وهذا قول نافع ، وابن المسيب ، والربيع ابن خثيم .

وفيها قول سادس : أن الصلاة الوسطى صلاة الجمعة خاصة .

وفيها قول سابع : أن الصلاة الوسطى صلاة الجماعة من جميع الصلوات . وفي تسميتها بالوسطى ثلاثة أوجه :

أحدها : لأنها أوسط الصلوات الخمس محلاً ، لأنها بين صلاتي ليل وصلاتي نهار .

والثاني : لأنها أوسط الصلاة عدداً ، لأن أكثرهن أربع وأقلهن ركعتان .

والثالث : لأنها أفضل الصلوات ووسط الشيء ووسطاه أفضله ، وتكون الوُسْطَى بمعنى الفُضْلَى .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ثم قال تعالى : { وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ } وفيه ستة تأويلات :

أحدها : يعني طائعين ، قاله ابن عباس ، والضحاك ، والشعبي ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وعطاء .

والثاني : ساكتين عما نهاكم الله أن تتكلموا به في صلاتكم ، وهو قول ابن مسعود ، وزيد بن أرقم ، والسدي ، وابن زيد .

والثالث : خاشعين ، نهياً عن العبث والتفلت ، وهو قول مجاهد ، والربيع بن أنس .

والرابع : داعين ، وهو مروي عن ابن عباس .

والخامس : طول القيام في الصلاة ، وهو قول ابن عمر .

والسادس : . . . . وهو مروي عن ابن عمر أيضا .

واختلف في أصل القنوت ، على ثلاثة أوجه :

أحدها : أن أصله الدوام على أمر واحد .

والثاني : أصله الطاعة .

والثالث : أصله الدعاء .

قوله عز وجل : { فَإِنْ خِفْتُم فَرِجَالاً أَو رُكْبَاناً } الرجال جمع راجل ، والركبان جمع راكب ، مثل قائم وقيام . يعني فإن خفتم من عدوّكم ، فصلوا على أرجلكم أو ركائبكم ، وقوفاً ومشاة ، إلى القبلة وغير القبلة ، مومئاً أو غير مومىء ، على حسب قدرته .

واختلف في قدر صلاته ، فذهب الجمهور إلى أنها على عددها تُصَلَّى ركعتين ، وقال الحسن : تُصَلَّى ركعة واحدة إذا كان خائفاً .

واختلفوا في وجوب الإعادة عليه بعد أمنه ، فذهب أهل الحجاز إلى سقوط الإعادة عنه لعذره .

وذهب أهل العراق إلى وجوب الإعادة عليه لأن مشيه فيها عمل ليس منها .

ثم قال تعالى : { فَإِذَا أَمِنتُم فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } وفيه تأويلان :

أحدهما : معناه فإذا أمنتم فصلّوا كما علّمكم ، وهو قول ابن زيد .

والثاني : يريد فاذكروه بالثناء عليه والحمد له ، كما علمكم من أمر دينكم ما لم تكونوا تعلمون .

(178/1)

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (240) وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (241) كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (242)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله عز وجل : { وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُم } الآية . أما الوصية فقد كانت بدل الميراث ، ثم نسخت بآية المواريث ، وأما الحَوْل فقد كانت عِدّة المتوفى عنها زوجها ، ونسخت بأربعة أشهر وعشر .

قوله عز وجل : { وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ } فيه ثلاثة أقاويل : أحدها : . . . . .

والثاني : أنها لكل مطلقة ، وهذا قول سعيد بن جبير وأحد قولي الشافعي .

وقيل إن هذه الآية نزلت على سبب وهو أن الله عز وجل لمّا قال : { وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ } فقال رجل : إنْ أحسنتُ فعلت ، وإن لم أرد ذلك لم أفعل ، فقال الله عز وجل : { وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِين } ، وهذا قول ابن زيد ، وإنما خص المتقين بالذكر – وإن كان عاماً – تشريفاً لهم .

(179/1)

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (243) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (244) مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (245)

قوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ } يعني ألم تعلم .

{ وَهُمْ أُلُوفٌ } فيه قولان :

أحدهما : يعني مُؤْتَلِفِي القلوب وهو قول ابن زياد .

والثاني : يعني ألوفاً في العدد .

واختلف قائلو هذا في عددهم على أربعة أقاويل :

أحدها : كانوا أربعة آلاف ، رواه سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

والثاني : كانوا ثمانية آلاف .

والثالث : كانوا بضعة وثلاثين ألفاً ، وهو قول السدي .

والرابع : كانوا أربعين ألفاً ، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً ، والألوف تستعمل فيما زاد على عشرة آلاف .

ثم قال تعالى : { حَذَرَ الْمَوتِ } وفيه قولان :

أحدهما : أنهم فرّوا من الطاعون ، وهذا قول الحسن ، ورَوَى سعيد بن جبير قال : كانوا أربعة آلاف ، خرجوا فراراً من الطاعون ، وقالوا نأتي أرضاً ليس بها موت ، فخرجوا ، حتَّى إذا كانوا بأرض كذا ، قال الله لهم : موتوا فماتوا ، فمر عليهم نبي ، فدعا ربه أن يحييهم ، فأحياهم الله .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

القول الثاني : أنهم فروا من الجهاد ، وهذا قول عكرمة والضحاك .

{ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا } فيه قولان :

أحدهما : يعني فأماتهم الله ، كما يقال : قالت السماء فمطرت ، لأن القول مقدمة الأفعال ، فعبر به عنها .

والثاني : أنه تعالى قال قولاً سمعته الملائكة . { ثُمَّ أَحْيَاهُمُ } إنما فعل ذلك معجزة لنبي من أنبيائه كان اسمه شمعون من أنبياء بني إسرائيل ، وأن مدة موتهم إلى أن أحياهم الله سبعة أيام .

قال ابن عباس ، وابن جريج : رائحة الموت توجد في ولد ذلك السبط من اليهود إلى يوم القيامة .

قوله عز وجل : { مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهُ قَرْضاً حَسَناً } فيه تأويلان :

أحدهما : أنه الجهاد ، وهو قول ابن زيد .

والثاني : أبواب البر ، وهو قول الحسن ، ومنه قول الشاعر :

وإذا جُوزِيتَ قَرضاً فاجْزِه ... إنما يجزي الفتى ليس الجمل

قال الحسن : وقد جهلت اليهود لما نزلت هذه الآية فقالوا : إن الله يستقرض منا ، فنحن أغنياء ، وهو فقير ، فأنزل الله تعالى : { لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنحَنْ أَغْنِيَاءُ } [آل عمران : 181] . قوله تعالى : { فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً } فيه قولان :

أحدهما : سبعمائة ضعف ، وهو قول ابن زيد .

والثاني : لا يعلمه أحد إلا الله ، وهو قول السدي .

{ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ } فيه تأويلان :

أحدهما : يعني في الرزق ، وهو قول الحسن وابن زيد .

والثاني : يقبض الصدقات ويبسط الجزاء ، وهو قول الزجاج .

(180/1)

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246)

قوله عز وجل : { أَلَمْ تَرَ إِلَى المَلإِ من بَنِي إِسْرَائِيلَ } الملأ : الجماعة .

{ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِّيٍ لَهُم } اختلف أهل التأويل فيه على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه سمويل ، وهو قول وهب بن منبه .

والثاني : يوشع بن نون ، وهو قول قتادة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

والثالث : شمعون ، سمّتْه أمّه بذلك لأن الله سمع دعاءها فيه ، وهو قول السدي .

{ ابْعَثْ لَنَا مَلَكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } في سبب سؤالهم لذلك قولان :

أحدهما : أنهم سألوا ذلك لقتال العمالقة ، وهو قول السدي .

والثاني : أن الجبابرة الذين كانوا في زمانهم استزلوهم ، فسألوا قتالهم ، وهو قول وهب والربيع .

(181/1)

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (247)

قوله تعالى : { وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُم طَالُوتَ مَلِكاً } إلى قوله : { وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ } قال وهب ، والسدي : إنما أنكروا أن يكون ملكاً عليهم ، لأنه لم يكن من سبط النبوة ، ولا من سبط المملكة ، بل كان من أخمل سبط في بني إسرائيل .

{ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيكُم وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ } يعني زيادة في العلم وعظماً في الجسم . واختلفوا هل كان ذلك فيه قبل الملك؟ فقال وهب بن منبه ، والسدي : كان له ذلك قبل الملك ، وقال ابن زيد : زيادة ذلك بعد الملك .

{ واللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } وفي واسع ثلاثة أقاويل :

أحدها : واسع الفضل ، فحذف ذكر الفضل اكتفاء بدليل اللفظ ، كما يقال فلان كبير ، بمعنى كبير القَدْر .

الثاني : أنه بمعنى مُوسِع النعمة على مَنْ يشاء من خلقه .

والثالث : أنه بمعنى ذو سعة .

(182/1)

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آَيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آَلُ مُوسَى وَآَلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (248)

قوله عز وجل : { وَقَالَ لَهُم نَبِيُّهُم : إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِ } أي علامة ملكه { أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ } قال وهب ابن منبه : كان قدر التابوت ثلاثة أذرع في ذراعين .

This file was downloaded from QuranicThought.com

{ فِيهِ سَكِينَةٌ مِن رَّبِّكُم } وفي السكينة ستة تأويلات :

أحدها : ريح هفَافة لها وجه كوجه الإنسان ، وهذا قول عليّ عليه السلام .

والثاني : أنها طست من ذهبٍ من الجنة كان يغسل فيه قلوب الأنبياء ، وهذا قول ابن عباس والسدي .

والثالث : أنها روح من الله تعالى يتكلم ، وهذا قول وهب بن منبه .

والرابع : أنها ما يعرف من الآيات فيسكنون إليها ، وهذا قول عطاء بن أبي رباح .

والخامس : أنها الرحمة ، وهو قول الربيع ابن أنس .

والسادس : أنها الوقار ، وهو قول قتادة .

ثم قال تعالى : { وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَى وءَالُ هَارُونَ } وفيها أربعة تأويلات :

أحدها : أن البقية عصا موسى ورُضاض الألواح ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أنها العلم والتوراة ، وهو قول عطاء .

والثالث : أنها الجهاد في سبيل الله ، وهو قول الضحاك .

والرابع : أنها التوراة وشيء من ثياب موسى ، وهو قول الحسن .

{ تَحْمِلُهُ الْمَلاَئِكَةُ } قال الحسن : تحمله الملائكة بين السماء والأرض ، ترونه عياناً ، ويقولون : إن آدم نزل بالتابوت ، وبالركن .

واختلفوا أين كان قبل أن يرد إليهم ، فقال ابن عباس ، ووهب كان في أيدي العمالقة ، غلبوا عليه بني إسرائيل ، وقال قتادة كان في بريّة التيه ، خَلَّفَه هناك يوشع بن نون ، قال أبو جعفر الطبري : وبلغني أن التابوت وعصا موسى وبحيرة الطبرية ، وأنهما يخرجان قبل يوم القيامة .

(183/1)

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249)

قوله تعالى : { فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ } وهو جمع جند ، والأجناد للقليل ، وقيل : إنهم كانوا ثمانين ألف مقاتل .

{ قَالَ إِنَّ الله مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ } اختلفوا في النهر ، فَحُكِيَ عن ابن عباس والربيع أنه نهر بين الأردن وفلسطين ، وقيل إنه نهر فلسطين ، قال وهب بن منبه : السبب الذي ابتلوا لأجله بالنهر ، شِكَايَتُهم

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قِلةَ الماء وخوف العطش .

{ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيسَ مِنِّي } أي ليس من أهل ولايتي .

{ ومَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَن اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ } قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو بالفتح ، وقرأ الباقون « غرفة » بالضم ، والفرق بينهما أن الغرفة بالضم اسم للماء المشروب ، والغرفة بالفتح اسم للفعل .

{ فَشَرِبُوا مِنهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنهُم } قال عكرمة : جاز معه النهر أربعة آلاف ، ونافق ستة وسبعون ألفاً ، فكان داود ممن خلص لله تعالى . قال ابن عباس : إن من استكثر منه عَطِش ، ومن اغترف غرفة منه رُوِيَ .

{ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ } قيل : كان المؤمنون ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً عدة أهل بدر . واختلفوا ، هل تجاوزه معهم كافر أم لا؟ فَحُكِيَ عن البراء ، والحسن ، وقتادة : أنه ما تجاوزه إلا مؤمن ، وقال ابن عباس ، والسدي : تجاوزه الكافرون ، إلا أنهم انخذلوا عن المؤمنين .

{ قَالُوا : لاَ طَاقَةَ لَنَا اليَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ } اختلفوا في تأويل ذلك على قولين :

أحدهما : أنه قال ذلك مَنْ قلّت بصيرته من المؤمنين ، وهو قول الحسن ، وقتادة ، وابن زيد .

والثاني : أنهم أهل الكفر الذين انخذلوا ، وهو قول ابن عباس ، والسدي ، قال عكرمة : فنافق الأربعة الآلاف إلا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً كعدة أهل بدر ، وداود فيهم .

{ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُواْ اللهِ } وهم المؤمنون الباقون من الأربعة الآلاف .

وفي الظن ها هنا قولان :

أحدهما : أنه بمعنى اليقين ، ومعناه الذين يستيقنون أنهم ملاقوا الله كما قال دريد بن الصُّمّة :

فقلت لهم ظُنّوا بِأَلْفَيْ مُدجج ... سَراتُهُمُ في الفارسيّ المسرّدِ

أي تيقنوا .

والثاني : بمعنى الذين يظنون أنهم ملاقوا الله بالقتل في الوقعة .

{ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً } والفئة : الفرقة { بِإِذْنِ اللهِ } قال الحسن : بنصر الله ، وذلك لأن الله إذا أذن في القتال نصر فيه على الوجه الذي وقع الإذن فيه . { وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } يعني بالنصرة والمعونة ، وهذا تفسير الآية عند جمهور المفسرين .

وذكر بعض من يتعاطى غوامض المعاني ، أن هذه الآية مَثَلٌ ضَرَبَهُ الله للدنيا يشبهها بالنهر ، والشارب منه بالمائل إليها والمستكثر منها ، والتارك لشربه بالمنحرف عنها والزاهد فيها ، والمغترف منه بيده بالآخذ منها قدر حاجته ، وأحوال الثلاثة عند الله مختلفة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ
(250) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ
اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (251) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ
نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (252)

قوله تعالى : { فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ } في الهزيمة قولان :

أحدهما : أنها ليست من فعلهم وإنما أضيفت إليهم مجازاً .

والثاني : أنهم لما ألجئوا إليها صاروا سبباً لها ، فأضيفت إليهم لمكان الإلجاء . ويحتمل قوله : { بِإِذْنِ اللَّهِ } وجهين :

أحدهما : بأمر الله لهم بقتالهم .

الثاني : بمعونة الله لهم على قتالهم .

{ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ } حكي أن جالوت خرج من صفوف عسكره يطلب البراز؟ فلم يخرج إليه أحد ، فنادى طالوت في عسكره : مَنْ قتل جالوت فلهُ شطر مُلكي وأزوّجه ابنتي ، فجاء داود وقد أخذ ثلاثة أحجار ، وكان قصيراً يرعى الغنم ، وقد ألقى الله في نفسه أنه سيقتل جالوت ، فقال لطالوت : أنا أقتل جالوت ، فازدراه طالوت حين رآه ، وقال له : هل جربت نفسك بشيء؟ قال نعم ، قال : بماذا؟ قال : وقع ذئب في غنمي فضربته ، ثم أخذت رأسه فقطعته في جسمه ، فقال طالوت : الذئب ضعيف ، فهل جربت نفسك في غيره؟ قال : نعم ، دخل الأسد في غنمي ، فضربته ثم أخذت بِلَحْيَيْه فشققتها ، أفترى هذا أشد من الأسد ، قال : لا ، وكان عند طالوت درع سابغة لا تستوي إلا على من يقتل جالوت ، فأخبره بها وألقاها عليه فاستوت ، وسار إلى جالوت فرماه بحجر فوقع بين عينيه وخرج من قفاه ، فأصاب جماعة من عسكره فقتلهم وانهزم القوم عن آخرهم ، وكانوا على ما حكاه عكرمة تسعين ألفاً .

واختلفواْ ، هل كان داود عند قتله جالوت نبياً؟ ذهب بعضهم أنه كان نبياً ، لأن هذا الفعل الخارج عن العادة ، لا يكون إلا من نبي ، وقال الحسن : لم يكن نبياً ، لأنه لا يجوز أن يُوَلي مَنْ ليس بنبي على نبي . قال ابن السائب وإنما كان راعياً فعلى هذا يكون ذلك من توطئة لنبوته من بعد .

ثم إن طالوت ندم على ما بذله لداود من مشاطرته ملكه وتزويجه ابنته ، واختلفوا هل كان ندمه قبل تزويجه ومشاطرته ، أم بعد ، على قولين :

أحدهما : أن طالوت وَفَّى بشرطه ، وزوج داود بإبنته ، وخلطه في ملكه بنفسه ثم حسده ، فندم ، وأراد قتله ، فعلمت بنته بأنه يريد قتل زوجها ، وكانت من أعقل النساء ، فنصبت له زق خمر بالمسك ، وألقت عليه ليلاً ثياب داود ، فأقبل طالوت ، وقال لها : أين زوجك؟ فأشارت إلى الزق ، فضربه بالسيف ، فانفجر منه الخمر وسطع ريح المسك ، فقال يرحمك الله يا داود طبت حياً وميتاً ، ثم أدركته الندامة ، فجعل ينوح عليه ويبكي ، فلما نظرت الجارية إلى جَزَع أبيها ، أخبرته الخبر ،

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ففرح ، وقاسم داود على شطر ملكه ، وهذا قول الضحاك ، فعلى هذا يكون طالوت على طاعته حين موته ، لتوبته من معصيته .

والقول الثاني : أنه ندم قبل تزويجه على شرطه وبذله ، وعرّض داود للقتل ، وقال له إن بنات الملوك لا بد لهن من صداق أمثالهن ، وأنت رجل جريء ، فاجعل صداقها قتل ثلاثمائة من أعدائنا ، وكان يرجو بذلك أن يقتل ، فغزا داود وأسر ثلاثمائة ، فلم يجد طالوت بداً من تزويجه ، فزوجه بها ، وزاد ندامة فأراد قتله ، وكان يدس عليه حتى مات ، وهذا قول وهب بن منبه ، فعلى هذا مات طالوت على معصيته لأنه لم يتب من ذنبه .

(185/1)

وروى مكحول ، عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ المُلُوكَ قَدْ قَطَعَ اللهُ أَرْحَامَهُم فَلاَ يَتَوَاصَلُونَ حُبَّاً لِلْمُلْك حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُم لَيَقْتُلَ الأَبَ وَالإِبْنَ وَالأَخَ وَالعَمَّ ، إِلاَّ أَهْلُ التَّقْوَى وَقَلِيلٌ مَّا هُم ، وَلَزَوَالُ جَبَلٍ عَن مَّوضِعِهِ أَهْوَنُ مِنْ زَوَالِ مُلْكٍ لَمْ يَنْقَضِ » . { وَءَاتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ } يعني داود ، يريد بالملك السلطان وبالحكمة النبوة وكان ذلك عند موت طالوت بعد سبع سنين من قتل جالوت على ما حكاه ابن السائب .

ويحتمل وجهاً ثانياً : أن الملك الانقياد إلى طاعته ، والحكمة : العدل في سيرته ويكون ذلك بعد موت طالوت عند تفرده بأمور بني إسرائيل .

{ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَآءُ } فيه وجهان :

أحدهما : صنعة الدروع والتقدير في السرد .

والثاني : كلام الطير وحكمة الزبور .

ويحتمل ثالثاً : أنه فعل الطاعات والأمر بها ، واجتناب المعاصي والنهي عنها ، فيكون على الوجه الأول { مِمَّا يَشَاءُ } داود ، وعلى الثاني : { مِمَّا يَشَاءُ } الله ، وعلى الثالث { مِمَّا يَشَاءُ } الله ويشاء داود .

{ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرضُ } .

في الدفع قولان :

أحدهما : أن الله يدفع الهلاك عن البر بالفاجر ، قاله عليّ كرم الله وجهه .

والثاني : يدفع بالمجاهدين عن القاعدين قاله ابن عباس .

وقوله تعالى : { لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ } فيه وجهان :

أحدهما : لفسد أهل الأرض .

والثاني : لعم الفساد في الأرض . وفي هذا الفساد وجهان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : الكفر .

والثاني : القتل .

(186/1)

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (253) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (254)

{ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ } فيه وجهان :

أحدهما : في الآخرة ، لتفاضلهم في الأعمال ، وتحمل الأثقال .

والثاني : في الدنيا بأن جعل بعضهم خليلاً ، وبعضهم كليماً ، وبعضهم مَلِكاً ، وسَخَّر لبعضهم الريح والشياطين ، وأحيا ببعضهم الموتى ، وأبرأ الأكمه ، والأبرص .

ويحتمل وجهاً ثالثاً : بالشرائع ، فمنهم من شرع ، ومنهم من لم يشرع .

{ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ } فيه وجهان :

أحدهما : أن أوحى إلى بعضهم في منامه ، وأرسل إلى بعضهم الملائكة في يقظته .

والثاني : أن بعث بعضهم إلى قومه ، وبعث بعضهم إلى كافة الناس .

{ وَءَاتَيْنَا عيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ } فيه وجهان :

أحدهما : الحُجَجُ الواضحة ، والبراهين القاهرة .

والثاني : أن خلقه من ذكر .

{ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ } فيه وجهان :

أحدهما : بجبريل .

والثاني : بأن نفخ فيه من رُوحه .

{ وَلَو شَآءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ } فيه وجهان :

أحدهما : ولو شاء الله ما أمر بالقتال بعد وضوح الحجة .

والثاني : ولو شاء الله لاضطرهم إلى الإيمان ، ولما حصل فهيم خيار .

(187/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255)

قوله تعالى : { اللهُ لآَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ } الآية . مُخْرَجة مخرج النفي أن يصح إله سوى الله ، وحقيقته إثبات إله واحد وهو الله ، وتقديره : الله الإله دون غيره .

{ الْحَيُّ } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أنه سمى نفسه حياً لصَرْفِه الأمور مصارِفها ، وتقدير الأشياء مقاديرها ، فهو حي بالتقدير لا بحياة .

والثاني : أنه حي بحياة هي له صفة .

والثالث : أنه اسم من أسماء الله تَسَمَّى به ، فقلناه تسليماً لأمره . والرابع : أن المراد بالحي الباقي ، قاله السدي ، ومنه قول لبيد :

إذا ما تَرَيْنِّي اليومَ أصبَحْتُ سَالِماً ... فَلَسْتُ بِأحْيَا مِن كِلابٍ وَجَعْفَرِ

{ الْقَيُّومُ } قرأ عمر بن الخطاب القيام . وفيه ستة تأويلات :

أحدها : القائم بتدبير خلقه ، قاله قتادة .

والثاني : يعني القائم على كل نفس بما كسبت ، حتى يجازيها بعملها من حيث هو عالم به ، لا يخفى عليه شيء منه ، قاله الحسن .

والثالث : معنى القائم الوجود ، وهو قول سعيد بن جبير .

والرابع : أنه الذي لا يزول ولا يحول ، قاله ابن عباس .

والخامس : أنه العالم بالأمور ، من قولهم : فلان يقوم بهذا الكتاب ، أي هو عالم به .

والسادس : أنه اسم من أسماء الله ، مأخوذ من الاستقامة ، قال أمية بن أبي الصلت :

لم تُخلَق السماءُ والنجوم ... والشمسُ معها قمر يقوم

قدّرها المهيمن القيوم ... والحشر والجنة والحميم

إلاّ لأمرٍ شأنه عظيم ... { لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ } السِّنَةُ : النعاس في قول الجميع ، والنعاس ما كان في الرأس ، فإذا صار في القلب صار نوماً ، وفرَّق المفضل بينهما ، فقال : السِّنَة في الرأس ، والنعاس في العين ، والنوم في القلب . وما عليه الجمهور من التسوية بين السِّنَة والنعاس أشبه ، قال عدي بن الرقاع :

وسْنَانُ أقصده النعاس فرنقت ... في عينه سنة وليس بنائم

{ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ } فيه وجهان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : ما بين أيديهم : هو ما قبل خلقهم ، وما خلفهم : هو ما بعد موتهم .

والثاني : ما بين أيديهم : ما أظهروه ، وما خلفهم : ما كتموه .

{ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَآءَ } أي من معلومه إلا أن يطلعهم عليه ويعلمهم إياه .

{ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ } في الكرسي قولان :

أحدهما : أنه من صفات الله تعالى .

والثاني : أنه من أوصاف ملكوته .

فإذا قيل إنه من صفات ففيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنه علم الله ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنه قدرة الله .

والثالث : ملك الله .

والرابع : تدبير الله .

وإذا قيل إنه من أوصاف ملكوته ففيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه العرش ، قاله الحسن .

والثاني : أنه سرير دون العرش .

والثالث : هو كرسي تحت العرش ، والعرش فوق الماء . وأصل الكرسي العلم ، ومنه قيل للصحيفة فيها علم مكتوب : كراسة ، قال أبو ذؤيب :

مالي بأمرك كرسيّ أكاتمه ... ولا بكرسيّ عليم الغيب مخلوق

وقيل للعلماء : الكراسي ، لأنهم المعتمد عليهم كما يقال لهم : أوتاد الأرض ، لأنهم الذين بهم تصلح الأرض ، قال الشاعر :

يحف بهم بيضُ الوجوه وعُلية ... كراسيٌّ بالأحداث حين تنوبُ

أي علماء بحوادث الأمور ، فدلت هذه الشواهد ، على أن أصح تأويلاته ، ما قاله ابن عباس ، أنه علم الله تعالى .

وقرأ يعقوب الحضرمي : وُسْعُ كرسيِّه السمواتُ والأرضُ بتسكين السين من وسع وضم العين ورفع السموات والأرض على الابتداء والخبر ، وفي تأويله وجهان :

أحدهما : لا يثقله حفظهما في قول الجمهور .

والثاني : لا يتعاظمه حفظهما ، حكاه أبان بن تغلب . وأنشد :

ألا بكِّ سلمى اليوم بت جديدها ... وضَنّت وما كان النوال يؤودها

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

واختلفوا في الكناية بالهاء إلى ماذا تعود؟ على قولين :

أحدهما : إلى اسم الله ، وتقديره ولا يُثقل الله حفظ السموات والأرض .

والثاني : تعود إلى الكرسي ، وتقديره ولا يثقل الكرسيَّ حفظهما .

{ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ } في العلي تأويلان :

أحدهما : العلي بالاقتدار ونفوذ السلطان .

والثاني : العلي عن الأشباه والأمثال .

وفي الفرق بين العلي والعالي ، وجهان محتملان :

أحدهما : أن العالي هو الموجود في محل العلو ، والعلي هو مستحق العلو .

والثاني : أن العالي هو الذي يجوز أن يُشَارَكَ في علوه ، والعلي هو الذي لا يجوز أن يُشَارَكَ في علوه ، فعلى هذا الوجه ، يجوز أن نصف الله بالعليّ ، ولا يجوز أن نصفه بالعالي ، وعلى الوجه الأول يجوز أن نصفه بهما جميعاً .

(189/1)

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256)

قوله تعالى : { لآَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن ذلك في أهل الكتاب ، لا يُكْرَهُون على الدين إذا بذلوا الجزية ، قاله قتادة .

والثاني : أنها نزلت في الأنصار خاصة ، كانت المرأة منهم تكون مِقْلاَةً لا يعيش لها ولد ، فتجعل على نفسها ، إن عاش لها ولد أن تهوّده ، ترجو به طول العمر ، وهذا قبل الإسلام ، فلما أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير ، كان فيهم من أبناء الأنصار ، فقالت الأنصار : كيف نصنع بأبنائنا؟ فنزلت هذه الآية ، قاله ابن عباس .

والثالث : أنها منسوخة بفرض القتال ، قاله ابن زيد .

{ فَمَن يَكْفُرُ بِالطَّاغُوتِ } فيه سبعة أقوال :

أحدها : أنه الشيطان وهو قول عمر بن الخطاب .

والثاني : أنه الساحر ، وهو قول أبي العالية .

والثالث : الكاهن ، وهو قول سعيد بن جبير .

والرابع : الأصنام .

والخامس : مَرَدَة الإنس والجن .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والسادس : أنه كل ذي طغيان طغى على الله ، فيعبد من دونه ، إما بقهر منه لمن عبده ، أو بطاعة له ، سواء كان المعبود إنساناً أو صنماً ، وهذا قول أبي جعفر الطبري .

والسابع : أنها النفس لطغيانها فيما تأمر به من السوء ، كما قال تعالى : { إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ } [يوسف : 53] .

واختلفوا في { الطَّاغُوتِ } على وجهين :

أحدهما : أنه اسم أعجمي معرّب ، يقع على الواحد والجماعة .

والثاني : أنه اسم عربي مشتق من الطاغية ، قاله ابن بحر .

{ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى } فيها أربعة أوجه :

أحدها : هي الإيمان الله ، وهو قول مجاهد .

والثاني : سنة الرسول .

والثالث : التوفيق .

والرابع : القرآن ، قاله السدي .

{ لاَ انفِصَامَ لَهَا } فيه قولان :

أحدهما : لا انقطاع لها ، قاله السدي .

والثاني : لا انكسار لها ، وأصل الفصم : الصدع .

(190/1)

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (257)

قوله عز وجل : { اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا } يحتمل وجهين :

أحدهما : يتولاهم بالنصرة .

والثاني : بالإرشاد .

{ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ } فيه وجهان :

أحدهما : من ظلمات الضلالة إلى نور الهدى ، قاله قتادة .

والثاني : يخرجهم من ظلمات العذاب في النار ، إلى نور الثواب في الجنة .

{ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ } يكون على وجهين :

أحدهما : يخرجونهم من نور الهدى إلى ظلمات الضلالة .

والثاني : يخرجونهم من نور الثواب إلى ظلمة العذاب في النار .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وعلى وجه ثالث لأصحاب الخواطر : أنهم يخرجونهم من نور الحق إلى ظلمات الهوى .

فإن قيل : فكيف يخرجونهم من النور ، وهم لم يدخلوا فيه؟ فعن ذلك جوابان :

أحدهما : أنها نزلت في قوم مُرْتَدِّين ، قاله مجاهد .

والثاني : أنها نزلت فيمن لم يزل كافراً ، وإنما قال ذلك لأنهم لو لم يفعلوا ذلك بهم لدخلوا فيه ، فصاروا بما فعلوه بمنزلة من قد أخرجهم منه . وفيه وجه ثالث : أنهم كانوا على الفطرة عند أخذ الميثاق عليهم ، فلما حَمَلُوهم على الكفر أخرجوهم من نور فطرتهم .

(191/1)

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258)

قوله عز وجل : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ في رَبِّهِ } هو النمرود بن كنعان ، وهو أول من تجبّر في الأرض وادّعى الربوبية .

{ أَنْ ءَاتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ } فيه قولان :

أحدهما : هو النمرود لما أوتي الملك حاجَّ في الله تعالى ، وهو قول الحسن .

والثاني : هو إبراهيم لما آتاه الله الملك حاجّه النمرود ، قاله أبو حذيفة .

وفي المحاجّة وجهان محتملان :

أحدهما : أنه معارضة الحجة بمثلها .

والثاني : أنه الاعتراض على الحجة بما يبطلها .

{ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ : أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ } يريد أنه يحيي من وجب عليه القتل بالتخلية والاستبقاء ، ويميت بأن يقتل من غير سبب يوجب القتل ، فعارض اللفظ بمثله ، وعدل عن اختلاف الفعلين في علتهما .

{ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ } فإن قيل : فَلِمَ عَدَلَ إبراهيم عن نصرة حجته الأولى إلى غيرها ، وهذا يضعف الحجة ولا يليق بالأنبياء؟ ففيه جوابان :

أحدهما : أنه قد ظهر من فساد معارضته ما لم يحتج معه إلى نصرة حجته ثم أتبع ذلك بغيره تأكيداً عليه في الحجة .

والجواب الثاني : أنه لمّا كان في تلك الحجة إشغاب منه بما عارضها به من الشبهة أحب أنه يحتج عليه بما لا إشغاب فيه ، قطعاً له واستظهاراً عليه قال : { فإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ } فإن قيل فَهَلاَّ عارضه النمرود بأن قال : فليأت بها ربك من المغرب؟ ففيه جوابان :

أحدهما : أن الله خذله بالصرف عن هذه الشبهة .

والجواب الثاني : أنه علم بما رأى معه من الآيات أنه يفعل فخاف أن يزداد فضيحة .

{ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ } فيه قولان :

أحدهما : يعني تحيّر .

والثاني : معناه انقطع ، وهو قول أبي عبيدة .

وقرئ : فَبَهَتَ الذي كفر بفتح الباء والهاء بمعنى أن الملك قد بهت إبراهيم بشبهته أي سارع بالبهتان .

{ واللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : لا يعينهم على نصرة الظلم .

والثاني : لا يُخلِّصُهم من عقاب الظلم . ويحتمل الظلم هنا وجهين :

أحدهما : أنه الكفر خاصة .

والثاني : أنه التعدي من الحق إلى الباطل .

(192/1)

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259)

{ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ } اختلفوا في الذي مر على قرية على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه عزيز ، قاله قتادة .

والثاني : أنه إرْمياء ، وهو قول وهب .

والثالث : أنه الخَضِر ، وهو قول ابن إسحاق ، واختلفوا في القرية على قولين :

أحدهما : هي بيت المقدس لما خرّبه بُخْتنصَّر ، وهذا قول وهب وقتادة . والربيع بن أنس .

والثاني : أنها التي خرج منها الألوف حذر الموت ، قاله ابن زيد .

{ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا } في الخاوية قولان :

أحدهما : الخراب ، وهو قول ابن عباس ، والربيع ، والضحاك .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : الخالية .

وأصل الخواء الخلو ، يقال خوت الدار إذا خلت من أهلها ، والخواء الجوع لخلو البطن من الغذاء { عَلَى عُرُوشِهَا } : على أبنيتها ، والعرش : البناء .

{ قَالَ أَنَّى يَحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا } فيه وجهان :

أحدهما : يعمرها بعد خرابها .

والثاني : يعيد أهلها بعد هلاكهم .

{ فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ : كَمْ لَبِثْتَ } أي مكث .

{ قَالَ : لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ } لأن الله تعالى أماته في أول النهار ، وأحياه بعد مائة عام آخر النهار ، فقال : يوماً ، ثم التفت فرأى بقية الشمس فقال : { أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ } .

{ قَالَ : بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ } فيه تأويلان :

أحدهما : معناه لم يتغير ، من الماء الآسن وهو غير المتغير ، قال ابن زيد : والفرق بين الآسن والآجن أن الآجن المتغير الذي يمكن شربه والآسن المتغير الذي لا يمكن شربه .

والثاني : معناه لم تأتِ عليه السنون فيصير متغيراً ، قاله أبو عبيد .

قيل : إن طعامه كان عصيراً وتيناً وعنباً ، فوجد العصير حلواً ، ووجد التين والعنب طرياً جنيّاً .

فإن قيل : فكيف علم أنه مات مائة عام ولم يتغير فيها طعامه؟ قيل : إنه رجع إلى حاله فعلم بالآثار والأخبار ، وأنه شاهد أولاد أولاده شيوخاً ، وكان قد خلف آباءهم مُرْداً أنه مات مائة عام .

وروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : أن عزيراً خرج من أهله وخلف امرأته حاملاً وله خمسون سنة ، فأماته الله مائة عام ، ثم بعثه فرجع إلى أهله ، وهو ابن خمسين سنة ، وله ولد هو ابن مائة سنة ، فكان ابنه أكبر منه بخمسين سنة ، وهو الذي جعله الله آية للناس .

وفي قوله تعالى : { وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا } قراءتان :

إحداهما : ننشرُها بالراء المهملة ، قرأ بذلك ابن كثير ونافع وأبو عمرو ، ومعناه نحييها . والنشور : الحياة بعد الموت ، مأخوذ من نشر الثوب ، لأن الميت كالمطوي ، لأنه مقبوض عن التصرف بالموت ، فإذا حَيِيَ وانبسط بالتصرف قيل : نُشِرَ وأُنشِر .

والقراءة الثانية : قرأ بها الباقون ننشِزُها بالزاي المعجمة ، يعني نرفع بعضها إلى بعض ، وأصل النشوز الارتفاع ، ومنه النشز اسم للموضع المرتفع من الأرض ، ومنه نشوز المرأة لارتفاعها عن طاعة الزوج .

وقيل إنَّ الله أحيا عينيه وأعاد بصره قبل إحياء جسده ، فكان يرى اجتماع عظامه واكتساءها لحماً ، ورأى كيف أحيا الله حماره وجمع عظامه .

واختلفوا في القائل له : كم لبثت على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه ملك .

This file was downloaded from QuranicThought.com

والثاني : نبي .

والثالث : أنه بعض المؤمنين المعمرين ممن شاهده عند موته وإحيائه .

(193/1)

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (260)

قوله تعالى : { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْي الْمَوْتَى } اختلفوا لِمَ سأله عن ذلك؟ على قولين :

أحدهما : أنه رأى جيفة تمزقها السباع فقال ذلك ، وهذا قول الحسن ، وقتادة ، والضحاك .

والثاني : لمنازعة النمرود له في الإحياء ، قاله ابن إسحاق . ولأي الأمرين كان ، فإنه أحب أن يعلم ذلك علم عيان بعد علم الاستدلال .

ولذلك قال الله تعالى له : { أَوَلَمْ تُؤْمِن؟ قَالَ : بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : يعني ليزداد يقيناً إلى يقينه ، هكذا قال الحسن ، وقتادة ، وسعيد بن جبير ، والربيع ، ولا يجوز ليطمئن قلبي بالعلم بعد الشك ، لأن الشك في ذلك كفر لا يجوز على نبي .

والثاني : أراد ليطمئن قلبي أنك أجبت مسألتي ، واتخذتني خليلاً كما وعدتني ، وهذا قول ابن السائب .

والثالث : أنه لم يرد رؤية القلب ، وإنما أراد رؤية العين ، قاله الأخفش .

ونفر بعض من قال بغوامض المعاني من هذا الالتزام وقال : إنما أراد إبراهيم من ربه أن يريه كيف يحيي القلوب بالإيمان ، وهذا التأويل فاسد بما يعقبه من البيان .

وليست الألف في قوله : { أَوَ لَمْ تُؤْمِن } ألف استفهام وإنما هي ألف إيجاب كقول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح

{ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ } فيها قولان :

أحدهما : هن : الديك ، والطاووس ، والغراب ، والحمام ، قاله مجاهد .

والثاني : أربعة من الشقانين ، قاله ابن عباس .

{ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ } قرأت الجماعة بضم الصاد ، وقرأ حمزة وحده بكسرها ، واختلف في الضم والكسر على قولين :

أحدهما : أن معناه متفق ولفظهما مختلف ، فعلى هذا في تأويل ذلك أربعة أقاويل :

أحدها : معناه انْتُفْهُنَّ بريشهن ولحومهن ، قاله مجاهد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
والثاني : قَطِّعْهُن ، قاله ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والحسن . قال الضحاك : هي بالنبطية صرتا ، وهي التشقق .

والثالث : اضْمُمْهُن إليك ، قاله عطاء ، وابن زيد .

والرابع : أَمِلْهُن إليك ، والصور : الميل ، ومنه قول الشاعر في وصف إبل :

تظَلُّ مُعقّلات السوق خرساً ... تصور أنوفها ريح الجنوب

والقول الثاني : أن معنى الضم والكسر مختلف ، وفي اختلافهما قولان :

أحدهما : قاله أبو عبيدة أن معناه بالضم : اجْمَعْهن ، وبالكسر : قَطِّعْهُنّ .

والثاني : قاله الكسائي ومعناه بالضم أَمِلْهُنّ ، وبالكسر : أَقْبِلْ بهن .

{ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنها كانت أربعة جبال ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وقتادة .

والثاني : أنها كانت سبعة ، قاله ابن جريج ، والسدي .

والثالث : كل جبل ، قاله مجاهد .

والرابع : أنه أراد جهات الدنيا الأربع ، وهي المشرق والمغرب والشمال والجنوب ، فمثّلها بالجبال ، قاله ابن بحر .

واختلفوا هل قطّع إبراهيم الطير أعضاء صرن به أمواتاً ، أم لا؟ على قولين :

أحدهما : أنه قطَّعَهُن أعضاء صرن به أمواتاً ، ثم دعاهن فعدْن أحياء ليرى كيف يحيي الله الموتى كما سأل ربه ، وهو قول الأكثرين .

(194/1)

والثاني : أنه فَرَّقَهُن أحياء ، ثم دعاهن فأجبنه وعدن إليه ، يستدل بعودهن إليه بالدعاء ، على عَوْد الأموات بدعاء الله أحياءً ، ولا يصح من إبراهيم أن يدعو أمواتاً له ، قاله ابن بحر .

والجزء من كل شيء هو بعضه سواءً كان منقسماً على صحة أو غير منقسم ، والسهم هو المنقسم عليه جميعه على صحة .

فإنْ قيل : فكيف أجيب إبراهيم إلى آيات الآخرة دون موسى في قوله : { رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ } [الأعراف : 143] فعنه جوابان :

أحدهما : أن ما سأله موسى لا يصح مع بقاء التكليف ، وما سأله إبراهيم خاص يصح .

والثاني : أن الأحوال تختلف ، فيكون الأصلح في بعض الأوقات الإجابة ، وفي بعض وقت آخر المنع فيما لم يتقدم فيه إذن .

قال ابن عباس : أمر الله إبراهيم بهذا قبل أن يولد له ، وقبل أن يُنَزِّلَ عليه الصُّحُف .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وحُكِيَ : أن إبراهيم ذبح الأربعة من الطير ، ودق أجسامهن في الهاون لا روحهن ، وجعل المختلط من لحومهن عشرة أجزاء على عشرة جبال ، ثم جعل مناقيرها بين أصابعه ، ثم دعاهن فأتين سعياً ، تطاير اللحم إلى اللحم ، والجلد إلى الجلد ، والريش إلى الريش ، فذهب بعض من يتفقه من المفسرين إلى من وصّى بجزء من ماله لرجل أنها وصية بالعُشْر ، لأن إبراهيم وضع أجزاء الطير على عشرة جبال .

(195/1)

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (261)

قوله تعالى : { مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَلَهُمْ في سَبِيلِ اللهِ } فيه تأويلان :
أحدهما : يعني في الجهاد ، قاله ابن زيد .
والثاني : في أبواب البر كلها .
{ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ في كُلِّ سُنبُلَةٍ مِأئَةُ حَبَّةٍ } ضرب الله ذلك مثلاً في أن النفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف ، وفي مضاعفة ذلك في غير ذلك من الطاعات قولان :
أحدهما : أن الحسنة في غير ذلك بعشرة أمثالها ، قاله ابن زيد .
والثاني : يجوز مضاعفتها بسبعمائة ضعف ، قاله الضحاك .
{ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَآءُ } يحتمل أمرين :
أحدهما : يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء .
والثاني : يضاعف الزيادة على ذلك لمن يشاء .
{ وَاللهُ وَسِعٌ عَلِيمٌ } فيه قولان :
أحدهما : واسع لا يَضِيق عن الزيادة ، عليم بمن يستحقها ، قاله ابن زيد .
والثاني : واسع الرحمة لا يَضِيق عن المضاعفة ، عليم بما كان من النفقة .
ويحتمل تأويلاً ثالثاً : واسع القدرة ، عليم بالمصلحة .

(196/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (262) قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (263) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (264)

قوله تعالى : { الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَلَهُمْ في سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّاً وَلآَ أَذىً } المَنّ في ذلك أن يقول : أحسنت إليك ونعّشتك ، والأذى أن يقول : أنت أباداً فقير ، ومن أبلاني بك ، مما يؤذي قلب المُعْطَى .

{ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ } يعني ما استحقوه فيما وعدهم به على نفقتهم .

{ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ } فيه تأويلان :

أحدهما : لا خوف عليهم في فوات الأجر .

والثاني : لا خوف عليهم في أهوال الآخرة .

{ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : لا يحزنون على ما أنفقوه .

والثاني : لا يحزنون على ما خلفوه . وقيل إن هذه الآية نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه فيما أنفقه على جيش العسرة في غزاة تبوك .

قوله تعالى : { قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ } يعني قولاً حسناً بدلاً من المن والأذى ويحتمل وجهين :

أحدهما : أن يدني إن أعطى .

والثاني : يدعو إن منع .

{ وَمَغْفِرَةٌ } فيها أربعة تأويلات :

أحدها : يعني العفو عن أذى السائل .

والثاني : يعني بالمغفرة السلامة من المعصية .

والثالث : أنه ترك الصدقة والمنع منها ، قاله ابن بحر .

والرابع : هو يستر عليه فقره ولا يفضحه به .

{ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذىً } يحتمل الأذى هنا وجهين :

أحدهما : أنه المنّ .

والثاني : أنه التعيير بالفقر .

ويحتمل قوله : { خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذىً } وجهين :

أحدهما : خير منها على العطاء .

والثاني : خير منها عند الله .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « المنّانُ بِمَا يُعْطِي لاَ يُكَلِّمُهُ اللهُ يَوْمَ القَيَامَةِ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيهِ وَلاَ يُزَكِّيهِ وَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ
» . قوله تعالى : { يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى } يريد إبطال الفضل دون الثواب .

ويحتمل وجهاً ثانياً : إبطال موقعها في نفس المُعْطَى .

{ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الأَخِرِ } القاصد بنفقته الرياء غير مُثَابٍ ، لأنه لم يقصد وجه الله ، فيستحق ثوابه ، وخالف صاحب المَنِّ والأذى القاصِدَ وجه الله المستحق ثوابه ، وإن كرر عطاءه وأبطل فضله .

ثم قال تعالى : { فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ } الصفوان : جمع صفوانة ، وفيه وجهان :

أحدهما : أنه الحجر الأملس سُمِّيَ بذلك لصفائه .

والثاني : أنه أَلْيَنُ مِنَ الحجارة ، حكاه أبان بن تغلب .

{ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ } وهو المطر العظيم القَطْرِ ، العظيم الوَقْعِ .

{ فَتَرَكَهُ صَلْداً } الصلد من الحجارة ما صَلُبَ ، ومن الأرض مَا لَمْ ينبت ، تشبيهاً بالحجر الذي لا ينبت .

{ لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ } يعني مما أنفقوا ، فعبَّر عن النفقة بالكسب ، لأنهم قصدوا بها الكسب ، فضرب هذا مثلاً للمُرَائِي في إبطال ثوابه ، ولصاحب المَنِّ والأذى في إبطال فضله .

(197/1)

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (265)

قوله تعالى : { وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَلَهُمُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللهِ } يحتمل وجهين :

أحدهما : في نُصرة أهل دينه من المجاهدين .

والثاني : في معونة أهل طاعته من المسلمين .

{ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : تثبيتاً من أنفسهم بقوة اليقين ، والنصرة في الدين ، وهو معنى قول الشعبي ، وابن زيد ، والسدي .

والثاني : يتثبتون أين يضعون صدقاتهم ، قاله الحسن ، ومجاهد .

والثالث : يعني احتساباً لأنفسهم عند الله ، قاله ابن عباس ، وقتادة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والرابع : توطيناً لأنفسهم على الثبوت على طاعة الله ، قاله بعض المتكلمين .

{ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ } في الربوة قولان :

أحدهما : هي الموضع المرتفع من الأرض ، وقيل المُسْتَوِي في ارتفاعه .

والثاني : كل ما ارتفع عن مسيل الماء ، قاله اليزيدي .

{ أَصَابَهَا وَابِلٌ } في الوابل وجهان :

أحدهما : المطر الشديد .

والثاني : الكثير ، قال عدي بن زيد :

قليل لها مني وإن سخطت بأن ... أقول سقيت سقيت الوابل الغدقا

{ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ } وإنما خص الربوة لأن نبتها أحسن ، وريعها أكثر ، قال الأعشى :

ما روضة من رياض الحزن معيشة ... خضراء جاد عليها مسبل هطل

والأُكُل ، بالضم : الطعام لأن من شأنه أن يؤكل . ومعنى ضعفين : مثلين ، لأن ضعف الشيء مثله زائداً عليه ، وضعفاه : مثلاه زائداً عليه ، وقيل ضعف الشيء مثلاه ، والأول قول الجمهور .

{ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ } الطل : الندى ، وهو دون المطر ، والعرب تقول : الطل أحد المطرين ، وزرع الطل أضعف من زرع المطر وأقل ريعاً ، وفيه وإن قل تماسكٌ ونَفْعٌ ، فأراد بهذا ضرب المثل أن كثير البِر مثل زرع المطر كثير النفع ، وقليل البِر مثل زرع الطل قليل النفع ، ولا تدع قليل البر إذا لم تفعل كثيره ، كما لا تدع زرع الطل إذا لم تقدر على زرع المطر .

(198/1)

أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (266)

قوله تعالى : { أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ } وهي البستان .

{ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ } لأنه من أنفس ما يكون فيها .

{ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ } لأن أنفسها ما كان ماؤها جارياً .

{ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ } لأن الكِبَر قد يُنسِي من سعى الشباب في كسبه ، فكان أضعف أملاً وأعظم حسرة .

{ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ } لأنه على الضعفاء أحَنّ ، وإشفاقه عليهم أكثر .

{ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ } وفي الإعصار قولان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدهما : أنه السَّمُوم الذي يقتل ، حكاه السدي .

والثاني : الإعصار ريح تهب من الأرض إلى السماء كالعمود تسميها العامة الزوبعة ، قال الشاعر :

. . . . إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً

وإنما قيل لها إعصار لأنها تَلْتَفُّ كالتفاف الثوب المعصور .

{ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الأَيَاتِ } يحتمل وجهين :

أحدهما : يوضح لكم الدلائل .

والثاني : يضرب لكم الأمثال .

{ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : تعتبرون ، لأن المفكر معتبر .

والثاني : تهتدون ، لأن الهداية التَّفَكُّر .

واختلفوا في هذا المثل الذي ضربه الله في الحسرة لسلب النعمة ، من المقصود به؟ على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه مثل للمرائي في النفقة ينقطع عنه نفعها أحوج ما يكون إليها ، قاله السدي .

والثاني : هو مثل للمفرِّط في طاعة الله لملاذّ الدنيا يحصل في الآخرة على الحسرة العظمى ، قاله مجاهد .

والثالث : هو مثل للذي يختم عمله بفساد ، وهو قول ابن عباس .

(199/1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآَخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (267) الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (268) يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (269)

قوله تعالى : { يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : يعني به الذهب والفضة ، وهو قول عليّ عليه السلام .

والثاني : يعني التجارة ، قاله مجاهد .

والثالث : الحلال .

والرابع : الجيد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ } من الزرع والثمار .

وفي الكسب وجهان محتملان :

أحدهما : ما حدث من المال المستفاد .

والثاني : ما استقر عليه المِلك من قديم وحادث .

واختلفوا في هذه النفقة على قولين :

أحدهما : هي الزكاة المفروضة قاله عبيدة السلماني .

والثاني : هي في التطوع ، قاله بعض المتكلمين .

{ وَلاَ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ } التيمم : التعمد ، قال الخليل : تقول أَمَمْتُه إذا قصدت أَمَامَه ، ويَمَّمْتُه إذا تعمدته من أي جهة كان ، وقال غيره : هما سواء ، والخبيث : الرديء من كل شيء ، وفيه هنا قولان :

أحدهما : أنهم كانوا يأتون بالحشف فيدخلونه في تمر الصدقة ، فنزلت هذه الآية ، وهو قول عليٍّ ، والبراء بن عازب .

والثاني : أن الخبيث هو الحرام ، قاله ابن زيد .

{ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : إلا أن تتساهلوا ، وهو قول البراء بن عازب .

والثاني : إلا أن تحطوا في الثمن ، قاله ابن عباس .

والثالث : إلا بوكس فكيف تعطونه في الصدقة قاله الزجاج .

والرابع : إلا أن ترخصوا لأنفسكم فيه ، قاله السدي ، وقال الطِّرِمّاح :

لم يفتنا بالوِتر قوم وللضيْ ... م رجال يرضون بالإغماضِ

قوله عز وجل : { الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ } وهو ما خوّف من الفقر إن أنفق أو تصدق .

{ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ } يحتمل وجهين :

أحدهما : بالشح .

والثاني : بالمعاصي .

{ وَاللهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ } يحتمل وجهين :

أحدهما : . . . . لكم .

والثاني : عفواً لكم .

{ وَفَضْلاً } يحتمل وجهين :

أحدهما : سعة الرزق .

والثاني : مضاعفة العذاب .

{ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } رُوِيَ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ لِلشَّيطَانِ لَمَّةً مِن ابن آدَم ، وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً ، فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ ، وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلَكِ فَإِيعَادٌ بِالْخَيرِ وَتَصْدِيقٌ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بِالحَقِّ ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللهِ وَلْيَحْمِدِ الله ، وَمَنْ وَجَدَ الأَخَرَ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ » . ثم تلا هذه الآية . قوله تعالى : { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ } في الحكمة سبعة تأويلات :

أحدها : الفقه في القرآن ، قاله ابن عباس .

والثاني : العلم بالدين ، قاله ابن زيد .

والثالث : النبوّة .

والرابع : الخشية ، قاله الربيع .

والخامس : الإصابة ، قاله ابن أبي نجيح عن مجاهد .

والسادس : الكتابة ، قاله مجاهد .

والسابع : العقل ، قاله زيد بن أسلم .

ويحتمل ثامناً : أن تكون الحكمة هنا صلاح الدين وإصلاح الدنيا .

(200/1)

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (270) إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (271)

قوله عز وجل : { إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ } يعني أنه ليس في إبدائها كراهية .

{ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ } فيه قولان :

أحدهما : أنه يعود إلى صدقة التطوع ، يكون إخفاؤها أفضل ، لأنه من الرياء أبعد ، فأما الزكاة فإبداؤها أفضل ، لأنه من التهمة أبعد ، وهو قول ابن عباس ، وسفيان .

والثاني : أن إخفاء الصدقتين فرضاً ونفلاً أفضل ، قاله يزيد بن أبي حبيب ، والحسن ، وقتادة .

{ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ } فيه قولان :

أحدهما : أن (مِنْ) زائدة تقديرها : ويكفر عنكم سيئاتكم .

والثاني : أنها ليست زائدة وإنما دخلت للتبعيض ، لأنه إنما يكفر بالطاعة من غير التوبة الصغائر ، وفي تكفيرها وجهان :

أحدهما : يسترها عليهم .

والثاني : يغفرها لهم .

(201/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (272) لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (273) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (274)

قوله عز وجل : { لِلْفُقَرَآءِ الَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ } قيل هم فقراء المهاجرين ، وفي أحصروا أربعة أقاويل :

أحدها : أنهم منعوا أنفسهم من التصرف للمعاش خوف العدو من الكفار ، قاله قتادة ، وابن زيد .

والثاني : منعهم الكفار بالخوف منهم ، قاله السدي .

والثالث : منعهم الفقر من الجهاد .

والرابع : منعهم التشاغل بالجهاد عن طلب المعاش .

{ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ } فيه قولان :

أحدهما : يعني تصرفاً ، قاله ابن زيد .

والثاني : يعني تجارة ، قاله قتادة ، والسدي .

{ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ } يعني من قلة خبرته بهم ، ومن التعفف : يعني من التقنع والعفة والقناعة .

{ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ } السمة : العلامة ، وفي المارد بِهَا هُنَا قولان :

أحدهما : الخشوع ، قاله مجاهد .

والثاني : الفقر ، قاله السدي .

{ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً } فيه وجهان :

أحدهما : أن يسأل وله كفاية .

والثاني : أنه الاشتمال بالمسألة ، ومنه اشتق اسم اللحاف . فإن قيل : فهل كانوا يسألون غير إلحاف؟ قيل : لا؛ لأنهم كانوا أغنياء من التعفف ، وإنما تقدير الكلام لا يسألون فيكون سؤالهم إلحافاً .

قال ابن عباس في أهل الصُفَّة من المهاجرين : لم يكن لهم بالمدينة منازل ولا عشائر وكانوا نحو أربعمائة .

قوله عز وجل : { الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِالَّيلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } اختلفوا في سبب نزولها على ثلاثة أقاويل :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدها : أنها نزلت في عليٍّ كرم الله وجهه ، كانت معه أربعة دراهم فأنفقها على أهل الصفّة ، أنفق في سواد الليل درهماً ، وفي وضح النهار درهماً ، وسراً درهماً ، وعلانية درهماً ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنها نزلت في النفقة على الخيل في سبيل الله لأنهم ينفقون بالليل والنهار سِرّاً وعلانية ، قاله أبو ذر ، والأوزاعي .

والثالث : أنها نزلت في كل مَنْ أنفق ماله في طاعة الله .

ويحتمل رابعاً : أنها خاصة في إباحة الارتفاق بالزروع والثمار ، لأنه يرتفق بها كل مار في ليل أو نهار ، في سر وعلانية ، فكانت أعم لأنها تؤخذ عن الإرادة وتوافق قدر الحاجة .

(202/1)

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (275)

قوله عز وجل : { الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا } يعني يأخذون الربا فعبر عن الأخذ بالأكل لأن الأخذ إنما يراد للأكل ، والربا : هو الزيادة من قولهم : ربا السويق يربو إذا زاد ، وهو الزيادة على مقدار الدَّيْنِ لمكان الأجل .

{ لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ } يعني من قبورهم يوم القيامة ، وفيه قولان :

أحدهما : كالسكران من الخمر يقطع ظهراً لبطن ، ونسب إلى الشيطان لأنه مطيع له في سكره .

والثاني : قاله ابن عباس ، وابن جبير ، ومجاهد ، والحسن : لا يقومون يوم القيامة من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ ، يعني الذي يخنقه الشيطان في الدنيا من المس ، يعني الجنون ، فيكون ذلك في القيامة علامة لأكل الربا في الدنيا .

واختلفوا في مس الجنون ، هل هو بفعل الشيطان؟

فقال بعضهم : هذا من فعل الله بما يحدثه من غلبة السوداء فيصرعه ، ينسب إلى الشيطان مجازاً تشبيهاً بما يفعله من إغوائه الذي يصرعه .

وقال آخرون : بل هو من فعل الشيطان بتمكين الله له من ذلك في بعض الناس دون بعض ، لأنه ظاهر القرآن وليس في العقل ما يمنعه .

{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا } قيل إنه يعني ثقيفاً لأنهم كانوا أكثر العرب رباً ، فلمّا نهوا عنه قالوا : كيف ننهى عن الربا وهو مثل البيع فحكى الله تعالى ذلك عنهم ، ثم أبطل ما ذكروه من

This file was downloaded from QuranicThought.com

التشبيه بالبيع فقال تعالى :

{ وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا } وللشافعي في قوله : { وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا } ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها من العامِّ الذي يجري على عمومه في إباحة كل بيع وتحريم كل ربا إلا ما خصهما دليل من تحريم بعض البيع وإحلال بعض الربا ، فعلى هذا اختلف في قوله ، هل هو من العموم الذي أريد به العموم ، أو من العموم الذي أريد به الخصوص على قولين :

أحدهما : أنه عموم أريد به العموم وإن دخله دليل التخصيص .

والثاني : أنه عموم أريد به الخصوص .

وفي الفرق بينهما وجهان : أحدهما : أن العموم الذي أريد به العموم : أن يكون الباقي من العموم من بعد التخصيص أكثر من المخصوص ، والعموم الذي أريد به الخصوص أن يكون الباقي منه بعد التخصيص أقل من المخصوص .

والفرق الثاني : أن البيان فيما أريد به الخصوص متقدِّم على اللفظ ، وأن ما أريد به العموم متأخِر عن اللفظ ومقترن به ، [هذا] أحد أقاويله :

والقول الثاني : أنه المجمل الذي لا يمكن [أن] يستعمل في إحلال بيع أو تحريمه إلا أن يقترن به بيان من سنّة الرسول ، وإن دل على إباحة البيوع في الجملة دون التفصيل .

وهذا فرق ما بين العموم والمجمل ، أن العموم يدل على إباحة البيوع في الجملة ولا يدل على إباحتها في التفصيل حتى يقترن به بيان .

(203/1)

فعلى هذا القول أنها مجملة اختلف في إجمالها ، هل هو لتعارض فيها أو لمعارضة غيرها لها على وجهين :

أحدهما : أنه لمَّا تعارض ما في الآية من إحلال البيع وتحريم الربا وهو بيع صارت بهذا التعارض مجملة وكان إجمالها منها .

والثاني : أن إجمالها بغيرها لأن السنّة منعت من بيوع وأجازت بيوعاً فصارت بالسنة مجملة .

وإذا صح إجمالها فقد اختلف فيه :

هل هو إجمال في المعنى دون اللفظ ، لأن لفظ البيع معلوم في اللغة وإنما الشرع أجمل المعنى والحكم حين أحل بيعاً وحرّم بيعاً .

والوجه الثاني : أن الإجمال في لفظها ومعناها ، لأنه لما عدل بالبيع عن إطلاقه على ما استقر عليه في الشرع فاللفظ والمعنى محتملان معاً ، فهذا شرح القول الثاني .

والقول الثالث : أنها داخلة في العموم والمجمل ، فيكون عموماً دخله التخصيص ، ومجملاً لحقه

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

التفسير ، لاحتمال عمومها في اللفظ وإجمالها في المعنى ، فيكون اللفظ عموماً دخله التخصيص ، والمعنى مجملاً لحقه التفسير .

والوجه الثاني : أن عمومها في أول الآية من قوله : { وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا } ، وإجمالها في آخرها من قوله : { وَحَرَّمَ الرِّبَا } ، فيكون أولها عاماً دخله التخصيص ، وآخرها مجملاً لحقه التفسير .

والوجه الثالث : أن اللفظ كان مجملاً ، فلما بَيَّنَهُ الرسول صار عاماً ، فيكون داخلاً في المجمل قبل البيان ، في العموم بعد البيان .

ثم قال تعالى : { فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّه فَانتَهَى } في الموعظة وجهان :

أحدهما : التحريم .

والثاني : الوعيد .

{ فَلَهُ مَا سَلَفَ } قاله السدي : يعني ما أكل من الربا لا يلزمه رَدُّه .

{ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ } يحتمل وجهين :

أحدهما : في المحاسبة والجزاء .

والثاني : في العفو والعقوبة .

وقيل فيه وجه ثالث : في العصمة والتوفيق .

وقيل فيه وجه رابع : فأمره إلى الله والمستقل في تثبيته على التحريم أو انتقاله إلى الاستباحة .

(204/1)

يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (276) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (277)

قوله تعالى : { يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا } أي ينقصه شيئاً بعد شيء ، مأخوذ من محاق الشهر لنقصان الهلال فيه ، وفيه وجهان :

أحدهما : يبطله يوم القيامة إذا تصدق به في الدنيا .

والثاني : يرفع البركة منه في الدنيا مع تعذيبه عليه في الآخرة .

{ وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ } فيه تأويلان :

أحدهما : يثمر المال الذي خرجت منه الصدقة .

والثاني : يضاعف أجر الصدقة ويزيدها ، وتكون هذه الزيادة واجبة بالوعد لا بالعمل .

{ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ } في الكَفَّار وجهان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدهما : الذي يستر نعم الله ويجحدها .

والثاني : هو الذي يكثر فعل ما يكفر به .

وفي الأثيم وجهان :

أحدهما : أنه من بَيَّت الإثم .

والثاني : الذي يكثر فعل ما يأثم به .

(205/1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (278) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (279) وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (280) وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (281)

قوله عز وجل : { يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : يا أيها الذين أمنوا بألسنتهم اتقوا الله بقلوبكم .

والثاني : يأيها الذين أمنوا بقلوبهم اتقوا الله في أفعالكم .

{ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا } فيمن نزلت هذه الآية قولان :

أحدهما : أنها نزلت في ثقيف وكان بينهم وبين عامر وبني مخزوم ، فتحاكموا فيه إلى عتاب بن أسيد بمكة وكان قاضياً عليها من قِبَل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : دخلنا في الإسلام على أن ما كان لنا من الربا فهو باق ، وما كان علينا فهو موضوع ، فنزل ذلك فيهم وكتب به رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم .

والثاني أنها نزلت في بقية من الربا كانت للعباس ومسعود وعبد ياليل وحبيب بن ربيعة عند بني المغيرة .

قوله عز وجل : { وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا } محمول على أن مَنْ أربى قبل إسلامه ، وقبض بعضه في كُفْرِه وأسلم وقد بقي بعضه ، فما قبضه قبل إسلامه معفو عنه لا يجب عليه رد ، وما بقي منه بعد إسلامه ، حرام عليه لا يجوز له أخذه ، فأما المرابأة بعد الإسلام فيجب رَدُّه فيما قبض وبقي ، فيرد ما قبض ويسقط ما بقي ، بخلاف المقبوض في الكفر ، لأن الإسلام يجبُّ ما قبله .

وفي قوله تعالى : { إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } قولان :

أحدهما : يعني أن من كان مؤمنا فهذا حكمه .

والثاني : معناه إذا كنتم مؤمنين .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله عز وجل : { فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا } يعني ترك ما بقي من الربا .

{ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ } قرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر فآذنوا بالمد ، بمعنى : فأعلِموا غيركم ، وقرأ الباقون بالقَصْر بمعنى فاعلموا أنتم ، وفيه وجهان :

أحدهما : إن لم تنتهوا عن الربا أموت النبي بحربكم .

والثاني : إن لم تنتهوا عنه فأنتم حرب الله ورسوله ، يعني أعداءه .

{ وَإِن تُبْتُم فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ } يعني التي دفعتم { لاَ تَظْلِمُونَ } بأن تأخذوا الزيادة على رؤوس أموالكم ، { وَلاَ تُظْلَمُونَ } بأن تمنعوا رؤوس أموالكم .

قوله عز وجل : { وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ } قيل إن في قراءة أُبَيٍّ { ذَا عُسْرَةٍ } وهو جائز في العربية .

وفيه قولان :

أحدهما : أن الإنظار بالعسرة واجب في دَيْن الربا خاصّة ، قاله ابن عباس ، وشريح .

والثاني : أنه عام يجب إنظاره بالعسرة في كل دَيْن ، لظاهر الآية ، وهو قول عطاء ، والضحاك ، وقيل إن الإنظار بالعسرة في دَيْن الربا بالنص ، وفي غيره من الديون بالقياس .

وفي قوله : { إِلَى مَيْسَرَةٍ } قولان :

أحدهما : مفعلة من اليسر ، وهو أن يوسر ، وهو قول الأكثرين .

والثاني : إلى الموت ، قاله إبراهيم النخعي .

(206/1)

{ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ } يعني وأن تصدقوا على المعسر بما عليه من الدّيْن خير لكم من أن تُنظروه ، روى سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال : كان آخر ما نزل من القرآن آية الربا ، فدعوا الربا والرِّيْبة ، وإن نبي الله صلى الله عليه وسلم قبض قبل أن يفسرها .

قوله عز وجل : { وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ } أي اتقوا بالطاعة فيما أمرتم به من ترك الربا وما بقي منه .

و { يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ } فيه قولان :

أحدهما : يعني إلى جزاء الله .

والثاني : إلى ملك الله .

{ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ } فيه تأويلان :

أحدهما : جزاء ما كسبت من الأعمال .

والثاني : ما كسبت من الثواب والعقاب .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ وهم لا يظلمون } يعني بنقصان ما يستحقونه من الثواب ، ولا بالزيادة على ما يستحقونه من العقاب .

روى ابن عباس أن آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية . قال ابن عباس : مكث بعدها سبع ليال .

(207/1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (282)

قوله عز وجل : { يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ } إلى آخر الآية . في { تداينتم } تأويلان :

أحدهما : تجازيتم .

والثاني : تعاملتم .

وفي { فَاكْتُبُوهُ } قولان :

أحدهما : أنه ندب ، وهو قول أبي سعيد الخدري ، والحسن ، والشعبي .

والثاني : أنه فرض ، قاله الربيع ، وكعب .

{ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ } وعَدْل الكاتب ألاّ يزيد [فيه] إضراراً بمن هو عليه ، ولا ينقص منه ، إضراراً بمن هو له .

{ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ } وفيه أربعة أقاويل :

أحدهما : أنه فرض على الكفاية كالجهاد ، قاله عامر .

والثاني : أنه واجب عليه في حال فراغه ، قاله الشعبي أيضاً .

والثالث : أنه ندب ، قاله مجاهد .

والرابع : أن ذلك منسوخ بقوله تعالى : { وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ } ، قاله الضحاك .

{ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ } يعني على الكاتب ، ويقرُّ به عند الشاهد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً } أي لا ينقص منه شيئاً .

{ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أنه الجاهل بالصواب فيما عليه أن يملّه على الكاتب ، وهو قول مجاهد .

والثاني : أنه الصبي والمرأة ، قاله الحسن .

والثالث : أنه المبذر لماله ، المُفْسِد في دينه ، وهو معنى قول الشافعي .

والرابع : الذي يجهل قدر المال ، ولا يمتنع من تبذيره ولا يرغب في تثميره .

{ أَوْ ضَعِيفاً } فيه تأويلان :

أحدهما : أنه الأحمق ، قاله مجاهد ، والشعبي .

والثاني : أنه العاجز عن الإملاء إما بِعيٍّ أو خُرْسٍ ، قاله الطبري .

{ أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه العييّ الأخرس ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنه الممنوع عن الإملاء إما بحبس أو عيبة .

والثالث : أنه المجنون .

{ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ } فيه تأويلان :

أحدهما : وليّ مَنْ عليه الحق ، وهو قول الضحاك ، وابن زيد .

والثاني : وليّ الحق ، وهو صاحبه ، قاله ابن عباس ، والربيع .

{ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَينِ مِن رِّجَالِكُمْ } فيه قولان :

أحدهما : من أهل دينكم .

والثاني : من أحراركم ، قاله مجاهد .

{ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ } يعني فإن لم تكن البينة برجلين ، فبرجل وامرأتين { مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَآءِ } فيه قولان :

أحدهما : أنهم الأحرار المسلمون العدول ، وهو قول الجمهور .

والثاني : أنهم عدول المسلمين وإن كانوا عبيدا ، وهو قول شريح ، وعثمان البتّي ، وأبي ثور .

{ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا } فيه وجهان :

أحدهما : لئلا تضل ، قاله أهل الكوفة .

والثاني : كراهة أن تضل ، قاله أهل البصرة .

وفي المراد به وجهان :

أحدهما : أن تخطىء .

والثاني : أن تَنْسَى ، قاله سيبويه .

(208/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

{ فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى } فيه تأويلان :
أحدهما : أنها تجعلها كَذَكَرٍ من الرجال ، قاله سفيان بن عيينة .
والثاني : أنها تذكرها إن نسيت ، قاله قتادة ، والسدي ، والضحاك ، وابن زيد .
{ وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ } فيه ثلاثة تأويلات :
أحدها : لتحَمُّلها وإثباتها في الكتاب ، قاله ابن عباس ، وقتادة ، والربيع .
والثاني : لإقامتها وأدائها عند الحاكم ، قاله مجاهد ، والشعبي ، وعطاء .
والثالث : أنها للتحمل والأداء جميعاً ، قاله الحسن .
واختلفوا فيه على ثلاثة أقاويل :
أحدها : أنه ندب وليس بفرض ، قاله عطاء ، وعطية العوفي .
والثاني : أنه فرض على الكفاية ، قاله الشعبي .
والثالث : أنه فرض على الأعيان ، قاله قتادة ، والربيع .
{ وَلاَ تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ } وليس يريد بالصغير ما كان تافهاً حقيراً كالقيراط والدانق لخروج ذلك عن العرف المعهود .
{ ذلكم أقسط عند الله } أي أعدل ، يقال : أَقْسَطَ إذا عَدَلَ فهو مُقْسِط ، قال تعالى : { وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } [الحجرات : 9] وقسَطَ إذا جار ، قال تعالى : { وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً } [الجن : 14] . { وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ } فيه وجهان :
أحدهما : أصحُّ لها ، مأخوذ من الاستقامة .
والثاني : أحفظ لها ، مأخوذ من القيام ، بمعنى الحفظ .
{ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ } يحتمل وجهين :
أحدهما : ألا ترتابوا بِمَنْ عليه حق أن ينكره .
والثاني : ألاّ ترتابوا بالشاهد أن يضل .
{ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ } يحتمل وجهين :
أحدهما : أن الحاضرة ما تعجّل ولم يداخله أجل في مبيع ولا ثمن .
والثاني : أنها ما يحوزه المشتري من العروض المنقولة .
{ تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ } يحتمل وجهين :
أحدهما : تتناقلونها من يد إلى يد .
والثاني : تكثرون تبايعها في كل وقت .
{ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا } يعني أنه غير مأمور بكتْبِهِ وإن كان مباحاً .
{ وَأَشْهِدُواْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ } فيه قولان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
أحدهما : أنه فرض ، وهو قول الضحاك ، وداود بن علي .
والثاني : أنه ندب ، وهو قول الحسن ، والشعبي ، ومالك ، والشافعي .
{ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ } فيه ثلاثة تأويلات :
أحدها : أن المضارة هو أن يكتب الكاتب ما لم يُمْل عليه ، ويشهد الشاهد بما لم يُستشهد ، قاله طاووس ، والحسن ، وقتادة .
والثاني : أن المضارّة أن يمنع الكاتب أن يكتب ، ويمنع الشاهد أن يشهد ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وعطاء .
والثالث : أن المضارّة أن يدعى الكاتب والشاهد وهما مشغولان معذوران ، قاله عكرمة ، والضحاك ، والسدي ، والربيع .
ويحتمل تأويلاً رابعاً : أن تكون المضارّة في الكتابة والشهادة .
{ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ } فيه تأويلان :
أحدهما : أن الفسوق المعصية ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك .
والثاني : أنه الكذب ، قاله ابن زيد .
ويحتمل ثالثاً : أن الفسوق المأثم .

(209/1)

وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (283)

قوله عز وجل : { وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ } قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو : فرُهُن ، وقرأ الباقون فرِهَانٌ
وفيها قولان :
أحدهما : أن الرُّهُن في الأموال ، والرِّهَان في الخيل .
والثاني : أن الرِّهَان جمع ، والرُّهُن جمع الجمع مثل ثمار وثمر ، قاله الكسائي ، والفراء .
وفي قوله : { مَّقْبُوضَةٌ } وجهان :
أحدهما : أن القبض من تمام الرهن ، وهو قبل القبض غير تام ، قاله الشافعي ، وأبو حنيفة .
والثاني : لأنه من لوازم الرهن ، وهو قبل القبض التام ، قاله مالك .
وليس السفر شرطاً في جواز الرهن ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم رَهَنَ دِرْعَه عند أبي الشحم اليهودي بالمدينة وهي حَضَرٌ ، ولا عَدَمُ الكاتب والشاهد شرطاً فيه لأنه زيادة وثيقة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً } يعني بغير كاتب ولا شاهد ولا رهن .

{ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ } يعني في أداء الحق وترك المُطْل به .

{ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ } في ألا يكتم من الحق شيئاً .

{ وَلاَ تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ } فيه تأويلان :

أحدهما : معناه فاجر قلبه ، قاله السدي .

والثاني : مكتسب لإثم الشهادة .

(210/1)

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (284) آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285)

قوله عز وجل : { للهِ مَا فِي السَّمَواتِ وما في الأرض } في إضافة ذلك إلى الله تعالى قولان :

أحدهما : أنه إضافة تمليك تقديره : الله يملك ما في السماوات وما في الأرض .

والثاني : معناه تدبير ما في السماوات وما في الأرض .

{ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللهُ } إبداءُ ما في النفس هو العمل بما أضمروه ، وهو مُؤَاخَذ به ومُحَاسَب عليه ، وأما إخفاؤه فهو ما أضمره وحدّث به نفسه ولم يعمل به .

وفيما أراد به قولان :

أحدهما : أن المراد به كتمان الشهادة خاصة ، قاله ابن عباس ، وعكرمة ، والشعبي .

والثاني : أنه عام في جميع ما حدَّث به نفسه من سوء ، أو أضمر من معصية ، وهو قول الجمهور .

واختلف في هذه الآية ، هل حكمها ثابت في المؤاخذة بما أضمره وحدَّث به نفسه؟ أو منسوخ؟ على قولين :

أحدهما : أن حكمها ثابت في المؤاخذة بما أضمره ، واختلف فيه من قال بثبوته على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن حكمها ثابت على العموم فيما أضمره الإنسان فيؤاخِذ به من يشاء ، ويغفر لمن يشاء ، قاله ابن عمر ، والحسن .

والثاني : حكمها ثابت في مؤاخذة الإنسان بما أضمره وإن لم يفعله ، إلا أنَّ الله يغفره للمسلمين ويؤاخذ به الكافرين والمنافقين ، قاله الضحاك ، والربيع ، ويكون { فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ } محمولاً على

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
المسلمين ، { وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ } محمولاً على الكافرين والمنافقين .

والثالث : أنها ثابتة الحكم على العموم في مؤاخذته المسلمين بما حدث لهم في الدنيا من المصائب والأمور التي يحزنون لها ، ومؤاخذة الكافرين والمنافقين بعذاب الآخرة ، وهذا قول عائشة رضي الله عنها .

والقول الثاني : أن حكم الآية في المؤاخذة بما أضمره الإنسان وحدث به نفسه وإن لم يفعله منسوخ .

واختلف من قال بنسخها فيما نسخت به على قولين :

أحدهما : بما رواه العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة قال : انزل الله { وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُم أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ } فاشتد ذلك على القوم فقالوا : يا رسول الله إنا لمؤاخذون بما نُحَدِّثُ به أنفسنا ، هلكنا ، فأنزل الله تعالى : { لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا } وهو أيضاً قول ابن مسعود .

والثاني : أنها نسخت بما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية { وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ } دخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها من شيء ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا » . قال : فألقى الله الإيمان في قلوبهم ، قال : فأنزل الله : { ءَامَنَ الرَّسُولُ } الآية . فقرأ : { رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا } . فقال تعالى : قد فعلت . { رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَينَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا } . قال : قد فعلت { ربنا ولا تحملنا ما لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ } . قال : قد فعلت . { وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } . قال : قد فعلت .

(211/1)

والذي أقوله فيما أضمره وحدّث به نفسه ولم يفعله إنه مُؤَاخَذ بمأثم الاعتقاد دون الفعل ، إلا أن يكون كَفُّه عن الفعل ندماً ، فالندم توبة تمحص عنه مأثم الاعتقاد .

قوله عز وجل : { ءَامَنَ الرَّسُولُ } إلى قوله : { وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ } أما إيمان الرسول فيكون بأمرين : تحمُّل الرسالة ، وإِبْلاَغ الأمة ، وأما إيمان المؤمنين فيكون بالتصديق والعمل .

{ كُلٌّ ءَامَنَ باللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ } . والإيمان بالله يكون بأمرين : بتوحيده ، وقبول ما أنزل على رسوله .

وفي الإيمان بالملائكة وجهان :

أحدهما : الإيمان بأنهم رسل الله إلى أنبيائه .

والثاني : الإيمان بأن كل نفس منهم رقيب وشهيد .

{ وَكُتُبِهِ } قراءة الجمهور وقرأ حمزة : { وكِتَابِهِ } فمن قرأ { وَكُتُبِهِ } فالمراد به جميع ما أنزل الله منها

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

على أنبيائه . ومن قرأ : { وَكِتَابِهِ } ففيه وجهان :

أحدهما : أنه عنى القرآن خاصة .

والثاني : أنه أراد الجنس ، فيكون معناه بمعنى الأول وأنه أراد جميع الكتب والإيمان بها والاعتراف بنزولها من الله على أنبيائه .

وفي لزوم العمل بما فيها ما لم يرد نسخ قولان :

ثم فيما تقدم ذكره من إيمان الرسول والمؤمنين – وإن خرج مخرج الخبر – قولان :

أحدهما : أن المراد به مدحهم بما أخبر من إيمانهم .

والثاني : أن المراد به أنه يقتدي بهم مَنْ سواهم .

ثم قال تعالى : { لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ } يعني في أن يؤمن ببعضهم دون بعض ، كما فعل أهل الكتاب ، فيلزم التسوية بينهم في التصديق ، وفي لزوم التسوية في التزام شرائعهم ما قدمناه من القولين ، وجعل هذا حكاية عن قولهم وما تقدمه خبراً عن حالهم ليجمع لهم بين قول وعمل وماض ومستقبل .

{ وَقَالُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا } أي سمعنا قوله وأطعنا أمره .

ويحتمل وجهاً ثانياً : أن يراد بالسماع القبول ، وبالطاعة العمل .

{ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا } معناه نسألك غفرانك ، فلذلك جاء به منصوباً .

{ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } يعني إلى جزائك .

ويحتمل وجهاً ثانياً : يريد به إلى لقائك لتقدم اللقاء على الجزاء .

(212/1)

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286)

قوله عز وجل : { لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا } يعني طاقتها ، وفيه وجهان :

أحدهما : وعدٌ من الله لرسوله وللمؤمنين بالتفضل على عباده ألاَّ يكلف نفساً إلا وسعها .

والثاني : أنه إخبار من النبي صلى الله عليه وسلم ومن المؤمنين عن الله ، على وجه الثناء عليه ، بأنه لا يكلف نفساً إلا وسعها .

ثم قال : { لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ } يعني لها ما كسبت من الحسنات ، وعليها ما اكتسبت يعني من المعاصي . وفي كسبت واكتسبت وجهان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : أن لفظهما مختلف ومعناهما واحد .

والثاني : أن كسبت مستعمل في الخير خاصة ، واكتسبت مستعمل في الشر خاصّة .

{ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينآ } قال الحسن : معناه : قولوا ربنا لا تؤاخذنا . { إِن نَّسِينَا } فيه تأويلان :

أحدهما : يعني إن تناسينا أمرك .

والثاني : تركنا ، والنسيان : بمعنى الترك كقوله تعالى : { نَسُواْ اللهَ فَنَسِيَهُمْ } [التوبة : 67] ، قاله قطرب .

{ أَوْ أَخْطَأْنَا } فيه تأويلان :

أحدهما : ما تأولوه من المعاصي بالشبهات .

والثاني : ما عمدوه من المعاصي التي هي خطأ تخالف الصواب .

وقد فَرَّقَ أهل اللسان بين « أخطأ » وخطيء ، فقالوا : « أخطأ » يكون على جهة الإثم وغير الإثم ، وخطيء : لا يكون إلا على جهة الإثم ، ومنه قول الشاعر :

والناس يَلْحُون الأَميرَ إذا هُمُ ... خطئوا الصوابَ ولا يُلام المرْشدُ

{ رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : إصراً أي عهداً نعجز عن القيام به ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة .

الثاني : أي لا تمسخنا قردة وخنازير ، وهذا قول عطاء .

الثالث : أنه الذنب الذي ليس فيه توبة ولا كفارة ، قاله ابن زيد .

الرابع : الإصر : الثقل العظيم ، قاله مالك ، والربيع ، قال النابغة :

يا مانع الضيم أن يغشى سراتهم ... والحامل الإصر عنهم بعدما عرضوا

{ كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا } يعني بني إسرائيل فيما حملوه من قتل أنفسهم .

{ . . وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ } فيه قولان :

أحدهما : ما لا طاقة لنا به مما كُلِّفَهُ بنو إسرائيل .

الثاني : ما لا طاقة لنا به من العذاب .

{ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا } فيه وجهان :

أحدهما : مالكنا .

الثاني : وَلِيُّنا وناصرنا .

{ فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } روى عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية : { ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ } فلما انتهى إلى قوله تعالى : { غُفْرَانَكَ رَبَّنَا } قال الله تعالى : قد غفرت لكم ، فلما قرأ : { رَ بَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَو أَخْطَأْنَا } قال الله تعالى : لا أؤاخذكم ، فلما قرأ : { رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَينَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا } قال الله تعالى : لا أحمل عليكم . فلما قرأ : { رَبَّنَا وَلاَ تُحَمَّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ } قال الله تعالى : لا أحملكم . فلما قرأ : { وَاعْفُ عَنَّا } قال الله تعالى : قد عفوت عنكم . فلما قرأ : { وَاغْفِرْ لَنَا } قال

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الله تعالى : قد غفرت لكم . فلما قرأ : { وَارْحَمْنَا } قال الله تعالى : قدر رحمتكم . فلما قرأ : { فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } قال الله تعالى : قد نصرتكم .

(213/1)

وروى مرثد بن عبد الله عن عقبة بن عامر الجهني قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اقْرَؤُوا هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ مِنْ خَاتِمَةِ البَقَرَةِ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى أَعْطَانِيهَا مِن تَحتِ العَرْشِ » . وروى أبو سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « السُّورةُ الَّتِي تُذْكَرُ فِيهَا البَقَرةُ فُسْطَاطُ القُرْآنِ ، فَتَعَلَّمُوهَا فَإِنَّ تَعلِيمَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ ، وَلاَ يَسْتَطِيعُهَا البَطَلَةُ قِيلَ : وَمَنِ البَطَلَةُ؟ قَالَ : السَحَرَةُ
» .

(214/1)

الم (1) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (2) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (3) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (4)

{ الم اللهُ لآ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } وقد ذكرنا تفسير ذلك من قبل .

فإن قيل : { الم } اسم من أسماء الله تعالى كان قوله : { اللهُ لآ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ } نعتاً للمسمى به ، وتفسيره أن { الم } هو الله لا إله إلا هو .

وإن قيل : إنه قسم كان واقعاً على أنه سبحانه لا إله إلا هو الحي القيوم ، إثباتاً لكونه إلهاً ونفياً أن يكون غيره إلهاً .

وإن قيل بما سواهما من التأويلات كان ما بعده مبتدأ موصوفاً ، وأن الله هو الذي لا إله إلا هو الحي القيوم .

ونزلت هذه الآية إلى نيف وثمانين آية من السورة في وفد نجران من النصارى لما جاؤوا يحاجّون النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا أربعة عشر رجلاً من أشرافهم .

{ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ } فيه وجهان :

أحدهما : بالعدل مما استحقه عليك من أثقال النبوة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : بالعدل فيما اختصك به من شرف الرسالة .

وإن قيل بأنه الصدق ففيه وجهان :

أحدهما : بالصدق فيما تضمنه من أخبار القرون الخالية والأمم السالفة .

والثاني : بالصدق فيما تضمنه من الوعد بالثواب على طاعته ، والوعيد بالعقاب على معصيته .

{ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ } أي لما قبله من كتاب ورسول ، وإنما قيل لما قبله { بَيْنَ يَدَيْهِ } لأنه ظاهر له كظهور ما بين يديه .

وفي قوله : { مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ } قولان :

أحدهما : معناه مخبراً بما بين يديه إخبار صدق دل على إعجازه .

والثاني : معناه أنه يخبر بصدق الأنبياء فيما أتوا به على خلاف من يؤمن ببعض ويكفر ببعض .

قوله عز وجل : { . . . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللهِ } فيه وجهان :

أحدهما : بدلائله وحججه .

والثاني : بآيات القرآن ، قال ابن عباس يريد وفد نجران حين قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحاجّته .

{ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ } يعني عذاب جهنم .

{ وَاللهُ عَزِيزٌ } فيه وجهان :

أحدهما : في امتناعه .

الثاني : في قدرته .

{ ذُو انتِقَامٍ } فيه وجهان :

أحدهما : ذو سطوة .

والثاني : ذو اقتضاء .

(215/1)

إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (5) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ
يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (6) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ
الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ
وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو
الْأَلْبَابِ (7) رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (8) رَبَّنَا إِنَّكَ
جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (9)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قوله عز وجل : { هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ } يعني القرآن .

{ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ } اختلف المفسرون في تأويله على سبعة أقاويل :

أحدها : أن المحكم الناسخ ، والمتشابه المنسوخ ، قاله ابن عباس ، وابن مسعود .

والثاني : أن المحكم ما أحكم الله بيان حلاله وحرامه فلم تشتبه معانيه ، قاله مجاهد .

والثالث : أن المحكم ما لم يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً ، والمتشابه ما احتمل أوجهاً ، قاله الشافعي ومحمد بن جعفر بن الزبير .

والرابع : أن المحكم الذي لم تتكرر ألفاظه ، والمتشابه الذي تكررت ألفاظه ، قاله ابن زيد .

والخامس : أن المحكم الفرائض والوعد والوعيد ، والمتشابه القصص والأمثال .

والسادس : أن المحكم ما عرف العلماء تأويله وفهموا معناه وتفسيره ، والمتشابه ما لم يكن إلى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه ، كقيام الساعة ، وطلوع الشمس من مغربها ، وخروج عيسى ونحوه ، وهذا قول جابر بن عبد الله .

والسابع : أن المحكم ما قام بنفسه ولم يحتج إلى استدلال .

ويحتمل ثامناً : أن المحكم ما كانت معاني أحكامه معقولة ، والمتشابه ما كانت معاني أحكامه غير معقولة ، كأعداد الصلوات ، واختصاص الصيام بشهر رمضان دون شعبان .

وإنما جعله محكماً ومتشابهاً استدعاء للنظر من غير اتكال على الخبر ، وقد روى معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « القرآن على ثلاثة أجزاء : حلال فاتبعه ، وحرام فاجتنبه ، ومتشابه يشكل عليك فَكِلْه إلى عالمه

» . وأما قوله تعالى : { هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ } . ففيه وجهان :

أحدهما : أصل الكتاب .

والثاني : معلوم الكتاب .

وفيه تأويلان :

أحدهما : أنه أراد الآي التي فيها الفرائض والحدود ، قاله يحيى بن يعمر .

والثاني : أنه أراد فواتح السُّوَر التي يستخرج منها القرآن ، وهو قول أبي فاختة .

ويحتمل ثالثاً : أن يريد به أنه معقول المعاني لأنه يتفرع عنه ما شاركه في معناه ، فيصير الأصل لفروعه كالأم لحدوثها عنه ، فلذلك سماه أم الكتاب .

{ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ } فيه تأويلان :

أحدهما : ميل عن الحق .

والثاني : شك ، قاله مجاهد .

{ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه الأجل الذي أرادت اليهود أن تعرفه من الحروف المقطعة من حساب الجُمّل في انقضاء

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مدة النبي صلى الله عليه وسلم .

والثاني : أنه معرفة عواقب القرآن في العلم بورود النسخ قبل وقته .

والثالث : أن ذلك نزل في وفد نجران لمّا حاجّوا النبي صلى الله عليه وسلم في المسيح ، فقالوا : أليس كلمة الله وروحه؟ قال :

(216/1)

« بلى » فقالوا : حسبنا ، فأنزل الله تعالى : { فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وابْتَغَآءَ تَأْوِيلِهِ } وهو قول الربيع .

وفي قوله تعالى : { ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ } أربعة تأويلات :

أحدها : الشرك ، قاله السدي .

والثاني : اللّبْس ، قاله مجاهد .

الثالث : الشبهات التي حاجّ بها وفد نجران .

والرابع : إفساد ذات البَيْن .

{ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ } في التأويل وجهان :

أحدهما : أنه التفسير .

والثاني : أنه العاقبة المنتظرة .

{ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاَّ اللهُ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : تأويل جميع المتشابه ، لأن فيه ما يعلمه الناس ، وفيه ما لا يعلمه إلا الله ، قاله الحسن .

والثاني : أن تأويله يوم القيامة لما فيه من الوعد والوعيد ، كما قال الله تعالى : { هَلْ يَنظُرُونَ إلاَّ تَأْوِيلَهُ يَومَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ } [الأعراف : 53] يعني يوم القيامة ، قاله ابن عباس .

والثالث : تأويله وقت حلوله ، قاله بعض المتأخرين .

{ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ } فيه وجهان :

أحدهما : يعني الثابتين فيه ، العاملين به .

والثاني : يعني المستنبطين للعلم والعاملين ، وفيهم وجهان :

أحدهما : أنهم داخلون في الاستثناء ، وتقديره : أن الذي يعلم تأويله الله والراسخون في العلم جميعاً .

روى ابن أبي نجيح عن ابن عباس أنه قال : أنا ممن يعلم تأويله .

الثاني : أنهم خارجون من الاستثناء ، ويكون معنى الكلام : ما يعلم تأويله إلا الله وحده ، ثم استأنف فقال : { وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ } .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا } يحتمل وجهين :

أحدهما : علم ذلك عند ربنا .

والثاني : ما فصله من المحكم والمتشابه ، فنزل من عند ربنا .

(217/1)

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (10) كَدَأْبِ آَلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (11)

قوله عز وجل : { كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ } فيه وجهان :

أحدهما : أن الدأب : العادة ، (أي) كعادة آل فرعون والذين من قبلهم .

والثاني : أن الدأب هنا الاجتهاد ، مأخوذ من قولهم : دأبت في الأمر ، إذا اجتهدت فيه .

فإذا قيل إنه العادة ففيما أشار إليه من عادتهم وجهان :

أحدهما : كعادتهم في التكذيب بالحق .

والثاني : كعادتهم من عقابهم على ذنوبهم .

وإذا قيل إنه الاجتهاد ، احتمل ما أشار إليه من اجتهادهم وجهين :

أحدهما : كاجتهادهم في نصرة الكفر على الإيمان .

والثاني : كاجتهادهم في الجحود والبهتان .

وفيمن أشار إليهم أنهم كدأب آل فرعون قولان :

أحدهما : أنهم مشركو قريش يوم بدر ، كانوا في انتقام الله منهم لرسله والمؤمنين ، كآل فرعون في انتقامه منهم لموسى وبني إسرائيل ، فيكون هذا على القول الأول تذكيراً للرسول والمؤمنين بنعمة سبقت ، لأن هذه الآية نزلت بعد بدر استدعاء لشكرهم عليها ، وعلى القول الثاني وعداً بنعمة مستقبلة لأنها نزلت قبل قتل يهود بني قينقاع ، فحقق وعده وجعله معجزاً لرسوله .

(218/1)

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (12) قَدْ كَانَ لَكُمْ آَيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (13)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قوله عز وجل : { قُل لِّلَّذِينَ كَفَروا سَتُغْلَبُونَ } الآية . في سبب نزول هذه الآية ثلاثة أقوال :
أحدها : أنها نزلت في قريش قبل بدر بسنة ، فحقق الله قوله ، وصدق رسوله ، وأنجز وعده بمن قتل منهم يوم بدر ، قاله ابن عباس ، والضحاك .
والثاني : أنها نزلت في بني قينقاع لمَّا هلكت قريش يوم بدر ، فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، وحذرهم مثل ما نزل بقريش ، فأبوا وقالوا : لسنا كقريش الأغمار الذين لا يعرفون الناس ، فأنزل الله فيهم هذه الآية ، قاله قتادة ، وابن إسحاق .
والثالث : أنها نزلت في عامة الكفار .
وفي الغلبة هنا قولان :
أحدهما : بالقهر والاستيلاء ، إن قيل إنها خاصة .
والثاني : بظهور الحجة ، إن قيل إنها عامة .
وفي { وَبِئْسَ الْمِهَادُ } قولان :
أحدهما : بئس ما مهدوا لأنفسهم ، قاله مجاهد .
والثاني : معناه بئس القرار ، قاله الحسن .
وفي بئس وجهان : أحدهما : أنه مأخوذ من البأس ، وهو الشدة .
والثاني : أنه مأخوذ من البأساء وهو الشر .
قوله عز وجل : { قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ } يعني المؤمنين من أهل بدر .
{ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ } يعني مشركي قريش .
{ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ } وفي مثليهم قولان :
أحدهما : أنهم مثلان زائدان على العدد المُتَحَقِّق ، فيصير العدد ثلاثة أمثال ، قاله الفراء .
والثاني : هو المزيد في الرؤية ، قاله الزجاج .
اختلفوا في المخاطب بهذه الرؤية على قولين :
أحدهما : أنها الفئة المؤمنة التي تقاتل في سبيل الله ، بأن أراهم الله مشركي قريش يوم بدر مثلي عدد أنفسهم ، لأن عدة المسلمين كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، وعدة المشركين في رواية عليٍّ وابن مسعود ألف ، وفي رواية عروة ، وقتادة ، والربيع ما بين تسعمائة إلى ألف ، فقلَّلهم الله في أعينهم تقوية لنفوسهم ، قاله ابن مسعود ، والحسن .
والثاني : أن الفئة التي أراها الله ذلك هي الفئة الكافرة ، أراهم الله المسلمين مثلي عددهم مكثراً لهم ، لتضعف به قلوبهم . والآية في الفئتين هي تقليل الكثير في أعين المسلمين ، وتكثير القليل في أعين المشركين ، وما تقدم من الوعد بالغلبة ، فتحقق ، قتلاً ، وأسراً ، وسبياً .
{ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ } يعني من أهل طاعته . وفي التأييد وجهان :
أحدهما : أنه المعونة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : القوة .

{ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ } فيه وجهان :

أحدهما : أن في نصرة الله لرسوله يوم بدر مع قلة أصحابه عبرة لذوي البصائر والعقول .

والثاني : أن فيما أبصره المشركون من كثرة المسلمين مع قلتهم عبرة لذوي الأعين والبصائر .

(219/1)

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (14) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (15)

قوله عز وجل : { زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ } معنى زين : أي حُسِّن حب الشهوات ، والشهوة من خَلْق الله في الإنسان ، لأنها ضرورة لا يقدر على دفعها .

وفي المُزّيِّن لحب الشهوات ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الشيطان ، لأنه لا أحد أشد ذمًّا لها من الله تعالى الذي خَلَقَها ، قاله الحسن .

الثاني : تأويل أن الله زين حب الشهوات لِمَا جعله في الطبائع من المنازعة كما قال تعالى : { إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا } [الكهف : 7] ، قاله الزجاج .

والثالث : أن الله زين من حبها ما حَسُن ، وزين الشيطان من حبها ما قَبُح . { وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ } اختلفوا في مقدار القنطار على سبعة أقاويل :

أحدها : أنه ألف ومائتا أوقية ، وهو قول معاذ بن جبل ، وأبي هريرة ورواه زر بن حبيش عن أُبيّ بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القِنْطَارُ أَلفٌ وَمِائَتَا أُوقِيَّةٍ » . والثاني : أنه ألف ومائتا دينار ، وهو قول الضحاك ، والحسن ، وقد رواه الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم .

والثالث : أنه اثنا عشر ألف درهم أو ألف دينار ، وهو قول ابن عباس .

والرابع : أنه ثمانون ألفاً من الدراهم ، أو مائة رطل من الذهب ، وهو قول سعيد بن المسيب ، وقتادة .

والخامس : أنه سبعون ألفاً ، قاله ابن عمر ، ومجاهد .

والسادس : أنه ملء مسك ثور ذهباً ، قاله أبو نضرة .

والسابع : أنه المال الكثير ، وهو قول الربيع .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وفي { المُقَنْطَرَةِ } خمسة أقاويل :

أحدها : أنها المضاعفة ، وهو قول قتادة .

والثاني : أنها الكاملة المجتمعة .

والثالث : هي تسعة قناطير ، قاله الفراء .

والرابع : هي المضروبة دراهم أو دنانير ، وهو قول السدي .

والخامس : أنها المجعولة كذلك ، كقولهم دراهم مدرهمة .

ويحتمل وجهاً سادساً : أن القناطير المذكورة مأخوذة من قنطرة الوادي ، إما لأنها بتركها مُعَدَّة كالقناطر المعبورة ، وإما لأنها معدة لوقت الحاجة ، والقناطير مأخوذة من عقد الشيء وإحكامه كالقنطرة .

{ وَالْخَيلِ الْمُسَوَّمَةِ } فيها خمسة تأويلات :

أحدها : أنها الراعية ، قاله سعيد بن جبير ، والربيع ، ومنه قوله تعالى : { وفيه تسيمون } أي ترعون .

والثاني : أن المسومة الحسنة ، قاله مجاهد ، وعكرمة ، والسدي .

والثالث : أنها المعلَّمة ، قاله ابن عباس ، وقتادة .

والرابع : أنها المعدة للجهاد ، قاله ابن زيد .

والخامس : أنها من السيما مقصورة وممدود ، قاله الحسن ، قال الشاعر :

غلامٌ رماه اللهُ بالحُسْن يافعاً ... له سيمياء لا تَشُقُّ على البصر

{ والأنْعَامِ } هي الإبل ، والبقر ، والغنم من الضأن والمعز ، ولا يقال النعم لجنس منها على الإنفراد إلا للإبل خاصة .

{ والْحَرْثِ } هو الزرع .

ويحتمل وجهاً ثانياً : أن يريد أرض الحرث لأنها أصل ، ويكون الحرث بمعنى المحروث .

(220/1)

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آَمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (16) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ (17)

قوله عز وجل : { الصَّابِرِينَ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : الصابرين عما نهوا عنه من المعاصي .

والثاني : يعني في المصائب .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثالث : الصائمين .

ويحتمل رابعاً : الصابرين عما زُيِّن للناس من حب الشهوات .

{ وَالصَّادِقِينَ } فيه وجهان :

أحدهما : في قولهم .

والثاني في القول والفعل والنيَّة ، والصدق في القول : الإخبار بالحق ، والصدق في الفعل : إتمام العمل ، والصدق في النية : إمضاء العزم .

{ وَالْقَانِتِينَ } فيه تأويلان :

أحدهما : يعني المطيعين ، قاله قتادة .

والثاني : معناه القائمون على العبادة ، قاله الزجاج .

{ والْمُنفِقِينَ } فيه تأويلان :

أحدهما : في الجهاد .

والثاني : في جميع البِرِّ .

{ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بالأَسْحَارِ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها يعني المصلين بالأسحار ، قاله قتادة .

والثاني : أنهم المستغفرون قولاً بالأسحار يسألون الله تعالى المغفرة ، قاله ابن عمر ، وابن مسعود وأنس بن مالك .

والثالث : أنهم يشهدون الصبح في جماعة ، قاله زيد بن أسلم . والسحر من الليل هو قبيل الفجر .

(221/1)

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18) إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (19) فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (20)

قوله عز وجل : { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ } في هذه الشهادة من الله ثلاثة أقاويل :

أحدها : بمعنى قضى الله أنه لا إله إلا هو .

والثاني : يعني بَيَّنَ الله أنه لا إله إلا هو .

والثالث : أنها الشهادة من الله بأنه لا إله إلا هو .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويحتمل أمرين :

أحدهما : أن يكون معناها الإخبار بذلك ، تأكيداً للخبر بالمشاهدة ، كإخبار الشاهد بما شاهد ، لأنه أوكد للخبر .

والثاني : أنه أحدث من أفعاله المشاهدة ما قامت مقام الشهادة بأن لا إله إلا هو ، فأما شهادة الملائكة وأولي العلم ، فهي اعترافهم بما شاهدوه من دلائل وحدانيته .

{ قَآئِماً بِالْقِسْطِ } أي بالعدل .

ويحتمل قيامه بالعدل وجهين :

أحدهما : أن يتكفل لهم بالعدل فيهم ، من قولهم قد قام فلان بهذا الأمر إذا تكفل به ، فيكون القيام بمعنى الكفالة .

والثاني : معناه أن قيام ما خلق وقضى بالعدل أي ثباته ، فيكون قيامه بمعنى الثبات .

قوله عز وجل : { إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ } فيه وجهان :

أحدهما : أن المتدين عند الله بالإسلام من سلم من النواهي .

والثاني : أن الدين هنا الطاعة ، فصار كأنه قال : إن الطاعة لله هي الإسلام .

وفي أصل الإسلام قولان :

أحدهما : أن أصله مأخوذ من السلام وهو السلامة ، لأنه يعود إلى السلامة .

والثاني : أن أصله التسليم لأمر الله في العمل بطاعته .

{ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ } في أهل الكتاب الذين اختلفوا ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم أهل التوراة من اليهود ، قاله الربيع .

والثاني : أنهم أهل الإنجيل من النصارى ، قاله محمد بن جعفر بن الزبير .

والثالث : أنهم أهل الكتب كلها ، والمراد بالكتاب الجنس من غير تخصيص ، وهو قول بعض المتأخرين .

وفيما اختلفوا فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : في أديانهم بعد العلم بصحتها .

والثاني : في عيسى وما قالوه فيه من غلو وإسراف .

والثالث : في دين الإسلام .

وفي قوله تعالى : { بَغْياً بَيْنَهُمْ } وجهان :

أحدهما : طلبهم الرياسة .

والثاني : عدولهم عن طريق الحق .

قوله عز وجل : { فَإنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ : أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ } الآية . فيه وجهان :

أحدهما : أي أسلمت نفسي ، ومعنى أسلمت : انقدت لأمره في إخلاص التوحيد له .

والثاني : أن معنى أسلمت وجهي : أخلصت قصدي إلى الله في العبادة ، مأخوذ من قول الرجل إذا

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قصد رجلاً فرآه في الطريق هذا وجهي إليك ، أي قصدي .

{ وَالأُمِّيِّينَ } هم الذين لا كتاب لهم ، مأخوذ من الأمي الذي لا يكتب ، قال ابن عباس : هم مشركو العرب .

{ ءَأَسْلَمْتُمْ } هو أمر بالإسلام على صورة الاستفهام .

فإن قيل : في أمره تعالى عند حِجَاجِهِمْ بأن يقول : { أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ } عدول عن جوابهم وتسليم لحِجَاجِهِم ، فعنه جوابان :

أحدهما : ليس يقتضي أمره بهذا القول النهي عن جوابهم والتسليم بحِجَاجِهِم ، وإنما أمره أن يخبرهم بما يقتضيه معتقده ، ثم هو في الجواب لهم والاحْتِجَاج على ما يقتضيه السؤال .

والثاني : أنهم ما حاجُّوه طلباً للحق فيلزمه جوابهم ، وإنما حاجُّوه إظهاراً للعناد ، فجاز له الإعراض عنهم بما أمره أن يقول لهم .

(222/1)

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (21) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (22)

قوله عز وجل : { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ } قرأ حمزة : ويقاتلون الذين يأمرون ، وقيل : إنها كذلك في مصحف ابن مسعود .

وفي { الْقِسْطِ } هنا وجهان :

أحدهما : العدل .

والثاني : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

{ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } رُوِيَ عن أبي عبيدة بن الجراح قال : قلت : يا رسول الله أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة؟ قال : رجل قتل نبياً أو رجلاً أمر بمعروف أو نهى عن منكر ، ثم قرأ هذه الآية ، ثم قال : « يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة رجل واثنا عشر رجلاً من عباد بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر ، فقتلوا جميعاً في آخر النهار من ذلك اليوم » . { فَبَشِّرْهُم } أي فأخبرهم ، والأغلب في البشارة إطلاقها على الإخبار بالخير ، وقد تستعمل في الإخبار بالشّر كما استعملت في هذا الموضع وفي تسميتها بذلك وجهان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدهما : لأنها تغير بَشْرَةَ الوجه بالسرور في الخير ، وبالغم في الشر .

والثاني : لأنها خبر يستقبل به البشرة .

(223/1)

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ (23) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24) فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (25)

قوله عز وجل : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوْا نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ } يعني حظاً لأنهم علموا بعض ما فيه .

{ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ } في الكتاب الذي دعوا إليه قولان :

أحدهما : أنه التوراة ، دعي إليها اليهود فأبوا ، قاله ابن عباس .

والثاني : القرآن ، لأن ما فيه موافق لما في التوراة من أصول الدين ، قاله الحسن وقتادة .

وفي قوله تعالى : { لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ } ثلاثة أقاويل :

أحدها : نبوة النبي صلى الله عليه وسلم .

والثاني : أمر إبراهيم وأن دينه الإسلام .

والثالث : أنه حد من الحدود .

{ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ } قال ابن عباس :

هذا الفريق المتولي هم زعماء يهود بني قينقاع : النعمان بن أوفى ، وبحري بن عمرو بن صوريا تولوا عنه في حد الزنى لما أخبرهم أنه الرجم ، ورجم اليهوديين الزانيين .

فإن قيل : التولّي عن الشيء هو الإعراض عنه ، قيل : معناه يتولَّى عن الداعي ويعرض عما دُعِيَ إليه .

قوله عز وجل : { . . . قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ } هذا من قول اليهود ، واختلفوا فيها على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها الأيام التي عبدوا فيها العجل وهي أربعون يوماً ، قاله قتادة ، والربيع .

والثاني : أنها سبعة أيام ، وهذا قول الحسن .

والثالث : أنها منقطعة لانقضاء العذاب فيها ، وهذا قول بعض المتأخرين .

{ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ } فيه قولان :

أحدهما : هو قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه ، قاله قتادة .

والثاني : هو قولهم لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات ، قاله مجاهد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (27)

قوله عز وجل : { قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يريد به ملك أمر الدنيا والآخرة .

والثاني : مالك العباد وما ملكوه ، قاله الزجاج .

والثالث : مالك النبوة ، قاله مجاهد .

{ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن المُلك هنا النبوة ، قاله مجاهد .

والثاني : أنه الإيمان .

والثالث : أنه السلطان .

روى قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يجعل مُلْك فارس والروم في أمته ، فأنزل الله هذه الآية .

{ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ } يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : تعز من تشاء بالطاعة ، وتذل من تشاء بالمعصية .

والثاني : تعز من تشاء بالنصر ، وتذل من تشاء بالقهر .

والثالث : تعز من تشاء بالغنى ، وتذل من تشاء بالفقر .

{ بِيَدِكَ الْخَيْرُ } أي أنت قادر عليه ، وإنما خَصَّ الخير بالذكر وإن كان قادراً على الخير والشر ، لأنه المرغوب في فعله .

قوله تعالى : { تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ } فيه قولان :

أحدهما : معناه تدخل نقصان الليل في زيادة النهار ، ونقصان النهار في زيادة الليل ، وهو قول جمهور المفسرين .

والثاني : أن معناه تجعل الليل بدلاً من النهار ، وتجعل النهار بدلاً من الليل ، وهو قول بعض المتأخرين .

{ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ } قرأ نافع وحمزة والكسائي : الميّت بالتشديد ، وقرأ الباقون بالتخفيف .

واختلفوا في معناه بالتخفيف والتشديد ، فذهب الكوفيون إلى أن الميْت بالتخفيف الذي قد مات ،

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وبالتشديد الذي لم يمت بعد .

وحكى أبو العباس عن علماء البصريين بأسرهم أنهما سواء ، وأنشد لابن الرعلاء القلابي :

ليس من مات فاستراح بميت ... إنما المَيتُ ميّت الأحياء

إنما الميْتُ من يعيش كئيباً ... كاسفاً بالُه قليل الرجاء

وفي تأويل إخراج الحي من الميت قولان :

أحدهما : أنه يخرج الحيوان الحي في النطفة الميتة ، ويخرج النطفة الميتة من الحيوان الحي ، وهذا قول ابن مسعود ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي .

والثاني : أنه يخرج المؤمن من الكافر ، ويخرج الكافر من المؤمن ، وهذا قول الحسن .

وقال قتادة : وإنما سَمَّى الله يحيى بن زكريا بيحيى لأن الله عز وجل أحياه بالإيمان .

{ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } فيه ثلاثة أقاويل مضت .

(225/1)

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (28) قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (29) يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (30) قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (31) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (32) إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (34)

قوله عز وجل : { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى ءَادَمَ وَنُوحاً وءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ } في آل عمران قولان :

أحدهما : أنه موسى وهارون ابنا عمران .

والثاني : أنه المسيح ، لأن مريم بنت عمران ، وهذا قول الحسن .

وفيما اصطفاهم به ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه اصطفاهم باختيار دينهم لهم ، وهذا قول الفراء .

والثاني : أنه اصطفاهم بتفضيلهم في الأمور التي ميزهم بها على أهل زمانهم .

والثالث : أنه اصطفاهم باختيارهم للنبوة ، وهذا قول الزجاج .

قوله تعالى : { ذُرِّيَّةَ بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ } فيه قولان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : أنهم صاروا ذرية بالتناصر لا بالنسب ، كما قال تعالى : { المُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ } [التوبة : 67] يعني في الاجتماع على الضلال ، وهذا قول الحسن ، وقتادة .
والثاني : أنهم في التناسل والنسب ، إذ جميعهم من ذرية آدم ، ثم من ذرية نوح ، ثم من ذريةإبراهيم ، وهذا قول بعض المتأخرين .

(226/1)

إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (35) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (36)

{ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ : رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً } فيه ثلاثة أقاويل : -
أحدها : محرراً أي مُخْلَصاً للعبادة ، وهذا قول الشعبي .
والثاني : يعني خادماً للبيعة ، وهذا قول مجاهد .
والثالث : يعني عتيقاً من الدنيا لطاعة الله ، وهذا قول محمد بن جعفر بن الزبير .
قوله تعالى : { فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ : ربِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى } إنما قالت ذلك اعتذاراً من العدول عن نذرها لأنها أنثى .
ثم قال تعالى : { وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ } قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم بضم التاء ، فيكون ذلك راجعاً إلى اعتذارها بأن الله أعلم بما وضعت ، وقرأ الباقون بجزم التاء ، فيكون ذلك جواباً من الله تعالى لها بأنه أعلم بما وضعت منها .
ثم قال تعالى : { وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى } لأن الأُنثى لا تصلح لما يصلح له الذكر من خدمة المسجد المقدس ، لما يلحقها من الحيض ، ولصيانة النساء عن التبرج ، وإنما يختص الغلمان بذلك .
{ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } فيه تأويلان :
أحدهما : معناه : من طعن الشيطان الذي يستهل به المولود صارخاً ، وقد روى ذلك أبو هريرة مرفوعاً .
والثاني : معناه من إغوائه لها ، وهذا قول الحسن ، ومعنى الرجيم المرجوم بالشهب .

(227/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (37)

قوله عز وجل : { فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ } معناه أنه رضيها في النذر الذي نذرته بإخلاص العبادة في بيت المقدس .

{ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً } يعني أنشأها إنشاءً حسناً في غذائها وحسن تربيتها .

{ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا } قرأ أهل الكوفة { وَكَفَّلَهَا } بالتشديد ، ومعنى ذلك أنه دفع كفالتها إلى غيره . وقرأ الباقون : { كفَلَهَا } بالتخفيف ، ومعنى ذلك أنه أخذ كفالتها إليه .

{ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ } وهو معروف ، وأصله أنه أكرم موضع في المجلس .

{ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً } فيه قولان :

أحدهما : أن الرزق الذي أتاها فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف ، وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي .

والثاني : أنها لم تطعم ثدياً قط حتى تكلمت في المهد ، وإنما كان يأتيها رزقها من الجنة ، وهذا قول الحسن .

واختلف في السبب الذي يأتيها هذا الرزق لأجله على قولين :

أحدهما : أنه كان يأتيها بدعوة زكريا لها .

والثاني : أنه كان ذلك يأتيها لنبوة المسيح عليه السلام .

{ قَالَ : يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا ؟ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ } فيه قولان :

أحدهما : أن الله تعالى كان يأتيها بالرزق .

والثاني : أن بعض الصالحين من عباده سخره الله تعالى لها لطفاً منه بها حتى يأتيها رزقها . والأول أشبه .

{ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } فيه قولان :

أحدهما : أنه حكاية عن قول مريم بعد أن قالت هو من عند الله .

والقول الثاني : أنه قول الله تعالى بعد أن قطع كلام مريم .

(228/1)

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (38) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (39) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

يَشَاءُ (40) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آَيَةً قَالَ آَيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (41)

قوله تعالى : { هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ } اختلف في سبب دعائه على قولين :

أحدهما : أن الله تعالى أذن له في المسألة لأن سؤال ما خالف العادة يُمْنَع منه إلا عن إذن لتكون الإجابة إعجازاً .

والثاني : أنه لما رآى فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف طمع في رزق الولد من عاقر .

{ قَالَ : رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً } يعني هب لي من عندك ولداً مباركاً ، وقصد بالذرية الواحد .

{ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَآءِ } أي تجيب الدعاء ، لأن إجابة الدعاء بعد سماعه .

قوله تعالى : { فَنَادَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ } قرأ حمزة ، والكسائي : { فَنَادَاهُ الْمَلآئِكَةُ } ، وفي مناداته قولان :

أحدهما : أنه جبريل وحده ، وهو قول السدي .

والثاني : جماعة من الملائكة .

{ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى } قيل إنما سمّاه يحيى لأن الله تعالى أحياه بالإيمان ، وسماه بهذا اسم قبل مولده .

{ مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ } فيه قولان :

أحدهما : بكتاب من الله ، وهذا قول أبي عبيدة وأهل البصرة .

والثاني : يعني المسيح ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة ، والربيع ، والضحاك ، والسدي .

واختلفوا في تسميته كلمة من الله على قولين :

أحدهما : أنه خلقه بكلمته من غير أب .

والثاني : أنه سُمِيَ بذلك لأن الناس يهتدون به في دينهم كما يهتدون بكلام الله عز وجل .

{ وَسَيِّداً } فيه خمسة أقاويل :

أحدها : أنه الخليفة ، وهو قول قتادة .

والثاني : أنه التقي ، وهو قول سالم .

والثالث : أنه الشريف ، وهو قول ابن زيد .

والرابع : أنه الفقيه العالم ، وهو قول سعيد بن المسيب .

والخامس : سيد المؤمنين ، يعني بالرياسة عليهم ، وهذا قول بعض المتكلمين .

{ وَحَصُوراً } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه كان عِنّيناً لا ماء له ، وهذا قول ابن مسعود ، وابن عباس ، والضحاك .

والثاني : أنه كان لا يأتي النساء ، وهو قول قتادة ، والحسن .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثالث : أنه لم يكن له ما يأتي به النساء ، لأنه كان معه مثل الهْدبة ، وهو قول سعيد بن المسيب .

قوله عز وجل : { قَالَ : رَبِّ أَنَّى يِكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ } وإنما جاز له أن يقول : وقد بلغني الكبر لأنه بمنزلة الطالب له .

{ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ } أي لا تلد .

فإن قيل : فَلِمَ راجع بهذا القول بعد أن بُشِّرَ بالولد ، ففيه جوابان :

أحدهما : أنه راجع ليعلم على أي حال يكون منه الولد ، بأن يُرَدّ هو وامرأته إلى حال الشباب ، أم على حال الكبر ، فقيل له : كذلك الله يفعل ما يشاء ، أي على هذه الحال ، وهذا قول الحسن .

(229/1)

والثاني : أنه قال ذلك استعظاماً لمقدور الله وتعجباً .

قوله عز وجل : { قَالَ : رَبِّ اجْعَل لِّي ءَايَةً } أي علامة لوقت الحمل ليتعجل السرور به .

{ قَالَ : ءَايَتُكَ ألاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : تحريك الشفتين وهو قول مجاهد .

والثاني : الإشارة ، وهو قول قتادة .

والثالث : الإيماء ، وهو قول الحسن .

{ وَاذْكُرْ رَّبَّكَ كَثِيراً } لم يمنع من ذكر الله تعالى ، وذلك هي الآية .

{ وَسَبِّحْ بِالْعَشِّيِ وَالإِبْكَارِ } والعشي : من حين زوال الشمس إلى أن تغيب ، وأصل العشي الظلمة ، ولذلك كان العشى ضعف البصر ، فَسُمَّي ما بعد الزوال عِشاءً لا تصاله بالظلمة . وأما الإبكار فمن حين طلوع الفجر إلى وقت الضحى ، وأصله التعجيل ، لأنه تعجيل الضياء .

(230/1)

وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (42) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (43) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (44)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قوله تعالى : { وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ : يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصطفاك } فيه قولان :

أحدهما : اصطفاها على عالمي زمانها ، وهذا قول الحسن .

والثاني : أنه اصطفاها لولادة المسيح ، وهو قول الزجاج .

{ وَطَهَّرَكِ } فيه قولان :

أحدهما : طهرك من الكفر ، وهو قول الحسن ومجاهد .

والثاني : طهرك من أدناس الحيض والنفاس ، وهو قول الزجاج .

{ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَآءِ الْعَالَمِينَ } فيه قولان :

أحدهما : انه تأكيد للاصطفاء الأول بالتكرار . والثاني : أن الاصطفاء الأول للعبادة ، والاصطفاء الثاني لولادة المسيح . قوله عز وجل : { يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يعني أخلصي لربك ، وهو قول سعيد .

والثاني : معناه أديمي الطاعة لربك ، وهو قول قتادة .

والثالث : أطيلي القيام في الصلاة ، وهو قول مجاهد .

{ وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ } وفي تقديم السجود على الركوع قولان :

أحدهما : أنه كان مقدماً في شريعتهم وإن كان مؤخراً عندنا .

والثاني : أن الواو لا توجب الترتيب ، فاستوى حكم التقديم في اللفظ وتأخيره ، وأصل السجود والانخفاض الشديد والخضوع ، كما قال الشاعر :

فكلتاهما خَرّت وأسجّد رأسُها ... كما سَجَدتْ نصرانةٌ لم تحنف

وكذلك الركوع إلا أن السجود أكثر إنخفاضاً .

وفي قوله تعالى : { وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ } قولان :

أحدهما : معناه وافعلي كفعلهم .

والثاني : يعني مع الراكعين في صلاة الجماعة .

قوله تعالى : { ذَلِكَ مِنْ أَنبَآءِ الْغَيْبِ } يعني ما كان من البشرى بالمسيح .

{ نُوحِيهِ إِلَيْكَ } وأصل الوحي إلقاء المعنى إلى صاحبه ، والوحي إلى الرسل الإلقاء بالإنزال ، وإلى النحل بالإلهام ، ومن بعض إلى بعض بالإشارة ، كما قال تعالى : { فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا } . قال العجاج :

... ... أوحى لها القرار فاستقرّت

{ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ } فيه قولان :

أحدهما : أنهم تشاجروا عليها وتنازعوا فيها طلباً لكفالتها ، فقال زكريا : أنا أحق بها لأن خالتها عندي ، وقال القوم : نحن أحق بها لأنها بنت إمامنا وعالمنا ، فاقترعوا عليها بإلقاء أقلامهم وهي القداح مستقبلة لجرية الماء ، فاستقبلت عصا زكريا لجرية الماء مصعدة ، وانحدرت أقلامهم فقرعهم زكريا ، وهو معنى قوله تعالى : { وَكَفَّلَهَا } وهذا قول ابن عباس ، وعكرمة ، والحسن ، والربيع .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والقول الثاني : أنهم تدافعوا كفالتها لأن زكريا قد كان كفل بها من غير اقتراع ، ثم لحقهم أزمة ضعف بها عن حمل مؤونتها ، فقال للقوم : ليأخذها أحدكم فتدافعوا كفالتها وتمانعوا منها ، فأقرع بينهم وبين نفسه فخرجت القرعة له ، وهذا قول سعيد .

(231/1)

إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (45) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (46) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (47)

قوله تعالى : { إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ : يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ }
وفي تسميته بالمسيح قولان :
أحدهما : لأنه مُسِحَ بالبركة ، وهذا قول الحسن وسعيد .
والثاني : أنه مُسِحَ بالتطهر من الذنوب .
قوله تعالى : { وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ } وفي سبب كلامه في المهد قولان :
أحدهما : لتنزيه أمه مما قُذِفَتْ به .
والثاني : لظهور معجزته .
واختلفوا هل كان في وقت كلامه في المهد نبياً على قولين :
أحدهما : كان في ذلك الوقت نبياً لظهور المعجزة منه .
والثاني : أنه لم يكن في ذلك الوقت نبياً وإنما جعل الله ذلك تأسيساً لنبوتّه .
والمهد : مضجع الصبي ، مأخوذ من التمهيد .
ثم قال تعالى : { وَكَهْلاً } وفيه قولان :
أحدهما : أن المراد بالكهل الحليم ، وهذا قول مجاهد .
والثاني : أنه أراد الكهل في السنّ .
واختلفوا : بلوغ أربع وثلاثين سنة .
والثاني : أنه فوق حال الغلام ودون حال الشيخ ، مأخوذ من القوة من قولهم اكتهل البيت إذ طال وقوي .
فإن قيل فما المعنى في الإخبار بكلامه كهلاً وذلك لا يستنكر ؟ ففيه قولان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

أحدها : أنه يكلمهم كهلاً بالوحي الذي يأتيه من الله تعالى .

والثاني : انه يتكلم صغيراً في المهد كلام الكهل في السنّ .

(232/1)

وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (48) وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
(49) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (50) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (51) فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى
مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ
(52) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (53) وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ
الْمَاكِرِينَ (54)

قوله تعالى : { فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ : مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يعني من أنصاري مع الله .

والثاني : معناه من أنصاري في السبيل إلى الله ، وهذا قول الحسن .

والثالث : معناه من ينصرني إلى نصر الله .

وواحد الأنصار نصير .

{ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ : نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ } اخْتُلِف في تسميتهم بالحواريين على ثلاثة أقاويل :

أحدها : انهم سُمُّوا بذلك لبياض ثيابهم ، وهذا قول سعيد بن جبير .

والثاني : أنهم كانوا قَصَّارين يبيضون الثياب ، وهذا قول ابن أبي نجيح .

والثالث : أنهم خاصة الأنبياء ، سموا بذلك لنقاء قلوبهم ، وهذا قول قتادة ، والضحاك . وأصل الحواري : الحَوَر وهو شدة البياض ، ومنه الحواري من الطعام لشدة بياضه ، والحَوَر نقاء بياض العين .

واختلفوا في سبب استنصار المسيح بالحواريين على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه استنصر بهم طلباً للحماية من الكفار الذين أرادوا قتله حين أظهر دعوته ، وهذا قول الحسن ، ومجاهد .

والثاني : أنه استنصر بهم ليتمكن من إقامة الحجة وإظهار الحق .

والثالث : لتمييز المؤمن الموافق من الكافر المخالف .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قوله تعالى : { . . . فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ } فيه قولان :

أحدهما : يعني صِلْ ما بيننا وبينهم بالإخلاص على التقوى .

والثاني : أثْبِتْ أسماءنا مع أسمائهم لننال ما نالوا من الكرامة .

قوله تعالى : { وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ واللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ } فيه قولان :

أحدهما : أنهم مكروا بالمسيح عليه السلام بالحيلة عليه في قتله ، ومكر الله في ردهم بالخيبة لإلقاء شبه المسيح على غيره ، وهو قول السدي .

والثاني : مكروا بإضمار الكفر ، ومكر الله بمجازاتهم بالعقوبة ، وإنما جاز قوله : { وَمَكَرَ اللَّهُ } على مزواجة الكلام وإن خرج عن حكمه ، نحو قوله : { فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ } [البقرة : 194] وليس الثاني اعتداءً ، وأصل المكر : الالتفاف ، ولذلك سمي الشجر الملتف مكراً ، والمكر هو الاحتيال على الإنسان لالتفاف المكروه به .

والفرق بين المكر والحيلة أن الحيلة قد تكون لإظهار ما يعسر من غير قصد إلى الإضرار ، والمكر : التوصل إلى إيقاع المكروه به .

(233/1)

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (55) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (56) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (57) ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ (58)

قوله تعالى : { إِذْ قَالَ اللَّهُ : يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : معناه إني قابضك برفعك إلى السماء من غير وفاة بموت ، وهذا قول الحسن ، وابن جريج ، وابن زيد .

والثاني : متوفيك وفاة نوم للرفع إلى السماء ، وهذا قول الربيع .

والثالث : متوفيك وفاة بموت ، وهذا قول ابن عباس .

والرابع : أنه من المقدم والمؤخر بمعنى رافعك ومتوفيك بعده ، وهذا قول الفراء .

وفي قوله تعالى : { وَرَافِعُكَ إِلَيَّ } قولان :

أحدهما : رافعك إلى السماء .

والثاني : معناه رافعك إلى كرامتي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا } فيه قولان :

أحدهما : أن تطهيره منهم هو منعهم من قتله .

الثاني : أنه إخراجه من بينهم .

{ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ } فيه تأويلان :

أحدهما : فوقهم بالبرهان والحجة .

والثاني : بالعز والغلبة .

وفي المعنيّ بذلك قولان :

أحدهما : أن الذين آمنوا به فوق الذين كذّبوه وكذَبوا عليه ، وهذا قول الحسن ، وقتادة ، والربيع ، وابن جريج .

والثاني : أن النصارى فوق اليهود ، لأن النصارى أعز واليهود أذل ، وفي هذا دليل على أنه لا يكون مملكة إلى يوم القيامة بخلاف الروم .

(234/1)

إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (59) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (60) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (61) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (62) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (63)

قوله تعالى : { فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ } فيه تأويلان : أحدهما : في عيسى .

والثاني : في الحق .

{ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ : تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ } والذين دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المباهلة هم نصارى نجران . وفي قوله : { نَبْتَهِلْ } تأويلان :

أحدهما : معناه نلتعن .

والثاني : ندعو بهلاك الكاذب ، ومنه قول لبيد :

... ... نظر الدهر إليهم فابتهل

أي دعا عليهم بالهلاك .

فلما نزلت هذه الآية أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثم دعا النصارى إلى المباهلة ، فأحجموا عنها ، وقال بعضهم لبعض : إن باهلتموه اضطرم الوادي عليكم ناراً .

(235/1)

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (64)

قوله تعالى : { قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ } الآية وفي المقصود بذلك قولان :

أحدهما : أنهم نصارى نجران ، وهذا قول الحسن والسدي وابن زيد .

والثاني : انهم يهود المدينة ، وهذا قول قتادة ، والربيع ، وابن جريج .

{ وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ } فيه تأويلان :

أحدهما : هو طاعة الاتباع لرؤسائهم في أوامرهم بمعاصي الله ، وهذا قول ابن جريج .

والثاني : سجود بعضهم لبعض ، هذا قول عكرمة .

(236/1)

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (65) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (66) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (68)

قوله تعالى : { يَأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ } وسبب نزول هذه الآية أن اليهود والنصارى اجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتنازعوا في أمره فقالت اليهود : ما كان إلا يهودياً ، وقالت النصارى : ما إلا نصرانياً ، فنزلت هذه الآية تكذيباً للفريقين بما بيَّنه من نزول التوراة والإنجيل من بعده .

قوله تعالى : { هَأَنتُمْ هَؤُلآءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ } يعني ما وجدوه في كتبهم .

{ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ } يعني من شأن إبراهيم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ } يعني شأن إبراهيم .
{ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ } فالتمسوه من عِلَله .

(237/1)

وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (69) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (70) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (71) وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (72) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (73) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (74)

قوله تعالى : { يَأَهلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ } فيه ثلاثة تأويلات :
أحدها : وأنتم تشهدون بما يدل على صحتها من كتابكم الذي فيه البشارة بها ، وهذا قول قتادة ، والربيع ، والسدي .
والثاني : وأنتم تشهدون بمثلها من آيات الأنبياء التي تقرون بها .
والثالث : وأنتم تشهدون بما عليكم فيه الحجة .
قوله تعالى : { يَأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ } فيه تأويلان :
أحدهما : تحريف التوارة والإنجيل ، وهذا قول الحسن ، وابن زيد .
والثاني : الدعاء إلى إظهار الإسلام في أول النهار والرجوع عنه في آخره قصداً لتشكيك الناس فيه ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة .
والثالث : الإيمان بموسى وعيسى والكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم .
{ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ } يعني ما وجدوه عندهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ، والبشارة به في كتبهم عناداً من علمائهم .
{ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ } يعني الحق بما عرفتموه من كتبكم .
قوله تعالى : { وَلاَ تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ } فيه قولان :
أحدهما : معناه لا تصدقوا إلا لمن تبع دينكم .
والثاني : لا تعترفوا بالحق إلا لمن تبع دينكم .
واخْتُلِفَ في تأويل ذلك على قولين :
أحدهما : أنهم كافة اليهود ، قال ذلك بعضهم لبعض ، وهذا قول السدي ، وابن زيد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : أنهم يهود خيبر قالوا ذلك ليهود المدينة ، وهذا قول الحسن .

واختلف في سبب نهيهم أن يؤمنوا إلا لِمَنْ تَبِعَ دينهم على قولين :

أحدهما : أنهم نُهُوا عن ذلك لِئَلاً يكون طريقاً لعبدة الأوثان إلى تصديقه ، وهذا قول الزجاج .

والثاني : أنهم نُهُوا عن ذلك لِئَلاَّ يعترفوا به فيلزمهم العمل بدينه لإقرارهم بصحته .

{ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ } فيه قولان :

أحدهما : أن في الكلام حذفاً ، وتقديره : قل إن الهدى هدى الله ألاَّ يُؤْتَى أحدٌ مثل ما أوتيتم أيُّها المسلمون ، ثم حذف « لا » من الكلام لدليل الخطاب عليها مثل قوله تعالى : { يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا } [النساء : 176] أي لا تضلوا ، وهذا معنى قول السدى ، وابن جريج . والثاني : أن معنى الكلام : قل إن الهدى هدى الله فلا تجحدوا أن يُؤْتى أحد مثل ما أوتيتم .

{ أَوْ يُحَآجُّوكُم عِندَ رَبِّكُم } فيه قولان :

أحدهما : يعني ولا تؤمنوا أن يُحَاجّوكم عند ربكم لأنه لا حجة لهم ، وهذا قول الحسن ، وقتادة .

والثاني : إن معناه حتى يُحَاجُّوكم عند ربكم ، على طريق التبعيد ، كما يقال : لا تلقاه أو تقوم الساعة ، وهذا قول الكسائي ، والفراء .

قوله تعالى : { يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ } فيه قولان :

أحدهما : أنها النبوة ، وهو قول الحسن ، ومجاهد ، والربيع .

والثاني : القرآن والإسلام ، وهذا قول ابن جريج .

واختلفوا في النبوة هل تكون جزاءً على عمل ؟ على قولين :

أحدهما : أنها جزاء عن استحقاق .

والثاني : أنها تفضل لأنه قال : { يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ } .

(238/1)

وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75) بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (76)

قوله تعالى : { وَمِن أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيكَ } اختلفوا في دخول الباء على القنطار والدينار على قولين :

أحدهما : أنها دخلت لإلصاق الأمانة كما دخلت في قوله تعالى : { وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيتِ الْعَتِيقِ } [الحج : 29] .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : أنها بمعنى (على) وتقديره : ومن أهل الكتاب من إن تأمنه على قنطار .

{ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيهِ قَائِماً } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : إلا ما دمت عليه قائماً بالمطالبة والإقتضاء ، وهذا قول قتادة ، ومجاهد .

والثاني . بالملازمة .

والثالث : قائماً على رأسه ، وهو قول السدي .

{ ذَلِكَ بِأَنَّهُم قَالُوا : لَيسَ عَلَينَا فِي الأُمِّيينَ سَبِيلٌ } يعني في أموال العرب ، وفي سبب استباحتهم له قولان :

أحدهما : لأنهم مشركون من غير أهل الكتاب ، وهو قول قتادة ، والسدي .

والثاني : لأنهم تحولوا عن دينهم الذي عاملناهم عليه ، وهذا قول الحسن وابن جريج ، وقد روى سعيد بن جبير قال : لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَذَّبَ اللهُ أَعْدَاءَ اللهِ ، مَا مِن شَيءٍ كَانَ فِي الجَاهِلِيَّةِ إِلاَّ وَهُوَ تَحتَ قَدَمَيَّ إِلاَّ الأَمَانَةَ فَإِنَّها مُؤَدَّاةٌ إِلَى البَرِّ وَالفَاجِرِ » .

(239/1)

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (77)

قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيمَانِهِم ثَمَناً قَلِيلاً } وفي العهد قولان :

أحدهما : ما أوجب الله تعالى على الإنسان من طاعته وكَفَّه عن معصيته .

والثاني : ما في عقل الإنسان من الزجر عن الباطل والانقياد إلى الحق .

{ أُولَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُم فِي الآخِرَةِ } . وفي أصل الخلاق قولان :

أحدهما : أن أصله من الخَلق بفتح الخاء وهو النفس ، وتقدير الكلام لا نصيب لهم .

والثاني : أن أصله الخُلق بضم الخاء لأنه نصيب مما يوجبه الخُلُق الكريم .

{ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ } فيه قولان :

أحدهما : لا يكلمهم الله بما يسرهم ، لكن يكلمهم بما يسوءهم وقت الحساب لأنه قال : { ثُمَّ إِنَّ عَلَينَا حِسَابَهُم } .

والثاني : لا يكلمهم أصلاً ولكن يرد حسابهم إلى الملائكة .

{ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيهِم يَومَ القِيَامَةِ } فيه قولان :

أحدهما : لا يراهم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : لا يَمِنُ عليهم .

{ وَلاَ يُزَكِّيهِم } أي لا يقضي بزكاتهم .

واختلف أهل التفسير في سبب نزول هذه الآية على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في قوم من أحبار اليهود : أبي رافع وكنانة بن أبي الحقيق ، وكعب بن الأشرف ، وحيي بن أخطب كتبوا كتاباً بأيديهم ، ثم حلفوا أنه من عند الله فيما ادعوا به ليس عليهم في الأميين سبيل ، وهو قول الحسن ، وعكرمة .

والثاني : أنها نزلت في الأشعث وخصيم له تنازعاً في أرض ، فقام ليحلف ، فنزلت هذه الآية ، فنكل الأشعث واعترف بالحق .

والثالث : أنها نزلت في رجل حلف يميناً فاجرة في تنفيق سلعته في البيع ، وهذا قول عامر ، ومجاهد .

(240/1)

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (78) مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (79) وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (80)

قوله تعالى : { مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ : كُونُوا عِبَاداً لِّي مِن دُونِ اللَّهِ } سبب نزولها ما روى ابن عباس أن قوماً من اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : أتدعونا إلى عبادتك كما دعا المسيح النصارى ، فنزلت هذه الآية .

{ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : فقهاء علماء ، وهو قول مجاهد .

والثاني : حكماء أتقياء ، وهو قول سعيد بن جبير .

والثالث : أنهم الولاة الذين يربّون أمور الناس ، وهذا قول ابن زيد .

وفي أصل الرباني قولان :

أحدها : أنه الذي يربُّ أمور الناس بتدبيره ، وهو قول الشاعر :

وكنت امرءاً أفضت إليك ربابتي ... وقبلك ربتني - فضعت - ربوبُ

فسمي العالم ربّانياً لأنه بالعلم يدبر الأمور .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثاني : أنه مضاف إلى عالم الرب ، وهو علم الدين ، فقيل لصاحب العلم الذي أمر به الرب ربّاني .

(241/1)

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81) فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (82)

قوله تعالى : { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ } في الميثاق قولان :

أحدهما : أنه أخذ ميثاق النبيين أن يأخذوا على قومهم بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا قول علي ، وابن عباس ، وقتادة ، والسدي .

والثاني : أنه أخذ ميثاقهم ليؤمنن بالآخرة ، وهذا قول طاووس .

{ ثُمَّ جَآءَكُم رَسُولٌ } يعني محمداً صلى الله عليه وسلم .

{ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ } يعني من التوارة ، والإنجيل .

{ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُم وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي } والإصر : العهد ، وفيه تأويلان :

أحدهما : معناه : قبلتم على ذلك عهدي .

والثاني : أخذتم على المُتَّبِعِين لكم عهدي .

{ قَالُوا : أَقْرَرْنَا . قَالَ : فَاشْهَدُواْ } يعني على أممكم بذلك .

{ وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ } عليكم ، وعليهم .

(242/1)

أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (83) قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (84) وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (85)

قوله تعالى : { وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّموَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً } فيه ستة أقاويل :

أحدها : أن المؤمن أسلم طوعاً والكافر أسلم عند الموت كَرْهاً ، وهذا قول قتادة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثاني : أنه الإقرار بالعبودية وإن كان فيه من أشرك في العبادة ، وهذا قول مجاهد .
والثالث : أنه سجود المؤمن طائعاً وسجود ظل الكافر كرهاً ، وهو مروي عن مجاهد أيضاً .
والرابع : طوعاً بالرغبة والثواب . وكرهاً بالخوف من السيف ، وهو قول مطر .
والخامس : أن إسلام الكاره حين أخذ منه الميثاق فأقر به ، وهذا قول ابن عباس .
والسادس : معناه أنه أسلم بالانقياد والذلة ، وهو قول عامر الشعبي ، والزجاج .

(243/1)

كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (86) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (87) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (88) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (89) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (90) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (91)

قول الله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْراً لَن تُقْبَلَ تَوبَتُهُمْ } فيه أربعة تأويلات :
أحدها : أنهم اليهود كفروا بالمسيح ثم ازدادوا كفراً بمحمد لن تقبل توبتهم عند موتهم ، وهذا قول قتادة .
والثاني : أنهم أهل الكتاب لن تقبل توبتهم من ذنوب ارتكبوها مع الإقامة على كفرهم ، وهذا أبي العالية .
والثالث : أنهم قوم ارتدوا ثم عزموا على إظهار التوبة على طريق التورية ، فأطلع الله نبيهَّ وعلى سريرتهم ، وهذا قول ابن عباس .
والرابع : أنهم اليهود والنصارى كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد إيمانهم به قبل مبعثه ، ثم ازدادوا كفراً إلى حضور آجالهم ، وهذا قول الحسن .

(244/1)

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (92)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله تعالى : { لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّون } في البر ثلاثة تأويلات :

أحدهما : أن البر ثواب الله تعالى .

والثاني : أنه فعل الخير الذي يستحق به الثواب .

والثالث : أن البر الجنة ، وهو قول السدي .

وفي قوله تعالى : { حَتَّى تُنفِقُواْ } ثلاثة أقاويل :

أحدها : في الصدقات المفروضات ، وهو قول الحسن .

والثاني : في جميع الصدقات فرضاً وتطوعاً ، وهو قول ابن عمر .

والثالث : في سبيل الخير كلها من صدقة وغيرها .

وروى عمرو بن دينار قال : لما نزلت هذه الآية { لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ } جاء زيد بن حارثة بفرس له يقال لها (سَبَل) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : تَصَدَّقْ بهذه يا رسول الله ، فأعطاها ابنه أسامة ، فقال : يا رسول الله إنما أردت أن أتصدق بها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قَدْ قُبِلَتْ صَدَقَتُك

. »

(245/1)

كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (93) فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (94) قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (95)

{ كلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَآئِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَآئِيلُ عَلَى نَفْسِهِ } سبب نزول هذه الآية أن اليهود أنكروا تحليل النبي صلى الله عليه وسلم لحوم الإبل ، فأخبر الله تعالى بتحليلها لهم حين حرَّمها إسرائيل على نفسه ، لأنه لما أصابه وجع العرق الذي يقال له عرق النسا ، نذر تحريم العروق على نفسه ، وأحب الطعام إليه ، وكانت لحوم الإبل من أحب الطعام إليه .

واختلفوا في تحريم إسرائيل على نفسه هل كان بإذن الله تعالى أم لا _ على اختلافهم في اجتهاد الأنبياء ... على قولين :

أحدهما : لم يكن إلا بإذنه وهو قول من زعم أن ليس لنبي أن يجتهد .

والثاني : باجتهاده من غير إذن ، وهو قول من زعم أن للنبي أن يجتهد .

واختلفوا في تحريم اليهود ذلك على أنفسهم على قولين :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدهما : أنهم حرموه على أنفسهم اتباعاً لإسرائيل .

والثاني : أن التوراة نزلت بتحريمها فحرموها بعد نزولها ، والأول أصح .

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (96) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (97)

{ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً } لا اختلاف بين أهل التفسير أنه أول بيت وضع للعبادة ، وإنما اختلفوا هل كان أول بيت وضع لغيرها على قولين :

أحدهما : أنه قد كانت قَبْلَه بيوت كثيرة ، وهو قول الحسن .

والثاني : أنه لم يوضع قبله بيت ، وهذا قول مجاهد ، وقتادة .

وفي { بَكَّةَ } ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن بكة المسجد ، ومكة : الحرم كله ، وهذا قول ابن شهاب ، وضمرة بن ربيعة .

والثاني : أن بكة هي مكة ، وهو قول أبي عبيدة .

والثالث : أن بكة موضع البيت ، ومكة غيره في الموضع يريد القرية ، وروي ذلك عن مالك .

وفي المأخوذ منه بكة قولان :

أحدهما : أنه مأخوذ من الزحمة ، يقال تَبَاكّ القوم بعضهم بعضاً إذا ازدحموا ، فبكة مُزْدَحَمُ الناس للطواف .

والقول الثاني : أنها سميت بكة ، لأنها تَبُكُّ أعناق الجبابرة ، إذ ألحدواْ فيها بظلم لم يهملواْ .

وفي قوله : { مُبَارَكاً } تأويلان :

أحدهما : أن بركته ما يستحق من ثواب القصد إليه .

والثاني : أنه آمن لمن دخله حتى الوحش ، فيجتمع فيه الصيد والكلب . { فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ } الآية في مقام إبراهيم أثر قدميه وهو حجر صلد؟ والآية في غير المقام : أمن الخائف ، وهيبة البيت وامتناعه من العلو عليه ، وتعجيل العقوبة لمن عتا فيه ، وما كان في الجاهلية من أصحاب الفيل .

{ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً } معناه أنه عطَّف عليه قلوب العرب في الجاهلية فكان الجاني إذا دخله أمِنَ .

وأما في الإسلام ففيه قولان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : أنه من النار ، وهذا قول يحيى بن جعدة .

والثاني : من القتال بحظر الإيجال على داخليه ، وأما الحدود فتقام على من جنى فيه .

واختلفواْ في الجاني إذ دخله في إقامة الحد عليه فيه قولان :

أحدهما : تقام عليه ، وهو مذهب الشافعي .

والثاني : لا تقاوم حتى يُلجأ إلى الخروج منه ، وهو مذهب أبي حنيفة .

{ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيهِ سَبِيلاً } وفي الاستطاعة ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها بالمال ، وهي الزاد والراحلة ، وهو قول الشافعي .

والثاني : أنها بالبدن ، وهو قول مالك .

والثالث : أنها بالمال والبدن ، وهو قول أبي حنيفة .

{ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } وفيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني [من كفر] بفرض الحج فلم يره واجباً ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : هو لا يرى حَجَّهُ براً ولا تركه مأثماً ، وهو قول زيد بن أسلم . والثالث : اليهود ، لأنه لما نزل قوله تعالى : { وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنهُ } فقالواْ نحن مسلمون فأُمِرُوا بالحج فلم يحجوا ، فأنزل الله هذه الآية .

(247/1)

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ (98) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (99)

{ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ } فيه قولان :

أحدهما : أن صدهم عن سبيل ما كانوا عليه من الإغراء بين الأوس والخزرج حتى يتذكروا حروب الجاهلية فيتفرقوا ، وذلك من فعل اليهود خاصة ، وهو قول ابن زيد .

والثاني : أنه تكذيبهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وإنكارهم ثبوت صفته في كتبهم ، وذلك من فعل اليهود والنصارى ، وهذا قول الحسن .

{ تَبْغُونَهَا عِوَجاً } أي تطلبون العِوَجَ وهو بكسر العين العدول عن طرائق الحق ، والعَوَج بالفتح ميلُ منتصب من حائط أو قناة .

{ وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ } فيه قولان :

أحدهما : يعني عقلاء ، مثل قوله تعالى : { أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } [ق : 37] . والثاني : يعني شهوداً على ما كان من صَدّهم عن سبيل الله ، وقيل من عنادهم وكذبهم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(248/1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (100) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آَيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (101)

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا } يعني الأوس والخزرج .

{ إِن تُطِيعُوا فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ } يعني اليهود في إغرائهم بينكم .

{ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ } .

(249/1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (102) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آَيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (103)

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ } فيه أربع أقاويل :

أحدها : هو أن يُطَاع فلا يُعْصى ، ويُشْكَر فلا يكفر ويُذْكَر فلا يُنْسى ، وهو قول ابن مسعود ، والحسن ، وقتادة .

والثاني : هو اتقاء جميع المعاصي ، وهو قول بعض المتصوفين .

والثالث : هو أن يعترفواْ بالحق في الأمن والخوف .

والرابع : هو أن يُطَاع ، ولا يُتَّقى في ترك طاعته أحدٌ سواه .

واختلفواْ في نسخها على قولين :

أحدهما : هي محكمة ، وهو قول ابن عباس ، وطاووس .

والثاني : هي منسوخة بقوله تعالى : { فَاتَّقُواْ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُم } [التغابن : 16] وهو قول قتادة ، والربيع ، والسدي ، وابن زيد .

{ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً } فيه خمسة تأويلات :

أحدها : الحبل : كتاب الله تعالى ، وهو قول ابن مسعود ، وقتادة ، والسدي ، روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كِتَابُ اللهِ هُوَ حَبْلُ اللهِ المَمْدُودُ مِنَ السَّماءِ إِلَى

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الأَرْضِ

» . والثاني : أنه دين الله وهو الإسلام ، وهذا قول ابن زيد .

والثالث : أنه عهد الله ، وهو قول عطاء .

والرابع : هو الإخلاص لله والتوحيد ، وهو قول أبي العالية .

والخامس : هو الجماعة ، وهو مروي عن ابن مسعود .

وسُمَّي ذلك حبلاً لأن المُمْسِكَ به ينجو مثل المتمسك بالحبل ينجو من بئر أو غيرها .

{ وَلاَ تَفَرَّقُواْ } فيه قولان :

أحدهما : عن دين الله الذي أمر فيه بلزوم الجماعة ، وهذا قول ابن مسعود ، وقتادة .

والثاني : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

{ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ } وفيمن أريد بهذه الآية قولان :

أحدهما : أنهم مشركو العرب لِمَا كان بينهم من الصوائل ، وهذا قول الحسن .

والثاني : أنهم الأوس والخزرج لِمَا كان بينهم من الحروب في الجاهلية حتى تطاولت مائة وعشرين سنة إلى أن ألَّفَ الله بين قلوبهم بالإسلام فتركت تلك الأحقاد ، وهذا قول ابن إسحاق .

(250/1)

وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ
(104) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (105)
يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ
تَكْفُرُونَ (106) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (107) تِلْكَ آَيَاتُ اللَّهِ
نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ (108) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى
اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (109)

{ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ } يعني به يوم القيامة ، لأن الناس فيه بين مُثَابٌ بالجنة ومُعاقبٌ بالنار فوصِف وجه المُثَاب بالبياض لإسفاره بالسرور ، ووصف وجه المُعَاقَب بالسواد لإنكسافه بالحزن .

{ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُم تَكْفُرُونَ } وفي هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم أربعة أقاويل :

الأول : أنهم الذين كفرواْ بعد إظهار الإيمان بالنفاق ، وهو قول الحسن .

والثاني : أنهم الذين كفروا بالارتداد بعد إسلامهم ، وهو قول مجاهد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثالث : هم الذين كفروا من أهل الكتاب بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد إيمانهم بِنَعْتِهِ ووصفه ، وهو قول الزجاج .

والرابع : هم جميع الكفار لإعراضهم عما يوجبه الإقرار بالتوحيد حين أَشْهَدَهُم الله تعالى على أنفسهم { أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا } [الأعراف : 172] وهو قول أبي بن كعب .

(251/1)

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (110) لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (111) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (112)

{ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ } فإن قيل : فَلِمَ قال كنتم خير أمة ولم يقل أنتم خير أمة؟ ففيه أربعة أجوبة :

أحدها : أن الله تعالى قد كان قدم البشارة لهم بأنهم خير أمة ، فقال : { كُنْتُمْ } يعني إلى ما تقدم في البشارة ، وهذا قول الحسن البصري .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أَنتُم تُتِمُّونَ سَبْعِن أُمةً أَنْتُم خَيرُها وأَكْرمُها عَلَى اللهِ » . والثاني : أن ذلك لتأكيد الأمر لأن المتقدم مستصحب وليس الآنف متقدماً ، وذلك مثل قوله تعالى : { وكان الله غفوراً رحيماً } .

والثالث : معناه خلقهم خير أمّة .

والرابع : كنتم خير أمّة في اللوح المحفوظ .

(252/1)

لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (114) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (115) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (116) مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (117)

{ لَيْسُوا سَوَاءً ، مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَةٌ قَآئِمَةٌ } روي عن ابن عباس أن سبب نزولها أنه أسلم عبد الله ابن سلام وجماعة معه ، فقالت أحبار اليهود : ما آمن بمحمد إلاّ شرارنا ، فأنزل الله تعالى : { لَيسُوا سَوَاءً } إلى قوله : { وأولئك مِنَ الصَّالِحِينَ } .

{ أمةٌ قَائِمَةٌ } فيه ثلاث تأويلات :

أحدها : عادلة ، وهو قول الحسن ، وابن جريج .

والثاني : قائمة بطاعة الله ، وهو قول السدي .

والثالث : يعني ثابتة على أمر الله تعالى ، وهو قول ابن عباس ، وقتادة ، والربيع .

{ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللهِ ءَانآءَ اللَّيْلِ } فيه تأويلان :

أحدهما : ساعات الليل ، وهو قول الحسن ، والربيع .

والثاني : جوف الليل ، وهو قول السدي .

واختلف في المراد بالتلاوة في هذا الوقت على قولين :

أحدهما : صلاة العَتْمَة ، وهو قول عبد الله بن مسعود .

والثاني : صلاة المغرب والعشاء ، وهو قول الثوري .

{ وَهُمْ يَسْجُدُونَ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني سجود الصلاة .

والثاني : يريد الصلاة لأن القراءة لا تكون في السجود ولا في الركوع ، وهذا قول الزجاج ، والفراء .

والثالث : معناه يتلون آيات الله أناء الليل وهم مع ذلك يسجدون .

{ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ } اختلفواْ في سبب نزولها على قولين :

أحدهما : أنها نزلت في أبي سفيان وأصحابه يوم بدر عند تظاهرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والثاني : أنه نزلت في نفقة المنافقين مع المؤمنين في حرب المشركين على جهة النفاق .

وفي الصِّرِّ تأويلان :

أحدهما : هو البرد الشديد ، وهو قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، والسدي .

والثاني : أنه صوت لهب النار التي تكون في الريح ، وهو قول الزجاج ، وأصل الصّر صوت من الصرير .

{ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ } فيه تأويلان :

أحدهما : معناه أن ظلمهم اقتضى هلاك زرعهم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثاني : يعني أنهم ظلموا أنفسهم بأن زرعوا في غير موضع الزرع وفي غير وقته فجاءت ريح فأهلكته فضرب الله تعالى هذا مثلاً لهلاك نفقتهم .

(253/1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآَيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (118) هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (119) إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (120)

{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ } قيل إنها نزلت في قوم من المسلمين صافوا بعض المشركين من اليهود والمنافقين المودة لمصاحبة في الجاهلية فَنُهُوا عن ذلك .

والبطانة هم خاصة الرجل الذين يستبطنون أمره ، والأصل البطن ، ومنه بطانة الثوب لأنها تلي البطن .

{ لاَ يِأْلُونَكُمْ خَبَالاً } أي لا يقصرون في أمركم . والخبال : النَّكال ، وأصله الفساد ومنه الخبل الجنون .

{ وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ } فيه تأويلان :

أحدهما : ودوا إضلالكم عن دينكم ، وهو قول السدي .

والثاني : ودوا أن تعنتوا في دينكم أي تحملون على المشقة فيه ، وهو قول ابن جريج ، وأصل العنت المشقة .

{ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ } أي بدا منها ما يدل عليها .

{ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُم أَكْبَرُ } مما بدا .

(254/1)

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (121) إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (122) وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (123)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ } واختلفوا في أي مكان كان على قولين :

أحدهما : أنه كان يوم أُحد ، وهو قول ابن عباس ، والربيع ، وقتادة ، والسدي ، وابن اسحاق .

والثاني : أنه كان يوم الأحزاب ، وهو قول الحسن ، ومجاهد .

{ تُبَوِّىءُ } أي تتخد منزلاً تبوىء فيه المؤمنين . ومعنى الآية : أنك ترتب المؤمنين في مواضعهم .

{ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : سميع بما يقوله المنافقون ، عليم بما يضمرونه من التهديد .

والثاني : سميع لما يقوله المشيرون عليك ، عليم بما يضمرون من نصيح الرأي وغش القلوب .

والثالث : سميع لما يقوله المؤمنون عليم بما يضمرون من خلوص النية .

{ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنْكُمْ أَن تَفْشَلاَ } اختلف فيها على قولين :

أحدهما : أنهم بنو سلمة وبنو حارثة من الأنصار ، وهو قول ابن عباس ، وجابر بن عبد الله ، الحسن ، وقتادة .

والثاني : أنهم قوم من المهاجرين والأنصار .

وفي سبب همّهم بالفشل قولان :

أحدهما : أن عبد الله بن أبي سلول دعاهما إلى الرجوع عن لقاء المشركين يوم أحد ، فهمّا به ولم يفعلا ، وهذا قول السدي وابن جريج .

والثاني : أنهم اختلفوا في الخروج في الغدو والمقام حتى همّا بالفشل ، والفشل الجبن .

{ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ } وبدر ماءٌ نزلوا عليه كان لرجل يسمى بدر ، قال الزبير بن بكار هو بدر بن النضر بن كنانة فسمي باسم صاحبه ، وهذا قول الشعبي ، وقال غيره بل هو اسم له من غير إضافة إلى اسم صاحب .

{ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ } قولان :

أحدهما : الضعف عن مقاومة العدو .

والثاني : قلة العدد وضعف الحال .

قال ابن عباس : كان المهاجرين يوم بدر سبعة وسبعين رجلاً ، والأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلاً ، وكان المشركون ما بين تسعمائة وألف .

(255/1)

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ (124) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (125) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (126) لِيَقْطَعَ

This file was downloaded from QuranicThought.com

طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ (127) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (128) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (129)

{ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ } يعني يوم بدر .

{ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ ءَالآفٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ مُنزَلِينَ } والكفاية مقدار سد الخلة ، والاكتفاء الاقتصار عليه ، والإمداد إعطاء الشيء حالاً بعد حال ، والأصل في الإمداد هو الزيادة ومنه مد الماء وهو زيادته .

{ بَلَى إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَورِهِم هَذَا } فيه تأويلان :

أحدهما : يعني من وجههم هذا ، وهو قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة .

والثاني : من غضبهم هذا ، وهو قول مجاهد والضحاك وأبي صالح ، وأصل الفور فور القِدْر ، وهو غليانها عند شدة الحمى ، ومنه فَوْرُ الغضب لأنه كَفَوْرِ القِدْر .

{ يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالآفٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ مُسَوِّمِينَ } قرأ بكسر الواو ابن كثير ، وعاصم ، وأبو عمرو ، ومعناها : أنهم سوّموا خليهم بعلامة ، وقرأ الباقون بفتح الواو ، ومعناها : أنها سائمة وهي المرسلة في المرعى .

واختلفوا في التسويم على قولين :

أحدهما : أنه كان بالصوف في نواصي الخيل وآذانها ، وهو قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، ومجاهد ، والضحاك .

الثاني : أن الملائكة نزلت يوم بدر على خيل بلق وعليهم عمائم صفر ، وهو قول هشام بن عروة .

واختلفوْا في عددهم فقال الحسن : كانوْا خمسة آلاف ، وقال غيره كانوْا ثمانية آلاف .

قال ابن عباس لم يقاتل الملائكة إلا يوم بدر .

{ لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَروا } فيه قولان :

أحدهما : أنه كان يوم بدر بقتل صناديدهم وقادتهم إلى الكفر ، وهذا قول الحسن وقتادة .

والثاني : أنه كان يوم أحد ، كان الذي قتل منهم ثمانية عشر رجلاً ، وهذا قول السدي .

{ لِيَقْطَعَ طَرَفاً } ولم يقل وسطاً لأن الطرف أقرب للمؤمنين من الوسط ، فاختص القطع بما هو إليهم أقرب كما قال تعالى : { الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِّنَ الْكُفَّارِ } [التوبة : 123] { أَوْ يَكْبِتَهُم فَيَنقَلِبُوا خَآئِبِينَ } ، وفي { يَكْبِتَهُم } قولان :

أحدهما : يحزنهم ، وهو قول قتادة ، والربيع .

والثاني : الكبت : الصرع على الوجه ، وهو قول الخليل .

والفرق بين الخائب والآيس أن الخيبة لا تكون إلا بعد أمل ، واليأس قد يكون قبل أمل .

{ لَيسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيءٌ } فيه ثلاثة أقاويل :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدها : ليس لك من الأمر شيء في عقابهم واستصلاحهم ، وإنما ذلك إلى الله تعالى في أن يتوب عليهم أو يعذبهم .

والثاني : ليس لك من الأمر شيء فيما تريده وتفعله في أصحابك وفيهم ، وإنما ذلك إلى الله تعالى فيما يفعله من اللطف بهم في التوبة والاستصلاح أو في العذاب والانتقام .

والثالث : أنزلت على سبب لما كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم .

واختلفوا في السبب فيه على قولين :

أحدهما : أن قوماً قالوا بعد كسر رباعيته : كيف يفلح قوم نالوا هذا من نبيهم ، وهو حريص على هدايتهم فنزلت هذه الآية ، وهذا قول ابن عباس ، وأنس بن مالك ، والحسن وقتادة ، والربيع .

والثاني : أن النبي صلى الله عليه وسلم هَمَّ بعد ذلك بالدعاء فأستأذن فيه ، فنزلت هذه الآية فكف وإنما لم يؤذن فيه لما في المعلوم من توبة بعضهم .

(256/1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (130) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (131) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (132) وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (136)

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا } يريد بالأكل الأخذ ، والربا زيادة القدر مقابلة لزيادة الأجل ، وهو ربا الجاهلية المتعارف بينهم بالنساء .

{ أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً } وهو أن يقول له بعد حلول الأجل : إما أن تَقْضِيَ وإمَّا أَنْ تُرْبِيَ ، فإن لم يفعله ضاعف ذلك عليه ثم يفعل كذلك عند حلوله من بعد حتى تصير أضعافاً مضاعفة .

{ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ } فدل أن الربا من الكبائر التي يستحق عليها الوعيد بالنار .

واختلفوا في نار آكل الربا على قولين :

أحدهما : أنها كنار الكافرين من غير فرق تمسكاً بالظاهر .

والثاني : أنها ونار الفجار أخف من نار الكفار ، لما بينهما من تفاوت المعاصي .

{ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُم } أما الفاحشة ها هنا ففيها قولان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : الكبائر من المعاصي .

والثاني : الربا وهو قول جابر والسدي .

{ أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُم } قيل المراد به الصغائر من المعاصي .

{ ذَكَرُواْ اللهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِم } فيه قولان :

أحدهما : أنهم ذكروه بقلوبهم فلم ينسوه ، ليعينهم ذكره على التوبة والاستغفار .

والثاني : ذكروا الله قولاً بأن قالوا : اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، فإن الله قد سهل على هذه الأمة ما شدد على بني إسرائيل ، إذ كانوا إذا أذنب الواحد منهم أصبح مكتوباً على بابه من كفارة ذنبه : إجدع أنفك ، إجدع أذنك ونحو ذلك ، فجعل الاستغفار ، وهذا قول ابن مسعود وعطاء بن أبي رباح .

{ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُواْ } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أنه الإصرار على المعاصي ، وهو قول قتادة .

والثاني : أنه مواقعة المعصية إذا هم بها ، وهو قول الحسن .

والثالث : السكوت على المعصية وترك الاستغفار منها ، وهو قول السدي .

والرابع : أنه الذنب من غير توبة .

{ وَهُم يَعْلَمُونَ } أنهم قد أتوا معصية ولا ينسونها ، وقيل : معناه وهم يعلمون الجهة في أنها معصية .

(257/1)

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (138) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (139) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (140) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (141) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (142) وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (143)

{ قَد خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ } فيه قولان :

أحدهما : أنه سنن من الله في الأمم السالفة أهلكهم بها .

والثاني : يعني أنهم أهل سنن كانوا عليها في الخير والشر ، وهو قول الزجاج ، وأصل السنة الطريقة المتبعة في الخير والشر ، ومنه سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، قال لبيد بن ربيعة :

من معشر سنت لهم آباؤهم ... ولكل قوم سُنَّةٌ وإمامها

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقال سليمان بن فيد :

فإن الألى بالطف من آل هاشمٍ ... تآسَواْ فسنوا للكرام التآسيا

{ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ } فيه قولان :

أحدهما : أنه القرآن ، وهذا قول الحسن ، وقتادة .

والثاني : أنه ما تقدم ذكره في قوله تعالى : { قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ } الآية ، وهذا قول ابن إسحاق .

{ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ } نور وأدب .

{ إِن يَمْسَسْكُم قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ } يعني أن يصيبكم قرح ، قرأ أبو بكر عن عاصم ، وحمزة ، والكسائي بضم القاف ، وقرأ الباقون بفتحها ، وفيها قولان :

أحدهما : أنها لغتان ومعناهما واحد .

والثاني : أن القرح بالفتح : الجراح ، وبالضم ألم الجراح ، وهو قول الأكثرين .

وأما الفرق بيت المس واللمس فهو أن اللمس مباشرة بإحساس ، والمس مباشرة بغير إحساس ، وهذا ما ذكره الله تعالى للمؤمنين تسلية لهم فإن أصابهم يوم أحد قرح فقد أصاب المشركين يوم بدر مثله .

{ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُها بَينَ النَّاسِ } قال الحسن ، وقتادة : أي تكون مرة لفرقة ، ومرة عليها والدولة : الكرة ، يقال أدال الله فلاناً من فلان بأن جعل الكرة له عليه .

{ وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا } فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : معناه ليبتلي ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : يعني بالتمحيص تخليصه من الذنوب ، وهو قول أبي العباس والزجاج ، أصل التمحيص عندهما التخليص .

والثالث : معناه وليمحص الله ذنوب الذين آمنوا ، وهو قول الفراء { وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ } قال ابن عباس : ينقصهم .

{ وَلَقَدْ كُنتُم تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ } قيل تمنى الموت بالجهاد من لم يحضر بدراً ، فلما كان أحد أعراض كثير منهم فعاتبهم الله تعالى على ذلك ، هكذا قال الحسن وقتادة ومجاهد .

{ فَقَدْ رَأَيتُمُوهُ وَأَنتُم تَنظُرُونَ } فيه قولان :

أحدهما : يعني فقد علمتموه .

والثاني : فقد رأيتم أسبابه .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (144) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآَخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ (145) وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (146) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (147) فَآَتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآَخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (148)

{ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرَّسُلُ } .

سبب نزولها أنه لما أشيع يوم أحد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل ، قال أناس : لو كان نبياً ما قتل ، وقال آخرون : نقاتل على ما قاتل عليه حتى نلحق به .

{ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ } يعني رجعتم كفاراً بعد إيمانكم .

{ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْدُّنيا نُؤْتِهِ مِنهَا } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : من أراد بجهاده ثواب الدنيا أي ما يصيبه من الغنيمة ، وهذا قول بعض البصريين .

والثاني : من عمل للدنيا لم نحرمه ما قسمنا له فيها من غير حظ في الآخرة ، وهذا قول ابن إسحاق .

والثالث : من أراد ثواب الدنيا بالنهوض لها بعمل النوافل مع مواقعة الكبائر جوزي عليها في الدنيا دون الآخرة .

{ وَكَأَيِّن مِن نَّبِيٍ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ } قرأ بذلك ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وقرأ الباقون { قَاتَلَ } ، وفي { رِبِّيُّونَ } أربعة أقاويل :

أحدها : أنهم الذين يعبدون الرب وأحدهم رِبّيٌّ ، وهو قول بعض نحْويي البصرة .

الثاني : انهم الجماعات الكثيرة ، وهو قول ابن مسعود وعكرمة ومجاهد .

والثالث : انهم العلماء الكثيرون ، وهو قول ابن عباس ، والحسن .

والرابع : أن (الربيون) الأتباع . والربانيون : الولاة ، والربيون الرعية ، وهو قول أبي زيد ، قال الحسن : ما قُتِلَ نبي قط إلاَّ في معركة .

{ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُواْ } الوهن : الانكسار بالخوف . الضعف نقصان القوة ، الاستكانة الخضوع ، ومعناه فلم يهنوا بالخوف ، ولا ضعفوا بنقصان القوة ولا استكانوا بالخضوع .

وقال ابن إسحاق : فما وهنوا بقتل نبيهم ولا ضعفوا عن عدوهم ولا استكانواْ لما أصابهم .

{ فَآتَاهُم اللهُ ثَوَابَ الدُّنيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ } في ثواب الدنيا قولان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدهما : النصر على عدوهم ، وهو قول قتادة ، والربيع .

والثاني : الغنيمة ، وهو قول ابن جريج { وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ } الجنة ، في قول الجميع .

(259/1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (149) بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (150) سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ (151) وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآَخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (152) إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (153)

{ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ } أي تقتلونهم في قول الجميع ، يقال حَسه حَسّاً إذا قتله ، لنه أبطل بمعونته .

{ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ } والفرق بين الإصعاد والصعود أن الإصعاد في مستوى الأرض ، والصعود في ارتفاع ، وهذا قول الفراء ، وأبي العباس ، والزجاج ، وروي عن ابن عباس أنهم صعدوا في جبل أُحُد فراراً .

{ وَالرَّسُوْلُ يَدْعُوكُم فِي أُخْرَاكُمْ } قيل إنه كان يقول : « يَا عِبَادَ اللهِ ارْجِعُواْ » ذكر ذلك عن ابن عباس ، والسدي ، والربيع .

{ فَأَثَابَكُم غَماً بِغَمٍّ } فيه قولان :

أحدهما : غماً على غم .

والثاني : غمّاً مع غم .

وفي الغم الأول والثاني تأويلان :

أحدهما : أن الغم الأول القتل والجراح ، والغم الثاني الإرجاف بقتل النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا قول قتادة ، والربيع .

والثاني : غماً يوم أحد بغم يوم بدر ، وهو قول الحسن .

(260/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (154) إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (155)

{ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيكُم مِنْ بَعدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ ، وطَآئِفَةً قَدْ أَهَمَّتُهُمْ أَنفُسُهُمْ } وسبب ذلك أن المشركين يوم أُحد توعدوا المؤمنين بالرجوع ، فكان من أخذته الأَمَنَةُ من المؤمنين متأهبين للقتال ، وهم أبو طلحة ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام ، وغيرهم فناموا حتى أخذتهم الأَمَنَةُ . { وطآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفسُهُمْ } من الخوف وهم من المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول ، ومعتب بن قشير ، ومن معهما أخذهم الخوف فلم يناموا لسوء الظن .

{ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ } يعني في التكذيب بوعده .

{ يَقُولُونَ لَو كَانَ لَنَا مِنَ الأَمرِ شَيءٌ ما قُتِلْنَا هَا هُنَا } فيه قولان :

أحدهما : أناّ أخرجنا كرهاً ولو كان الأمر إلينا ما خرجنا ، وهذا قول الحسن .

والثاني : أي ليس لنا من الظفر شيء ، كما وعدنا ، على جهة التكذيب لذلك .

{ قُلْ لَّو كُنتُم فِي بُيُوتِكُم لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِم } فيه قولان :

أحدهما : يعني لو تخلفتم لخرج منكم المؤمنون ولم يتخلفوا بتخلفكم .

والثاني : لو تخلفتم لخرج منكم الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ، ولم ينجهم قعودهم .

{ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُم } فيه تأويلان :

أحدهما : ليعاملكم معاملة المبتلى المختبر .

والثاني : معناه ليبتلي أولياء الله ما في صدوركم فأضاف الابتلاء إليه تفخيماً لشأنه .

{ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّواْ مِنكُم يَومَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ } فيهم تأويلان :

أحدهما : هم كل من ولّى الدبر من المشركين بأحد وهذا قول عمر ، وقتادة ، والربيع .

والثاني : أنهم من هرب إلى المدينة وقت الهزيمة ، وهذا قول السدي .

{ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا } فيه قولان :

أحدهما : أنه محبتهم للغنيمة وحرصهم على الحياة .

والثاني : استذلَّهم بذكر خطايا سلفت لهم ، وكرهوا القتل قبل إخلاص التوبة منها والخروج من المظلمة فيها ، وهذا قول الزجاج .

{ وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنهُم } فيه قولان :

أحدهما : حلم عنهم إذ لم يعاجلهم بالعقوبة ، وهذا قول ابن جريج وابن زيد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثاني : غفر لهم الخطيئة ليدل على أنهم قد أخلصوا التوبة .
وقيل : إن الذين بقوا مع النبي صلى الله عليه وسلم لم ينهزموا ثلاثة عشر رجلاً ، منهم خمسة من المهاجرين : أبو بكر ، وعلي ، وطلحة ، وعبد الرحمن ، وعبد الرحمن ، وسعد بن أبي وقاص ، والباقون من الأنصار .

(261/1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (156) وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (157) وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (158) فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159) إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (160) وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (161) أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (162) هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (163) لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (164)

{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُم } يعني فبرحمة من الله ، و { مَا } صلة دخلت لحسن النظم .
{ وَلَو كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ } الفظ : الجافي ، والغليظ القلب : القاسي ، وجمع بين الصفتين ، وإن كان معناهما واحداً للتأكيد .
{ فَاعْفُ عَنهُم وَاسْتَغْفِرْ لَهُم وَشَاوِرْهُم فِي الأَمْرِ } وفي أمره بالمشاورة أربعة أقاويل :
أحدها : أنه أمره بمشاورتهم في الحرب ليستقر له الرأي الصحيح فيه ، قال الحسن : ما شاور قوم قط إلا هُدُوا لأرشد أمورهم .
والثاني : أنه أمره بِمشاورتهم تأليفاً لهم وتطيباً لأنفسهم ، وهذا قول قتادة ، والربيع .
والثالث : أنه أمره بمشاورتهم لِمَا علم فيها من الفضل ، ولتتأسى أمته بذلك بعده صلى الله عليه وسلم ، وهذا قول الضحاك .
والرابع : أنه أمره بمشاورتهم ليستن به المسلمون ويتبعه فيها المؤمنون وإن كان عن مشورتهم غنياً ، وهذا قول سفيان .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ } قرأ ابن كثير ، وعاصم ، وأبو عمرو بفتح الياء وضم العين ، وقرأ الباقون يغل بضم الياء وفتح الغين .

ففي تأويل من قرأ بفتح الياء وضم الغين ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر ، فقال بعض الناس أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانزل الله تعالى هذه الآية ، وهذا قول عكرمة ، وسعيد بن جبير .

والثاني : أنها نزلت في طلائع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجههم في وجه ، ثم غنم الرسول فلم يقسم للطلائع فأنزل الله تعالى : { وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ } أي يقسم لطائفة من المسلمين ويترك طائفة ويجور في القسم ، وهذا قول ابن عباس ، والضحاك .

والثالث : أن معناه وما كان لنبي أن يكتم الناس ما بعثه الله إليهم لرهبة منه ولا رغبة فيهم ، وهذا قول ابن إسحاق .

وأما قراءة من قرأ يُغَل بضم الياء وفتح الغين ففيها قولان :

أحدهما : يعني وما كان لنبي أن يتهمه أصحابه ويخوِّنوه .

والثاني : معناه وما كان لنبي أن يغل أصحابه ويخونهم ، وهذا قول الحسن ، وقتادة . وأصل الغلول الغلل وهو دخول الماء في خلال الشجر ، فسميت الخيانة غلولاً لأنها تجري في المال على خفاء كجري الماء ، ومنه الغل الحقد لأنه العداوة تجري في النفس مجرى الغلل .

{ لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِن أَنْفُسِهِمْ } وفي وجه المنة بذلك ثلاثة أقاويل :

أحدها : ليكون ذلك شرفاً لهم .

والثاني : ليسهل عليهم تعلم الحكمة منه لأنه بلسانهم .

والثالث : ليظهر لهم علم أحواله من الصدق والأمانة والعفة والطهارة .

{ يَتْلُو عَلَيهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ } فيه ثلاث تأويلات :

أحدها : أنه يشهد لهم بأنهم أزكياء في الدين .

والثاني : أن يدعوهم إلى ما يكونون به أزكياء .

والثالث : أنه يأخذ منهم الزكاة التي يطهرهم بها ، وهو قول الفراء .

(262/1)

أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (165) وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (166) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (167) الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (168)

{ أَوَ لَمَّآ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا } يعني بالمصيبة التي أصابتهم يوم أحد ، وبالتي أصابوها يوم بدر .

{ قُلْتُمْ : أَنَّى هَذَا ، قُلْ : هُوَ مِن عِنْدِ أَنفُسِكُمْ } في الذي هو من عند أنفسهم ثلاثة أقاويل :

أحدها : خلافهم في الخروج من المدينة للقتال يوم أحد ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يتحصنواْ بها ، وهذا قول قتادة ، والربيع .

والثاني : اختيارهم الفداء من السبعين يوم بدر على القتل ، وقد قيل لهم إن فعلتم ذلك قُتِلَ منكم مثلُهم ، وهذا قول علي ، وعبيدة السلماني .

والثالث : خلاف الرماة يوم أحد لأمر النبي صلى الله عليه وسلم في ملازمة موضعهم .

{ وَمَا أَصَابَكُمْ يَومَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ ولِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ } فيه قولان :

أحدهما : ليرى المؤمنين .

والثاني : ليُمَيِّزُوا من المنافقين .

{ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ } يعني عبد الله بن أُبَيّ وأصحابه .

{ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوا قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ } يعني جاهدواْ .

{ أَوِ ادْفَعُوا } فيه قولان :

أحدهما : يعني تكثير السواد وإن لم يقاتلواْ وهو قول السدي وابن جريج .

والثاني : معناه رابطواْ على الخيل إن لم تقاتلواْ ، وهو قول ابن عوف الأنصاري .

{ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لأَّتَّبَعْنَاكُمْ } قيل إن عبد الله بن عمرو ابن حزام قال لهم : [اتقوا الله ولا تتركوا نبيكم فقال له ابن أبي] : عَلاَمَ نقتل أنفسنا؟ ارجعواْ بنا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم .

{ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنهُمْ لِلإِيمَانِ } لأنهم بإظهار الإيمان لا يحكم عليهم بحكم الكفار ، وقد كانوا قبل ذلك بإظهار الإيمان أقرب إلى الإيمان ، ثم صاروا بما فعلوه أقرب إلى الكفر من الإيمان .

{ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ } يعني ما يظهرونه من الإسلام وليس في قلوبهم منه شيء .

وإنما قال : { يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم } وإن كان القول لا يكون إلا به لأمرين :

أحدهما : التأكيد .

والثاني : أنه ربما نسب القول إلى الساكت مجازاً إذ كان به راضياً .

{ الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِم وَقَعَدُواْ : لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ } يعني عبد الله بن أُبَيّ وأصحابه حين انخذلوا وقعدوا ، وكانوا نحو ثلثمائة وتخلف عنهم من قُتل منهم (فقالواْ) لو أطاعونا وقعدواْ معنا ما قُتِلواْ .

{ قُلْ فَادْرَؤُواْ عَن أَنفُسِكُم الْمَوتَ } أي ادفعواْ عن أنفسكم الموت ، ومنه قول الشاعر :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

تقول وقد درأتُ لها وضيني ... أهذا دينه أبداً وديني

{ إِن كُنتُم صَادِقِينَ } فيه قولان :

أحدهما : يعني في خبركم أنهم لو أطاعواْ ما قُتِلواْ .

والثاني : معناه إن كنتم محقين في تثبيطكم عن الجهاد فراراً من القتل .

(263/1)

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (170) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (171) الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (172) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (175)

{ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَآءٌ } يعني أنهم في الحال وبعد القتل بهذه الصفة ، فأما في الجنة فحالهم في ذلك معلومة عند كافة المؤمنين ، وليس يمتنع إحياؤهم في الحكمة . وقد روى ابن مسعود وجابر وابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُم بِأُحدٍ جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُم فِي حَواصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهارَ الجَنَّةِ وَتَأْكُلُ مِن ثِمَارِها » . وفي { أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ } تأويلان :

أحدهما : أنهم بحيث لا يملك لهم أحد نفعاً ولا ضراً إلا ربُّهُم .

والثاني : انهم أحياء عند ربهم من حيث يعلم أنهم أحياء دون الناس .

{ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِنْ خَلْفِهِمْ } فيه قولان :

أحدهما : يقولون : إخواننا يقتلون كما قتلنا فيصيبون من كرامة الله ما أصبنا ، وهو قول قتادة ، وابن جريج .

والثاني : أنه يؤتى الشهيد بكتاب فيه ذكر من يقدم عليه من إخوانه فيبشر بذلك فيستبشر كما يستبشر أهل الغائب في الدنيا بقدومه ، وهذا قول السدي .

{ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوهُم } أما الناس في الموضعين وإن كان بلفظ الجمع فهو واحد لأنه تقدير الكلام جاء القول من قِبَل الناس ، والذين قال لهم الناس هم المسلمون وفي الناس القائل قولان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدهما : هو أعرابي جُعِل له على ذلك جُعْل ، وهذا قول السدي .

والثاني : هو نعيم بن مسعود الأشجعي ، وهذا قول الواقدي .

والناس الثاني أبو سفيان وأصحابه . واختلفوا في الوقت الذي أراد أبو سفيان أن يجمع لهم هذا الجمع على قولين :

أحدهما : بعد رجوعه على أُحُد سنة ثلاث حتى أوقع الله في قلوب المشركين الرعب كفّوا ، وهذا قول ابن عباس ، وابن إسحاق ، وقتادة .

والثاني : أن ذلك في بدر الصغرى سنة أربع بعد أحد بسنه ، وهذا قول مجاهد .

{ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ } التخويف من الشيطان والقول من الناس ، وفي تخويف أولياءئه قولان :

أحدهما : أنه يخوف المؤمنين من أوليائه المشركين ، وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة .

والثاني : أنه يخوف أولياءَه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين ، وهذا قول الحسن ، والسدي .

(264/1)

وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (176) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (177) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (178) مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (179) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (180)

{ وَلاَ يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ } فيهم قولان :

أحدهما : هم المنافقون وهو قول مجاهد وابن إسحاق .

والثاني : قوم من العرب ارتدوا عن الإسلام .

{ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللهَ شَيْئاً ، يُرِيدُ اللهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الآخِرَةِ } في إرادته لذلك ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن يحكم بذلك .

والثاني : معناه أنه سيريد في الآخرة أن يحرمهم ثوابهم لإحباط إيمانهم بكفرهم .

والثالث : يريد أن يحبط أعمالهم بما استحقوه من ذنوبهم ، وهذا قول ابن إسحاق .

{ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ } الطيب المؤمنون ،

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والخبيث فيه ها هنا قولان :

أحدهما المنافق ، وهو قول مجاهد .

والثاني : الكافر ، وهو قول قتادة ، والسدي .

واختلفوا في الذي وقع به التمييز على قولين :

أحدهما : بتكليف الجهاد ، وهذا قول من تأوّل الخبيث بالمنافق .

والثاني : بالدلائل التي يستدل بها عليهم وهذا قول من تأوله للكافر .

{ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيبِ } قيل إن سبب نزول هذا أن قوماً من المشركين قالوا : إن كان محمد صادقاً فليخبرنا من يؤمن ومن لا يؤمن ، فنزلت هذه الآية .

قال السدي : ما أطلع الله نبيه على الغيب ، ولكنه اجتباه فجعله رسولاً .

قوله تعالى : { وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا ءَآتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيرُ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُم } فيه قولان .

أحدهما : أنهم مانعو الزكاة ، وهو قول السدي .

والثاني : أنهم أهل الكتاب وبخلواْ أن يُبيِّنوا للناس ما في كتبهم من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو قول ابن عباس ، قال ألم تسمع أنه قال : { يبخلون ويأمرون الناس بالبخل } ، أي يكتمون ويأمرون الناس بالكتمان .

{ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَومَ الْقِيَامَةِ } فيه قولان :

أحدهما : أن الذي يطوّقونه شجاع أقرع ، وهذا قول ابن مسعود .

والثاني : أنه طوق من النار ، وهذا قول إبراهيم .

(265/1)

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (181) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (182) الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (183) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (184) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (185) لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (186)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله تعالى : { لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذىً كَثِيراً } . وفي هذا الأذى ثلاثة أقاويل :

أحدها : ما روي أن كعب بن الأشرف كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ويحرض عليهم المشركين حتى قتله محمد بن مسلمة ، وهذا قول الزهري .

والثاني : أن فنحاص اليهودي سيد بني قينقاع لما سئل الإمداد قال : احتاج ربكم إلى أن نمده ، وهذا قول عكرمة .

والثالث : أن الأذى ما كانوا يسمعونه من الشرك كقول اليهود : عزيز ابن الله ، وكقول النصارى : المسيح ابن الله وهذا قول ابن جريج .

(266/1)

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (187) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (188) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (189)

قوله تعالى : { وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ } الميثاق : اليمين . وفي الذين أتوا الكتاب هاهنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم اليهود خاصة ، وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي .

والثاني : أنهم اليهود والنصارى .

والثالث : انهم كل من أوتى علم شيءٍ من كتاب فقد أخذ أنبياؤهم ميثاقهم . { لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ } فيه قولان :

أحدهما : ليبين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا قول سعيد بن جبير ، والسدي .

والثاني : ليبين الكتاب الذي فيه ذكره ، وهذا قول الحسن ، وقتادة .

قوله تعالى : { لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوْاْ وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا } فيهم قولان :

أحدهما : أنهم أهل الكتاب فرحوا بالاجتماع على تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم وإخفاء أمره ، وأحبواْ أن يحمدواْ بما ليس فيهم من أنهم أهل نسك وعلم ، وهذا قول ابن عباس ، والضحاك .

والثاني : أنهم أهل النفاق فرحوا بقعودهم عن القتال وأحبواْ أن يحمدوا بما ليس فيهم من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا قول أبي سعيد الخدري ، وابن زيد .

(267/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (192) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (193) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (194)

قوله تعالى : { رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَن ءَامِنُوا بِرِبِّكُمْ فَآمَنّا } في المنادي قولان :

أحدهما : أنه القرآن وهو قول محمد بن كعب القرظي قال : ليس كل الناس سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والثاني : انه النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو قول ابن جريج وابن زيد .

{ يُنَادِي لِلإِيمَانِ } أي إلى الإيمان ، كقوله تعالى : { الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا } [الأعراف : 43] بمعنى إلى هذا . ومنه قول الراجز :

أوحى لها القرار فاستقرت ... وشدها بالراسيات الثُّبّتِ

يعني أوحى إليها كما قال تعالى : { بِأَنَّ ربكَ أوحى لها } [الزلزلة : 5] أي إليها .

قوله تعالى : { رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ } فإن قيل فقد علمواْ أن الله تعالى منجز وعده فما معنى هذا الدعاء والطلب ، ففي ذلك أربعة أجوبة :

أحدها : أن المقصود به ، مع العلم بإنجاز وعده ، الخضوع له بالدعاء والطلب .

والثاني : أن ذلك يدعو إلى التمسك بالعمل الصالح .

والثالث : معناه أجعلنا ممن وعدته ثوابك .

والرابع : يعني عّجل إلينا إنجاز وعدك وتقديم نصرك .

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (195)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله تعالى : { فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى } حكى مجاهد ، وعمرو بن دينار أن سبب نزول هذه الآية أم سلمة قالت : يا رسول الله ما بال الرجال يذكرون في الهجرة دون النساء ؟ فنزلت هذه الآية .

{ بَعْضُكُم مِن بَعْضٍ } أي الإناث من الذكور ، والذكور من الإناث .

(269/1)

لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (196) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (197) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (198)

قوله تعالى : { لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِ } فإن قيل : فإن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه الاغترار فكيف خوطب بهذا ، فعنه جوابان :

أحدهما : أن الله عز وجل إنما قال له ذلك تأديباً وتحذيراً .

والثاني : أنه خطاب لكل من سمعه ، فكأنه قال : لا يغرنك أيها السامع تقلب الذين كفروا في البلاد .

وفي تقلبهم قولان :

أحدهما : يعني تقلبهم في نعيم البلاد .

والثاني : تقلبهم غير مأخوذين بذنوبهم .

(270/1)

وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (199) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (200)

قوله تعالى : { وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ } اختلفوا في سبب نزولها على قولين :

أحدهما : أنها نزلت في النجاشي ، روى سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أُخْرُجُوا فَصَلُّواْ عَلَى أخٍ لَكُم فَصلَّى بِنَا أَرْبَعَ تَكْبِيراتٍ ، فَقَالَ هَذَا النَجَّاشِيُّ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
أصحمة » فَقَالَ المْنَافِقُونَ : انظرواْ إلى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وهو قول قتادة .

والثاني : أنها نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من مُسلمة أهل الكتاب ، وهذا قول مجاهد ، وابن جريج .

قوله تعالى : { يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ أَصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُوا } فيه أربعة تأويلات : -

أحدها : اصبرواْ على طاعة الله ، وصابرواْ أعداء الله ، ورابطواْ في سبيل الله ، وهو قول الحسن ، وقتادة ، وابن جريج ، والضحاك .

والثاني : اصبرواْ على دينكم ، وصابرواْ الوعد الذي وعدكم ، ورابطواْ عدوي وعدوكم ، وهو قول محمد بن كعب .

والثالث : اصبرواْ على الجهاد ، وصابرواْ العدو ، ورابطواْ بملازمة الثغر ، وهو مأخوذ من ربط النفس ، ومنه قولهم ربط الله على قلبه بالصبر ، وهو معنى قول زيد بن أسلم .

والرابع : رابطوا على الصلوات بانتظارها واحدة بعد واحدة : روى العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَلاَ أَدُلُّكُم عَلَى مَا يَحِطُّ بِه اللهُ الخَطَايَا ويَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُواْ بَلَى يَا رَسُولَ الله ، قَالَ : إِسْبَاغ الْوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلىَ المَسَاجِدِ وَانتِظار الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاةِ ، فَذَلِكُمُ الرِّباط

» .

(271/1)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (1)

قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُم الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ } يعني آدم ، وفي ذلك نعمة عليكم لأنه أقرب إلى التعاطف بينكم .

{ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا } يعني حواء ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن خلقت من ضلع آدم ، وقيل الأيسر ، ولذلك قيل للمرأة : ضلع أعوج .

{ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثيراً وَنِسَاءً } روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عند نزولها عليه : « خُلِقَتِ الْمَرْأَةُ مِنَ الرَّجُلِ فَهَمَّهَا فِي الرَّجُلُ مِنَ التَّرَابِ فَهَمُّهُ فِي التُّرابِ

» . { وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ والأَرْحَامَ } ومعنى قوله تساءلون به ، هو قولهم أسألك بالله وبالرحم ، وهذا قول مجاهد وإبراهيم ، وقرأ حمزة والأرحام بالكسر على هذا المعنى .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وفي الأرحام قولٌ آخر : أنه أراد صِلُوها ولا تقطعوها ، وهو قول قتادة ، والسدي ، لأن الله تعالى قصد بأول السورة حين أخبرهم أنهم من نفس واحدة أن يتواصلواْ ويعلمواْ أنهم إخوة وإن بعدواْ .

{ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً } فيه تأويلان :

أحدهما : حفيظاً ، وهو قول مجاهد .

والثاني : عليماً ، وهو قول ابن زيد .

(272/1)

وَآَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (2) وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا (3) وَآَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا (4)

قوله تعالى : { وَءَاتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُم وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : الحرام بالحلال ، وهو قول مجاهد .

والثاني : هو أن يجعل الزائف بدل الجيد ، والمهزول بدل السمين ويقول درهم بدرهم ، وشاة بشاة ، وهو ابن المسيب والزهري والضحاك والسدي .

والثالث : هو استعجال أكل الحرام قبل إتيان الحلال ، وهو معنى قول مجاهد .

والرابع : أن أهل الجاهلية كانواْ لا يورثون الصغار والنساء ويأخذه الرجل الأكبر ، فكان يستبدل الخبيث بالطيب لأن نصيبه من الميراث طيب ، وأخذه الكل خبيث ، وهو قول ابن زيد .

{ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ } أي مع أموالكم ، وهو أن يخلطوها بأموالهم لتصير في ذمتهم فيأكلوا ربحها .

{ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً } والحُوب : الإثم ، ومنه قولهم تحوّب فلانٌ من كذا ، إذا توقى ، قال الشاعر :

فإن مهاجرين تكنفاهُ ... غداة إذٍ لقد خطئنا وحَابَا

قال الحسن البصري : لما نزلت هذه الآية في أموال اليتامى كرهوا أن يخالطوهم وجعل ولي اليتيم يعزل ماله عن ماله فشكواْ ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى : { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُم فَإِخْوَانُكُم } [البقرة : 220] أي فخالطوهم واتقوا إثمه .

{ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَآءِ } فيه أربع تأويلات :

أحدها : يعني إن خفتم ألا تعدلواْ في نكاح اليتامى ، فانكحوا ما حَلَّ لكم من غيرهن من النساء ،

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
وهو قول عائشة رضي الله عنها .
والثاني : أنهم كانواْ يخافون ألاّ يعدلوا في أموال اليتامى ، ولا يخافون أن لا يعدلواْ في النساء ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، يريد كما خفتم ألاّ تعدلواْ في أموال اليتامى ، فهكذا خافوا ألا تعدلوا في النساء ، وهذا قول سعيد بن جبير ، والسدي ، وقتادة .
والثالث : أنهم كانوا يتوقَّون أموال اليتامى ولا يتوقَّون الزنى ، فقال كما خفتم في أموال اليتامى ، فخافواْ الزنى ، وانحكوا ما طاب لكم من النساء ، وهذا قول مجاهد .
والرابع : إن سبب نزولها ، أن قريشاً في الجاهلية كانت تكثر التزويج بغير عدد محصور ، فإذا كثر على الواحد منهم مؤن زوجاته ، وقَلَّ مالُه ، مدّ يده إلى ما عنده من أموال الأيتام ، فأنزل الله تعالى : { وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ } .
وفي قوله تعالى : { مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ } قولان :
أحدهما : أن ذلك عائد إلى النساء وتقديره فانحكوا من النساء ما حلَّ . وهذا قول الفراء .
والثاني : أن ذلك عائد إلى النكاح وتقديره فانحكوا النساء نكاحاً طيباً . وهذا قول مجاهد .

(273/1)

{ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ } تقديراً لعددهن وحصراً لمن أبيح نكاحه منهن وهذا قول عكرمة .
{ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ } معدول به عن اثنين وثلاث وأربع ، وكذلك أُحاد وموحد ، وثناء ومثنى ، وثلاث ومثلث ، ورباع ومربع ، وهو اسم للعدد معرفة ، وقد جاء الشعر بمثل ذلك ، قال تميم بن أبي مقبل :
ترى العثرات الزُّرْق تحت لَبَانِه ... أُحاد ومثْنى أضعفتها كواهِله
وقال آخر :
قتلنا به من بين مَثْنى وموحد ... بأربعة منكم وآخر خامس
قال أبو عبيدة : ولم يسمع من العرب صرف ما جاوز الرباع والمربع عن جهته إلا في بيت للكميت ، فإنه قال في العشرة عُشار وهو قوله :
فلم يَسْتَرِيثُوكَ حتى رَمِدْ ... ت فوق الرجال خِصالاً عشاراً
وقال أبو حاتم : بل قد جاء في كلامهم من الواحد إلى العشرة ، وأنشد قول الشاعر :
ضربت خماس ضربة عبشمي ... أدار سداس ألاَّ يستقيما
{ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا } يعني في الأربع ، { فَوَاحِدَةً } يعني من النساء .
{ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ } يعني في الإماء .
{ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ } فيه ثلاثة أقاويل :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدها : أَلاَّ يكثر مَنْ تعولون ، وهو قول الشافعي .

والثاني : معناه ألاّ تضلواْ ، وهو قول ابن إسحاق ، ورواه عن مجاهد .

والثالث : ألا تميلوا عن الحق وتجوروا وهو قول ابن عباس ، وقتادة ، وعكرمة .

وأصل العول الخروج عن الحد ومنه عول الفرائض لخروجها عن حد السهام المسمّاة ، وأنشد عكرمة بيتاً لأبي طالب :

بميزان قسط لا يَخيسُ شعيرةً ... ووازن صِدْقٍ وزنهُ غير عائل

أي غير مائل .

وكتب عثمان بن عفان إلى أهل الكوفة في شيء عاتبوه فيه : إني لست بميزان قسطٍ لا أعول .

قوله تعالى : { وءَآتُواْ النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ . . . } اختلف فِيمَنْ توجَّه إليه هذا الخطاب على قولين :

أحدهما : أنه متوجه إلى الأزواج ، وهو قول الأكثرين .

والثاني : أنه متوجه إلى الأولياء ، لأنهم كانواْ يتملكون في الجاهلية صداق المرأة ، فأمر الله بدفع صدقاتهن إليهن ، وهو قول أبي صالح .

وأما النَّحلة فهي العطية من غير بدل ، وسمي الدين نِحْلَةَ ، لنه عطية من الله ، وفي تسميه النّحْل بذلك قولان :

أحدهما : أنه سمي نحلاً لما يعطي من العسل .

والثاني : لأن الله تعالى نَحَلَهُ عباده .

وفي المراد بالنَّحلة في الصداق أربعة تأويلات :

أحدها : يعني فريضة مُسَمَّاة ، وهو قول قتادة ، وابن جريج .

والثاني : أنه نحلة من الله عز وجل لهن بعد أن كان ملكاً للأولياء ، وهو قول أبي صالحٍ .

والثالث : انه نهى لِما كانوا عليه من خِطْبَة الشغار ، والنكاح بغير صداق ، وهو قول سليمان بن جعفر بن أبي المعتمر .

والرابع : انه أراد أن يطيبوا نفساً بدفعه ، كما يطيبون نفساً بالنحل والهبة ، وهو قول بعض المتأخرين .

{ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً } يعني الزوجات إن طبن نفساً عن شيء من صداقهن لأزواجهن في قول من جعله خطاباً للأزواج ، ولأوليائهن في قول من جعله خطاباً للأولياء .

{ فَكُلُوهُ هُنِيئاً مَّرِيئاً } الهنيء ما أعقب نفعاً وشفاء ، ومنه هنأ البعير للشفاء ، قال الشاعر :

متبدلاً تَبْدُو مَحاسنه ... يَضَعُ الهِناءَ مَواضِعَ النُّقبِ

(274/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (5) وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (6)

قوله عز وجل { وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَآءَ أَمْوَالَكُمُ } اختلفوا في المراد بالسفهاء في هذا الموضع على أربعة أقاويل :

أحدها : أنهم الصبيان ، وهو قول سعيد بن جبير ، والحسن .

والثاني : أنهم النساء ، وهو قول ابن عمر .

والثالث : أنه عنى الأولاد المسرفين أن يقسم ماله فيهم فيصير عيالاً عليهم ، وهو قول ابن عباس ، وابن زيد وأبي مالك .

والرابع : أنه أراد كل سفيه استحق في المال حَجْراً ، وهو معنى ما رواه الشعبي عن أبي بردة ، عن أبي موسى الأشعري أنه قال : ثلاثة يَدْعون فلا يستجيب الله لهم : رجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ورجل أعطى مالاً سفيهاً وقد قال الله تعالى : { ولا تؤتوا السفهاء أموالكم } ، ورجل له على رجل دين لم يُشْهِد عليه .

وأصل السفيه خفة الحِلْم فلذلك وصف به الناقص العقل . ووصف به المفسد لماله لنقصان تدبيره ، ووصف به الفاسق لنقصانه عند أهل الدين ، والعلم .

{ أَمْوَالَكُمُ } فيه تأويلان :

أحدهما : يعني أموال الأولياء ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : أنه عنى به أموال السفهاء ، وهو قول سعيد بن جبير .

{ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَاماً } قرأ نافع وابن عُمر { قِيَماً } ومعناهما واحد ، يريد أنها قُوامُ معايشكم سفائكم .

{ وَارْزُقُوهُمْ فيها وأكسوهم } فيه قولان :

أحدهما : أي أنفقوا أيها الأولياء على السفهاء من أموالهم .

{ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً } فيه تأويلان :

أحدهما : أنه الوعد بالجميل ، وهو قول مجاهد .

والثاني : الدعاء له كقوله بارك الله فيك ، وهو قول ابن زيد .

{ وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى } أي اختبروهم في عقولهم وتمييزهم وأديانهم .

{ حَتَّى إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ } يعني الحُلُم في قول الجميع .

{ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً } فيه أربع تأويلات :

أحدها : أن الرشد العقل ، وهو قول مجاهد ، والشعبي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثاني : أنه العقل والصلاح في الدين ، وهو قول السدي .

والثالث : أنه صلاح في الدين وإصلاح في المال ، وهو قول ابن عباس ، والحسن ، والشافعي .

والرابع : أنه الصلاح والعلم بما يصلحه ، وهو قول ابن جريج .

{ فَادْفَعُواْ إِلَيْهِم أَمْوَالَهُمْ } يعني التي تحت أيديكم أيها الأولياء عليهم .

{ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وبِدَاراً أَن يَكْبَرُوا } يعني لا تأخذوها إسرافاً على غير ما أباح الله لكم ، وأصل الإسراف تجاوز الحد المباح إلى ما ليس بمباح ، فربما كان في الإفراط ، وربما كان في التقصير ، غير أنه إذا كان في الإفراط فاللغة المستعملة فيه أن يقال أسرف إسرافاً ، وإذا كان في التقصير قيل سرف يسرف .

قوله تعالى : { وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُواْ } قال ابن عباس : وهو أن تأكل مال اليتيم تبادر أن يكبر ، فيحول بينك وبين ماله .

{ وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ } يعني بماله عن مال اليتيم .

(275/1)

{ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنه القرض يستقرض إذا احتاج ثم يرده إذا وجد ، وهو قول عمر ، وابن عباس ، وجمهور التابعين .

والثاني : أنه يأكل ما يسد الجوعة ، ويلبس ما يواري العورة ، ولا قضاء ، وهو قول الحسن ، وإبراهيم ، ومكحول ، وقتادة .

روى شعبة عن قتادة أن عم ثابت بن رفاعة_ وثابت يومئذ يتيم في حجره ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله إن ابن أخي يتيم في حجري ، فما يحل لي من ماله؟ قال : « أَنْ تَأْكُلَ بِالْمَعْرُوفِ مِنْ غَيرِ أن تقِيَ مَالَكَ بِمَالِهِ وَلاَ تَتَّخِذْ مِنْ مَالِهِ وَقْراً

» . والثالث : أن يأكل من ثمره ، ويشرب من رِسْلِ ماشيته من غير تعرض لِمَا سوى ذلك من فضة أو ذهب ، وهو قول أبي العالية ، والشعبي .

روى القاسم بن محمد قال : جاء أعرابي إلى ابن عباس فقال : إن في حجري أيتاماً ، وإن لهم إبلاً ، فماذا يحل لي منها؟ فقال : إن كنت تبغي ضالتها ، وتهنأ جرباءَها ، وتلوط حوضها ، وتفرط عليها يوم وِرْدِهَا ، فاشرب من ألبانها غير مُضِرّ بنسل ، ولا بأهل في الحلب .

والرابع : أن يأخذ إذا كان محتاجاً أجرةً معلومة على قدر خدمته ، وهو قول عطاء .

وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ليس لي مال ولي يتيم ، فقال : « كُلْ مِنْ مَالِ يَتِيمِكَ غَيرَ مُسْرِفٍ وَلاَ وَاقٍ مَالَكَ بِمَالِهِ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

» . { فَإِذَا دَفَعْتُم إِلَيْهِم أَمْوَالَهُم فَأَشْهِدُواْ عَلَيهِم } ليكون بيِّنة في دفع أموالهم إليهم .

{ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيباً } فيه قولان :

أحدهما : يعني شهيداً .

والثاني : كافياً من الشهود .

(276/1)

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (7) وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (8) وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (9) إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (10)

قوله تعالى : { لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ والأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ والأَقْرَبُونَ } وسبب نزول هذه الآية ، في الجاهلية كانواْ يُوَرِّثُونَ الذكور دون الإناث ، فروى ابن جريج عن عكرمة قال : نزلت في لأم كُجَّة وبناتها وثعلبة وأوس بن سويد وهم من الأنصار ، وكان أحدهما زوجها والآخر عم ولدها ، فقالت : يا رسول الله توفي زوجي وتركني وبنيه ولم نُورَّث ، فقال عم ولدها : يا رسول الله ولدها لا يركب فرساً ولا يحمل كلاًّ ، ولا ينكأ عدواً يكسب عليها ولا تكسب ، فنزلت هذه الآية .

{ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمُ مِّنْهُ } فيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها ثابتة الحكم . قال سعيد بن جبير : هما وليان ، أحدهما يرث وهو الذي أمر أن يرزقهم أي يعطيهم ، والآخر لا يرث وهو الذي أُمر أن يقول لهم قولاً معروفاً ، وبإثبات حكمها قال ابن عباس ، ومجاهد ، والشعبي ، والحسن ، والزهري .

ورُوْي عن عبيدة أنه وَلِيَ وصية فأمر بشاة فذبحت ، وصنع طعاماً لأجل هذه الآية وقال : لولا هذه الآية لكان هذا من مالي .

والقول الثاني : أنها منسوخة بآية المواريث ، وهذا قول قتادة ، وسعيد بن المسيب ، وأبي مالك ، والفقهاء .

والثالث : أن المراد بها وصية الميت التي وصَّى بها أن تفرق فِيْمَنْ ذُكِرَ وفِيمَنْ حَضَرَ ، وهو قول عائشة .

فيكون ثبوت حكمها على غير الوجه الأول .

واختلف مَنْ قال : بثبوت حكمها على الوجه الأول في الوارث إذا كان صغيراً هل يجب على وليِّه

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

إخراجها من سهمه على قولين :

أحدهما : يجب ، وهو قول ابن عباس ، وسعيد ، ويقول الولي لهم قولاً معروفاً .

والثاني : أنه حق واجب في أموال الصغار على الأولياء ، وهو قول عبيدة ، والحسن .

{ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً } فيه قولان :

أحدهما : أنه خطاب للورثة وأوليائهم أن يقولوا لمن حضر من أولي القربى ، واليتامى ، والمساكين قولاً معروفاً عند إعطائهم المال ، وهذا قول ابن عباس ، وسعيد بن جبير .

والثاني : خطاب للآخرين أن يقولوا للدافعين من الورثة قولاً معروفاً ، وهو الدعاء لهم بالرزق والغنى .

{ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ اللهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أن معناه وليحذر الذين يحضرون مَّيتاً يوصي في ماله أن يأمروه بتفريق ماله وصية فيمن لا يرثه ولكن ليأمروه أن يبقى ماله لولده ، كما لو كان هو الموصي لآثر أن يبقة ماله لولده ، وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، والسدي .

والثاني : أن معناه وليحذر الذين يحضرون الميت وهو يوصي أن ينهوه عن الوصية لأقربائه ، وأن يأمره بإمساك ماله والتحفظ به لولده ، وهم لو كانوا من أقرباء الموصى لآثروا أن يوصي لهم ، وهو قول مقسم ، وسليمان بن المعتمر .

والثالث : أن ذلك أمر من الله تعالى لِوُلاَةِ الأيتام ، أن يلوهم بالإحسان إليهم في أنفسهم وأموالهم ، كما يحبون أن يكون ولاة أولادهم الصغار من بعدهم في الإحسان إليهم لو ماتوا وترموا أولادهم يتامى صغاراً ، وهو مروي عن ابن عباس .

والرابع : أن من خشي على ذريته من بعده ، وأحب أن يكف الله عنهم الأذى بعد موته ، فليتقوا الله وليقولا قولاً سديداً ، وهو قول أبي بشر بن الديلمي .

{ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً } عبر عن الأخذ بالأكل لأنه مقصود الأخذ .

{ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً } فيه قولان :

أحدهما : يعني انهم يصيرون به إلى النار .

والثاني : أنه تمتلىء بها بطونهم عقاباً يوجب النار .

{ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً } الصلاء لزوم النار ، والسعير إسعار النار ، ومنه قوله تعالى : { وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ } [التكوير : 12] .

This file was downloaded from QuranicThought.com

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (11)

قوله تعالى : { يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ } روى السدي قال : كان أهل الجاهلية لا يورثون الجواري ولا الضعفاء من الغلمان ، لا يورثون الرجل من ولده إلاّ من أطاق القتال ، فمات عبد الرحمن أخو حسان الشاعر وترك امرأة يقال لها أم كُجّة ، وترك خمس أخوات ، فجاءت الورثة فأخذوا ماله ، فشكت أم كجة ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

{ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ } ففرض للثلاث من البنات ، إذا انفردت عن ذَكَرٍ ، الثلثين ، وفَرْضُ الواحدة إذا انفردت النصف ، واختلف في الثنتين ، فقال ابن عباس النصف ، من أجل قوله تعالى : { فَوقَ اثْنَتَيْنِ } وذهب الجماعة إلى أن فرضهما الثلثان كالثلاث فصاعداً اعتباراً بالأخوات .

ثم قال تعالى { وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ } قال ابن عباس : كان المال للولد ، وكانت الوصية للوالدين والأقربين ، فنسخ الله تعالى ذلك ، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين ، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس .

ثم قال : { مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ } فسوّى بين كل واحد من الوالدين مع وجود الولد في أن لكل واحد منهما السدس ، ثم فاضل بينهما مع عدم الولد مع أن جعل للأم الثلث والباقي للأب ، وإنما كان هكذا لأن الأبوين مع الولد يرثان فرضاً بالولادة التي قد استويا فيها ، فسوّى بين فرضهما ، وإذا عَدِمَ الولد ورثت الأم فرضاً لعدم التعصب فيها ، وورث الأب بالتعصيب ، لأنه أقوى ميراثاً ، وجعل فرضها شطر ما حازه الأب بتعصيبه ، ليصير للذكر مثل حظ الأنثيين .

{ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ } فلا خلاف أن الثلاثة من الأخوة يحجبونها من الثلث الذي هو أعلى فرضها إلى السدس الذي هو أقله ، ويكون الباقي بعد سدسها للأب .

وحُكِيَ عن طاووس أنه يعود على الإخوة دون الأب ليكون ما حجبوها عنه عائداً عليهم لا على غيرهم . وهذا خطأ من وجهين :

أحدهما : أن الأب يُسقِط من أدلى به كالجد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : أن العصبة لا يتقدر لهم في الميراث فرض كالأبناء .

فأما حجب الأم بالأخوين ، فقد منع منه ابن عباس تمسكاً بظاهر الجمع في قوله تعالى : { فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ } وخالفه سائر الصحابة مُحَجِّبُوا الأم بالأخوين فصاعداً ، وإن لم تحجب بالأخ الواحد لأن لفظ الجمع لا يمنع أن يوضع موضع التثنية نحو قوله تعالى : { فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا } [التحريم : 4] مع أن الاثنتين تقومان في الفرائض مقام الجمع الكامل ، كالأخوات ، وولد الأم .

{ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوْ دَينٍ } فقدم الدين والوصية على الميراث ، لأن الدين حق على الميت ، والوصية حق له ، وهما مقدمان على حق ورثته ، ثم قدم الدين على الوصية وإن كان في التلاوة مؤخراً ، لأن ما على الميت من حق أولى أن يكون مقدماً على ما له من حق .

(279/1)

وقد روى ابن إسحاق عن الحارث الأعور عن علي عليه السلام قال : إنكم تقرؤون هذه الآية { مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوْ دَينٍ } وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالدين قبل الوصية فإن قيل : فَلِمَ قدم ذكر الوصية على الدين إن كان في الحكم مؤخراً؟ قيل لأن { أَوْ } لا توجب الترتيب وإنما توجب إثبات أحد الشيئين مفرداً أو مصحوباً ، فصار كأنه قال : من بعد أحدهما أو من بعدهما . { ءَابآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً } يعني في الدين أو الدنيا .

(280/1)

وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (12)

قوله تعالى : { وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلاَلَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ } اختلفوا في الكلالة على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم من عدا الولد ، وهو مروي عن ابن عباس ، رواه طاووس عنه .

والثاني : أنهم من عدا الوالد ، وهو قول الحكم بن عيينة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثالث : أنهم من عدا الولد والوالد ، وهو قول أبي بكر ، وعمر ، والمشهور عن ابن عباس .

وقد روى الشعبي قال : قال أبو بكر : قد رأيت في الكلالة رأياً ، فإن كان صواباً فمن الله وحده لا شريك له ، وإن يك خطأ فمنِّي والله منه بريء ، إن الكلالة ما خلا الوالد والولد . فلما اسْتُخْلِفَ عمر قال : إني لأستحي من الله أن أخالف أبا بكر في رأي رآه .

ثم اختلفواْ في المُسَمَّى كلالة على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الكلالة الميت ، وهو قول ابن عباس ، والسدّي .

والثاني : أنه الحي الوارث ، وهو قول ابن عمر .

والثالث : أنه الميت والحي ، وهو قول ابن زيد .

وأصل الكلالة الإحاطة ، ومنه الإكليل سمي بذلك لإحاطته بالرأس فكذلك الكلالة لإحاطتها بأصل النسب الذي هو الوالد والولد .

(281/1)

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (13) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ (14)

قوله تعالى : { تِلْكَ حُدُودُ اللهِ } فيها خمسة أقاويل :

أحدها : شروط الله ، وهو قول السدي .

والثاني : طاعة الله ، وهو قول ابن عباس .

والثالث : سُنّة الله وأمرُه .

والرابع : فرائض الله التي حدها لعباده .

والخامس : تفصيلات الله لفرائضه .

(282/1)

وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (15) وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا (16)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله تعالى : { وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ } يعني بالفاحشة : الزنى .

{ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ } يعني بيِّنة يجب بها عليهن الحد .

{ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ } اختلفوا في إمساكهن في البيوت هل هو حد أو مُوعد بالحد على قولين :

{ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً } يعني بالسبيل الحد ، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خُذُواْ عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً البِكْرُ بِالبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ ، وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّب جَلْدُ مِائَةٍ وَالرَّجْمُ

» . واختلفوا في نسخ الجَلْدِ من حد الثيِّب على قولين :

أحدهما : أنه منسوخ ، وهو قول الجمهور من التابعين والفقهاء .

والثاني : أنه ثابت الحكم ، وبه قال قتادة ، وداود بن علي ، وهذه الآية عامة في البكر والثيب ، واخْتُلِفَ في نسخها على حسب اختلافهم فيها هل هو حد أو موعد بالحد ، فمن قال : هي حد ، جعلها منسوخة بآية النور ، ومن قال : هي مُوعد بالحد ، جعلها ثابتة .

قوله عز وجل : { وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا منكُم فَئَاذُوهُمَا } فيها قولان :

أحدهما : أنها نزلت في الأبكار خاصة ، وهذا قول السدي ، وابن زيد .

والثاني : أنها عامة في الأبكار والثيِّب ، وهو قول الحسن ، وعطاء . واختلف في المعنى بقوله تعالى : { وَاللَّذَانِ يأْتِيَانِهَا مِنكُم } على قولين :

أحدهما : الرجل والمرأة ، وهو قول الحسن ، وعطاء .

والثاني : البكران من الرجال والنساء ، وهو قول السدي ، وابن زيد .

وفي الأذى المأمور به ثلاثة أقاويل :

أحدها : التعيير والتوبيخ باللسان ، وهو قول قتادة ، والسدي ، ومجاهد .

والثاني : أنه التعيير باللسان ، والضرب بالنعال .

والثالث : أنه مجمل أخذ تفسيره في البكر من آية النور ، وفي الثيِّب من السُّنّة .

فإن قيل كيف جاء ترتيب الأذى بعد الحبس؟ ففيه جوابان :

أحدهما : أن هذه الآية نزلت قبل الأولى ، ثم أمر أن توضع في التلاوة بعدها ، فكان الأذى أولاً ، ثم الحبس ، ثم الجلد أو الرجم ، وهذا قول الحسن .

والثاني : أن الأذى في البكرين خاصة ، والحبس في الثيِّبين ، وهذا قول السدي .

ثم اختلف في نسخها على حسب الاختلاف في إجمالها وتفسيرها .

{ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا } يعني تابا من الفاحشة وأصلحا دينهما ، فأعرضواْ عنهما بالصفح والكف عن الأذى .

This file was downloaded from QuranicThought.com

إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (17) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (18)

قوله تعالى : { إِنَّمَا التَّوبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ } اختلف في المراد بالجهالة على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن كل ذنب أصابه الإنسان فهو بجهالة ، وكل عاص عصى فهو جاهل ، وهو قول أبي العالية .

والثاني : يريد يعملون ذلك عمداً ، والجهالة العمد ، وهو قول الضحاك ، ومجاهد .

والثالث : الجهالة عمل السوء في الدنيا ، وهو قول عكرمة .

{ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : ثم يتوبون في صحتهم قبل موتهم ، وقبل مرضهم ، وهذا قول ابن عباس ، والسدي .

والثاني : قبل معاينة مَلَكِ الموت ، وهو قول الضحاك ، وأبي مجلز .

والثالث : قبل الموت ، قال عكرمة : الدنيا كلها قريب .

وقد روى قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوبَةَ الْعَبْدِ ما لَمْ يُغَرْغِرْ » . { وَلَيستِ التَّوبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوتُ } إلى قوله : { وَهُمْ كُفَّارٌ } فيه قولان :

أحدهما : وهو قول الجمهور أنها نزلت في عُصَاةِ المسلمين .

والثاني : أنها نزلت في المنافقين ، وهو قول الربيع .

فَسَوّى بين مَن لَمْ يتب حتى مات ، وبين من تاب عند حضور الموت وهي [حالة] يعرفها مَنْ حَضَرَها .

ويحتمل أن يكون عند المعاينة في حال يعلم بها وإن منع من الإخبار بها .

(284/1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (19) وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (20) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا
(21) وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا (22)

قوله تعالى : { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَآءَ كَرْهاً } .

وسبب ذلك أن أهل المدينة في الجاهلية كانوا إذا مات أحدهم عن زوجة ، كان ابنه وقريبه أولى بها من غيره ومنها بنفسها ، فإن شاء نكحها كأبيه بالصداق الأول ، وإن شاء زوجها وملك صداقها ، وإن شاء عضلها عن النكاح حتى تموت فيرثها أو تَفْتَدِي منه نفسها بصداقها ، إلى أَنْ تُوفِّيَ أبو قيس بن الأسلت عن زوجته كبيشة بنت معن بن عاصم فأراد ابنه أن يتزوجها فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا نبي الله لا أنا ورثت زوجي ، ولا أنا تُرِكْتُ فأُنْكَح ، فنزلت هذه الآية .

{ وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنه خطاب لورثة الأزواج أن [لا] يمنعوهن من التزويج كما ذكرنا ، وهذا قول ابن عباس ، والحسن ، وعكرمة .

والثاني : أنه خطاب للأزواج أن [لا] يعضلوا نساءهم بعد الطلاق ، كما كانت قريش تفعل في الجاهلية وهو قول ابن زيد .

والثالث : أنه خطاب للأزواج أن [لا] يحبسواْ النساء كرهاً ليفتدين نفوسهن أو يَمُتْنَ فيرثهن الزوج ، وهذا قول قتادة ، والشعبي ، والضحاك .

والرابع : أنه خطاب للأولياء وهذا قول مجاهد .

{ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبِيِّنَةٍ } فيها ها هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها الزنى ، وهو قول الحسن ، وأبي قلابة والسدي .

والثاني : أنها النشوز ، وهو قول ابن عباس ، وعائشة .

والثالث : أنها البذاء والأذى .

وقد روي عن مقسم في قراءة ابن مسعود « وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا ءَاتَيتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يُفْحِشْنَ » .

{ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيراً كَثِيراً } قال ابن عباس : يعني الولد الصالح .

قوله تعالى : { وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيئاً } يعني أنهن قد ملكن الصداق ، وليس مِلْكُهُنَّ للصداق موقوفاً على التمسك بهن ، بل ذلك لهن مع إمساكهن ، وفراقهن .

{ أَتَأْخُذُونَه بُهْتَاناً } فيه قولان :

أحدهما : ظلماً بالبهتان .

والثاني : أن يبهتها أن جعل ذلك ليسترجعه منها .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وإنما منع من ذلك مع الاستبدال بهن وإن كان ممنوعاً منه وإن لم يستبدل بهن أيضاً لِئَلا يتوهم متوهم أنه يجور مع استبدال غيرها بها أن يأخذ ما دفعه إليها ليدفعه إلى من استبدل بها منه وإن كان ذلك عموماً .

قوله تعالى : { وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ } فيه قولان :

أحدهما : أن (الإفضاء) الجماع ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، والسدي .

والثاني : أنه الخلوة ، وهو قول أبي حنيفة .

{ وَأَخَذْنَ مِنكم مِّيثَاقاً غَلِيظاً } فيه ثلاثة أقاويل :

(285/1)

أحدها : أنه عقد النكاح الذي استحل به الفرج ، وهو قول مجاهد .

والثاني : أنه إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، وهو قول الضحاك ، والسدي ، والحسن ، وابن سيرين ، وقتادة .

والثالث : أنه ما رواه موسى بن عبيدة ، صعدة بن يسار عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ النِّسَاءَ عِندَكُم عَوانٌ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهِ وَاسْتَحْلَلْتُم فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ فَلَكُم عَلَيهِنَّ حَقٌ وَلَهُنَّ عَلَيكُم حَقٌ ، وَمِنْ حَقِّكُم عَلَيهِنَّ أَلاَّ يُوطِئْنَ فَرشَكُم أَحداً وَلاَ يَعْصِينَكُمْ فِي مَعْرُوفٍ ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ

» . واختلف في ثبوت حكمها أو نسخه على قولين :

أحدهما : أنها محكمة ، لا يجوز له أن يأخذ منها شيئاً مما أعطاها سواء كانت هي المريدة للطلاق أو هو ، وهو قول بكر بن عبد الله المزني .

والثاني : أنها منسوخة بقوله تعالى : { وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ } ، وهذا قول ابن زيد .

وقال أبو جعفر الطبري وغيره : حكمها ثابت عند عن خوف النشوز فيجوز أن يفاديها .

قوله تعالى : { وَلاَ تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في قوم كانوا يَخْلُفُون الآباء على نسائهم ، فجاء الإسلام بتحريم ذلك وعفا عما كان منهم في الجاهلية أن يؤاخذواْ به إذا اجتنبوه في الإسلام ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة وعطاء ، وعكرمة .

والثاني : يعني لا تنكحواْ كنكاح آبائكم في الجاهلية على الوجه الفاسد ، إلا ما سلف منكم في جاهليتكم فإنه معفو عنه إذا كان مما يجوز الإقرار عليه ، وهذا قول بعض التابعين .

والثالث : معناه : ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء بالنكاح الجائز ، إلا ما قد سلف منهم بالزنى

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والسفاح ، فإن نكاحهن حلال لكم ، لأنهن لم يَكُنَّ حلالاً ، وإنما كان نكاحهن فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً ، وهذا قول ابن زيد .

والرابع : إلا ما قد سلف فدعوه فإنكم تؤاخذون به ، قالوه وهذا من الاستثناء المنقطع ، ومنهم من جعله بمعنى لكن .

{ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً } والمقت شدة البغض لقبح مرتكبه ، ومنه قولهم قد مقته الناس إذا أبغضوه ، ورجل مقيت ، وكان يقال لولد الرجل من امرأة أبيه المقتي .

{ وَسَاءَ سَبِيلاً } يعني طريقاً .

(286/1)

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (23) وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (24)

قوله تعالى : { حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ } إلى قوله : { إلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : والمحصنات من النساء يعني ذوات الأزواج إلا ما ملكت أيمانكم بالسبي ، وهذا قول علي ، وابن عباس ، وأبي قلابة ، والزهري ، ومكحول ، وابن زيد .

وقد روى عثمان البَتّي عن أبي خليل عن أبي سعيد الخدري قال : لما سبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل أوطاس ، قلنا : يا نبي الله كيف نقع على نساء قد عرفنا أنسابهن وأزواجهن؟ قال : فنزلت هذه الآية { وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ } .

والثاني : أن المحصنات ذوات الأزواج حرام على غير أزواجهن إلا ما ملكت أيمانكم من الإماء ، إذا اشتراها مشترٍ بطل نكاحها وحلت لمشتريها ويكون بيعها طلاقها ، وهذا قول ابن مسعود ، وأُبي بن كعب ، وجابر بن عبد الله ، وأنسٍ ابن مالك ، وابن عباس في رواية عكرمة عنه وسعيد بن المسيب ، والحسن ، قال الحسن : طلاق الأَمة يثبت نسبها ، وبيعها ، وعتقها ، وهبتها ، وميراثها ، وطلاق زوجها .

الثالث : أن المحصنات من النساء العفائف إلا ما ملكت أيمانكم بعقد النكاح ، أو ملك اليمين ،

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
وهذا قول عمر ، وسعيد بن جبير ، وأبي العالية ، وعبيدة السلماني ، وعطاء ، والسدي .
والرابع : أن هذه الآية نزلت في نساءٍ كُنَّ هَاجَرن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن أزواج ، فتزوجهن المسلمون ، ثم قدم أزواجهن مهاجرين ، فنهي المسلمون عن نكاحهن ، وهذا قول أبي سعيد الخدري .
وأصل الإحصان المنع ، ومنه حصن البلد ، لأنه يمنع من العدو ، ودرع حصينة أي منيعة ، وفرس حَصان ، لأن صاحبه يمتنع به من الهلكة ، وامرأة حصان ، وهي العفيفة لأنها تمتنع من الفاحشة ، ومنه { وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا } [التحريم : 12] .
{ كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ } فيه ثلاثة أوجه :
أحدها : أن معناه : حرم ذلك عليكم كتاباً من الله .
والثاني : معناه ألزموا كتاب الله .
والثالث : أن كتاب الله قيم عليكم فيما تستحلِّونه وتحرمونه .
{ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَلِكُمْ } فيه ثلاثة أقاويل :
أحدها : أن معناه ما دون الخمس ، وهو قول السدي .
والثاني : ما وراء ذوات المحارم من أقاربكم ، وهو قول عطاء .
والثالث : ما وراء ذلكم مما ملكت أيمانكم ، وهو قول قتادة .
{ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم } يعني أن تلتمسوا بأموالكم إما شراء بثمن ، أو نكاحاً بصداق .
{ مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ } يعني متناكحين غير زانين ، وأصل السفاح صب الماء ، ومنه سَفَح الدمع إذا صبَّه ، وسَفْح الجبل أسفله لأنه مصب الماء فيه ، وسِفَاح الزنى لصب مائه حراماً .
{ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَئَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً } أي آتوهن صدقاتهن معلومة ، وهذا قول مجاهد ، والحسن ، وأحد قولي ابن عباس .
والقول الثاني : أنها المتعة إلى أجل مسمى من غير نكاح ، قال ابن عباس كان في قراءة أُبيّ : { فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى } ، وكان ابن عباس كذلك يقرأ ، وسعيد بن جبير ، وهذا قول السدي ، وقال الحكم : قال عليّ : لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقي ، وهذا لا يثبت ، والمحكي عن ابن عباس خلافه ، وأنه تاب من المتعة وربا النقد .

(287/1)

{ وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ } فيه ثلاثة أقاويل :
أحدها : معناه لا حرج عليكم أيها الأزواج إن أعسرتم بعد أن فرضتم لِنِسَائكم مهراً عن تراض أن ينقصنكم منه ويتركنكم ، وهذا قول سليمان بن المعتمر .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثاني : لا جناح عليكم أيها الناس فيما تراضيتم أنتم والنساء اللواتي استمتعتم بهن إلى أجل مسمى ، إذا انقضى الأجل بينكم أن يزدنكم في الأجل وتزيدوهن في الأجر قبل أن يستبرئن أرحامهن ، وهذا قول السدي .

والثالث : لا جناح عليكم فيما تراضيتم به ودفعتموه أن يعود إليكم عن تراض ، وهذا قول ابن عباس .

{ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً } فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : كان عليماً بالأشياء قبل خلقها ، حكيماً في تقديره وتدبيره لها ، وهذا قول الحسن .

والثاني : أن القوم شاهدواْ عِلماً وحكمة فقيل لهم إن كان كذلك لم يزل ، وهذا قول سيبويه .

والثالث : أن الخبر عن الماضي يقوم مقام الخبر عن المستقبل وهذا مذهب الكوفيين .

(288/1)

وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (25)

قوله تعالى : { وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتَ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ } في الطوْل ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه الغنى والسعة الموصل إلى نكاح الحرّة ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والسدي ، وابن زيد ، والشافعي ، ومالك .

والقول الثاني : هو أن تكون تحته حرة ، وهو قول أبي حنيفة .

والقول الثالث : هو الهوى وهو أن يهوى أَمَةً فيجوز أن يتزوجها ، إن كان ذا يسار وكان تحته حرة ، وهذا قول جابر ، وابن مسعود ، والشعبي ، وربيعة ، وعطاء .

وأصل الطَوْل الفضل والسعة ، لأن المعنى كالطول في أنه ينال به معالي الأمور ، ومنه قولهم ليس فيه طائل أي لا ينال به شيء من الفوائد ، فكان هو الأصح من تأويلاته .

واختلف في إيمان الأمَةِ هل هو شرط في نكاحها عند عدم الطَوْل على قولين :

أحدهما : أنه شرط لا يجوز نكاح الأَمَةِ نكاح الأمَةِ إلا به ، وهو قول الشافعي .

والثاني : أنه ندب وليس بشرط ، فإن تزوج غير المؤمنة جاز ، وهو قول أبي حنيفة .

قوله تعالى : { مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ } يعني بالمسافحة : المعلنة بالزنى .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ } هو أن تتخذ المرأة خدناً وصديقاً ولا تزني بغيره ، وقد كان أهل الجاهلية يحرمون ما ظهر من الزنى ، ويستحلون ما بطن ، فأنزل الله تعالى : { وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ } .

{ فَإِذَا أُحْصِنَّ } قرأ بفتح الألف حمزة ، والكسائي ، وأبو بكر عن عاصم ، ومعنى ذلك أسلمن ، فيكون إحصانها ها هنا إسلامها ، وهذا قول ابن مسعود ، والشعبي ، وروى الزهري قال : جَلَدَ عمر ولائد أبكاراً من ولائد الإمارة في الزنى .

وقرأ الباقون بضم الألف ، ومعنى ذلك تزوجن ، فيكون إحصانها ها هنا تزويجها ، وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن .

{ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ } يعني بها ها هنا الزنى .

{ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ } يعني نصف حد الحرة .

{ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : الزنى ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وابن زيد ، وبه قال الشافعي .

والثاني : أن العنت الإثم .

والثالث : أنه الحد الذي يصيبه .

والرابع : هو الضرر الشديد في دين أو دنيا . وهو نحو قوله تعالى : { وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ } [آل عمران : 118] .

{ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ } يعني الصبر عن نكاح الأمَةِ لئلا يكون ولده عبداً .

(289/1)

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (26) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (27) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (28)

قوله تعالى : { وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً } فيهم ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم الزناة ، وهو قول الضحاك .

والثاني : أنهم اليهود والنصارى ، وهو قول السدي .

والثالث : كل متبع شهوة غير مباحة ، وهو قول ابن زيد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله تعالى : { يُرِيدُ اللهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً } يخفف عنكم في نكاح الإماء ، وخُلِقَ الإنسان ضعيفاً عن احتمال الصبر عن جماع النساء .

(290/1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (29) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (30) إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا (31)

قوله تعالى : { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الزنى ، والقمار ، والبخس ، والظلم ، وهو قول السدي .

والثاني : العقود الفاسدة ، وهو قول ابن عباس .

والثالث : أنه نهى أن يأكل الرجل طعام قِرى وأَمَر أن يأكله شِرى ثم نسخ ذلك بقوله تعالى في سورة النور : { وَلاَ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِن بُيُوتِكُمْ } [النور : 61] إلى قوله : { أَوْ أَشْتَاتاً } وهو قول الحسن ، وعكرمة .

{ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ } فيه قولان :

أحدهما : أن التراضي هو أن يكون العقد ناجزاً بغير خيار ، وهو قول مالك ، وأبي حنيفة .

والثاني : هو أن يخير أحدهما صاحبه بَعد العقد وقبل الافتراق ، وهو قول شريح ، وابن سيرين ، والشعبي .

وقد روى القاسم بن سليمان الحنفي عن أبيه عن ميمون بن مهران قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « البَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ وَالخِيَارُ بَعْدَ الصَّفْقَةِ وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَغِشَّ مُسْلِماً » . { وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ } فيه قولان :

أحدهما : يعني لا يقتل بعضكم بعضاً ، وهذا قول عطاء ، والسدي ، وإنما كان كذلك لأنهم أهل دين واحد فصاروا كنفس واحدة ، ومنه قوله تعالى : { فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ } [النور : 61] .

والثاني : نهى أن يقتل الرجل نفسه في حال الغضب والضجر .

قوله تعالى : { وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً } فيما توجه إليه هذا الوعيد بقوله تعالى : { وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ } ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه أكل المال بالباطل ، وقتل النفس بغير حق .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثاني : أنه متوجه إلى كل ما نهى عنه من أول سورة النساء .

والثالث : أنه متوجه إلى قوله تعالى : { لاَ يحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاءَ كَرْهاً } [النساء : 19] . { عُدْوَاناً وَظُلْماً } فيه قولان :

أحدهما : يعني تعدياً واستحلالاً .

والثاني : أنهما لفظتان متقاربتا المعنى فحسن الجمع بينهما مع اختلاف اللفظ تأكيداً .

{ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ } في الكبائر سبعة أقاويل :

أحدها : أنها كل ما نهى الله عنه من أول سورة النساء إلى رأس الثلاثين منها ، وهذا قول ابن مسعود في رواية مسروق ، وعلقمة ، وإبراهيم .

والثاني : أن الكبائر سبع : الإشراك بالله ، وقتل النفس التي حرم الله ، وقذف المحصنة ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والفرار من الزحف ، والتعرب بعد الهجرة ، وهذا قول عليّ ، وعمرو بن عبيد .

والثالث : أنها تسع : الإشراك بالله ، وقذف المحصنة ، وقتل النفس المؤمنة ، والفرار من الزحف ، والسحر ، وأكل مال اليتيم ، وعقوق الوالدين المسلمين ، وأكل الربا ، وإلحاد بالبيت الحرام ، وهذا قول ابن عمر .

والرابع : أنها أربع : الإشراك بالله ، والقنوط من رحمة الله ، واليأس من رَوْح الله ، والأمن من مكر الله ، وهذا قول ابن مسعود في رواية أبي الطفيل عنه .

والخامس : أنها كل ما أوعد الله عليه النار ، وهذا قول سعيد بن جبير ، والحسن ، ومجاهد ، والضحاك .

والسادس : السبعة المذكورة في المقالة الثانية وزادوا عليها الزنى ، والعقوق ، والسرقة ، وسب أبي بكر وعمر .

والسابع : أنها كل ما لا تصح معه الأعمال ، وهذا قول زيد بن أسلم .

{ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ } يعني من الصغائر إذا اجتنبتم الكبائر ، فأما مع ارتكاب الكبائر ، فإنه يعاقب على الكبائر والصغائر .

(291/1)

وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (32)

« إسْأَلُوا اللهَ مِن فَضْلِهِ فَإِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ وإِنَّ أَفْضَلَ العِبَادَةِ انْتِظَارُ الفَرَجِ » . { إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً } أنه قسَّم الأرزاق على ما علم وشاء فينبغي أن ترضوا بما قسم

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وتسألوه من فضله غير متأسفين لغيركم في عطية . والنهي تحريم عند أكثر العلماء ، لأنه ليس لأحد أن يقول : ليت مال فلان لي ، وإنما يقول ليت مثله لي .

(292/1)

وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (33)

قوله تعالى : { وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَلِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ } وفي الموالي قولان :

أحدهما : أنهم العصبة ، وهو قول ابن عباس ، وقتادة ، ومجاهد ، وابن زيد .

والثاني : هم الورثة ، وهو قول السدي ، وهو أشبه بقوله تعالى : { فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي }

قال الفضل بن عباس :

مهلاً بني عمنا مهلاً موالينا ... لا تنشبوا بيننا ما كان مَدْفوناً

{ وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَئَاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ } هي مفاعلة من عقد الحلف ، ومعناه : والذين عاقدت أيمانكم وأيمانهم بالحلف بينكم وبينهم ، فآتوهم نصيبهم .

وفي المراد بهذه المعاقدة وبالنصيب المستحق خمسة أقاويل :

أحدها : أن حلفهم في الجاهلية كانوا يتوارثون به في الإسلام ثم نسخ ذلك بقوله تعالى في الأنفال : { وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ } [الأنفال : 75] وهذا قول ابن عباس ، وعكرمة ، وقتادة .

والثاني : أنها نزلت في الذين آخى بينهم النبي صلى الله عليه وسلم ، من المهاجرين والأنصار ، فكان بعضهم يرث بعضاً بتلك المؤاخاة بهذه الآية ، ثم نسخها ما تقدم من قوله تعالى : { وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ والأَقْرَبُونَ } [النساء : 33] ، وهذا قول سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، وابن زيد .

والثالث : أنها نزلت في أهل العقد بالحلف ولكنهم أُمِرُوا أن يؤتوا بعضهم بعضاً من النصرة والنصيحة والمشورة والوصية دون الميت ، وهذا قول مجاهد ، وعطاء ، والسدي . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سأله قيس بن عاصم عن الحِلف فقال : « لاَ حِلْفَ في الإِسْلاَمِ ، وَمَا كَانَ مِنْ حِلفِ الجاهِلِيَّةِ فَلَمْ يُزِدْهُ الإِسْلاَمُ الأِّ شِدَّةً » . والرابع : أنها نزلت في الذين يتبنون أبناء غيرهم في الجاهلية ، فَأُمِرُوا في الإسلام أن يوصوا لهم عند الموت بوصية ، وهذا قول سعيد بن المسيب .

والخامس : أنها نزلت في قوم جعل لهم نصيب من الوصية ، ثم هلكوا فذهب نصيبهم بهلاكهم ، فَأُمِرُوا أن يدفعوا نصيبهم إلى ورثتهم ، وهذا قول الحسن البصري .

This file was downloaded from QuranicThought.com

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (34)

قوله تعالى : { الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَآءِ } يعني أهل قيام على نساءهم ، في تأديبهن ، والأخذ على أيديهن ، فيما أوجب الله لهم عليهن .

{ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ } يعني في العقل والرأي .

{ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ } يعني به الصداق والقيام بالكفاية . وقد روى جرير بن حازم عن الحسن أن سبب ذلك أن رجلاً من الأنصار لطم امرأته فجاءت تلتمس القصاص ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم بينهما القصاص فنزلت : { وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَي إِلَيْكَ وَحْيُهُ } [طه : 114] ونزلت { الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ } ، وكان الزهري يقول : ليس بين الرجل وامرأته قصاص فيما دون النفس .

{ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ } يعني المستقيمات الدين العاملات بالخير ، والقانتات يعني المطيعات لله ولأزواجهن .

{ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ } يعني حافظات لأنفسهن عند غيبة أزواجهن ، ولما أوجبه الله من حقه عليهن .

{ بِمَا حَفِظَ اللهُ } فيه قولان :

أحدهما : يعني يحفظ الله لهن إذ صيّرهن كذلك ، وهو قول عطاء .

والثاني : بما أوجبه الله على أزواجهن من مهورهن ونفقتهن حتى صرن بها محفوظات ، وهذا قول الزجاج .

وقد روى ابن المبارك ، سعيد بن أبي سعيد أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خَيْرُ النَّساءِ امْرَأَةٌ إذا نَظَرْتَ إِلَيها سَرَّتْكَ ، وَإِذَا أَمَرْتَهَا أَطَاعَتْكَ ، وَإِذَا غِبْتَ عَنْهَا حَفِظَتْكَ في مالِهَا ونَفْسِها » قال ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : { الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَآءِ } إلى آخر الآية .

{ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ } في { تَخَافُونَ } تأويلان :

أحدهما : أنه العلم ، فعبر عنه بالخوف ، كما قال الشاعر :

ولا تدفنيني بالفلاة فإنني ... أخافُ إذا ما مِتُّ أن لا أذُوقها

يعني فإنني أعْلَمُ والتأويل الثاني : أنه الظن ، كما قال الشاعر .

أتاني عن نصر كلام يقوله ... وما خفت يا سلامُ أنك عائبي

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وهو أن يستر على نشوزها بما تبديه من سوء فعلها .

والنشوز : هو معصية الزوج والامتناع من طاعته بغضاً وكراهة – وأصل النشوز : الارتفاع ، ومنه قيل للمكان المرتفع من الأرض نُشز ، فسميت الممتنعة عن زوجها ناشزاً لبعدها منه وارتفاعها عنه .

{ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ } أما وعظها فهو أن يأمرها بتقوى الله وطاعته ، ويخوفها استحقاق الوعيد في معصيته وما أباحه الله تعالى من ضربها عند مخالفته ، وفي المراد بقوله : { وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ } خمسة أقاويل :

أحدها : ألا يجامعها ، وهو قول ابن عباس ، وسعيد بن جبير .

والثاني : أن لا يكلمها ويوليها ظهره في المضجع ، وهو قول الضحاك ، والسدي . والثالث : أن يهجر فراشها ومضاجعتها وهو قول الضحاك ، والسدي .

والرابع : يعني وقولوا لهن في المضاجع هُجراً ، وهو الإغلاظ في القول ، وهذا قول عكرمة ، والحسن .

والخامس : هو أن يربطها بالهجار وهو حبل يربط به البعير ليقرها على الجماع ، وهو قول أبي جعفر الطبري .

(294/1)

واستدل براوية ابن المبارك عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قلت يا رسول الله نساؤنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال : « حَرثَكَ فَأْتِ حَرْثَكَ أَنَّى شِئْتَ غيرَ أَلاَّ تَضْرِبَ آلْوَجْهَ وَلاَ تُقَبِّحْ إلاَّ في البَيْتِ ، وأَطْعِمْ إِذا طَعِمْتَ وَاكْسِ إِذّا اكْتَسَيْتَ ، كَيْفَ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ » وليس في هذا الخبر دليل على تأويله دون غيره .

وأصل الهجر : الترك على قلى ، والهُجر : القبيح من القول لأنه مهجور .

{ وَآضْرِبُوهُنَّ } فجعل الله تعالى معاقبتها على النشوز ثلاثة أشياء : وَعْظُها وهَجْرُها وضَرْبُها . وفي ترتيبها إذا نشزت قولان :

أحدهما : أنه إذا خاف نشوزها وعظها وهجرها ، فإن أقامت عليه ضربها .

والثاني : أنه إذا خاف نشوزها وعظها ، فإذا أبدت المشوز هجرها ، فإن أقامت عليه ضربها ، وهو الأظهر من قول الشافعي .

والذي أبيح له من الضرب ما كان تأديباً يزجرها به عن النشوز غير مبرح ولا منهك ، روى بشر عن عكرمة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اضْرِبُوهُنَّ إِذَا عَصَيْنَكُمْ فِي المَعْرُوفِ ضَرْباً غير مُبَرِّحٍ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

» . { فَإِن أَطَعْنَكُم فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً } يعني أطعنكم في المضجع والمباشرة . { فلا تبغوا عليهن سبيلاً } فيه تأويلان :

أحدهما : لا تطلبواْ لهن الأذى .

والثاني : هو أن يقول لها لست تحبينني وأنت تعصيني ، فيصيّرها على ذلك وإن كانت مطيعة : قال سفيان : إذا فعلت ذلك لا يكلفها أن تحبه لأن قلبها ليس في يدها .

(295/1)

وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (35)

{ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَينِهِمَا } يعني مشاقة كل واحد منهما من صاحبه ، وهو إتيان ما يشق عليه من أمور أما من المرأة فنشوزها عنه وترك ما لزمها من حقه ، وأما من الزوج فعدوله عن إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، والشقاق مصدر من قول القائل شاق فلان فلاناً إذا أتى كل واحد منهما إلى صاحبه بما يشق عليه ، وقيل لأنه قد صار في شق بالعداوة والمباعدة .

{ فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا } وفي المأمور بإيفاد الحكمين ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه السلطان إذا تراجع إليه الزوجان ، وهو قول سعيد بن جبير ، والضحاك .

والثاني : الزوجان ، وهو قول السدي .

والثالث : أحد الزوجين وإن لم يجتمعا .

{ إِن يُرِيدَآ إِصْلاَحاً } يعني الحَكَمَين .

{ يُوَفِقِ اللهُ بَيْنَهُمَا } يحتمل وجهين :

أحدهما : يوفق الله بين الحكمين في الصلاح بين الزوجين .

والثاني : يوفق الله بينهما بين الزوجين بإصلاح الحَكَمَين ، والحكمين للإصلاح .

وفي الفُرْقَةِ إذا رأياها صلاحاً من غير إذن الزوجين قولان :

أحدهما : ليس ذلك إليها لأن الطلاق إلى الزوج .

والثاني : لهما ذلك لأن الحَكَم مشتق من الحُكم فصار كالحاكم بما يراه صلاحاً .

(296/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (36)

{ وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً } معناه واستوصوا بالوالدين إحساناً .

{ وَبِذِي الْقُرْبَى } هم قرابة النسب من ذوي الأرحام .

{ وَالْيَتَامَى } جمع يتيم وهو من مات أبوه لم يبلغ الحلم .

{ وَالْمَسَاكِينِ } جمع مسكين وهو الذي قد ركبه ذل الفاقة والحاجة فيتمسكن لذلك .

{ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى } فيه قولان :

أحدهما : بمعنى ذي القرابة والرحم وهم الذين بينك وبينهم قرابة نسب ، وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد .

والثاني : يعني الجار ذي القربى بالإسلام .

{ وَالْجَارِ الْجُنُبِ } فيه قولان :

أحدهما : الجار البعيد في نسبه الذي ليس بينك وبينه قرابة ، وهو قول ابن عباس ومجاهد .

والثاني : أنه المشرك البعيد في دينه .

والجنب في كلام العرب هو البعيد ، ومنه سُمي الجنب لاعتزاله الصلاة حتى يغتسل ، قال الأعشى بن قيس بن ثعلبة :

أتيت حُريثاً زائراً عن جنابةٍ ... فكان حريث في عطائي جامداً

{ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ } فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه الرفيق في السفر ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة .

والثاني : أنها زوجة الرجل التي تكون في جنبه ، وهو قول ابن مسعود .

والثالث : أنه الذي يلزمك ويصحبك رجاء نفعك ، وهو قول ابن زيد .

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كُلُّ صَاحِبٍ يَصْحَبُ صَاحِباً مَسْئُولٌ عَنْ صَحَابَتِهِ وَلَوْ سَاعَةً مِن نَّهَارٍ » . وروى عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خَيرُ الأَصْحَابِ عِندَ اللَّهِ خَيرُهُمْ لِصَاحِبِهِ ، وَخَيرُ الجيرانِ عِندَ اللَّهِ خَيرُهُمْ لِجَارِهِ » . { وَابْنِ السَّبِيلِ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه المسافر المجتاز مَارّاً ، وهذا قول مجاهد ، وقتادة ، والربيع .

والثاني : هو الذي يريد سفراً ولا يجد نفقة ، وهذا قول الشافعي .

والثالث : أنه الضعيف ، وهو قول الضحاك .

والسبيل الطريق ، ثم قيل لصاحب الطريق ابن السبيل ، كما قيل لطير الماء ابن ماء . قال الشاعر :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
وردت اعتسافاً والثريا كأنها ... على قمة الرأس ابن ماءٍ مُلحقُ
{ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ } يعني المملوكين ، فأضاف الملك إلى اليمين لاختصاصها بالتصرف كما يقال تكلم فُوك ، ومشت رجلُك .
{ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً } المختال : من كان ذا خيلاء ، مفتعل من قولك : خالَ الرجل يَخُول خُيلاء ، وخالاً ، قال العجاج :
والخال ثوب من ثياب الجهال ... (والدهْرُ فيه غَفْلةٌ للغفال)
والفخور : المفتخر على عباد الله بما أنعم الله عليه من آلائه وبسط عليه من رزقه .

(297/1)

الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (37) وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (38) وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا (39)

{ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ } فيهم قولان :
أحدهما : أنها نزلت في اليهود ، بخلوا بما عندهم من التوراة من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكتموه وأمرواْ الناس بكتمه . { وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ } يعني نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا قول مجاهد ، وقتادة ، والسدي .
والثاني : يبخلون بالإنفاق في طاعة الله عز وجل ويأمرون الناس بذلك ، وهو قول طاووس ، والبخل أن يبخل بما في يديه ، والشح أن يشح على ما في أيدي الناس يحب أن يكون له .
قوله تعالى : { وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الأْخِرِ } فيهم قولان :
أحدهما : أنهم اليهود ، وهو قول مجاهد .
والثاني : هم المنافقون ، وهو قول الزجاج .
{ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَآءَ قَرِيناً } القرين هو الصاحب الموافق ، كما قال عدي بن زيد :
عن المرءِ لا تسأل وأبصر قرينه ... فإن القرين بالمقارن مُقتدي
وأصل القرين من الأقران ، والقِرن بالكسر المماثل لأقرانه في الصفة ، والقَرْن بالفتح : أهل العصر لاقترانهم في الزمان ، ومنه قَرْن البهيمة لاقترانه بمثله .
وفي المراد يكون قريناً للشيطان قولان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

أحدهما : أنه مصاحبِهُ في أفعاله .

والثاني : أن الشيطان يقترن به في النار .

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (40) فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (41) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا (42)

قوله تعالى : { إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ } أصل المثقال الثقل ، والمثقال مقدار الشيء في الثقل .

والذرة : قال ابن عباس هي دودة حمراء ، قال يزيد بن هارون : زعمواْ أن هذه الدودة الحمراء ليس لها وزن .

قوله تعالى : { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ } وشهيد كل أمة نبيُّها ، وفي المراد بشهادته عليها قولان :

أحدهما : أن يشهد على كل أمّته بأنه بلغها ما تقوم به الحجة عليها ، وهو قول ابن مسعود وابن جريج ، والسدي .

والثاني : أن يشهد عليها بعملها ، وهو قول بعض البصريين .

{ وَجِئْنَا بِكَ على هَؤُلاءِ شَهِيداً } يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشهادة على أُمته ، روى ابن مسعود أنه قرأ على رسول الله : { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ على هَؤُلاءِ شَهِيداً } ففاضت عيناه صلى الله عليه وسلم .

قوله تعالى : { يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ } فيه قولان :

أحدهما : أن الذين تمنوه من تسوية الأرض بهم ، أن يجعلهم مثلها ، كما قال تعالى في موضع أخر { وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً } [النبأ : 40] .

والثاني : أنهم تمنواْ لو انفتحت لهم الأرض فصاروا في بطنها .

This file was downloaded from QuranicThought.com

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (43)

{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ } فيه قولان :

أحدهما : سكارى من الخمر ، وهو قول ابن عباس ، وقتادة ، وقد روى عطاء ابن السائب عن عبد الله بن حبيب : أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاماً وشراباً ودعا نفراً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فأكلوا وشربوا حتى ثملوا ، ثم قدّموا عمر فصلى بهم المغرب فقرأ : { قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ } أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَأَنْتُم عَابِدُونَ مَا أَعْبُد وَأَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ } لَكُمْ دِينُكُم وَلِيَ دِينٌ } فأنزل الله تعالى هذه الآية { لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ } .

والقول الثاني : وأنتم سكارى من النوم ، وهو قول الضحاك ، وأصل السُكر : السَكْر ، وهو سد مجرى الماء ، فالسُّكر من الشراب يسد طريق المعرفة .

فإن قيل فكيف يجوز نهي السكران ، ففيه جوابان :

أحدهما : أنه قد يكون سكران من غير أن يخرج إلى حد لا يحتمل معه الأمر .

والثاني : أنه نهي عن التعرض للسكر وعليه صلاة .

{ وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُواْ } فيه قولان :

أحدهما : أراد سبيل المسافر إذا كان جنباً لا يصلي حتى يتيمم ، وهذا قول ابن عباس في رواية أبي مجلز عنه ، ومجاهد ، والحكم ، وابن زيد .

والثاني : لا يقرب الجنب مواضع الصلاة من المساجد إلا مارّاً مجتازاً ، وهذا قول ابن عباس في رواية الضحاك ، وابن يسار عنه ، وهو قول جابر ، والحسن ، والزهري ، والنخعي .

{ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : ما انطلق عليه اسم المرض من مستضرٍّ بالماء وغير مستضرٍّ ، وهذا قول داود بن علي .

الثاني : ما استضر فيه باستعمال الماء دون ما لم يستضر ، وهذا قول مالك ، وأحد قولي الشافعي .

والثالث ما خيف من استعمال الماء فيه التلف دن ما لم يُخفْ ، وهو القول الثاني من قولي الشافعي .

{ أَوْ عَلَى سَفَرٍ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : ما انطلق عليه اسم السفر من قليل وكثير ، وهو قول داود .

والثاني : مسافة يوم وليلة فصاعداً ، وهو قول مالك ، والشافعي رحمهما الله .

والثالث : مسافة ثلاثة أيام ، وهو مذهب أبي حنيفة .

{ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الغَآئِطِ } هو الموضع المطمئن من الأرض كان الإنسان يأتيه لحاجته ،

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فكنى به عن الخارج مجازاً ، ثم كثر استعماله حتى صار كالحقيقة ، والدليل على أن الغائط حقيقة في اسم المكان دون الخارج ، قول الشاعر :

أما أتاك عني الحديث ... إذ أنا بالغائط أستغيث

وصِحت في الغائط يا خبيث ... { أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَآءَ } فيه قراءتان :

إحداهما : { لَمَسْتُمُ } بغير ألف ، قرأ بها حمزة والكسائي .

والأخرى : { لاَمَسْتُمْ } ، وهي قراءة الباقين .

وفي هذه الملامسة قولان :

أحدهما : الجماع ، وهو قول عليّ ، وابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، ومجاهد .

والثاني : أن الملامسة باليد والإفضاء ببعض الجسد ، وهو قول ابن مسعود ، وابن عمر ، وعبيدة ، والنخعي ، والشعبي ، وعطاء ، وابن سيرين ، وبه قال الشافعي .

وفي اختلاف القراءتين في { لَمَسْتُمْ } أو { لاَمَسْتُمُ } قولان :

أحدهما : أن { لاَمَسْتُمُ } أبلغ من { لَمِسْتُمُ } .

والثاني : أن { لاَمَسْتُمُ } يقتضي وجوب الوضوء على اللامس والملموس .

{ وَلَمَسْتُمُ } يقتضي وجوبه على اللامس دون الملموس .

{ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ } فيه قولان :

أحدهما : أنه التعبد والتحري ، وهو قول سفيان .

والثاني : أنه القصد ، وذكر أنها في قراءة ابن مسعود : فأتوا صعيداً طيباً . وفي الصعيد أربعة أقاويل :

أحدها : أنها الأرض الملساء التي لا نبات فيها ولا غِراس ، وهو قول قتادة .

والثاني : أنها الأرض المستوية ، وهو قول ابن زيد .

والثالث : هو التراب ، وهو قول عليّ ، وابن مسعود ، والشافعي .

والرابع : أنه وجه الأرض ذات التراب والغبار ، ومنه قول ذي الرُّمة :

كأنه بالضحى ترمي الصعيدَ به ... دَبّابةٌ في عظام الرأس خُرْطوم

وفي قوله تعالى : { طَيِّباً } أربعة أقاويل :

أحدها : حلالاً ، وهو قول سفيان .

والثاني : طاهراً ، وهو قول أبي جعفر الطبري .

والثالث : تراب الحرث ، وهو قول ابن عباس .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والرابع : أنه مكان حَدِرٌ غير بَطِحٍ ، وهو قول ابن جريج .

{ فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ } . فالوجه الممسوح في التيمم هو المحدود في غسل الوضوء .

فأما مسح اليدين ففيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : الكفان إلى الزندين دون الذراعين ، وهو قول عمار بن ياسر ، ومكحول ، وبه قال مالك في أحد قوليه ، والشافعي في القديم .

والثاني : الذراعان مع المرفقين ، وهو قول ابن عمر ، والحسن ، والشعبي ، وسالم بن عبد الله ، والشافعي في الجديد .

والثالث : إلى المنكبين والإبطين ، وهو قول الزهري ، وحكي نحوه عن أبي بكر .

واختلفوا في جواز التيمم في الجنابة على قولين :

أحدهما : يجوز ، وهو قول الجمهور .

والثاني : لا يجوز وهو قول عمر ، وابن مسعود ، والنخعي .

واختلفوا في سبب نزول هذه الآية على قولين :

أحدهما : نزلت في قوم من الصحابة أصابتهم جراح ، وهذا قول النخعي .

والثاني : أنها نزلت في إعواز الماء في السفر ، وهو قول عائشة رضي الله عنها .

(301/1)

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ (44) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا (45) مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (46)

قوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنهم قد صاروا لجحودهم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كمشتري الضلالة بالهدى .

والثاني : أنهم كانوا يعطون أحبارهم أموالهم على ما كانواْ يصنعونه من التكذيب بالرسول صلى الله عليه وسلم .

والثالث : أنهم كانوا يأخذون الرشا ، وقد روى ثابت البناني عن أنس بن مالك : أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن الراشي ، والمرتشي ، والرائش ، وهو المتوسط بينهما .

قوله تعالى : { ... وَاسْمَعَ غَيْرَ مُسْمَعٍ } فيه قولان :

إحداهما : معناه : اسمع لا سمعت ، وهو قول ابن عباس ، وابن زيد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : أنه غير مقبول منك ، وهو قول الحسن ، ومجاهد .

{ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِم } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن هذه الكلمة كانت سَبّاً في لغتهم ، فأطلع الله نبيّه عليها فنهاهم عنها .

والثاني : أنها كانت تجري مجرى الهُزْءِ .

والثالث : إنها كانت تخرج مخرج الكِبْر .

(302/1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آَمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (47) إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (48)

قوله تعالى : { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ } يعني اليهود والنصارى .

{ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا } يعني القرآن .

{ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ } يعني كتبكم .

{ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهآ } فيه قولان :

أحدهما : أن طمس الوجوه هو محو آثارها حتى تصير كالأقفاء ونجعل عيونها في أقفائها حتى تمشي القهقرى ، وهو قول ابن عباس ، وقتادة .

والثاني : أن نطمسها عن الهدى فنردها على أدبارها ، أي في ضلالها ذمّاً لها بأنها لا تصلح أبداً ، وهذا قول الحسن ، والضحاك ، ومجاهد ، وابن أبي نجيح ، والسدي .

{ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَابَ السَّبْتِ } أي نمسخهم قردة ، وهو قول الحسن ، وقتادة ، والسدي .

(303/1)

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (49) انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا (50) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا سَبِيلًا (51) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (52)

This file was downloaded from QuranicThought.com

قوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ، بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ } يعني اليهود في تزكيتهم أنفسهم أربعة أقاويل :

أحدها : قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه ، وهذا قول قتادة ، والحسن .

والثاني : تقديمهم أطفالهم لإمامتهم زعماً منهم أنه لا ذنوب لهم ، وهذا قول مجاهد ، وعكرمة .

والثالث : هو قولهم إن أبناءنا يستغفرون لنا ويزكوننا ، وهذا قول ابن عباس .

والرابع : هو تزكية بعضهم لبعض لينالوا به شيئاً من الدنيا ، وهذا قول ابن مسعود .

{ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً } فيه قولان :

أحدهما : أي الفتيل الذي شق النواة ، وهو قول عطاء ، وقتادة ، ومجاهد ، والحسن ، وأحد قولي ابن عباس . قال الحسن : الفتيل ما في بطن النواة ، والنقير ما في ظهرها ، والقطمير قشرها .

والثاني : أنه ما انفتل بين الأصابع من الوسخ ، وهذا قول السدي ، وأحد قولي ابن عباس .

قوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ } فيه خمسة أقاويل :

أحدها : أنهما صنمان كان المشركون يعبدونهما ، وهذا قول عكرمة .

والثاني : أن الجبت : الأصنام ، والطاغوت : تراجمة الأصنام ، وهذا قول ابن عباس .

والثالث : أن الجبت السحر ، والطاغوت : الشيطان ، وهذا قول عمر ، ومجاهد .

والرابع : أن الجبت الساحر ، والطاغوت الكاهن ، وهذا قول سعيد بن جبير .

والخامس : أن الجبت حُيي بن أخطب ، والطاغوت كعب بن الأشرف ، وهو قول الضحاك .

(304/1)

أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (53) أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (54) فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (55)

قوله تعالى : { أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً } وفي النقير ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الذي يكون في ظهر النواة ، وهذا قول ابن عباس ، وعطاء ، والضحاك .

والثاني : أنه الذي يكون في وسط النواة ، وهو قول مجاهد .

والثالث : أنه نقر الرجل الشيء بطرفِ إبهامه ، وهو رواية أبي العالية عن ابن عباس .

قوله تعالى : { أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَاءاتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ } يعني اليهود .

وفي الناس الذين عناهم ثلاثة أقاويل :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
أحدها : أنهم العرب ، وهو قول قتادة .
والثاني : أنه محمد صلى الله عليه وسلم خاصة ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، والسدي ، وعكرمة .
والثالث : أنهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وهو قول بعض المتأخرين . وفي الفضل المحسود عليه قولان :
أحدهما : النبوة ، حسدواْ العرب على أن كانت فيهم ، وهو قول الحسن ، وقتادة .
والثاني : أنه إباحته للنبي صلى الله عليه وسلم نكاح من شاء من النساء من غير عدد ، وهو قول ابن عباس ، والضحاك ، والسدي .
{ فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً } في الملك العظيم أربعة أقاويل :
أحدها : أنه ملك سليمان بن داود ، وهو قول ابن عباس .
والثاني : النبوة ، وهو قول مجاهد .
والثالث : ما أُيِّدُوا به من الملائكة والجنود ، وهو قول همام بن الحارث .
والرابع : من أباحه الله لداود وسليمان من النساء من غير عدد ، حتى نكح داود تسعاً وتسعين امرأة ، ونكح سليمان مائة امرأة ، وهذا قول السدي .

(305/1)

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (56) وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا (57)

قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِئَايَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمِ نَاراً } إلى قوله : { لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ } فإن قيل وكيف يجوز أن يُبدّلواْ جلوداً غير جلودهم التي كانت لهم في الدنيا فيعذبوا فيها؟ ولو جاز ذلك لجاز أن يُبدَّلواْ أجساماً ، وأرواحاً ، غير أجسامهم وأرواحهم التي كانت في الدنيا ، ولو جاز ذلك لجاز أن يكون المعذبون في الآخرة بالنار غير الذين وعدهم الله في الدنيا على كفرهم بالعذاب بالنار .
وقد أجاب أهل العلمِ عنه بثلاثة أجوبة :
أحدها : أن ألم العذاب إنما يصل إلى الإنسان الذي هو غير الجلد واللحم ، وإنما يحرق الجلد ليصل إلى الإنسان ألم العذاب ، فأما الجلد واللحم فلا يألمان فسواء أعيد على الكافر جلده الذي كان عليه وجلدٌ غَيْرُهُ .
والجواب الثاني : أنه تُعَادُ تلك الجلود الأولى جديدة [غير] محترقة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والجواب الثالث : أن الجلود المُعادَةَ إنما هي سرابيلهم من قبل أن جعلت لهم لباساً ، فسماها الله جلوداً ، وأنكر قائل هذا القول أن تكون الجلود تحترق وتعاد غير محترقة ، لأن في حال احتراقها إلى حال إعادتها فناءَها ، وفي فنائها راحتها ، وقد أخبر الله تعالى : أنهم لا يموتون ولا يخفف عنهم العذاب .

(306/1)

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (58)

قوله تعالى : { إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُم أَن تُؤَدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا } في المعنى بذلك أربعة أقاويل :
أحدها : أنه عَنَى وُلاَةَ أمور المسلمين ، وهذا قول شهر بن حَوْشَبٍ ، ومكحول ، وزيد بن أسلم .
والثاني : أنه أمر السلطان أن يعظ النساء ، وهذا قول ابن عباس .
والثالث : أنه خُوْطِبَ بذلك النبي صلى الله عليه وسلم في عثمان بن أبي طلحة ، أن يرد عليه مفاتيح الكعبة ، وهذا قول ابن جريج .
والرابع : أنه في كل مؤْتَمنٍ على شيء ، وهذا قول أُبَيّ بن كعب ، والحسن ، وقتادة . وقد روى قتادة عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أَدِّ الأَمَانَةَ إِلى مَنِ ائْتَمَنَكَ وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَك
» .

(307/1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (59)

قوله تعالى : { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وِأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ } يعني أطيعوا الله في أوامره ونواهيه ، وأطيعوا الرسول .
روى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَا اللهَ ، وَمَنْ عَصَا أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي
» . وفي طاعة الرسول قولان : أحدهما : اتباع سنته ، وهو قال عطاء .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : وأطيعوا الرسول إن كان حياً ، وهو قول ابن زيد .

وفي أولي الأمر أربعة أقاويل :

أحدها : هم الأمراء ، وهو قول ابن عباس ، وأبي هريرة ، والسدي ، وابن زيد .

وقد روى هشام عن عروة عن أبي صالح عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سَيَلِيكُم بَعْدِي وُلاَةٌ ، فَيَلِيكُمُ البَرُّ بِبِرِّهِ ، وَيَلِيكُمُ الفَاجِرُ بِفجُورِهِ ، فَاسْمَعُوا لَهُم وَأَطِيعُوا فِي كُلِّ مَا وَافَقَ الحَقَّ ، وَصَلُّوا وَرَاءَهُم ، فإِن أَحْسَنُواْ فَلَكُم وَلَهُم ، وإِنْ أَساءُوا فَلَكُم وَعَليهُم

» . واختلف قائلو هذا القول في سبب نزولها في الأمراء ، فقال ابن عباس : نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي إذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية . وقال السدي : نزلت في عمار بن ياسر ، وخالد بن الوليد حين بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية .

والقول الثاني : هم العلماء والفقهاء ، وهو قول جابر بن عبد الله ، والحسن ، وعطاء ، وأبي العالية .

والثالث : هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو قول مجاهد .

والرابع : هم أبو بكر وعمر ، وهو قول عكرمة .

وطاعة وَلاَةِ الأمر تلزم في طاعة الله دون معصيته ، وهي طاعة يجوز أن تزول ، لجواز معصيتهم ، ولا يجوز أن تزول طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لامتناع معصيته .

وقد روى نافع عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عَلَى المرءِ المُسْلِمِ الطَّاعةُ فِيمَا أَحبَّ أو كَرِهَ إلاَّ أَنْ يُؤمَرَ بِمَعْصِيةٍ فَلاَ طَاعَةَ

» . قوله تعالى : { فَإِن تَنَازَعْتُم فِي شَيءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ } قال مجاهد ، وقتادة : يعني إلى كتاب الله وسنة رسوله .

{ إِن كُنتُم تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيرٌ وَأَحسَنُ تَأْوِيلاً } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أَحْمَدُ عَاقِبَةً ، وهذا قول قتادة ، والسدي ، وابن زيد .

والثاني : أَظْهَرُ حَقاً وأَبْيَنُ صَوَاباً ، وهو معنى قول مجاهد .

والثالث : أحسن من تأويلكم الذي لا يرجع إلى أصل ولا يفضي إلى حق ، وهذا قول الزجاج .

(308/1)

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (60) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (61) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (62) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (63)

قوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوآ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ } اختلف فيمن نزلت هذه الآية على قولين :

أحدهما : أنها نزلت في رجل من المنافقين ورجل من اليهود كان بينهما خصومة ، فقال اليهودي : أحاكمك إلى أهل دينك لأني أعلم أنهم لا يقبلون الرشوة ، وقال المنافق : أحاكمك إلى اليهود منهم كعب بن الأشرف ، لأنه علم أنهم يقبلون الرشوة ، فاصطلحا أن يتحاكما إلى كاهن من جهينة ، فأنزل الله فيهما هذه الآية { أَلَمْ تَرَ إِلَى الّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ } يعني المنافق { وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ } يعني اليهودي . { يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ } يعني الكاهن ، وهذا قول الشعبي ومجاهد .

والثاني : أنها نزلت في رجلين من بني النضير وبني قريظة ، وكانت بنو قريظة في الجاهلية إذا قتلت رجلاً من بني النضير أقادوا من القاتل ، وكانت بنو النضير في الجاهلية إذا قتلت رجلاً من بني قريظة لم تَقُد من القاتل وأعطوا ديته ستين وَسْقاً من تمر ، فلما أسلم ناس من بني قريظة وبني النضير ، قتل رجل من بني النضير رجلاً من بني قريظة فتحاكموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النَّضِيرِيُّ لرسول الله : إنا كنَّا في الجاهلية نعطيهم الدية ستين وَسَقاً من تمر ، فنحن نعطيهم اليوم ذلك ، وقالت بنو قريظة : نحن إخوان في النسب والدين وإنما كان ذلك عليه الجاهلية وقد جاء الإسلام ، فأنزل الله تعالى يعيّرهم بما فعلواْ { وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيها أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ } [المائدة : 45] ، ثم ذكر قول بني النضير { أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ } [المائدة : 50] ثم أَخَذَ النَّضِيرِيَّ فقتله بالقرظي ، فتفاخرت النضير وقريظة ودخلواْ المدينة ، فتحاكموا إلى أبي بردة الأسلمي الكاهن ، فأنزل الله في ذلك { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُم ءَامَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ } [النساء : 60] يعني في الحال ، { وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ } يعني حين كانوا يهوداً . { يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ } يعني أبا بردة الأسلمي الكاهن ، وهذا قول السدي .

قوله تعالى : { فَكَيفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةُ . . } الآية في سبب نزولها قولان :

أحدهما : أن عمر قتل منافقاً لم يرض بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء إخوانه من المنافقين يطالبون بدمه ، وحلفواْ بالله أننا ما أردنا في المطالبة بدمه إلا إحساناً إلى النساء ، وما يوافق الحق في أمرنا .

والثاني : أن المنافقين بعد القَوَدِ من صاحبهم اعتذرواْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في محاكمتهم إلى غيره بان قالواْ ما أردنا في عدولنا عنك إلا توفيقاً بين الخصوم وإحساناً بالتقريب في الحكم دون الحمل على مُرّ الحق ، فنزلت هذه الآية .

قوله تعالى : { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِم } يعني من النفاق الذي يضمرونه .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ فَأَعْرِضْ عَنهُم وَعِظْهُم } وفي الجمع بين الإعراض والوعظ مع تنافي اجتماعهما في الظاهر – ثلاثة أوجه :

أحدها : أعرض عنهم بالعداوة لهم وعِظهم فيما بدا منهم .

والثاني : أعرض عن عقابهم وعظهم .

والثالث : أعرض عن قبول الأعذار منهم وعظهم .

{ وَقُل لَّهُم فِي أَنْفُسِهِم قَوْلاً بَلِيغاً } فيه قولان :

أحدهما : أن يقول لهم : إن أظهرتم ما في قلوبكم قتلكم ، فإنه يبلغ من نفوسهم كل مبلغ ، وهذا قول الحسن .

والثاني : أن يزجرهم عما هم عليه بأبلغ الزواجر .

(309/1)

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (64) فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (65)

قوله تعالى : { فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ } ومعنى { شَجَرَ بينَهُم } أي وقع بينهم من المشاجرة وهي المنازعة والاختلاف ، سُمِّيَ ذلك مشاجرة ، لتداخل بعض الكلام كتداخل الشجر بالتفافها .

{ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيتَ } وفي الحرج تأويلان :

أحدهما : يعني شكّاً وهو قول مجاهد .

والثاني : يعني إثماً ، وهو قول الضحاك .

واختلف في سبب نزولها على قولين .

أحدهما : أنها نزلت في المنافق واليهودي اللّذين احتكما إلى الطاغوت ، وهذا قول مجاهد ، والشعبي .

والثاني : أنها نزلت في الزبير ورجل من الأنصار قد شهد بدراً ، تخاصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرّة كانا يسقيان به نخلاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اسْقِ يا زُبَيرُ ثُمَّ أَرسِل المَاءَ إِلَى جَارِكَ » فغضب الأنصاري وقال : يا رسول الله آن كان ابن عمتك ، فَتَلَوَّنَ وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرف أن قد ساءه ، ثم قال يا زبير : « احْبسِ المَاءَ إِلَى

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الجُدُرِ أو الكَعْبَينِ ثَمَّ خَلِّ سَبِيلَ المَاءِ » فنزلت هذه الآية ، وهذا قول عبد الله بن الزبير ، وعروة ، وأم سلمة .

(310/1)

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (66) وَإِذًا لَآَتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (67) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (68) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (69) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا (70)

قوله تعالى : { وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أنعَمَ اللهُ عَلَيهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ والشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ اولَئِكَ رَفِيقاً } أما الصديقون فهو جمع صديق ، وهم أتباع الأنبياء .

وفي تسمية الصديق قولان :

أحدهما : أنه فِعِّيل من الصِّدْق .

والثاني : أنه فِعّيل من الصَدَقَة . وأما الشهداء فجمع شهيد ، وهو المقتول في سبيل اللَّه تعالى .

وفي تسمية الشهيد قولان :

أحدهما : لقيامه بشهادة الحق ، حتى قتل في سبيل الله .

والثاني : لأنه يشهد كرامة الله تعالى . في الآخرة . ويشهد على العباد بأعمالهم يوم القيامة إذا ختم له بالقتل في سبيل الله .

وأما الصالحون فجمع صالح وفيه قولان :

أحدهما : أنه كل من صلح عمله .

والثاني : هو كل من صلحت سريرته وعلانيته .

وأما الرفيق ففيه قولان :

أحدهما : أنه مأخوذ من الرفق في العمل .

والثاني : أنه مأخوذ من الرفق في السير .

وسبب نزول هذه الآية على ما حكاه الحسن وسعيد بن جبير وقتادة والربيع والسدي أنَّ ناساً توهموا أنهم لا يرون الأنبياء في الجنة لأنهم في أعلى عليين ، وحزنوا وسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية .

(311/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا (71) وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا (72) وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا (73) فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (74)

قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُم } فيه قولان :

أحدهما : يعني احذرواْ عَدُوَّكم .

والثاني : معناه خذواْ سلاحكم فسماه حذراً لأنه به يتقي الحذر .

{ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرو جَمِيعاً } والثُّبات : جمع ثُبة ، والثُبةُ العُصْبة ، ومنه قول زهير :

لقد أغدو على ثُبةٍ كرام ... ... نشاوَى واجدين لما نشاء

فيكون معنى لآية فانفروا عُصَباً وفرقاً أو جميعاً .

قوله تعالى : { فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا بِالأَخِرةِ } يعني يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة ، فعبر عن البيع بالشراء .

{ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً } فإن قيل فالوعد من الله تعالى على القتال فكيف جعل على القتل أو الغلبة؟ قيل لأن القتال يفضي غالباً إلى القتل فصار الوعد على القتال وعداً على من يفضي إليه ، والقتال على ما يستحقه من الوعد إذا أفضى إلى القتل والغلبة أعظم ، وهكذا أخبر .

(312/1)

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (75) الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (76)

قوله تعالى : { رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا } هي مكة في قول جميع المفسرين ، لما كانواْ عليه ، كما أخبر الله به عنهم ، من استضعاف الرجال والنساء والولدان وإفتانهم عن دينهم بالعذاب والأذى .

This file was downloaded from QuranicThought.com

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (77) أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (78) مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (79)

قوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَءَاتُواْ الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً } فيمن نزلت هذه الآية فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في ناس من الصحابة استأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم بمكة في قتال المشركين فلم يأذن لهم ، فلما كُتِبَ عليهم القتال وهم بالمدينة قال فريق منهم ما ذكره الله عنهم ، وهذا قول ابن عباس ، وعكرمة ، وقتادة ، والسدي .

والثاني : أنها نزلت في المنافقين ، وهو قول بعض البصريين .

والثالث : أنها نزلت في اليهود .

والرابع : أنها من صفة المؤمن لما طُبِعَ عليه البشر من المخافة ، وهذا قول الحسن .

{ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ } في البروج ها هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها القصور ، وهو قول مجاهد ، وابن جريج .

والثاني : أنها قصور في السماء بأعيانها تسمى بهذا الاسم ، وهو قول السدي ، والربيع .

والثالث : أنها البيوت التي في الحصون وهو قول بعض البصريين .

وأصل البروج الظهور ، ومنه تبرج المرأة إذا أظهرت نفسها .

وفي الْمُشَيَّدَةِ ثلاثة أقاويل :

أحدها : المجصصة ، والشيد الجص ، وهذا قول بعض البصريين .

والثاني : أن المُشَيَّدَ المطول في الارتفاع ، يقال شاد الرجل بناءه وأشاده إذا رفعه ، ومنه أَشدت بذِكرِ الرجل إذا رَفَعْتَ منه ، وهذا قول الزجاج .

والثالث : أن المُشَيَّد ، بالتشديد : المُطَوَّل ، وبالتخفيف : المجصَّص .

قوله تعالى : { وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَذِهِ مِنْ عِندِ اللهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَذِهِ مِنْ عِندِكَ } في القائلين ذلك قولان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
أحدهما : أنهم المنافقون ، وهو قول الحسن .

والثاني : اليهود ، وهو قول الزجاج .

وفي الحسنة والسيئة ها هنا ثلاثة تأويلات :

أحدها : البؤس والرخاء .

والثاني : الخصب والجدب ، وهو قول ابن عباس ، وقتادة .

والثالث : النصر والهزيمة ، وهو قول الحسن ، وابن زيد .

وفي قوله : { مِنْ عِندِكَ } تأويلان :

أحدهما : أي بسوء تدبيرك ، وهو قول ابن زيد .

والثاني : يعنون بالشؤم الذي لحقنا منك على جهة التطُّير به ، وهذا قول الزجاج ، ومثله قوله تعالى : { وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ } [الأعراف : 131] .

قوله تعالى :

{ مَا أَصَابَكَ مِن حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِك } اختلف في المراد بهذا الخطاب على ثلاثة أقاويل .

أحدها : أن الخطاب متوجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو المراد به .

والثاني : أنه متوجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره ، وهو قول الزجاج .

والثالث : أنه متوجه إلى الإنسان ، وتقديره : ما أصابك أيها الإنسان من حسنة فمن الله ، وهذا قول قتادة .

وفي الحسنة والسيئة ها هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الحسنة النعمة في الدين والدنيا ، والسيئة المصيبة في الدين والدنيا ، وهذا قول بعض البصريين .

والثاني : أن الحسنة ما أصابه يوم بدر ، والسيئة ما أصابه يوم أحد من شج رأسه وكسر رباعيته ، وهو قول ابن عباس ، والحسن .

والثالث : أن الحسنة الطاعة ، والسيئة المعصية ، وهذا قول أبي العالية . قوله تعالى : { فَمِن نَّفْسِكَ } قولان :

أحدهما : يعني فبذنبك .

والثاني : فبفعلك .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (80) وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (81)

قوله تعالى : { مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ } وإنما كانت طاعة لله لأنها موافقة لأمر الله تعالى .

{ وَمَن تَوَلَّى فَمَآ أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً } فيه تأويلان :

أحدهما : يعني حافظاً لهم من المعاصي حتى لا تقع منهم .

والثاني : حافظاً لأعمالهم التي يقع الجزاء عليها فتخاف ألاّ تقوم بها ، فإن الله تعالى هو المجازي عليها .

{ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ } يعني المنافقين ، أي أمرنا طاعة .

{ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ } والتبييت كل عمل دُبِّر ليلاً ، قال عبيد بن همام :

أتوني فلم أرض ما بيّتوا ... وكانواْ أتوْني بأمرٍ نُكُر
لأُنْكِحَ أَيِّمَهُمْ منذراً ... وهل يُنْكِحُ الْعَبْدُ حُرٌّ لحُرْ ؟

وفي تسمية العمل بالليل بياتاً قولان :

أحدهما : لأن الليل وقت المبيت .

والثاني : لأنه وقت البيوت .

وفي المراد بقوله تعالى : { بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ } قولان :

أحدهما : أنها غيّرت ما أضمرت من الخلاف فيما أمرتهم به أو نهيتهم عنه ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة ، والسدي .

والثاني : معناه فدبَّرت غير الذي تقول على جهة التكذيب ، وهذا قول الحسن .

{ وَاللهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ } فيه قولان :

أحدهما : يكتبه في اللوح المحفوظ ليجازيهم عليه .

والثاني : يكتبه بأن ينزله إليك في الكتاب ، وهذا قول الزجاج .

(315/1)

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (82) وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (83)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله تعالى : { أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرءَآنَ } أصل التدبر الدبور ، لأنه النظر في عواقب الأمور .

{ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً } في الاختلاف ها هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : تناقض من جهة حق وباطل ، وهذا قول قتادة ، وابن زيد .

والثاني : من جهة بليغ ومرذول ، وهو قول بعض البصريين .

والثالث : يعني اختلافاً في الأخبار عما يُسِرُّونَ ، وهذا قول الزجاج .

قوله تعالى : { وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ } في المعني بهذا قولان :

أحدهما : المنافقون ، وهو قول ابن زيد والضحاك .

والثاني : أنهم ضعفة المسلمين ، وهو قول الحسن ، والزجاج .

{ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ } وفيهم ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم الأمراء ، وهذا قول ابن زيد ، والسدي .

والثاني : هم أمراء السرايا .

والثالث : هم أهل العلم والفقه ، وهذا قول الحسن ، وقتادة ، وابن جريج ، وابن نجيح ، والزجاج .

{ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ } فيهم قولان :

أحدهما : أنهم أولو الأمر .

والثاني : أنهم المنافقون أو ضعفة المسلمين المقصودون بأول الآية ، ومعنى يستنبطونه : أي يستخرجونه ، مأخوذ من استنباط الماء ، ومنه سُمِّي النبط لاستنباطهم العيون .

{ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً } في فضل الله ها هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : يعني النبي صلى الله عليه وسلم .

والثاني : القرآن .

والثالث : اللطف والتوفيق .

وفي قوله تعالى : { لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً } أربعة أقاويل :

أحدها : يعني لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً منكم فإنه لم يكن يتبع الشيطان .

والثاني : لعلمه الذين يستنبطون إلا قليلاً منكم وهذا قول الحسن وقتادة .

والثالث : أذاعوا به إلا قليلاً ، وهذا قول ابن عباس ، وابن زيد .

والرابع : لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً مع الاتباع .

فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا (84) مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا (85) وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا (86) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (87)

قوله تعالى : { مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِنْهَا } في الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة قولان :

أحدهما : أنه مسألة الإنسان في صاحبه أن يناله خير بمسألته أو شر بمسألته ، وهذا قول الحسن ، ومجاهد ، وابن زيد .

والثاني : أن الشفاعة الحسنة الدعاء للمؤمنين ، والشفاعة السيئة الدعاء عليهم ، لأن اليهود كانت تفعل ذلك فتوعَّدَهُم الله عليه . وفي الكِفْلِ تأويلان :

أحدها : أنه الوِزر والإثم ، وهو قول الحسن ، وقتادة .

والثاني : أنه النصيب ، كما قال تعالى : { يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ } [الحديد : 28] وهو قول السدي ، والربيع ، وابن زيد .

{ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتاً } فيه خمسة تأويلات :

أحدها : يعني مقتدراً ، وهو قول السدي ، وابن زيد .

والثاني : حفيظاً ، وهو قول ابن عباس ، والزجاج .

والثالث : شهيداً ، وهو قول مجاهد .

والرابع : حسيباً ، وهو قول ابن الحجاج ، ويحكى عن مجاهد أيضاً .

والخامس : مجازياً ، وأصل المقيت القوت ، فَسُمِّي به المقتدر لأنه قادر على إعطاء القوت ، ثم صار اسماً في كل مقتدر على كل شيءٍ من قوت غيره ، كما قال الزبير ابن عبد المطلب :

وذي ضَغَنٍ كَففْتُ النَّفْسَ عنه ... وكنتُ على مَسَاءَتِهِ مُقِيتاً

قوله تعالى : { وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَا } في المراد بالتحية ها هنا قولان :

أحدهما : أنه الدعاء بطول الحياة .

والثاني : السلام تطوع مستحب ، ورده فرض ، وفيه قولان :

أحدهما : أن فرض رَدِّهِ عَامٌّ في المسلم والكافر ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة ، وابن زيد .

والثاني : أنه خاص في المسلمين دون الكافر ، وهذا قول عطاء .

وقوله تعالى : { بِأَحْسَنَ مِنْهَآ } يعني الزيادة في الدعاء .

{ أَوْ رُدُّوهَا } يعني بمثلها ، وروى الحسن أن رجلاً سلَّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَعَلَيْكُمُ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ » ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « وَعَلَيْكُمُ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ » ثم جاء آخر فقال : « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

» وَعَلَيْكُم « فقيل : يا رسول الله رددت على الأول والثاني وقلت للثالث وعليكم ، فقال : » إِنَّ الأَوَّلَ سَلَّمَ وَأَبْقَى مِنَ التَّحِيَّةِ شَيئاً ، فَرَدَدْتُ عَلَيهِ بِأَحْسَنَ مِمَّا جَاءَ بِهِ ، كَذَلِكَ الثَّانِي ، وإِنَّ الثَّالِثَ جَاءَ بِالتَّحِيَّةِ كُلِّهَا ، فَرَدَدْتُ عَلَيهِ مِثْلَ ذَلِكَ

« . وقد قال ابن عباس : ترد بأحسن منها على أهل الإسلام ، أو مثلها على أهل الكفر ، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : » لا تَبْدَأُواْ اليَهُودُ بِالسَّلاَمِ فَإِنْ بَدَأُوكُم فَقُولُواْ : عَلَيكُم

« . { إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني حفيظاً ، وهو قول مجاهد .

والثاني : محاسباً على العمل للجزاء عليه ، وهو قول بعض المتكلمين .

والثالث : كافياً ، وهو قول البلخي .

قوله تعالى : { اللهُ لآَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ } وفي تسمية القيامة قولان :

أحدهما : لأن الناس يقومون فيه من قبورهم .

والثاني : لأنهم يقومون فيه للحساب .

فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (88) وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (89) إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا (90) سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (91)

قوله تعالى : { فَمَا لَكُم فِي المُنَافِقِينَ فِئَتَينِ } اختلف فيمن نزلت هذه الآية بسببه على خمسة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في الذين تخلَّفُواْ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وقالواْ : لو نعلم قتالاً لاتبعناكم ، وهذا قول زيد بن ثابت .

والثاني : أنها نزلت في قوم قَدِمُواْ المدينة فأظهروا الإسلام ، ثم رجعواْ إلى مكة فأظهروا الشرك ، وهذا قول الحسن ، ومجاهد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
والثالث : أنها نزلت في قوم أظهروا الإسلام بمكة وكانوا يعينون المشركين على المسلمين ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة .
والرابع : أنها نزلت في قوم من أهل المدينة أرادوا الخروج عنها نفاقاً ، وهذا قول السدي .
والخامس : أنها نزلت في قوم من أهل الإفك ، وهذا قول ابن زيد .
وفي قوله تعالى : { وَاللهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا } خمسة تأويلات :
أحدها : معناه ردهم ، وهذا قول ابن عباس .
والثاني : أوقعهم ، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً .
والثالث : أهلكهم ، وهذا قول قتادة .
والرابع : أَضَلَّهم ، وهذا قول السدي .
والخامس : نكسهم ، وهذا قول الزجاج .
{ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللهُ } فيه قولان :
أحدهما : أن تُسَمُّوهم بالهُدى وقد سمّاهم الله بالضلال عقوبة لهم .
والثاني : تهدوهم إلى الثواب بمدحهم والله قد أَضَلَّهم بذمهم .
{ . . . إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ } أي يدخلون في قوم بينكم وبينهم أمان فلهم منه مثل ما لكم .
قال عكرمة : نزلت في الهلال بن عويمر الأسلمي ، وسراقة بن مالك بن جُعْثَم ، وخزيمة بن عامر بن عبد مناف .
قال الحسن : هؤلاء بنو مُدْلِج كان بينهم وبين قريش عهد ، وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم [وقريش] عهد ، فحرم الله من بني مُدْلِجٍ ما حرّم من قريش .
{ أَوْ جَآؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُواْ قَوْمَهُمْ } معنى حصرت أي ضاقت ، ومنه حُصِرَ العدو وهو الضيق ، ومنه حصر العداة لأنهم قد ضاقت عليهم مذاهبهم .
ثم فيه قولان :
أحدهما : أنه إخبارٌ من الله عنهم بأن صدورهم حَصِرتْ .
والثاني : أنه دعاء من الله عليهم بأن تُحصَرَ صدورهم ، وهذا قول أبي العباس .
{ وَلَوْ شَآءَ اللهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ } وفي تسليطهم قولان :
أحدهما : بتقوية قلوبهم .
والثاني : بالإذن في القتال ليدافعوا عن أنفسهم .
{ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ } فيه قولان :
أحدهما : الصلح ، وهو قول الربيع .
والثاني : الإسلام ، وهو قول الحسن .
{ فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً } قال الحسن ، وقتادة ، وعكرمة : هي منسوخة بقوله تعالى : {
This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيثُ وَجَدْتُمُوهُمْ } [التوبة : 5] .

قوله تعالى : { سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ } هم قوم يُظْهِرُونَ لقومهم الموافقة ليأمنوهم ، وللمسلمين الإسلام ليأمنوهم ، وفيهم أربعة أقاويل :

أحدها : أنهم أهل مكة ، وهذا قول مجاهد .

والثاني : أنهم من أهل تهامة ، وهذا قول قتادة .

والثالث : قوم من المنافقين ، وهذا قول الحسن .

والرابع : أنه نعيم بن مسعود الأشجعي ، وهذا قول السدي .

{ كُلَّ مَا رُدُّوّاْ إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا } أي كلما رُدُّوا إلى المحنة في إظهار الكفر رجعوا فيه .

(318/1)

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (92) وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (93)

قوله تعالى : { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَأً } اختلف فيمن نزلت فيه هذه الآية على قولين :

أحدهما : أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي وكان أخا أبي جهل لأمه قتل الحارث بن زيد من بني عامر بن لؤي ، لأنه كان يعذب عياشاً مع أبي جهل واختلف أين قتله ، فقال عكرمة ومجاهد : قتله بالحرّة بعد هجرته إلى المدينة وهو لا يعلم بإسلامه ، وقال السدي : قتله يوم الفتح وقد خرج من مكة وهو لا يعلم بإسلامه .

والقول الثاني : أنها نزلت في أبي الدرداء حين قتل رجلاً بالشعب فحمل عليه بالسيف ، فقال : لا إله إلا الله ، فبدر فضربه ثم وجد في نفسه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَلاّ شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ

» وهذا قول ابن زيد . فأنزل الله تعالى : { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَأً } يعني وما أَذِنَ الله لمؤمن أن يقتل مؤمناً .

ثم قال : { إِلاَّ خَطَأً } يعني أن المؤمن قد يقتل المؤمن خطأ وليس مما جعله الله له ، وهذا من الاستثناء الذي يسميه أهل العربية : الاستثناء المنقطع ، ومنه قول جرير :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

من البيض لم تظعن بعيداً ولم تطأ ... على الأرض إلاّ رِيْط بُردٍ مرحّلِ
يعني ولم تطأ على الأرض إلا أن تطأ ذيل البرد وليس البرد من الأرض .
{ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ } وفيها قولان :
أحدهما : أنها لا يجزىء عتقها في الكفارة إلا أن تكون مؤمنة بالغة قد صلت وصامت ، وهذا قول ابن عباس ، والشعبي ، والحسن ، وقتادة ، وإبراهيم .
والقول الثاني : أن الصغيرة المولودة من أبوين مسلمين تكون مؤمنة تجزىء في الكفارة ، وهذا قول عطاء ، والشافعي .
{ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ } في الدية وجهان :
أحدهما : أنها مجملة أخذ بيانها من رسول الله صلى الله عليه وسلم .
والثاني : أنها معهودة تقدم العمل بها ثم توجه الخطاب إليها فجعل الله الرقبة تكفيراً للقاتل في ماله والدية بدلاً من نفس المقتول على عاقلته .
{ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ } فيه قولان :
أحدهما : أي إن كان قومه كفاراً وهو مؤمن ففي قتله تحرير رقبة مؤمنة وليس فيه ديةُ ، وهو قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، وابن زيد . قال ابن زيد : لا تؤدى إليهم لأنهم يَتَقَوَّونَ بها .
والثاني : معناه فإن كان من قومٍ عدو لكم يعني أهل حرب إذا كان فيهم مؤمن فَقُتِلَ من غير علم بإيمانه ففيه الكفارة دون الدية سواء كان وارثه مسلماً أو كافراً وهذا قول الشافعي ، ويكون معنى قوله : { من قوم إلى قوم } ، وعلى القول الأول هي مستعملة على حقيقتها .

(319/1)

ثم قال تعالى : { وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنةٍ } فيهم ثلاثة أقاويل :
أحدها : هم أهل الذمة من أهل الكتاب ، وهو قول ابن عباس ، يجب في قتلهم الدية والكفارة .
والثاني : هم أهل عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب خاصة ، وهذا قول الحسن .
والثالث : هم كل من له أمان بذمة أو عهد فيجب في قتله الدية والكفارة ، وهو قول الشافعي .
ثم قال تعالى : { فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ } فيه قولان :
أحدهما : أن الصوم بدل من الرقبة وحدها إذا عدمها دون الدية ، وهذا قول الجمهور .
والثاني : أنه بدل من الرقبة والدية جميعاً عند عدمها ، وهذا قول مسروقٍ .
قوله تعالى : { وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا } قال ابن جريج : نزلت في مقيس بن صبابة ، وقد كان رجل من بني فهر قتل أخاه ، فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم الدية

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وضربها علي بني النجار ، فقبلها ، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مقيس بن صبابة ومعه الفهري في حاجة فاحتمل مقيس الفهريَّ وكان أيِّدا فضرب به الأرض ورضخ رأسه بين حجرين ثم ألقى يغني :

قتلت به فِهراً وحملت عقله ... سراة بني النجار أرباب فارع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَظُنُّهُ أَحْدَثَ حَدَثاً ، أَمَا وَاللَّهِ لَئِن كَانَ فَعَلَ لاَ أُؤَمِّنْهُ فِي حِلٍ وَلاَ حَرمٍ فَقُتِلَ عَامَ الفَتْحِ

» . وروى سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَمَن يَقْتُلْ مؤْمِناً مُتَعمِداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ ... » الآية ، فقيل له : وإن تاب وآمن وعمل صالحاً . قال وأنَّى له التوبة . قال زيد بن ثابت . فنزلت الشديدة بعد الهدنة بستة أشهر ، يعني قوله تعالى : { وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا } بعد قوله : { وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً ءَاخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ } [الفرقان : 68] .

(320/1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (94)

قوله تعالى : { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُم فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُواْ } .

الآية . قيل إنها نزلت في رجل كانت معه غُنَيْمَاتٌ لقيته سريَّة لرسول الله صلى الله عليهم وسلم ، فقال لهم : السلام عليكم لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فبدر إليه بعضهم فقتله ، فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « لِمَ قَتَلْتَهُ وَقَدْ أَسْلَمَ » قال إنما قالها تعوذاً ، قال : « هَلاَّ شَقَقْتَ عَن قَلْبِهِ » ثم حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديته إلى أهله وردّ عليهم غنمه .

واختلف في قاتله على خمسة أقاويل :

أحدها : أنه أسامة بن زيد ، وهو قول السدي .

والثاني : أنه المقداد ، وهو قول سعيد ابن جبير .

والثالث : أبو الدرداء ، وهو قول ابن زيد .

والرابع : عامر بن الأضبط الأشجعي ، وهو قول ابن عمر .

والخامس : هو محلّم بن جثامة الليثي . ويقال إن القاتل لفظته الأرض ثلاث مرات ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الأَرْضَ لَتَقْبَلُ مَنْ هُوَ شَرٌ مِّنهُ وَلَكنَّ اللَّهَ جَعَلهُ لَكُم عِبْرَةً ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَن

This file was downloaded from QuranicThought.com

تُلْقَى عَلَيهِ الحِجَارَةُ

» . { كَذَلِكَ كنتُم مِّن قَبْلُ } أي كفاراً مثلهم .

{ فَمَنَّ الله عَلَيْكُمْ } يعني بالإسلام .

(321/1)

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (95) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (96) إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (97) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (98) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (99) وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (100)

قوله تعالى : { وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً } .

في المراغم خمسة تأويلات :

أحدها : أنه المتحوَّل من أرض إلى أرض ، وهذا قول ابن عباس والضحاك . ومنه قول نابغة بني جعدة :

كطَوْدٍ يُلاذ بأركانه . . . ... عزيز المراغم والمطلب

والثاني : مطلب المعيشة ، وهو قول السدي ، ومنه قول الشاعر :

إلى بلدٍ غير داني المحل . . . . بَعيد المُراغم والمطلب

والثالث : أن المراغم المهاجر ، وهو قول ابن زيد :

والرابع : يعني بالمراغم مندوحة عما يكره .

والخامس : أن يجد ما يرغمهم به ، لأن كل من شخص عن قومه رغبة عنهم فقد أرغمهم ، وهذا قول بعض البصريين .

وأصل ذلك الرغم وهو الذل . والرّغام : التراب لأنه ذليل ، والرُّغام بضم الراء ما يسيل من الأنف .

وفي قوله تعالى : { وَسَعَةً } ثلاث تأويلات :

أحدها : سعة في الرزق وهو قول ابن عباس .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : يعني من الضلالة إلى الهدى ومن العيلة إلى الغنى ، وهو قول قتادة .
والثالث : سعة في إظهار الدين .

(322/1)

وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا (101)

قوله تعالى : { وَإِذَا ضَرَبْتُم فِي الأَرْضِ } أي سرتم ، لأنه يضرب الأرض برجله في سيره كضربه بيده ، ولذلك سُمِّيَ السفر في الأرض ضَرْباً .
{ فَلَيسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِن الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا } اختلف في هذا القصر المشروط بالخوف على قولين :
أحدهما : أنه قَصَرَ أركانها إذا خاف ، مع استيفاء أعدادها فيصلي عند المسايفة والتحام القتال كيف أمكنه قائماً وقاعداً وومومياً ، وهي مثل قوله : { فَإِنْ خِفْتُمْ فِرجَالاً أَوْ رُكْبَاناً } [البقرة : 239] وهذا قول ابن عباس .
والثاني : أنه قصر أعدادها من أربع إلى ما دونها ، وفيه ثلاثة أقاويل :
أحدها : أن هذا مشروط بالخوف من أربع إلى ركعتين ، فإن كان آمناً مقيماً لم يقصر ، وهذا قول سعد بن أبي وقاص ، وداود بن علي .
والثاني : أنه قَصْران ، فقصر الأَمَنْ ، من الأربع إلى ركعتين ، وقصر الخوف من ركعتين إلى ركعة ، وهذا قول جابر بن عبد الله والحسن . وقد روى مجاهد عن ابن عباس قال : فرض الله عز وجل على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين ، وفي الخوف ركعة .
والثالث : أنه يقصر في سفر خائفاً وآمناً من أربع إلى ركعتين لا غير .
روي عن أبي أيوب عن علي عليه السلام قال : سأل قوم من التجار رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسول إنا نضرب في الأرض فكيف نصلي؟ فأنزل الله تعالى : { وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِن الصَّلاَةِ } ثم انقطع الوحي ، فلما كان بعد ذلك بحول غزا النبي صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر ، فقال المشركون : لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم هلاّ شددتم عليهم؟ فقال قائل منهم : إن لهم أُخرى مثلها في أثرها ، فأنزل الله تعالى بين الصلاتين { إن خِفْتُم أن يَفْتِنَكم الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُم عَدُوّاً مُبِيْناً } إلى قوله : { عَذَاباً مُّهِيناً } فنزلت صلاة الخوف .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (102)

قوله تعالى : { وَإِذَا كُنْتَ فِيهِم فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ } وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي في الخوف بأصحابه . واختلف أهل العلم فيه هل خص به النبي صلى الله عليه وسلم ؟ على قولين :

أحدهما : أنه خاص له وليس لغيره من أمته أن يصلي في الخوف كصلاته ، لأن المشركين عزموا على الإيقاع بالمسلمين إذا اشتغلوا بصلاتهم ، فاطلع الله نبيه على سرائرهم وأمره بالتحرز منهم ، فكان ذلك سبب إسلام خالد بن الوليد ، فلذلك صار هذا خاصاً للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا القول محكي عن أبي يوسف .

والقول الثاني : أن ذلك عام للنبي صلى الله عليه وسلم ولغيره من أمته إذا كان على مثل حاله في خوفه ، لأن ذكر السبب الذي هو الخوف يوجب حمله عليه متى وجد كما فعل الصحابة بعده حين خافوا وهو قول الجمهور .

وقوله تعالى : { فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ } يعني مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة ، وطائفة بإزاء العدو .

ثم قال تعالى : { وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ } فيه قولان :

أحدهما : أن المأمورين بأخذ السلاح هم الذين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا قول الشافعي .

والثاني : هم الذين بإزاء العدو يحرسون ، وهذا قول ابن عباس .

ثم قال تعالى : { فَإِذَا سَجَدُواْ } يعني فإذا سجدت الطائفة التي معك في الصلاة .

{ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ } يعني بإزاء العدو .

واختلفوا في قوله تعالى : { مِن وَرَآئِكُمْ } هل ذلك بعد فراغهم من الصلاة وتمامها بالركعة التي أدركوها معه؟ على قولين :

أحدهما : قد تمت بالركعة حتى يصلوا معها بعد فراغ الإمام ركعة أخرى ، وهذا قول من أوجب عليه الخوف ركعتين .

ومن قال بهذا اختلفوا هل يتمون الركعة الباقية عليهم قبل وقوفهم بإزاء العدو أو بعده؟ على قولين :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدهما : قبل وقوفهم بإزاء العدو ، وهو قول الشافعي .
والثاني : بعده وهو قول أبي حنيفة .
ثم قال تعالى : { وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ } يريد الطائفة التي بإزاء العدو تأتي فتصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الركعة التي بقيت عليه ، وتمضي الطائفة التي صلّت فتقف موضعها بإزاء العدو . وإذا صلت مع النبي صلى الله عليه وسلم الركعة الباقية عليه ففيه قولان :
أحدهما : أن ذلك فرضها وتسلم بسلامه ، وهذا قول من جعل فرضه في الخوف ركعة .
والقول الثاني : أن عليها ركعة أخرى ، وهذا قول من جعل فرضه في الخوف ركعتين كالأمن ، فعلى هذا متى تفارقه؟ فعلى قولين :
أحدهما : قبل تشهده .
والثاني : بعده ، وقد روى القولين معاً سهل بن أبي حَثمة عن النبي صلى الله عليه وسلم .
وهل تتم ركعتها الباقية وقوفها بإزاء العدو؟ على قولين :
أحدهما : تتمها قبل الوقوف بإزائه ، وهو قول الشافعي .
والثاني : تقف بإزائه قبل إتمامها حتى إذا أتمت الطائفة الأولى ركعتها عادت فوقفت بإزاء العدو ، ثم خرجت هذه فأتمت ركعتها ، وهذا قول أبي حنيفة .
وهذه الصلاة هي نحو صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع .

(324/1)

فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا (103) وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (104)

قوله تعالى : { فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً } يعني ذكر الله بالتعظيم والتسبيح والتقديس بعد صلاته في خوفٍ وغيره : قال ابن عباس : لم يعذر أحد في تركه إلا مغلوباً على عقله .
{ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ } فيه تأويلان :
أحدهما : يعني فإذا أقمتم بعد السفر فأتموا الصلاة من غير قصر ، وهذا قول الحسن ، وقتادة ، ومجاهد .
والثاني : معناه فإذا أمِنتم بعد خوفكم فأتموا الركوع والسجود من غير إيماء ولا مشي ، وهذا قول

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

السدي .

{ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً } فيه تأويلان :

أحدهما : أي فرضاً واجباً ، وهو قول ابن عباس ، والحسن .

والثاني : يعني مؤقتة في أوقاتها ونجومها ، كلما مضى نجم جاء نجم ، وهو قول ابن مسعود ، وزيد بن أسلم .

{ وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ } أي لا تضعفواْ في طلبهم لحربهم .

{ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ } أي ما أصابهم منكم فإنهم يألمون به كما تألمون بما أصابكم منهم .

ثم قال تعالى : { وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لاَ يَرْجُونَ } أي هذه زيادة لكم عليهم وفضيلة خُصِصْتُم بها دونهم مع التساوي في الألم .

وفي هذا الرجاء اثنان من التأويلات :

أحدهما : معناه أنكم ترجون من نصر الله ما لا يرجون .

والثاني : تخافون من الله لا يخافون ، ومنه قوله تعالى : { مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ للهِ وَقَاراً } [نوح : 31] أي لا تخافون لله عظمة . ومنه قول الشاعر :

لا ترتجي حين تلاقي الذائدا ... أسبعةً لاقت معاً أم واحداً

(325/1)

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (105)
وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (106) وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (107) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا
يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (108) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (109) وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ
ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا (110) وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا (111) وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (112)
وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ
مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا
(113) لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ
يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (114) وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ
لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (115)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قوله تعالى : { إِنَّا أَنزَلْنآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ } يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الكتاب حق .

والثاني : أن فيه ذكر الحق .

والثالث : أنك به أحق .

{ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ } يحتمل وجهين :

أحدهما : بما أعلمك الله أنه حق .

والثاني : بما يؤديك اجتهادك إليه أنه حق .

{ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خصيماً } أي مخاصماً عنهم ، وهذه الآية نزلت في طعمة بن أبيرق ، واختلف في سبب نزولها فيه ، فقال السدي : كان قد أودع درعاً وطعاماً فجحده ولم تقم عليه بينه ، فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدفع عنه ، فبين الله تعالى أمره .

وقال الحسن : إنه كان سرق درعاً وطعاماً فأنكره واتهم غيره وألقاه في منزله ، وأعانه قوم من الأنصار ، وخاصم النبي صلى الله عليه وسلم عنه أو هَمّ بذلك ، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية إلى قوله : { ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً } يعني الذي اتهمه السارق وألقى عليه السرقة .

وقيل : إنه كان رجلاً من اليهود يقال له يزيد بن السمق .

وقيل : بل كان رجلاً من الأنصار يُقال له لبيد بن سهل .

وقيل : طعمة بن أبيرق فارتد فنزلت فيه هذه الآية .

ولحق بمشركي أهل مكة فأنزل الله تعالى فيه : { وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى } الآية [النساء : 115] .

(326/1)

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (116) إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا (117) لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (118) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (119) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (120) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا (121) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (122)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله تعالى : { إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أن الإناث اللات والعزى ومَناة ، وهو قول السدي وابن زيد وأبي مالك .

والثاني : أنها الأوثان ، وكان في مصحف عائشة : { إِن تَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً } .

والثالث : الملائكة ، لأنهم كانواْ يزعمون أنهم بنات الله ، وهذا قول الضحاك .

والرابع : الموات الذي لا روح فيه ، لأن إناث كل شيء أرذله ، وهو قول ابن عباس ، وقتادة .

قوله تعالى : { ولأُضِلَّنَّهُمْ } يعني الإيمان .

{ ولأُمَنِّيَنَّهُمْ } يعني بطول الأمل في الدنيا ليؤثروها على الآخرة .

{ وَلأَمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ الأَنْعَامِ } أي لَيُقَطِّعُنَّهَا نُسكاً لأوثانهم كالبحيرة والسائبة .

{ وَلأَمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ } فيه ثلاث تأويلات .

أحدها : يعني دين الله ، وهذا قول الحسن ، وقتادة ، ومجاهد ، وإبراهيم .

والثاني : أنه أراد به خصاء البهائم ، وهذا قول ابن عباس ، وأنس ، وعكرمة .

والثالث : أنه الوشم ، وهو قول ابن مسعود ، والحسن .

قال ابن مسعود : « لَعَنَ اللَّهُ الوَاشِمَاتِ والمُسْتَوشِمَاتِ وَالنَّامِصَاتِ والمتنمّصَاتِ والمُتَفَلِّجَاتِ للحسُنِ المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ » .

(327/1)

لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (123) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (124) وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (125) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا (126)

قوله تعالى : { لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ } في الكلام مضمر محذوف وتقديره ليس الثواب بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب ، على قولين :

أحدهما : أنهم عبدة الأوثان ، وهو قول مجاهد .

والثاني : أنهم أهل الإسلام ، وهو قول مسروق ، والسدي .

{ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ } السوء ما يسوء من القبائح ، وفيه ها هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الشرك بالله تعالى ، وهو قول ابن عباس .

الثاني : أنه الكبائر ، وهذا قول أُبَيِّ بن كعب .

والثالث : أنه ما يلقاه الإنسان في الدنيا من الأحزان والمصائب جزاءً عن سيئاته كما روى محمد بن

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قيس بن مخرمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية : { مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ } شقت على المسلمين وبلغت بهم ما شاء الله أن تبلغ فَشكو ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « قَارِبُوا وَسدِّدُواْ فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ المُسْلِمُ كَفَّارَةٌ حَتَّى النَّكْبةُ يُنْكَبُهَا أَو الشَّوْكِةُ يُشَاكُهاَ

» . وروى الأعمش عن مسلم قال : قال أبو بكر : يا رسول الله ما أَشَدَّ هذه الآية { مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ } فقال : « يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ المُصِيبَةَ فِي الدُّنْيَا جَزَاءٌ

. »

(328/1)

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا (127)

قوله تعالى : { وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَآءِ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ } الآية . اختلف في سبب نزول هذه الآية على قولين :

أحدهما : هو أن سبب نزولها أنهم في الجاهلية كانواْ لا يورثون النساء ولا الأطفال ، فلما فرض الله تعالى المواريث في هذه السورة شق ذلك على الناس ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية .

قوله تعالى : { اللاَّتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ } فيه قولان .

أحدهما : يعني المواريث ، وهذا قول ابن عباس بن جبير وقتادة مجاهد وابن زيد .

والثاني : أنهم كانواْ لا يؤتون النساء صدقاتهن ويتملكها أولياؤهن ، فلما نزل قوله تعالى : { وَءَاتُواْ النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً } سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

قوله تعالى : { اللاَّتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ } يعني ما فرض لهن من الصداق وهو قول عائشة .

{ وترغبون أن تنكحوهن } فيه تأويلان :

أحدهما : ترغبون عن نكاهن لقبحهن .

والثاني : تمسكونهن رغبة في أموالهن وجمالهن ، وهو قول عائشة .

(329/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (128) وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (129) وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا (130)

قوله تعالى : { وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْراضاً } الآية اختلف في سبب نزول هذه الآية على قولين :

أحدهما : أنها نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هم بطلاق سودة بنت زمعة فجعلت يومها لعائشة على ألا يطلقها ، فنزلت هذه الآية فيها . وهذا قول السدي .

والقول الثاني : أنها عامة في كل امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً . والنشوز : الترفع عنها لبغضها ، والإعراض : أن ينصرف عن الميل إليها لمؤاخذة أو أثرة .

{ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحا بَيْنَهُمَا صُلْحاً } إمَّا من تَرْكِ مهرٍ أو إسقاط قَسَم .

{ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ } فيه تأويلان :

أحدهما : يعني خيراً من النشوز والإعراض ، وهو قول بعض البصريين .

والثاني : خير من الفرقة ، وهو قول الزجاج .

{ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ } فيه تأويلان :

أحدهما : أنفس النساء أحضرت الشح عن حقوقهن من أزواجهن وأموالهن ، وهذا قول ابن عباس ، وسعيد بن جبير .

والثاني : أحضرت نفس كل واحد من الرجل والمرأة الشح بحقه قبل صاحبه ، وهو قول الحسن .

قوله تعالى : { وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَآءِ } يعني بقلوبكم ومحبتكم .

{ وَلَوْ حَرَصْتُمْ } فيه تأويلان :

أحدهما : ولو حرصتم أن تعدلوا في المحبة ، وهو قول مجاهد .

والثاني : ولو حرصتم في الجماع ، وهو قول ابن عباس .

{ فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ } أي فلا تميلواْ بأفعالكم فتُتْبِعُوهَا أهواءَكم .

{ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ } يعني لا أيِّماً ولا ذات زوْج .

قوله تعالى : { وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ } يعني الزوجين إن تفرقا بالطلاق .

{ يُغْنِ اللهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ } يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : يغني الله كل واحد منهما بالقناعة والصبر عن صاحبه ، ومعنى قوله : { من سعته } أي من رحمته ، لأنه واسع الرحمة .

والثاني : يغني الله كل واحد منهما عن صاحبه بمن هو خير منه ، ومعنى قوله : { من سعته } أي من قدرته لأنه واسع القدرة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثالث : يغني الله كل واحد منهما بمال يكون أنفع له من صاحبه . ومعنى قوله : { من سعته } أي من غناه لأنه واسع الغنى .

(330/1)

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا (131) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (132) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا (133) مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (134)

قوله تعالى : { إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِأَخَرِينَ } روى سهل بن أبي صالح عن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما نزلت ضرب بيده على ظهر سلمان وقال : « هُمْ قَوْمُ هّذا » يعني عجم الفرس .

قوله تعالى : { مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالأَخِرَةِ } ثواب الدنيا النعمة ، وثواب الآخرة الجنة .

(331/1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (135)

قوله تعالى : { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ } يعني بالعدل { شُهَدَآءَ لِلهِ } يعني بالحق .

{ وَلَو عَلَى أَنْفُسِكُمْ } وشهادة الإنسان على نفسه هي إقراره بما عليه من الحق لخصمه .

{ أَوِ الْوَالِدَينِ وَالأَقْرَبِينَ } أن يشهد عليهم لا لهم .

{ إِن يَكُنْ غَنِّياً أَوْ فَقِيراً فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ } قال السدي : نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختصم إليه رجلان : غني وفقير ، فكان ميله مع الفقير ، يرى أن الفقير لا يظلم الغني ، فأمره الله عز وجل أن يقوم بالقسط في الغني والفقير فقال : { إِن يَكُنْ غَنِّياً أَوْ فَقِيراً فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ } .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وقال ابن عباس : نزلت في الشهادة لهم وعليهم .

{ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ } قرأ ابن عباس وحمزة بواو واحدة ، وهي من الولاية أي تلوا أمور الناس أو تتركواْ ، وهذا للولاة والحكام .

وقرأ الباقون : { تَلْوُواْ } بواوين . قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : هو أن يلوي الإنسان لسانه بالشهادة كما يلوي الرجل ديْن الرجل إذا مطله ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم « ولَيُّ الْوَاجِدِ يُبِيْحُ عِرْضَهُ وَعُقُوبَتَهُ

» وقال الأعشى :

يلوونني ديني النهار وأقتضى ... ديني إذا وقذ النعاس الرُّقدا

وتكون على هذه القراءة والتأويل هذا خطاب الشهود .

(332/1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (136)

قوله تعالى : { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ ءَامِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ } فإن قيل فكيف قيل لهم { ءَامِنُواْ } وحُكِي عنهم أنهم آمنوا؟ فعن ذلك ثلاثة أجوبة :

أحدها : يا أيها الذين آمنواْ بمن قبل محمد من الأنبياء آمنواْ بالله ورسوله ويكون ذلك خطاباً ليهود والنصارى .

الثاني : معناه يا أيها الذين آمنوا بأفواههم أمنواْ بقلوبكم ، وتكون خطاباً للمنافقين .

والثالث : معناه يا أيها الذين آمنوا داوموا على إيمانكم ، ويكون هذا خطاباً للمؤمنين ، وهذا قول الحسن .

(333/1)

إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آَمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا (137) بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (138) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (139) وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آَيَاتِ اللَّهِ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (140)

قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ } فيه ثلاثة أقاويل : فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم آمنواْ بموسى ثم كفرواْ بعبادة العجل ، ثم آمنوا بموسى بعد عوده ثم كفرواْ بعيسى ، ثم ازدادوا كفراً بمحمد صلى الله عليهم وسلم ، وهذا قول قتادة .

والثاني : أنهم المنافقون آمنوا ثم ارتدواْ ، ثم آمنوا ثم ارتدواْ ، ثم ماتواْ على كفرهم ، وهذا قول مجاهد .

والثالث : أنهم قوم من أهل الكتاب قصدواْ تشكيك المؤمنين فكانواْ يظهرون الإيمان ثم الكفر ثم ازدادواْ كفراً بثبوتهم عليه ، وهذا قول الحسن . واختلف لمكان هذه الآية في استتابة المرتد على قولين :

أحدهما : أن المرتد يستتاب ثلاث مرات بدلالة الآية ، فإن ارتد بعد الثلاث قتل من غير استتابة ، وهذا قول علي .

والثاني : يستتاب كلما ارتد ، وهو قول الشافعي والجمهور .

(334/1)

الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (141)

قوله تعالى : { الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ } يعني المنافقين .

{ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ } أي فأعطونا من الغنيمة .

{ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ } فيه ثلاث تأويلات :

أحدها : معناه ألم نستول عليكم بالمعونة والنصرة ونمنعكم من المؤمنين بالتخذيل عنكم .

والثاني : معناه ألم نبين لكم أننا على دينكم ، وهذا قول ابن جريج .

والثالث : معناه ألم نغلب عليكم ، وهو قول السدي . وأصل الاستحواذ الغلبة ، ومنه قوله تعالى : { اسْتَحْوَذَ عَلَيهُمُ الشَّيْطَانُ } يعني غلب عليهم .

وفي قوله تعالى : { وَلَن يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيْلاً } فيه قولان :

أحدهما : يعني حُجّة ، وهذا قول السدي .

والثاني : سبيلاً في الآخرة ، وهذا قول عليّ ، وابن عباس .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

(335/1)

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (142) مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (143)

قوله عز وجل : { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ } معنى { يُخَادِعُونَ اللهَ } أي يخادعون نبي الله بما يظهرونه من الإيمان ويبطنونه من الكفر ، فصار خداعهم لرسول الله صلى الله عليهم خداعاً لله عز وجل .

{ وَهُوَ خَادِعُهُمْ } يعني الله تعالى ، وفيه ثلاثة أوجه :

أحدها : يعني يعاقبهم على خداعهم ، فسمى الجزاء على الفعل باسمه .

والثاني : أنه أمر فيهم بأمر المُخْتَدِع لهم بما أمر به من قبول إيمانهم وإن علم ما يبطنون من كفرهم .

والثالث : ما يعطيهم في الآخرة من النور الذي يمشون به مع المؤمنين ، فإذا جاؤواْ إلى الصراط طفىء نورهم ، فتلك خديعة الله إياهم .

{ وَإِذَا قَاموا إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى } يحتمل قولين :

أحدهما : متثاقلين .

والثاني : مقصَّرين .

{ يُرَآؤُونَ النَّاسَ } يعني أنهم يقصدون بما يفعلونه من البر رياء الناس دون طاعة الله تعالى .

{ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً } فيه قولان :

أحدهما : الرياء ، لأنه لا يكون إلا ذِكراً حقيراً ، وهو قول قتادة .

والثاني : يسيراً لاقتصاره على ما يظهر من التكبير دون ما يخفي من القراءة والتسبيح ، وإنما قلَّ من أجل اعتقادهم لا من قلة ذكرهم . قال الحسن : لأنه كان لغير الله تعالى .

(336/1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (144) إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (145) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

عَظِيمًا (146) مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (147) لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا (148) إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا (149) إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (150) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (151) وَالَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (152)

قوله عز وجل : { لاَّ يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : يعني إلا أن يكون مظلوماً فيدعو على من ظلمه ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : إلا أن يكون مظلوماً فيجهر بظلم من ظلمه ، وهذا قول مجاهد .

والثالث : إلا من ظلم فانتصر من ظالمه ، وهذا قول الحسن ، والسدي .

والرابع : إلا أن يكون ضيفاً ، فينزل على رجل فلا يحسن ضيافته ، فلا بأس أن يجهر بذمه ، وهذه رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد .

ثم قال بعد أن أباح بالسوء من القول لمن كان مظلوماً : { إِن تُبْدُواْ خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوءٍ } يعني خيراً بدلاً من السوء ، أو تخفوا السوء ، وإن لم تبدوا خيراً اعفوا عن السوء ، كان أولى وأزكى ، وإن كان غير العفو مباحاً .

(337/1)

يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا (153) وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (154)

قوله تعالى : { يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السَّمَاءِ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن اليهود سألوا محمداً صلى الله عليه وسلم ، أن ينزل عليهم كتاباً من السماء مكتوباً ، كما نزل على موسى الألواح ، والتوراة مكتوبة من السماء ، وهذا قول السدي ، ومحمد بن كعب .

والثاني : أنهم سألوه نزول ذلك عليهم خاصة ، تحكماً في طلب الآيات ، وهذا قول الحسن ، وقتادة .

والثالث : أنهم سألوه أن ينزّل على طائفة من رؤسائهم كتاباً من السماء بتصديقه ، وهذا قول ابن جريج .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً } يحتمل وجهين :
أحدهما : أن الله تعالى بيَّن بذلك أن سؤالهم للإِعْنَاتِ لا للاستبصار كما أنهم سألوا موسى أن يريهم الله جهرة ، ثم كفروا بعبادة العجل .
والثاني : أنه بيَّن بذلك أنهم سألوا ما ليس لهم ، كما أنهم سألوا موسى من ذلك ما ليس لهم .
{ فَقَالُواْ أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً } فيه قولان :
أحدهما : أنهم سألوه رؤيته جهرة ، أي معاينة .
والثاني : أنهم قالوا : جهرة من القول أّرِنا الله ، فيكون على التقديم والتأخير ، وهذا قول ابن عباس .
{ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ } فيه قولان :
أحدهما : بظلمهم لأنفسهم .
والثاني : بظلمهم في سؤالهم .
قوله تعالى : { وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمْ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ } يعني : بالعهد الذي أخذ عليهم بعد تصديقهم بالتوراة ان يعملوا بما فيها ، فخالفوا بعبادة العجل ونقضوه ، فرفع الله عليهم الطور ، ليتوبوا ، وإلاَّ سقط عليهم فتابوا حينئذ .
{ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً } فيه قولان :
أحدهما : أنه باب الموضع الذي عبدوا فيه العجل ، وهو من أبواب بيت المقدس ، وهذا قول قتادة .
والثاني : باب حِطَّة فأمروا بدخوله ساجدين لله عز وجل .
{ وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُواْ فِي السَّبْتِ } قرأ ورش عن نافع { تَعَدُّوا } بفتح العين وتشديد الدال ، من الاعتداء ، وقرأ الباقون بالتخفيف من عَدَوت . وعدوهم فيه تجاوزهم حقوقه ، فيكون تعديهم فيه – على تأويل القراءة الثانية– ترك واجباته .
{ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً } وهو ميثاق آخر بعد رفع الطور عليهم ، غير الميثاق الأول .
وفي قوله تعالى : { غَلِيظاً } قولان :
أحدهما : أنه العهد بعد اليمين .
والثاني : أن بعض اليمين ميثاق غليظ .

(338/1)

فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآَيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (155) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (156) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عَزِيزًا حَكِيمًا (158) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (159)

قوله تعالى : { . . . وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ } فيه قولان :

أحدهما : أنها محجوبة عن فهم الإعجاز ودلائل التصديق ، كالمحجوب في غلافة ، وهذا قول بعض البصريين .

والثاني : يعني أنها أوعية للعلم وهي لا تفهم احتجاجك ولا تعرف إعجازك ، وهذا قول الزجاج ، فيكون ذلك منهم على التأويل الأول إعراضاً ، وعلى التأويل الثاني إبطالاً .

{ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ } فيه تأويلان :

أحدهما : أنه جعل فيها علامة تدل الملائكة على كفرهم كعلامة المطبوع ، وهو قول بعض البصريين .

الثاني : ذمهم بأن قلوبهم كالمطبوع عليها التي لا تفهم أبداً ولا تطيع مرشداً ، وهذا قول الزجاج .

{ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً } فيه تأويلان :

أحدهما : أن القليل منهم يؤمن بالله .

الثاني : لا يؤمنون إلا بقليل ، وهو إيمانهم ببعض الأنبياء دون جميعهم .

قوله عز وجل : { وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ } ، أما قولهم : { إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ } فهو من قول اليهود ، أخبر الله به عنهم .

أما { رَسُولَ اللهِ } ففيه قولان :

أحدهما : أنه من قول اليهود بمعنى رسول الله في زعمه .

والثاني : أنه من قول الله تعالى لا على وجه الإخبار عنهم ، وتقديره : الذي هو رسولي .

{ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنهم كانوا يعرفونه فألقى شبهه على غيره ، فظنوه المسيح فقتلوه ، وهذا قول الحسن ، وقتادة ، ومجاهد ، ووهب ، والسدي .

والثاني : أنهم ما كانوا يعرفونه بعينه ، وإن كان مشهوراً فيهم بالذكر ، فارتشى منهم يهودي ثلاثين درهماً ، ودلهم على غيره مُوهِماً لهم أنه المسيح ، فشُبِّهَ عليهم .

والثالث : أنهم كانوا يعرفونه ، فخاف رؤساؤهم فتنة عوامِّهم ، فإن الله منعهم عنه ، فعمدوا إلى غيره ، فقتلوه وصلبوه ، ومَوَّهُوا على العامة أنه المسيح ، ليزول افتتانهم به .

{ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ } فيه قولان :

أحدهما : أنهم اختلفوا فيه قبل قتله ، فقال بعضهم : هو إله ، وقال بعضهم : هو ولد ، وقال بعضهم : هو ساحر ، فشكوا { مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ } الشك الذي حدث فيهم بالاختلاف .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : ما لهم بحاله من علم – هل كان رسولاً أو غير رسول؟ – إلا اتباع الظن .

{ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : وما قتلوا ظنَّهم يقيناً كقول القائل : ما قتلته علماً ، وهذا قول ابن عباس ، وجويبر .

والثاني : وما قتلوا أمره يقيناً أن الرجل هو المسيح أو غيره ، وهذا قول السدي .

والثالث : وما قتلوه حقاً ، وهو قول الحسن .

{ بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ } فيه قولان :

أحدهما : أنه رفعه إلى موضع لا يجري عليه حكم أحد من العباد ، فصار رفعه إلى حيث لا يجري عليه حكم العباد رفعاً إليه ، وهذا قول بعض البصريين .

(339/1)

والثاني : أنه رفعه إلى السماء ، وهو قول الحسن .

قوله تعالى : { وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : إلا ليؤمنن بالمسيح قبل موت المسيح ، إذا نزل من السماء ، وهذا قول ابن عباس ، وأبي مالك ، وقتادة ، وابن زيد .

والثاني : إلا ليؤمنن بالمسيح قبل موت الكتابي عند المعاينة ، فيؤمن بما أنزل الله من الحق وبالمسيح عيسى ابن مريم ، وهذا قول الحسن ، ومجاهد ، والضحاك ، وابن سيرين ، وجويبر .

والثالث : إلا ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل موت الكتابي ، وهذا قول عكرمة .

{ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً } يعني المسيح ، وفيه قولان :

أحدهما : أنه يكون شهيداً بتكذيب من كذبه وتصديق من صدقه من أهل عصره .

والثاني : يكون شهيداً أنه بلَّغ رسالة ربه ، وأقر بالعبودية على نفسه ، وهذا قول قتادة ، وابن جريج .

(340/1)

فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (160) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (161) لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (162) إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى
وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (163) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا
لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (164) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ
حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (165) لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ
يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (166) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا
(167) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (168) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (169) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ
فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (170) يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ
وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ
سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (171)

قوله تعالى : { يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ } فيه قولان :

أحدهما : أنه خطاب للنصارى خاصة .

والثاني : أنه خطاب لليهود والنصارى ، لأن الفريقين غلوا في المسيح ، فقالت النصارى : هو الرب ، وقالت اليهود : هو لغير رشدة ، وهذا قول الحسن .

والغلو : مجاوزة الحد ، ومنه غلاء السعر ، إذا جاوز الحد في الزيادة ، وغلا في الدين ، إذا فرط في مجاوزة الحق .

{ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ } يعني في غلوهم في المسيح .

{ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ } رداً على مَنْ جعله إلهاً ، أو لغير رشدة [أو] ساحراً .

{ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَآ إِلَى مَرْيَمَ } في كلمته ثلاثة أقاويل :

أحدها : لأن الله كَلَّمَه حين قال له كن ، وهذا قول الحسن ، وقتادة .

الثاني : لأنه بشارة الله التي بشر بها ، فصار بذلك كلمة الله .

والثالث : لأنه يهتدى به كما يُهْتَدَى بكلام الله .

{ وَرُوحٌ مِّنْهُ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : سُمِّي بذلك لأنه رُوح من الأرواح ، وأضافه الله إلى نفسه تشريفاً له .

والثاني : أنه سُمِّي روحاً؛ لأنه يحيا به الناس كما يُحْيَون بالأرواح .

والثالث : أنه سُمِّي بذلك لنفخ جبريل عليه السلام ، لأنه كان ينفخ فيه الروح بإذن الله ، والنفخ يُسَمَّى في اللغة روحاً ، فكان عن النفخ فسمي به ...

{ فَئَآمِنُواْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ : ثَلاَثَةٌ ، انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ } في الثلاثة قولان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : هو قول النصارى أب وابن وروح القدس ، وهذا قول بعض البصريين .

والثاني : هو قول من قال : آلهتنا ثلاثة ، وهو قول الزجاج .

(341/1)

لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (172) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (173) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (174) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (175)

قوله تعالى : { يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ } هو النبي صلى الله عليه وسلم ، لِمَا معه من المعجز الذي يشهد بصدقه .

{ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً } يعني القرآن سُمِّي نوراً لأنه يظهر به الحق ، كما تظهر المرئيات بالنور .

قوله تعالى : { فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ } فيه قولان :

أحدهما : اعتصموا بالقرآن ، وهذا قول ابن جريج .

والثاني : اعتصموا بالله من زيغ الشيطان وهوى الإنسان .

{ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً } في الهداية قولان :

أحدهما : أن يعطيهم في الدنيا ما يؤديهم إلى نعيم الآخرة ، وهذا قول الحسن .

والثاني : هو الأخذ بهم في الآخرة إلى طريق الجنة ، وهو قول بعض المفسرين البصريين .

(342/1)

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (176)

قوله تعالى : { يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ } الآية . قال البراء ابن عازب : آخر سورة نزلت كاملة سورة براءة ، وآخر آية أنزلت خاتمة ، سورة النساء { يَسْتَفْتُونَكَ ... } .

وقال جابر بن عبد الله : نزلت هذه الآية فيَّ ، وقد سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عادني في مرضي ، ولِيَ تسع أخوات ، كيف أصنع بمالي؟ فلم يجبني بشيء ، حتى نزلت { يَسْتَفْتُونَكَ } إلى آخر السورة .

وقال ابن سيرين : نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسيرة ، وإلى جنبه حذيفة بن اليمان ، فبلغها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان ، وبلَّغَها حذيفةُ عمرَ بن الخطاب ، وهو يسير خلفه .

(343/1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (1) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (2)

قوله تعالى : { يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ } فيها خمسة أقاويل :

أحدها : أنها عهود الله ، التي أخذ بها الإيمان ، على عباده فيما أحله لهم ، وحرمه عليهم ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أنها العهود التي أخذها الله تعالى على أهل الكتاب أن يعملوا بما في التوراة ، والإنجيل من تصديق محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا قول ابن جريج .

والثالث : أنها عهود الجاهلية وهي الحلف الذي كان بينهم ، وهذا قول قتادة .

الرابع : عهود الدين كلها ، وهذا قول الحسن .

والخامس : أنها العقود التى يتعاقدها الناس بينهم من بيع ، أو نكاح ، أو يعقدها المرء على نفسه من نذر ، أو يمين ، وهذا قول ابن زيد .

{ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ } فيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها الأنعام كلها ، وهي الإبل ، والبقر ، الغنم ، وهذا قول قتادة ، والسدي .

والثاني : أنها أجنة الأنعام التى توجد ميتة فى بطون أمهاتها ، إذا نحرت أو ذبحت ، وهذا قول ابن عباس ، وابن عمر .

والثالث : أن بهيمة الأنعام وحشيها كالظباء وبقر الوحش ، ولا يدخل فيها الحافر ، لأنه مأخوذ من نعمة الوطء .

قوله عز وجل : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللَّهِ } أى معالم الله ، مأخوذ من الإشعار وهو

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الإعلام .

وفي شعائر الله خمسة تأويلات :

أحدها : أنها مناسك الحج ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد .

والثاني : أنها ما حرمه الله فى حال الإحرام ، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً .

والثالث : أنها حرم الله ، وهو قول السدي .

والرابع : أنها حدود الله فيما أحل وحرَّم وأباح وحظَّر ، وهو قول عطاء .

والخامس : هي دين الله كله ، وهو قول الحسن ، كقوله تعالى : { ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَآئِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ } [الحج : 22] أى دين الله .

{ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ } أي لا تستحلوا القتال فيه ، وفيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه رَجَبُ مُضَر .

والثاني : أنه ذو العقدة ، وهو قول عكرمة .

والثالث : أنها الأشهر الحرم ، وهو قول قتادة .

{ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلاَئِدَ } أما الهدي ففيه قولان :

أحدهما : أنه كل ما أهداه من شيء إلى بيت الله تعالى .

والثاني : أنه ما لم يقلّد من النعم ، وقد جعل على نفسه ، أن يُهديه ويقلده ، وهو قول ابن عباس .

فأما القلائد ففيها ثلاثة أقاويل :

أنها قلائد الهدْي ، وهو قول ابن عباس ، وكان يرى أنه إذا قلد هديه صار مُحرِماً .

والثاني : أنها قلائد من لحاء الشجر ، كان المشركون إذا أرادوا الحج قلدوها فى ذهابهم إلى مكة ، وعَوْدهم ليأمنوا ، وهذا قول قتادة .

والثالث : أن المشركين كانوا يأخذون لحاء الشجر من الحرم إذا أرادوا الخروج منه ، فيتقلدونه ليأمنوا ، فنُهوا أن ينزعوا شجر الحرم فيتقلدوه ، وهذا قول عطاء .

(344/1)

{ وَلاَ ءَامِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ } يعنى ولا تحلوا قاصدين البيت الحرام ، يقال أممت كذا إذا قصدته ، وبعضهم يقول يممته ، كقول الشاعر :

إني لذاك إذا ما ساءني بلد ... يممت صدر بعيري غيره بلداً

{ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً } فيه قولان :

أحدهما : الربح فى التجارة ، وهو قول ابن عمر .

والثاني : الأجر ، وهو قول مجاهد { وَرِضْوَاناً } يعني رضي الله عنهم بنسكهم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ } وهذا وإن خرج مخرج الأمر ، فهو بعد حظر ، فاقتضى إباحة الاصطياد بعد الإحلال دون الوجوب .

{ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَان قَوْمٍ } في يجرمنكم تأويلان .

أحدهما : لا يحملنكم ، وهو قول ابن عباس ، والكسائي ، وأبي العباس المبرد يقال : جرمني فلان على بغضك ، أى حملني ، قال الشاعر :

ولقد طعنت أبا عيينة طعنة ... جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا

والثاني : معناه ولا يكسبنكم ، يقال جرمت على أهلي ، أي كسبت لهم ، وهذا قول الفراء .

وفي { شَنَئَانُ قَوْمٍ } تأويلان :

أحدهما : معناه بغض قوم ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : عداوة قوم ، وهو قول قتادة .

وقال السدي : نزلت هذه الآية فى الحُطَم بن هند البكري أَتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلاَمَ تَدعو؟ فأخبره ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : « يَدْخُلُ اليَوْمَ عَلَيكُم رَجُلٌ مِن رَّبِيعةَ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ شَيْطَانٍ » فلما أخبره النبي صلى الله عليه وسلم قال : أنظرني حتى أشاور ، فخرج من عنده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَقَدْ دَخَلَ بِوَجْهِ كَافِرٍ ، وَخَرجَ بِقَفَا غَادِرٍ » فمر بسرح من سرح المدينة ، فاستقاه وانطلق وهو يرتجز ويقول :

لقد لفها الليل بسواق حطم ... ليس براعي إبل ولا غنم

ولا بجزار على ظهر وضم ... باتوا نياماً وابن هند لم ينم

بات يقاسيها غلام كالزلم ... خدلج الساقين ممسوح القدم

ثم أقبل من عام قابل حاجاً قد قلد الهدي ، فاستأذن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتلوه ، فنزلت هذه الآية حتى بلغ { ءَآمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ } فقال له ناس من أصحابه : يا رسول الله خلّ بيننا وبينه ، فإنه صاحبنا ، فقال : « إنه قد قلد » .

ثم اختلفوا فيما نسخ من هذه الآية بعد إجماعهم على أن منها منسوخاً على ثلاثة أقاويل :

أحدهما : ان جميعها منسوخ ، وهذا قول الشعبي ، قال : لم ينسخ من المائدة إلا هذه الآية .

والثاني : أن الذى نسخ منها { وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ ءَآمِّينَ الْبَيتَ الْحَرَامَ } وهذا قول ابن عباس ، وقتادة .

والثالث : أن الذي نسخ منها ما كانت الجاهلية تتقلده من لحاء الشجر ، وهذا قول مجاهد .

(345/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (3)

قوله تعالى : { حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ } فيها تأويلان .

أحدهما : أنه كل ما له نفس سائلة من دواب البر وطيره .

والثاني ، أنه كل ما فارقته الحياة من دواب البر وطيره بغير ذكاة .

{ وَالدَّمُ } فيه قولان :

أحدهما : أن الحرام منه ما كان مسفوحاً كقوله تعالى : { أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً } الثاني : أنه كل دم مسفوح وغير مسفوح ، إلا ما خصته اسنة من الكبد والطحال ، فعلى القول الأول لا يحرم السمك ، وعلى الثاني يحرم .

{ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ } فيه قولان :

أحدهما : أن التحريم يختص بلحم الخنزير دون شحمه ، وهذا قول داود .

والثاني : أنه يعم اللحم وما خالطه من شحم وغيره ، وهو قول الجمهور ، ولا فرق بين الأهلي منه والوحشي .

{ وَمآ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ } يعني ما ذبح ليغر الله من الأصنام والأوثان ، أصله من استهلال الصبي إذا صاح حين يسقط من بطن أمه ، ومنه أهلال المُحْرِم بالحج والعمرة ، قال ابن أحمر :

يهل بالفرقد ركبانها ... كما يهل الراكب المعتمر

{ وَالْمُنْخَنِقَةُ } فيها قولان :

أحدهما : أنها تخنق بحبل الصائد وغيره حتى تموت ، وهو قول السدي ، والضحاك .

والثاني : أنها التي توثق ، فيقتلها خناقها .

{ وَالْمَوقُوذَةُ } هي التي تضرب بالخشب حتى تموت ، يقال : (وقذتها أقذها وقذاً ، وأوقذها أيقاذاً ، إذا أثخنتها ضرباً) ، ومنه قول الفرزدق :

شغارة تقذ الفصيل برجلها ... فطَّارة لقوادم الأبكار

{ وَالْمُتَرِدِيَةُ } هي التي تسقط من رأس جبل ، أو بئر حتى تموت .

{ وَالنَّطِيحَةُ } هي الشاة التي تنطحها أخرى حتى تموت .

{ وَمآ أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ } فيه قولان :

أحدهما : يعنى من المنخنقة وما بعدها ، وهو قول علي رضي الله عنه ، وابن عباس ، وقتادة ، والحسن ، والجمهور .

والثاني : أنه عائد إلى ما أكل السبع خاصة ، وهو محكي عن الظاهرية . وفى مأكولة السبع التي

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

تحل بالذكاة قولان :

أحدهما : أن تكون لها عين تطرف أو ذنب يتحرك .

والثاني : أن تكون فيها حركة قوية لا كحركة المذبوح ، وهو قول الشافعي ، ومالك .

{ . . . . وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ } معناه أن تطلبوا علم ما قُسِّمَ أو لم يُقَسَّم من رزق أو حاجة بالأزلام ، وهي قداح ثلاثة مكتوبة على أحدها : أمرني ربي ، والآخر : نهاني ربي ، والثالث : غفل لا شيء عليه ، فكانوا إذا أرادوا سفراً ، أو غزواً ، ضربوا بها واستسقموا ، فإن خرج أمرني ربي فعلوه ، وإن خرج نهاني ربي تركوه ، وإن خرج الأبيض أعادوه ، فنهى الله عنه ، فَسُمِّي ذلك استقساماً ، لأنهم طلبوا به علم ما قُسِمَ لهم .

وقال أبو العباس المبرد : بل هو مشتق من قَسَم اليمين ، لأنهم التزموا ما يلتزمونه ، باليمين .

{ ذَالِكُمْ فِسْقٌ } أي خروج عن أمر الله وطاعته ، وفعل ما تقدم نهيه عنه ،

{ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ } فيه قولان :

أحدهما : أن ترتدوا عنه راجعين إلى دينهم .

(346/1)

والثاني : أن يقدروا على إبطاله ويقدحوا فى صحته .

قال مجاهد : كان ذلك يوم عرفة حين حج النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ، بعد دخول العرب الإسلام حتى لم ير النبي صلى الله عليه وسلم مشركاً .

{ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ } أى لا تخشوهم أن يظهروا عليكم ، واخشونِ ، أن تخالفوا أمري .

{ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ } فيه قولان :

أحدهما : أنه يوم عرفة فى حجة الوداع ولم يعش [الرسول صلى الله عليه وسلم] بعد ذلك إلاَّ إحدى وثمانين ليلة ، وهذا قول ابن عباس : والسدي .

والثاني : أنه زمان النبي صلى الله عليه وسلم كله إلى أنْ نَزَل ذلك عليه يوم عرفة ، وهذا قول الحسن .

وفي إكمال الدين قولان :

أحدهما : يعني أكملت فرائضي وحدودي وحلالي وحرامي ، ولم ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم من الفرائض من تحليل ولا تحريم ، وهذا قول ابن عباس والسدي .

والثاني : يعني اليوم أكملت لكم حجتكم ، أن تحجوا البيت الحرام ، ولا يحج معكم مشرك ، وهذا قول قتادة ، وسعيد ابن جبير .

{ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي } بإكمال دينكم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً } أي رضيت لكم الاستسلام لأمري ديناً ، اي طاعة .

روى قبيصة قال : قال كعب لو أن غير هذه الأمة نزلت عليهم هذه الآية ، لعظموا اليوم ، الذى أُنْزِلت فيه عليهم ، فاتخذوه عيداً يجتمعون فيه ، فقال عمر : قد علمت اليوم الذى أُنزلت فيه ، والمكان الذي نزلت فيه ، نزلت في يوم الجمعة ويوم عرفة ، وكلاهما – بحمد الله – لنا عيد .

{ فَمَنِ آضْطُرَّ } أي أصابه ضر الجوع .

{ فِي مَخْمَصَةٍ } أي في مجاعة ، وهي مَفْعَلة مثل مجهلة ومبخلة ومجبنة ومخزية من خمص البطن ، وهو اصطباره من الجوع ، قال الأعشى :

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم ... وجاراتكم غرقى يبتن خماصا

{ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثمٍ } فيه قولان :

أحدهما : غير متعمد لإثم ، وهذا قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، ومجاهد .

والثاني : غير مائل إلى إثم ، وأصله من جنف القوم إذا مالوا ، وكل أعوج عند العرب أجنف .

وقد روى الأوزاعي عن حسان عن عطية عن أبي واقد الليثي قال : قلنا يا رسول الله إنا بأرض يصيبنا فيها مخمصة ، فما يصلح لنا من الميتة؟ قال : « إِذَا لَمْ تَصْطَبِحُوا أَوْ تَغْتَبِقُوا أَوْ تَجْنِفُوا بها ، فَشَأْنُكُم بِّهَا

» واختلف في وقت نزول هذه السورة على ثلاثة أقاويل .

أحدها : أنها نزلت في يوم عرفة ، روى شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت : نزلت سورة المائدة جميعاً وأنا آخذة بزمان ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء وهو واقف بعرفة فكادت من ثقلها أن تدق عضد الناقة .

والثاني : أنها نزلت في مسيره صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ، وهو راكب ، فبركت به راحلته من ثقلها .

والثالث : أنها نزلت يوم الاثنين بالمدينة ، وهو قول ابن عباس ، وقد حُكِيَ عنه القول الأول .

(347/1)

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (4)

قوله تعالى : { يَسْأَلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ } يعني بالطيبات الحلال ، وإنما سمي الحلال طيباً ، وإن لم يكن مستلذاً تشبيهاً بما يستلذ . { وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ } يعني وصيد ما علمتم من الجوارح ، وهي الكواسب من سباع البهائم والطير ، سميت جوارح لكسب أهلها بها من

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قولهم : فلان جارحة أهله أي كاسبهم ، ومنه قول أعشى بني ثعلبة :

ذا جبار منضجاً ميسمه ... يذكر الجارح ما كان اجترح

أي ما اكتسب .

وفي قوله : { مُكَلِّبِينَ } ثلاثة أقاويل .

أحدها : يعني من الكلاب دون غيرها ، وأنه لا يحل إلا صيد الكلاب وحدها ، وهذا قول ابن عمر ، والضحاك ، والسدي .

والثاني : أن التكليب من صفات الجوارح من كلب وغيره ، ومعناه مُضْرِين على الصيد كما تَضْرِي الكلاب ، وهو قول ابن عباس ، وعلي بن الحسين ، والحسن ، ومجاهد .

والثالث : أن معنى التكليب من صفات الجارح : التعليم .

{ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا علَّمَكُمُ اللَّهُ } أى تعلمونهن من طلب الصيد لكم مما علمكم الله من التأديب الذي أدبكم وصفات التعليم التي بيَّن حكمها لكم .

فأما صفة التعليم ، فهو أن يُشلَى إذا أُشلي ، ويجيب إذا دعي ويمسك إذا أخذ .

وهل يكون إمساكه عن الأكل شرطاً فى صحة التعليم أم لا؟ على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه شرط في كل الجوارح ، فإن أكلت لم تؤكل ، وهذا قول ابن عباس ، وعطاء .

والثاني : أنه ليس بشرط فى كل الجوارح ويؤكل وإن أكلت ، وهذا قول ابن عمر ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبي هريرة ، وسلمان .

والثالث : أنه شرط في جوارح البهائم فلا يؤكل ما أكلت ، وليس بشرط في جوارح الطير ، فيؤكل وإن أكلت ، وهذا قول الشعبي ، والنخعي ، والسدي .

واختلف فى سبب نزول هذه الآية على قولين :

أحدهما : ما روى القعقاع بن حكيم عن سليمان بن أبي رافع عن أبي رافع قال : جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستأذن عليه ، فقال إذِنَّا لك ، فقال أجل ولكنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ، قال أبو رافع : فأمرني أن أقتل كل كلب بالمدينة فقتلت حتى انتهيت إلى امرأة عندها كلب ينبح عليها فتركته رحمة لها ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فأمرني بقتله ، فرجعت إلى الكلب فقتلته ، فجاؤوا ، فقالوا : يا رسول الله ما يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها ، قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى : { يَسْأَلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِّنَ الْجَوارِحِ مُكَلِّبِينَ } الآية .

والثاني : ما حكي أن زيد الخيل لَمَّا وفد على النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه من الخير ما قال فسماه زيد الخير ، فقال : يا رسول الله فينا رجلان ، يقال لأحدهما دريح ، والآخر يكنى أبا دجانة ، لهما أَكْلُب خمسة تصيد الظباء ، فما ترى في صيدها؟

وحكى هشام عن ابن عباس أن أسماء هذه الكلاب الخمسة التي لدريح وأبي دجانة : المختلس وغلاب والغنيم وسهلب والمتعاطي ، قال : فأنزل الله تعالى : { يَسْأَلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ } الآية .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

(348/1)

الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (5)

قال تعالى : { الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ } يعني ذبائحهم .

{ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ } يعني ذبائحنا .

{ وَالْمُحصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ } يعني نكاح المحصنات ، وفيهن قولان :

أحدهما : أنهن الحرائر من الفريقين ، سواء كن عفيفات أو فاجرات ، فعلى هذا ، لا يجوز نكاح إمائهن ، وهذا قول مجاهد ، والشعبي ، وبه قال الشافعي .

والثاني : أنهن العفائف ، سواءٌ كن حرائر أم إماءً ، فعلى هذا ، يجوز نكاح إمائِهن ، وهذا قول مجاهد ، والشعبي أيضاً ، وبه قال أبو حنيفة .

وفي المحصنات من الذين أوتوا الكتاب قولان :

أحدهما : المعاهدات دون الحربيات ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : عامة أهل الكتاب من معاهدات وحربيات ، وهذا قول الفقهاء وجمهور السلف .

{ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ } يعني صداقهن .

{ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ } يعني أعفاء غير زُناة .

{ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ } هي ذات الخليل الواحد تقيم معه على السفاح .

(349/1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (6)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُواْ وَجُوهَكُمْ } يعني إذا أردتم القيام إلى الصلاة ، فاغسلوا وجوهكم ، فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : إذا قمتم إلى الصلاة محدثين ، فاغسلوا ، فصار الحدث مُضْمَراً . وفي وجوب الوضوء شرطاً ، وهو قول عبد الله بن عباس ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبي موسى الأشعري ، والفقهاء .

والثاني : أنه واجب على كل من أراد القيام إلى الصلاة ، أن يتوضأ ، ولا يجوز أن يجمع بوضوء واحد بين فرضين ، وهذا مروي عن علي وعمر . والثالث : أنه كان واجباً على كل قائمٍ الى الصلاة ، ثم نسخ إلاَّ على المحدث ،

روى سليمان بن بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ لكل صلاة ، فلما كان عام الفتح ، صلى الصلوات كلها بوضوء واحد ، ومسح على خفيه ، فقال عمر : إنك فعلت شيئاً لم تكن تفعله ، قال : « عمداً فعلته يا عمر

» وروى عبد الله بن حنظلة بن عامر الغسيل : أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالوضوء عند كل صلاة فشق عليه ، فأمر بالسواك ورفع عنه الوضوء .

(350/1)

وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (7) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (8) وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (9) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (10) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (11)

قوله تعالى : { يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ } يعني بالحق فيما يلزم من طاعته .

{ شُهَدَآءَ بِالْقِسْطِ } أي بالعدل . وفى هذه الشهادة ثلاثة أقاويل .

أحدها : أنها الشهادة بحقوق الناس ، وهذا قول الحسن .

والثاني : الشهادة بما يكون من معاصي العباد ، وهذا قول بعض البصريين .

الثالث : الشهادة لأمر الله تعالى بأنه حق .

وهذه الآية نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم ، واختلف المفسرون فى سبب نزولها فيه على قولين :

أحدهما : أن النبي خرج إلى يهود بني النضير ، يستعين بهم في دية ، فهمّوا أن يقتلوه ، فنزل ذلك

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فيه ، وهذا قول قتادة ، ومجاهد .

ثم إن الله تعالى ذكرهم نِعَمَهُ عليهم بخلاص نبيهم بقوله تعالى : { اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَومٌ أَن يبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ }

والقول الثاني : أن قريشاً بعثت رجلاً ، ليقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَأَطْلَعَ الله نَبِيَّهُ على ذلك ، فنزلت فيها هاتان الآيتان ، وهذا قول الحسن .

قوله تعالى : { وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ } يعني بإخلاص العبادة لله ولزوم طاعته .

{ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً } أخذ من كل سبط منهم نقيباً ، وفي النقيب ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الضمين ، وهو قول الحسن .

الثاني : الأمين ، وهو قول الربيع .

والثالث : الشهيد على قومه ، وهو قول قتادة .

وأصله في اللغة : النقيب الواسع ، فنقيب القوم هو الذي ينقب أحوالهم . وفيما بعث فيه هؤلاء النقباء قولان :

أحدهما : أنهم بُعِثُوا إلى الجبارين ، ليقفوا على أحوالهم ورجعوا بذلك إلى موسى ، فرجعوا عن قتالهم ، لمَّا رأوا من شدة بأسهم ، وعظم خلقهم ، إلا اثنين منهم ، وهذا قول مجاهد ، والسدي .

والثاني : أنهم بعثوا لقومهم بما أخذ به ميثاقهم منهم ، وهذا قول الحسن .

(351/1)

وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (12) فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (13) وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (14)

وفي قوله تعالى : { وَعَزَّرْتُمُوهُمْ } تأويلان :

أحدهما : يعني نصرتموهم ، وهذا قول الحسن ، ومجاهد .

الثاني : عظمتموهم ، وهذا قول أبي عبيدة .

وأصله المنع ، قال الفراء : عزرته عزراً إذا رددته عن الظلم ، ومنه التعزير لأنه يمنع من معاودة

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

القبح .

قوله تعالى : { فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ } وتقديره : فبنقضهم ميثاقهم لعنَّاهم ، و « ما » صلة زايدة .

{ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً } من القسوة وهي الصلابة .

وقرأ حمزة والكسائي { قَسِيَّةً } وفيه تأويلان :

أحدهما : أنها أبلغ من قاسية .

والثاني : أنها بمعنى قاسية .

{ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ } يعني بالتغيير والتبديل ، وسوء التأويل .

{ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ } يعني نصيبهم من الميثاق المأخوذ عليهم .

{ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ } فيه تأويلان .

أحدهما : يعني خيانة منهم .

والثاني : يعني فرقة خائنة .

{ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ } فيها قولان :

أحدهما : أن حكمها ثابت فى الصفح والعفو إذا رآه . والثاني : أنه منسوخ ، وفى الذي نسخه قولان :

أحدهما : قوله تعالى : { قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ } [التوبة : 29] وهذا قول قتادة .

والثاني : قوله تعالى : { وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيهِم عَلَى سَوَآءٍ } [الأنفال : 58] .

(352/1)

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (16)

قوله تعالى : { يَأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ } يعني : نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ورجم الزانين .

{ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ } مما سواه .

{ قَدْ جَآءَكم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ } فى النور تأويلان :

أحدهما : محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو قول الزجاج . الثاني : القرآن وهو قول بعض المتأخرين

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

.

قوله تعالى : { يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ } فيه تأويلان :

أحدهما : سبيل الله ، لأن الله هو السلام ، ومعناه دين الله ، وهذا قول الحسن .

والثاني : طريق السلامة من المخافة ، وهو قول الزجاج .

{ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُّمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ } يعني : من الكفر إلى الإيمان بلطفه .

{ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } فيه تأويلان :

أحدهما : طريق الحق وهو دين الله ، وهذا قول الحسن .

والثاني : طريق الجنة فى الآخرة ، وهو قول بعض المتكلمين .

(353/1)

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17) وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (18) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (19)

قوله تعالى : { وَقَالَتِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَآءُ اللَّهِ وَأَحِبَّآؤُهُ } في قولهم ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه قول جماعة من اليهود حذرهم النبي صلى الله عليه وسلم عقاب الله ، وخوفهم به ، فقالوا لا تخوفنا : { نَحنُ أَبْنَآءُ اللَّهِ وَأَحِبَّآؤُهُ } ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أن اليهود تزعم أن الله عز وجل أوحى إلى إسرائيل أن ولدك بِكْري من الولد ، فقالوا ، { نَحنُ أَبْنَآءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ } وهذا قول السدي .

وقال الحسن : أنهم قالوا ذلك على معنى قرب الولد من والده ، وهو القول الثالث .

وأما النصارى ، ففي قولهم لذلك قولان :

أحدهما : لتأويلهم ما في الإنجيل من قوله : اذهب إلى أبي وأبيكم ، فقالوا لأجل ذلك { نَحنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ } الثاني : لأجل قولهم في المسيح : ابن الله ، وهم يرجعون إليه ، فجعلوا نفوسهم أبناء الله وأجباءه ، فرد الله منطقهم ذلك بقوله :

{ . . . فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ } لأن الأب لإشفاقه لا يعذب ابنه ، ولا المحب حبيبه .

(354/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآَتَاكُمْ مَا لَمْ
يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (20) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى
أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (21) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا
فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (22) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ
الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (23) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ
نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (24) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا
نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (25) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي
الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (26)

قوله تعالى : { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَومِهِ يا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَآءَ } فيهم قولان .

أحدهما : أنهم الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى .

والثاني : أنهم السبعون الذين اختارهم موسى .

{ وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً } فيه خمسة أقاويل :

أحدها : لأنهم مَلَكوا أنفسهم بأن خلصهم من استعباد القبط لهم ، وهذا قول الحسن .

والثاني : لأن كل واحد ملك نفسه وأهله وماله ، وهذا قول السدي .

والثالث : لأنهم كانوا أول من ملك الخدم من بني آدم ، وهو قول قتادة .

والرابع : أنهم جُعِلُوا ملوكاً بالمَنِّ والسَّلْوَى والحَجَر ، وهذا قول ابن عباس .

والخامس : أن كل من ملك داراً وزوجة وخادماً ، وفهو ملك من سائر الناس ، وهذا قول عبد الله بن عمرو بن العاص ، والحسن ، وزيد بن أسلم .

وقد روى زيد بن أسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان له بيت [يأوي إليه وزوجة] وخادم ، فهو ملك
» . { وءَاتَاكُمْ مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ } فيه قولان :

أحدهما : المن والسلوى والغمام والحجر ، وهو قول مجاهد .

الثاني : كثرة الأنبياء فيهم والآيات التي جاءتهم . قوله تعالى : { يَا قَوْمِ ادْخُلُواْ الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ } فيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أرض بيت المقدس ، وهذا قول ابن عباس ، والسدي .

والثاني : دمشق وفلسطين وبعض الأردن ، وهذا قول الزجاج .

والثالث : هي الشام ، وهذا قول قتادة ، ومعنى المقدسة : المطهرة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وقوله : { الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ } وإن قال : { إِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيهِم } لأنها كانت هبة من الله تعالى لهم ثم حرَّمها عليهم بعد معصيتهم .

{ وَلاَ تَرْتَدُّواْ عَلَى أَدْبَارِكُمْ } فيه تأويلان :

أحدهما : لا ترجعوا عن طاعة الله إلى معصيته .

والثاني : لا ترجعوا عن الارض التي أمرتم بدخولها .

قوله تعالى : { قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ } والجبار : هو الذي يَجْبُرُ الناس على ما يريد إكراههم عليه ، ومنه جَبْرُ العظم ، لأنه كالإكراه على الصلاح ، ويقال [للأعواد التي] تحمله جُبَارة ، إذا قامت اليد طولاً ، لأنها امتنعت كامتناع الجبار من الناس .

وقيل بلغ من جبروت هؤلاء القوم ، أن واحداً منهم ، أخذ الاثني عشر نقيباً ، الذين بعثهم موسى ، ليخبروه بخربهم ، فحملهم مع فاكهة حملها من بستانه ، وجاء فنشرهم بين يدي الملك ، وقال : هؤلاء يريدون أن يقاتلونا ، فقال الملك : ارجعوا إلى صاحبكم فأخبروه خبرنا .

قوله تعالى : { قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ } فيه قولان :

أحدهم : يخافون الله ، وهو قول قتادة .

الثاني : يخافون الجبارين ، ولم يمنعهم خوفهم من قول الحق .

{ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا } فيه تأويلان :

أحدهما : بالتوفيق للطاعة .

والثاني : بالإسلام ، وهو قول الحسن .

وفي هذين الرجلين قولان :

أحدهما : أنهما من النقباء يوشع بن نون ، وكالب بن يوقنا ، وهذا قول ابن عابس ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي .

والثاني : أنهما رجلان ، كانا في مدينة الجبارين أنعم الله عليهما بالإسلام ، وهذا مروي عن ابن عباس .

{ ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ } فيه تأويلان :

أحدهما : إنما قالوه لعلمهم بأن الله كتبها لهم .

والثاني : لعلمهم بأن الله ينصرهم على أعادئه ، ولم يمنعهم خوفهم من القول الحق ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لاَ يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ مَخَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ الحَقَّ إِذَا رَآهُ أَوْ عَلِمَهُ فَإِنَّهُ لاَ يُبْعِدُ مِنْ رِزْقٍ وَلاَ يُدْنِي مِنْ أَجَلٍ

» .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (28) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (29) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (30) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (31)

قوله تعالى : { وَاتْلُ عَلَيهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ } فيهما قولان :

أحدهما : أنهما من بني إسرائيل ، وهذا قول الحسن .

والثاني : أنهما ابنا آدم لصلبه ، وهما هابيل وقابيل ، وهو قول ابن عباس ، وابن عمر ، ومجاهد ، وقتادة .

{ إِذْ قَرَّبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ } والقربان : هو البر الذي يقصد من رحمة الله ، وهو فعلان من القرب .

واختلف فى السبب الذي قربا لأجله قرباناً على قولين :

أحدهما : أنهما فعلاه لغير سبب .

والثاني : وهو أشهر القولين أن ذلك لسبب ، وهو أن حواء كانت تضع في كل عام غلاماً وجارية ، فكان الغلام يتزوج من أحد البطنين بالجارية من البطن الآخر ، وكان لكل واحد من ابني آدم هابيل وقابيل توأمة ، فأراد هابيل أن يتزوج بتوأمة قابيل فمنعه ، وقال أنا أحق بها منك .

واختلف فى سبب منعه على قولين :

أحدهما : أن قابيل قال لهابيل أنا أحق بتوأمتي منك ، لأننا من ولادة الجنة وأنت من ولادة الأرض .

الثاني : أنه منعه منها لأن توأمته كانت أحسن من هابيل ومن توأمته ، فقربا قرباناً وكان قابيل حراثاً ، وهابيل راعياً ، فقرب هابيل سخلة سمينة من خيار ماله ، وقرب قابيل حزمة سنبل من شر ماله ، فنزلت نار بيضاء فرفعت قربان هابيل وتركت قربان قابيل ، وكان ذلك علامة القبول ولم يكن فيهم مسكين يتقرب بالصدقة عليه وإنما كانت قُرَبُهُم هكذا .

قال أبو جعفر الطبري : وكانت سخلة هابيل المقبولة ترعى فى الجنة حتى فَدَى الله تعالى بها إٍحاق بن إبراهيم الذبيح .

واختلف في سبب قبول قربان هابيل على وجهين :

أحدهما : لأنه كان أتقى لله من قابيل لقوله : { إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } ، والتقوى ها هنا الصلاة ، على ما ذكره المفسرون .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الثاني : لأن هابيل تقرب بخيار ماله فَتُقُبِّل منه ، وقابيل تقرب بشر ماله ، فلم يُتَقَبَّل منه ، وهذا قول بعد الله بن عمر ، وأكثر المفسرون .

واختلف في قربانهما هل كان بأمر آدم ، أو من قبل أنفسهما على قولين :

أحدهما : أنهما قربا بأمر آدم حين اختصما إليه .

والثاني : أنهما قربا من قِبَل أنفسهما .

وكان آدم قد توجه إلى مكة ، ليراها ويزور البيت بها عن أمر به ، وكان قد عرض الأمانة في حفظ أهله على السموات فأبت ، فعرضها على الأرض فأبت ، فعرضها على الجبال فأبت ، فعرضها على قابيل فقبلها ، ثم توجه وعاد فوجد قابيل قد قتل هابيل وشربت الأرض دمه ، فبكى ولعن الأرض لشربها دمه ، فأنبتت الشوك ، ولم تشرب بعده دماً .

روى غياث بن إبراهيم عن أبي إسحاق الهمداني عن علي قال : لما قتل قابيل بن آدم هابيل أخاه بكاه آدم عليه السلام فقال :

(356/1)

تَغَيَّرَتِ البِلادُ ومَنْ عليها ... فوَجْهُ الأرْضِ مُغْبَرٌّ قبيحٌ

تَغَيَّرَ كلُّ ذِي لَوْنٍ ... وقَلَّ بَشَاشَةُ الوَجْهِ المَلِيحْ

قال فأجيب آدم :

أبا هابيل قد قُتِلا جَمِيعاً ... وصارَ الحَيُّ كالمَيِّتِ الذَّبِيحْ

وجَاءَ بِشَرِّ ما قَدْ كانَ منه ... على خَوْفٍ فَجَاءَ بها تَصِيحْ

واختلف في قابيل هل كان عند قتل أخيه كافراً أو فاسقاً؟ فقال قوم كان كافراً ، وقال آخرون بل كان رجل سوء فاسقاً .

قال ابن جريج : لم يزل بنو آدم فى نكاح الأخوات حتى مضي أربعة آباء ، فنكح ابنة عمه وذهب نكاح الأخوات .

قوله تعالى : { لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ } معناه لئن بدأتني بالقتل لم أبدأك بمثله ، وفي امتناعه من دفعه قولان :

أحدهما : منعه منه التحرج مع قدرته عليه وجوازه له ، وهذا قول ابن عباس ، وعبد الله بن عمر .

والثاني : أنه لم يكن له الامتناع ممن أراد إذ ذاك ، وهذا قول مجاهد والحسن .

قوله تعالى : { إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ } معناه ترجع ، وفيه تأويلان : إحدهما : أن تبوء بإثم قتلي وإثمك الذي عليك من معاصيك وذنوبك ، وهذا قول ابن عباس ، وابن مسعود .

والثاني : يعني أن تبوء بإثمي فى خطاياي ، وإثمك بقتلك لي ، فتبوء بهما جميعاً ، وهذا قول مجاهد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

.

وروى الأعمش ، عند عبد الله بن مرة ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ نَفْسٍ تُقتَلُ ظُلْماً إلاَّ كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ » . قوله تعالى : { فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ } معنى طوعت أي فعلت من الطاعة ، وفيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعنى شجعت ، وهو قول مجاهد .

والثاني : يعني زينت ، وهو قول قتادة .

والثالث : يعني فساعدته .

وكان هابيل أول من قُتِلَ في الأرض ، وقيل إن قابيل لم يدر كيف يقتله حتى ظهر له إبليس فعلمه ، وقيل إنه قتله غيلة ، بأن ألقى عليه وهو نائم صخرة ، شدخه بها .

قوله تعالى : { فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ } فيه تأويلان :

أحدهما : يعني عورة أخيه .

والثاني : جيفة أخيه لأنه تركه حتى أنتن ، فقيل لجيفته سوأة .

وفي الغراب المبعوث قولان :

أحدهما : أنه كان ملكاً على صورة الغراب ، فبحث الأرض على سوأة أخيه حتى عرف كيف يدفنه .

والثاني : أنه كان غراباً بحث الأرض على غراب آخر .

{ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ } قيل إنه ندم علىغير الوجه الذي تصح منه التوبة ، فلذلك لم تقبل منه ، ولو ندم على الوجه الصحيح لقبلت توبته .

وروى معمر ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إنَّ ابْنَي آدَمَ ضَرَبَ مَثَلاً لِهَذِهِ الأَمَّةِ ، فَخُذُوا مِنْ خَيرِهِمَا ، وَدَعُوا شَرَّهُمَا » .

(357/1)

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (32) إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَلَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (33) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (34)

قوله تعالى : { مِنْ أَجْلِ ذلِكَ } يعني من أجل أن ابن آدم قتل أخاه ظلماً .
{ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ } يعني من قتل نفساً ظلماً بغير نفس قتلت ، فيقتل قصاصاً ، أو فساد في الأرض استحقت به القتل ، الفساد في الأرض يكون بالحرب لله ولرسوله وإخافة السبيل .
{ فَكَأَنَّمَ قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً } فيه ستة تأويلات :
أحدها : يعني من قتل نبياً أو إمام عدل ، فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن شد على يد نبي أو إمام عدل ، فكأنما أحيا الناس جميعاً ، وهذا قول ابن عباس .
والثاني : معناه فكأنما قتل الناس جميعاً عند المقتول ، ومن أحياها فاستنفذها من هلكة ، فكأنما أحيا الناس جميعاً عند المستنفذ ، وهذا قول ابن مسعود .
والثالث : معناه أن قاتل النفس المحرمة يجب عليه من القود والقصاص مثل ما يجب عليه لو قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها بالعفو عن القاتل ، أعطاه الله من الأجر مثل ما لو أحيا الناس جميعاً ، وهذا قول ابن زيد وأبيه . والرابع : معناه أن قاتل النفس المحرمة يَصْلَى النار كما يَصْلاها لو قتل الناس جيمعاً ، ومن أحياها ، يعني سلم من قتلها ، [فكأنما] سلم من قتل الناس جميعاً ، وهذا قول مجاهد .
والخامس : أن على جميع الناس (جناية القتل) كما لو قتلهم جميعاً ، ومن أحياها بإنجائها من غرق أو حرق أو هلكة ، فعليهم شكره كما لو أحياهم جميعاً . والسادس : أن الله تعالى عظم أجرها ووزرها فإحياؤها [يكون] بمالك أو عفوك ، وهذا قول الحسن ، وقتادة .
قوله تعالى : { إِنَّمَا جَزَآءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً } اختلف فيمن نزلت فيه هذه الآية على ثلاثة أقاويل :
أحدها : أنها نزلت في قوم من أهل الكتاب كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق فنقضوا العهد وأفسدوا في الأرض ، فعرف الله نبيه الحكم فيهم ، وهذا قول ابن عباس .
الثاني : أنها نزلت في العُرَنِيِّينَ ارتدوا عن الإسلام وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا إبله ، وهذا قول أنس بن مالك ، وقتادة .
والثالث : أنها نزلت إخباراً من الله تعالى بحكم من حارب الله ورسوله ، وسعى في الأرض فساداً .
واختلف في المستحق اسم المحارب لله ورسوله الذي يلزمه حكم هذه الآية على ثلاثة أقاويل :
أحدها : أنه الزنى والقتل والسرقة ، وهذا قول مجاهد .
والثاني : أنه المجاهر بقطع الطريق والمكابر باللصوصية في المِصْر وغيره ، وهذا قول الشافعي ، ومالك ، والأوزاعي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثالث : أنه المجاهر بقطع الطريق دون المكابر فى المِصْر ، وهذا قول أبي حنيفة ، وعطاء الخراساني .

{ أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُ‍صَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلاَفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْض } جعل الله هذا حكم المحارب ، وفيه قولان :

(358/1)

أحدهما : أنها على التخيير وأن الإمام فيهم بالخيار بين أن يقتل أو يصلب أو يقطع أو ينفي ، وهذا قول سعيد بن المسيب ، ومجاهد ، وعطاء ، وإبراهيم .

والثاني : أنها مرتبة تختلف على قدر اختلاف الأفعال : أن يقتلوا إذا قتلوا ، أو يصلبوا إذا قتلوا وأخذوا المال ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف إذا أخذوا المال ولم يقتلوا ، وهذا قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، والسدي .

وروى ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أنس بن مالك يسأله عن هذه الآية فكتب إليه أنس يخبره أن هذه الآية نزلت في أولئك العرنيين وهم من بجيلة ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عن القصاص فيمن حارب ، فقال : من سرق وأخاف السبيل فاقطع يده لسرقته ورجله لإخافته ، ومن قتل فاقتله ، ومن قتل وأخاف السبيل واستحل افرج فاصلبه .

أما قوله تعالى : { أَوْ يُنفَوا مِنَ الأَرْضِ } فقد اختلف أهل التأويل فيه على أربعة أوجه :

أحدها : أنه نفيهم وإبعادهم من بلاد الإسلام إلى بلاد الشرك ، وهو قول أنس : والحسن ، وقتادة ، السدي ، والزهري ، والضحاك ، والربيع .

والثاني : أنه إخراجهم من مدينة إلى أخرى ، وهو قول عمر بن عبد العزيز ، وسعيد بن جبير .

والثالث : أنه الحبس ، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه .

والرابع : هو أن يطلبوا لتقام الحدود عليهم فيُبْعَدُوا ، وهذا قول ابن عباس ، والشافعي ، والليث بن سعد .

قوله تعالى : { إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ } فيه ستة أقاويل ، أحدها : إلا الذين تابوا من شركهم وسعيهم فى الأرض فساداً بإسلامهم ، فأما المسلمون فلا يتسقط التوبة عنهم حداً وجب عليهم ، وهذا قول ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وقتادة .

الثاني : إلا الذين تابوا من المسلمين المحاربين بأمان من الإمام قبل القدرة عليهم ، فأما التائب بغير أمان فلا ، وهذا قول عليّ عليه السلام ، والشعبي ، وروى الشعبي أن خارجة بن زيد خرج محارباً فأخاف السبيل ، وسفك الدماء ، وأخذ الأموال ، وجاء تائباً من قبل القدرة عليه ، فقبل عليّ توبته وجعل له أماناً منشوراً على ما كان أصاب من دم ومال .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثالث : إلا الذين تابوا بعد أن لحقوا بدار الحرب وإن كان مسلماً ثم جاء تائباً قبل القدرة عليه ، وهذا قول عروة بن الزبير .

والرابع : إن كان في دار الإسلام في منعة وله فئة يلجأ إليها وتاب قبل القدرة عليه قبلت توبته ، وإن لم يكن له فئة يمتنع بها [وتاب] لم [تسقط] عنه توبته شيئاً من عقوبته ، وهذا قول ابن عمر ، وربيعة ، والحكم بن عيينة .

والخامس : أن توبته قبل القدرة عليه تضع عنه حدود الله تعالى دون حقوق الآدميين ، وهذا قول الشافعي .

والسادس : أن توبته قبل القدرة عليه تضع عنه سائر الحقوق والحدود إلا الدماء ، وهذا مذهب مالك .

(359/1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (35) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (36) يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (37) وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (38) فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (39) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (40)

قوله تعالى : { وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا } وهي في قراءة عبد الله ابن مسعود : والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهما .

إنما بدأ الله تعالى في السرقة بالسارق قبل السارقة ، وفي الزنى بالزانية قبل الزاني ، لأن حب المال على الرجال أغلب ، وشهوة الاستمتاع على النساء أغلب ، ثم جعل حد السرقة قطع اليد لتناول المال بها ، ولم يجعل حد الزنى قطع الذكر مع مواقعة الفاحشة به ، لثلاثة معانٍ :

أحدها : أن للسارق مثل يده التي قطعت فإن انزجر بها اعتاض بالثانية ، وليس للزاني مثل ذكره إذا قطع فلم يعتض بغيره لو انزجر بقطعه .

والثاني : أن الحد زجر للمحدود وغيره ، وقطع اليد في السرقة ظاهر ، وقطع الذكر فى الزنى باطن ،

والثالث : أن فى قطع الذكر إبطال النسل وليس في قطع اليد إبطاله .

وقد قطع السارق في الجاهلية ، وأول من حكم بقطعه في الجاهلية الوليد ابن المغيرة ، فأمر الله

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

تعالى بقطعه فى الإسلام ، فكان أول سارق قطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، ومن النساء مرة بنت سفيان بن عبد الأسد من بني مخزوم ، وقال : « لَو كَانَتْ فَاطِمَةُ لَقَطَعْتُ

» . وقطع عمر ابن سمرة أخا عبد الرحمن بن سمرة .

والقطع في السرقة حق الله تعالى لا يجوز العفو عنه بعد علم الإمام به ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في سارق رداء صفوان حين أمر بقطعه ، فقال صفوان : قد عفوت عنه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « هَلاَّ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَنِي بِهِ؟لاَ عَفَا اللَّهُ عَنِّي إِنْ عَفَوتُ

» . وروي أن معاوية بن أبي سفيان أُتِيَ بلصوص فقطعهم حتى بقي واحد منهم فقدم ليقطع فقال :

يميني أمير المؤمنين أعيذها ... بعفوك أن تلقى مكاناً يشينها

يدي كانت الحسناء لو تم سبرها ... ولا تعدمُ الحسناءُ عابا يعيبها

فلا خير في الدنيا وكانت حبيبة ... إذا ما شمالي فارقتها يمينها

فقال معاوية : كيف أصنع وقد قطعت أصحابك ، فقالت أم السارق : يا أمير المؤمنين اجعلها من ذنوبك التي تتوب منها ، فَخَلَّى سبيله ، فكان أول حد ترك في الإسلام .

ولوجوب القطع مع ارتفاع الشبهة شرطان هما : الحرز والقدر ، وقد اختلف الفقهاء فى قدر ما تقطع فيه اليد خلافاً ، كُتُبُ الفقه أولى .

واختلف أهل التأويل حينئذ لأجل استثناء القطع وشروطه عمن سرق من غير حرز أو سرق من القدر الذي تقطع فيه اليد في قوله تعالى : { وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا } هل هو عام خُصّ؟ أو مجمل فُسِّر على وجهين .

أحدهما : أنه العموم الذي خُصّ .

والثاني : أنه المجمل الذي فُسِّر .

ثم قال تعالى : { جَزَآءً بِمَا كَسَبَا } فاختلفوا هل يجب مع القطع غُرْم المسروق إذا استهلك على مذهبين :

أحدهما : أنه لا غرم ، وهذا قول أبي حنيفة .

والثاني : يجب فيه الغرم ، وهو مذهب الشافعي .

وذكر الكلبي أن هذه الآية نزلت فى طعمة بن أبيرق سارق الدرع . قوله تعالى : { فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ } في التوبة ها هنا قولان :

أحدهما : أنها كالتوبة من سائر المعاصي والندم على ما مضى والعزم على ترك المعاودة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : أنها الحد ، وهو قول مجاهد .

وقد روى عبد الله بن عمرو قال : سرقت امرأة حلياً فجاء الذين سرقتهم فقالوا : يا رسول الله سرقتنا هذه المرأة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقْطَعُوا يَدَهَا الْيُمْنَى » فقالت المرأة : هل لي من توبة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَنْتِ الْيَوْمَ مِنْ خَطِيئَتِكِ كَيَوْمِ وَلَدَتْكِ أُمُّكِ » فأنزل الله تعالى : { فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ } .

قوله تعالى : { يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ويَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ } فيه تأويلان :

أحدهما : يغفر لمن تاب من كفره ، ويعذب من مات على كفره ، وهذا قول الكلبي .

الثاني : يعذب من يشاء فى الدنيا على معاصيهم بالقتل والخسف والمسخ والآلام وغير ذلك من صنوف عذابه ، ويغفر لمن يشاء منهم فى الدنيا بالتوبة واستنقاذهم بها من الهلكة وخلاصهم من العقوبة .

(361/1)

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (41) سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (42) وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (43) إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44)

قوله تعالى : { يَأَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ } يعني به المنافقين المظهرين للإيمان المبطنين للكفر .

{ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُواْ } يعني اليهود .

{ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ } ليكذبوا عليك عندهم إذا أتوا من بعدهم ، وهذا قول الحسن ، والزجاج .

والثاني : أن معنى قوله : { سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ } أى قائلون للكذب عليك . و { سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لَمْ يَأْتُوكَ } يعني فى قصة الزاني المحصن من اليهود الذي حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكروه ، وهذا قول ابن عباس .

{ يُحرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضَعِهِ } فيه قولان :

أحدهما : أنهم إذا سمعوا كلام النبي صلى الله عليه وسلم غيروه بالكذب عليه ، وهذا قول الحسن .

والثاني : هو تغيير حكم الله تعالى في جَلْد الزاني بدلاً من رجمه ، وقيل في إسقاط القود عند استحقاقه .

{ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ } فيه قولان :

أحدهما : أنه يريد بذلك حين زنى رجل منهم بامرأة فأنفذوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهم وقالوا : إن حكم عليكم بالجلد فاقبلوه وإن حكم عليكم بالرجم فلا تقبلوه ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم إلى مدارس توارتهم وفيها أحبارهم يتلون التوراة ، فأتى عبد الله بن صوريا ، وكان أعور ، وهو من أعلمهم فقال له أسألك بالذي أنزل التوراة بطور سيناء على موسى بن عمران هل فى التوراة الرجم؟ فأمسك ، فلم يزل به حتى اعترف ، فأمر بهما النبي صلى الله عليه وسلم فَرُجِمَا ، قال عبد الله : وكنت فيمن رجمه وأنه ليقيها الأحجار بنفسه حتى ماتت ، ثم إن ابن صوريا أنكر وفيه أنزل الله تعالى هذه الآية وهذا قول ابن عباس ، وجابر ، وسعيد بن المسيب ، والسدي ، وابن زيد .

والقول الثاني : أن ذلك في قتيل منهم ، قال الكلبي : قتلت بنو النضير رجلاً من بني قريظة وكانوا يمتنعون بالاستطالة عليهم من القود بالدية ، وإذا قتلت بنو قريظة منهم رجلاً لم يقنعوا إلا بالقود دون الدية ، قالوا : إن أفتاكم بالدية فاقبلوه وإن أفتاكم بالقود فردوه ، وهذا قول قتادة .

{ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ } فيه ثلاث تأويلات .

أحدها : عذابه ، وهذا قول الحسن .

والثاني : إضلاله ، وهو قول السدي .

والثالث : فضيحته ، وهو قول الزجاج .

{ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ } فيه قولان :

أحدهما : لم يطهرها من الضيق والحرج عقوبة لهم .

والثاني : لم يطهرها من الكفر .

قوله تعالى : { سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ } فيه أربعة تأويلات .

أحدهما : أن السحت الرشوة ، وهو مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم .

والثاني : أنه الرشوة فى الحكم ، وهو قول علي .

والثالث : هو الاستعجال فى القضية ، وهو قول أبي هريرة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

والرابع : ما فيه الغارّ من الأثمان المحرمة : كثمن الكلب ، والخنزير ، والخمر وعسب افحل ، وحلوان الكاهن .

وأصل السحت الاستئصال ، ومنه قوله تعالى : { فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ } أي يستأصلكم ، وقال الفرزدق :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع ... من المال إلا مسحتاً أو مجلف

فسمي سحتاً لأنه يسحت الدين والمروءة .

{ فَإِن جَآؤُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ } فيمن أريد بذلك قولان :

أحدهما : اليهوديان اللذان زنيا خيّر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحكم بينهما بالرجم أو يدع ، وهذا قول الحسن ، ومجاهد ، والزهري .

والثاني : أنها في نفسين من بني قريظة وبني النضير قتل أحدهما صاحبه فخيّر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند احتكامهما إليه بين أن يحكم بالقود أو يدع ، وهذا قول قتادة .

واختلفوا في التخيير في الحكم بينهم ، هل هو ثابت أو منسوخ؟ على قولين : أحدهما : أنه ثابت وأن كل حاكم من حكام المسلمين مخير فى الحكم بين أهل الذمة بين أن يحكم أو يدع ، وهذا قول الشعبي ، وقتادة ، وعطاء ، وإبراهيم .

والقول الثاني : أن ذلك منسوخ ، وأن الحكم بينهم واجب على من تحاكموا إليه من حكام المسلمين ، وهذا قول ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وعمر بن عبد العزيز ، وعكرمة ، وقد نسخه قوله تعالى : { وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ }

قوله تعالى : { وَكَيفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ الْتَّورَاةُ فِيهَا حَكْمُ اللَّهِ } فيه قولان :

أحدهما : حكم الله بالرجم .

والثاني : حكم الله بالقود .

{ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ } فيه قولان :

أحدهما : بعد حكم الله في التوراة .

والثاني : بعد تحكيمك .

{ وَمَآ أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ } فيه قولان :

أحدهما : أي فى تحكيمك أنه من عند الله مع جحودهم نبوتك .

والثاني : يعني فى توليهم عن حكم الله غير راضين به .

قوله تعالى : { إِنَّآ أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ } يعني بالهدى ادليل . وبالنور البيان .

{ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا } فيهم قولان :

أحدهما : أنهم جماعة أنبياء منهم محمد صلى الله عليه وسلم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثاني : المراد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وحده وإن ذكر بلفظ الجمع .

وفي الذي يحكم به من التوراة قولان :

أحدهما : أنه أراد رجم الزاني المحصن ، والقود من القاتل العامد .

والقول الثاني : أنه الحكم بجميع ما فيها من غير تخصيص ما لم يرد به نسخ .

ثم قال تعالى : { لِلَّذِينَ هَادُوا } يعني على الذين هادوا ، وهم اليهود ، وفي جواز الحكم بها على غير وجهان : على اختلافهم في التزامنا شرائع من قبلنا إذا لم يرد به نص ينسخ .

ثم قال تعالى : { وَالرَّبَانِيُّونَ والأَحْبَارُ } واحد الأحبار حَبْر بالفتح ، قال الفراء ، أكثر ما سمعت حِبْر بالكسر ، وهو العالم ، سُمِّي بذلك اشتقاقاً من التحبير ، وهو التحسين لأن العالم يحسن الحسن ويقبح القبيح ، ويحتمل أن يكون ذلك لأن العلم في نفسه حسن .

ثم قال تعالى : { بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللَّهِ } فيه قولان :

أحدهما : معناه يحكمون بما استحفظوا من كتاب الله .

والثاني : معناه والعلماء استحفظوا من كتاب الله .

وفي { اسْتُحْفِظُواْ } تأويلان :

أحدهما : استودعوا ، وهو قول الأخفش .

والثاني : العلم بما حفظوا ، وهو قول الكلبي .

{ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَآءَ } يعني على حكم النبي صلى الله عليه وسلم أنه في التوراة .

{ فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ } فيه قولان :

أحدهما : فلا تخشوهم في كتمان ما أنزلت ، وهذا قول السدي .

والثاني : في الحكم بما أنزلت .

{ وَلاَ تَشْتَرُوا بِأَيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً } فيه تأويلان :

أحدهما : معناه لا تأخذوا على كتمانها أجراً .

والثاني : معناه لا تأخذوا على تعليمها أجراً .

{ وَمَن لَّمْ يَحْكُمْ بِمَآ أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } ، ثم قال تعالى : { فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } ، ثم قال تعالى : { فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } وفي اختلاف هذه الآي الثلاث أربعة أقاويل :

أحدها : أنها واردة في اليهود دون المسلمين ، وهذا قول ابن مسعود ، وحذيفة ، والبراء ، وعكرمة .

الثاني : أنها نزلت في أهل الكتاب ، وحكمها عام في جميع الناس ، وهذا قول الحسن ، وإبراهيم .

والثالث : أنه أراد بالكافرين أهل الإسلام ، وبالظالمين اليهود ، وبالفاسقين النصارى ، وهذا قول

This file was downloaded from QuranicThought.com

الشعبي .

والرابع : أن من لم يحكم بما أنزل الله جاحداً به ، فهو كافر ، ومن لم يحكم مقراً به فهو ظالم فاسق ، وهذا قول ابن عباس .

(364/1)

وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (45) وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (46) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (47)

قوله تعالى : { وَكَتَبْنَا عَلَيهِم فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ } الآية . نزلت في اليهود من بني قريظة والنضير ، وقد ذكرنا قصتهما .

ثم قال تعالى : { فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ } فيه قولان :

أحدهما : أنه كفارة للجروح ، وهو قول عبد الله بن عمر ، وإبراهيم ، والحسن ، والشعبي ، روى الشعبي عن ابن الصامت قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ جُرِحَ فِي جَسَدِهِ جِرَاحَةً فَتَصَدَّقَ بِهَا كَفَّرَ عَنْهُ ذُنُوبَهُ بِمِثْلِ مَا تَصَدَّقَ بِهِ » . والثاني : أنه كفارة للجارح ، لأنه يقوم مقام أخذ الحق منه ، وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، وهذا محمول على من عفى عنه بعد توبته .

(365/1)

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48) وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (49) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (50)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قوله تعالى : { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ } يعني القرآن .

{ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ } يعني لما قبله من الكتاب وفيه وجهان :

أحدهما : مصدقاً بها ، وهو قول مقاتل .

والثاني : موافقاً لها ، وهو قول الكلبي .

{ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني أميناً ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : يعني شاهداً عليه ، وهو قول قتادة ، والسدي .

والثالث : حفيظاً عليه .

{ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمآ أَنزَلَ اللَّهُ } هذا يدل على وجوب الحكم بين أهل الكتاب إذا تحاكموا إلينا ، وألا نحكم بينهم بتوراتهم ولا بإنجيلهم .

{ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ } فيهم قولان :

أحدهما : أنهم أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

والثاني : أمم جميع الأنبياء .

{ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً } أما الشرعة فهي الشريعة وهي الطريقة الظاهرة ، وكل ما شرعت فيه من شيء فهو شريعة ومن قيل لشريعة الماء شريعة لأنها أظهر طرقه إليه ، ومنه قولهم : أُشْرِعَتِ الأسنة إذا ظهرت .

وأما المنهاج فهو الطريق الواضح ، يقال طريق نهج ومنهج ، قال الزاجر :

مَن يَكُ ذَا شَكٍّ فهذَا فَلْجُ ... مَاءٌ رُوَاءٌ وطريقٌ نَهْجُ

فيكون معنى قوله شرعة ومنهاجاً أي سبيلاً وسنة ، وهذا قول ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وقتادة .

{ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً } فيه قولان :

أحدهما : لجعلكم على ملة واحدة .

الثاني : لجمعكم على الحق ، وهذا قول الحسن .

(366/1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (52) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (53)

قوله تعالى : { يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامُنُوا لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيآءَ } اختلف أهل التفسير فيمن نزلت فيه هذه الآية على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في عُبادة بن الصامت ، وعبد بن أبي ابن سلول ، حين تبرأ عُبادة من حِلْف اليهود وقال : أتولى الله ورسوله حين ظهرت عداوتهم لله ولرسوله . وقال عبد الله بن أبي : لا أتبرأ من حلفهم وأخف الدوائر ، وهذا قول الزهري .

والثاني : أنها نزلت فى أبي بلابة بن عبد المنذر حين بَعَثَه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة لما نقضوا العهد أطاعوا بالنزول على حكم سعد أشار إلى حلقه إليهم أنه الذبح ، وهذا قول عكرمة .

والثالث ، أنها نزلت فى رجلين من الأنصار خافا من وقعة أحد فقال أحدهما لصاحبه : أَلْحَقُ باليهود وأتهود معهم ، وقال الآخر : ألحق بالنصارى فأتنصر معهم ليكون ذلك لهما أماناً من إدالة الكفار على المسلمين ، وهذا قول السدي .

{ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فِإِنَّهُ مِنْهُم } يحتمل وجهين :

أحدهما : موالاتهم في العهد فإنه منهم في مخالفة الأمر .

والثاني : موالاتهم في الدين فإنه منهم في حكم الكفر ، وهذا قول ابن عباس .

قوله تعالى : { فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ } فيه تأويلان :

أحدهما : أن المرض الشك وهو قول مقاتل .

والثاني : النفاق ، وهو قول الكلبي .

وفيهم قولان :

أحدهما : المعنيّ به عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي سلول ، وهذا قول عطية بن سعد .

والثاني : أنهم قوم من المنافقين .

{ . . . يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ } والدائرة ترجع عمن انتقلت إليه إلى من كانت له ، سميت بذلك لأنها تدور إليه بعد زوالها عنه ، ومنه قول الشاعر :

يَرُدُّ عَنَّا القَدَرَ الْمَقْدُورَا ... وَدَائِرَاتِ الدَّهْرِ أَنْ تَدُورَا

{ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يريد فتح مكة ، قاله السدي .

والثاني : فتح بلاد المشركين على المسلمين .

والثالث : أن القضاء الفصل ، ومنه قوله تعالى : { افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَومِنَا بِالْحَقِّ } [الأعراف : 89] ، قاله قتادة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : هو دون الفتح الأعظم .

الثاني : أنه موت من تقدم ذكره من المنافقين .

الثالث والرابع : أنه الجزية ، قاله السدي .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (54) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (55) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (56)

قوله تعالى : { يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِه فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ } فيهم ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم أبو بكر وأصحابه رضي الله عنهم الذين قاتلوا معه أهل الردة ، قاله : علي ، والحسن ، وابن جريج ، والضحاك .

والثاني : أنهم قوم أبي موسى الأشعري من أهل اليمن لأنه كان لهم في نصرة الإسلام أثر حسن ، وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية إليه أَوْمأَ إلى أبي موسى الأشعري بشيء كان في يده وقال : « هُمْ قَوْمُ هَذَا » قاله : مجاهد وشريح .

{ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ } يعني أهل رقة عليهم .

{ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ } يعني أهل غلظة عليهم ، يحكى ذلك عن علي ، وابن عباس .

وهي في قراءة عبد الله بن مسعود : { أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ غُلُظٍ عَلَى الْكَافِرِينَ } .

قوله تعالى : { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا . . . } الآية ، وفي هذه الآية قولان :

أحدهما : أنها نزلت في عبد الله بن سلام ومن أسلم معه من أصحابه حين شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أظهره اليهود من عداوتهم لهم ، قاله الكلبي .

والثاني : أنها نزلت في عُبادة بن الصامت حين تبرأ من حلف اليهود وقال : أتولى الله ورسوله .

وفي قوله تعالى : { الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ } قولان :

أحدهما : أنه علي ، تصدق وهو راكع ، قاله مجاهد .

والثاني : أنها عامة في جميع المؤمنين ، قاله الحسن ، والسدي .

وفي قوله : { وَهُمْ رَاكِعُونَ } ثلاثة أوجه :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدها : أنهم فعلوا ذلك في ركوعهم .

والثاني : أنها نزلت فيهم وهم في ركوعهم .

والثالث : أنه أراد بالركوع التنفل ، وبإقامة الصلاة الفرض من قولهم فلان يركع إذا انتقل بالصلاة .

(368/1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (57) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (58) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (59) قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (60) وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (61) وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (62) لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (63)

قوله تعالى : { وَتَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ } يريد بالإثم معصية الله تعالى .

{ وَالْعُدْوَانِ } أي ظلم الناس .

{ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ } فيه تأويلان : أحدهما : الرُّشا .

والثاني : الربا .

{ لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمْ الإِثمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ } أي لبئس صنيع الربانيين والأحبار إذ لم ينهوهم ، قال ابن عباس والضحاك : ما في القرآن آية أشد توبيخاً للعلماء من هذه الآية ، وكان ابن عباس يقرؤها : { لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }

وقوله : { لَوْلاَ } بمعنى هلا .

والربانيون : هم علماء الإنجيل ، والإحبار : هم علماء التوراة .

(369/1)

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (64) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ
الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (65) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ
وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ
سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (66)

قوله تعالى : { وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ } فيه تأويلان :

أحدهما : أي مقبوضة عن العطاء على جهة البخل ، قاله ابن عباس وقتادة .

والثاني : مقبوضة عن عذابهم ، قاله الحسن .

قال الكلبي ومقاتل : القائل لذلك فنحاس وأصحابه من يهود بني قينقاع .

{ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ } فيه قولان :

أحدهما : أنه قال ذلك إلزاماً لهم البخل على مطابقة الكلام ، قاله الزجاج .

والثاني : أن معناه غلت أيديهم في جهنم على وجه الحقيقة ، قاله الحسن .

{ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ } قال الكلبي : يعني يعذبهم بالجزية .

ويحتمل أن يكون لَعْنُهم هو طردهم حين أجلوا من ديارهم .

{ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أن اليدين ها هنا النعمة من قولهم لفلان عندي يد أي نعمة ، ومعناه بل نعمتاه مبسوطتان ، نعمة الدين ، ونعمة الدنيا .

والثاني : اليد ها هنا القوة كقوله تعالى : { أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ } [ص : 45] ومعناه بل قوتان بالثواب والعقاب .

والثالث : أن اليد ها هنا الملك من قولهم فى مملوك الرجل هو : ملك يمينه ، ومعناه ملك الدنيا والآخرة .

والرابع : أن التثنية للمبالغة فى صفة النعمة كما تقول العرب لبيك وسعديك ، وكقول الأعشى :

يداك يدا مجد فكف مفيدة ... وكف إذا ما ضنَّ بالزاد تنفق

{ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ } يحتمل وجهين :

أحدهما : يمعنى أنه يعطي من يشاء من عباده إذا علم أن في إعطائه مصلحة دينه .

والثاني : ينعم على من يشاء بما يصلحة في دينه .

{ وليَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً } يعني حسدهم إياه وعنادهم له .

{ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَآءَ } فيه قولان :

أحدهما : أنه عنى اليهود بما حصل منهم من الخلاف .

والثاني : أنه أراد بين اليهود والنصارى في تباين قولهم في المسيح ، قاله الحسن .

قوله تعالى : { وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ } فيه تأويلان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : أقاموها نصب أعينهم حتى إذا نظروا ما فيها من أحكام الله تعالى وأوامره لم يزلوا .

والثاني : إن إقامتها العمل بما فيها من غير تحريف ولا تبديل .

ثم قال تعالى : { وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ } يعني القرآن لأنهم لما خوطبوا به صار منزلاً عليهم .

{ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم } فيه تأويلان :

أحدهما : أنه أراد التوسعة عليهم كما يقال هو في الخير من قرنه إلى قدمه .

والثاني : لأكلوا من فوقهم بإنزال المطر ، ومن تحت أرجلهم بإنبات الثمر . قاله ابن عباس .

{ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ } فيه تأويلان :

أحدهما : مقتصدة على أمر الله تعالى ، قاله قتادة .

الثاني : عادلة ، قاله الكلبي .

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (67)

قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ } أوجب الله تعالى بهذه الآية على رسوله تبليغ ما أنزل عليه من كتابه سواء كان حكماً ، أو حداً ، أو قصاصاً ، فأما تبليغ غيره من الوحي فتخصيص وجوبه : بما يتعلق بالأحكام دون غيرها .

ثم قال تعالى : { وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ } يعني إن كتمت آية مما أنزل عليك فما بلغت رسالته لأنه [يكون] ، غير ممتثل لجميع الأمر .

ويحتمل وجهين آخرين .

أحدهما : أن يكون معناه بلغ ما انزل إليك من ربك فيما وعدك من النصر ، فإن لم تفعل فما بلغت حق رسالته فيما كلفك من الأمر ، لأن استشعار النصر يبعث على امتثال الأمر .

والثاني : أن يكون معناه بلغ ما أنزل إليك من ربك بلاغاً يوجب الانقياد إليه بالجهاد عليه ، وإن لم تفعل ما يقود إليه من الجهاد عليه فما بلغت ما عليك من حق الرسالة إليك .

{ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ } يعني أن ينالوك بسوء من قتل أو غيره . واختلف أهل التفسير في سبب نزول ذلك على قولين :

أحدهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل منزلاً في سفره واستظل بشجرة يقيل تحتها ، فأتاه أعرابي فاخترط سيفه ثم قال : من يمنعك مني؟ فقال : الله ، فرعدت يد الأعرابي وسقط سيفه وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه ، فأنزل الله تعالى : { وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مَنَ النَّاسِ } ، قاله

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

محمد بن كعب القرظي .

والثاني : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يهاب قريشاً ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، قاله ابن جريج .

وروت عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُحْرَس حتى نزلت هذه الآية { وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ } فأخرج النبي صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة وقال : يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله .

{ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } فيه تأويلان :

أحدهما : لا يعينهم على بلوغ غرضهم .

الثاني : لا يهديهم إلى الجنة .

(371/1)

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (68) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (69) لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (70) وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (71)

قوله تعالى : { لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ } فيه تأويلان :

أحدهما أن الميثاق آيات مبينة يقررها علم ذلك عندهم .

والثاني : أن الميثاق أيمان أخذه أنبياء بني إسرائيل عليهم أن يعملوا بها وأمروا بتصيدق رسله .

{ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً } يعني بعد أخذ الميثاق .

{ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُهُمْ } هوى النفس مقصور ، وهواء الجو ممدود ، وهما يشتركان في معنى الاسم لأن النفس تستمتع بهواها كما تستمتع بهواء الجو .

{ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ } يعني أن الأنبياء إذا لم يحلوا لهم ما يَهْوُونَه في الدين كذبوا فريقاً في الدين ، كذبوا فريقاً وقتلوا فريقاً ، وهم قد كذبوا من قتلوه ولكن تقدير الكلام أنهم اقتصروا على تكذيب فريق وتجاوزوا إلى قتل فريق .

{ وَحَسِبُواْ أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ } فيها ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنها العقوبة التي تنزل من السماء .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : ما ابتلوا به من قتل الأنبياء وتكذيبهم .

والثالث : ما بلوا به من جهة المتغلبين عليهم من الكفار .

{ فَعَمُواْ وَصَمُّوا } يعني ، فعموا عن المرشد وصموا عن الموعظة حتى تسرعوا إلى قتل أنبيائهم حين حسبوا ألا تكون فتنة .

{ ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ } يعني أنهم تابوا بعد معاينة الفتنة فقبل الله توبتهم .

{ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ } يعني أنهم عادوا بعد التوبة إلى ما كانوا عليه قبلها ، والعود إنما كان من أكثرهم من جيمعهم .

(372/1)

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (72) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (74) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (75)

قوله تعالى : { مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ } رد الله بذلك على اليهود والنصارى ، فرده على اليهود فى تكذيبهم لنبوته ونسبتهم له إلى غير رِشْدة ، ورده على النصارى في قولهم إنه ابن الله .

{ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ } رد على اليهود في نسبتها إلى الفاحشة .

وفي قوله : { صِدِّيقَةٌ } تأويلان :

أحدهما : أنه مبالغة فى صدقها ونفي الفاحشة عنها .

والثاني : أنها مصدقة بآيات ربها فهي بمنزلة ولدها ، قاله الحسن .

{ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ } فيه قولان :

أحدهما : أنه كنى بذلك عن الغائط لحدوثه منه ، وهذه صفة تُنْفَى عن الإله .

والثاني : أنه أراد نفس الأكل لأن الحاجة إليه عجز والإله لا يكون عاجزاً .

{ انظُرْ كَيفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الأَيَاتِ } يعني الحجج البراهين .

{ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني يصرفون ، من قولهم أفكت الأرض إذا صرف عنها المطر .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : يعني يقلبون ، والمؤتفكات : المنقلبات من الرياح وغيرها .
والثالث : يكذبون ، من الإفك ، وهو الكذب .

(373/1)

قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (76) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (77) لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (79) تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (80) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (81) لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (82) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (84) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (85) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (86)

قوله تعالى : { لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ } يعني عبدة الأوثان من العرب ، تَمَالأَ الفريقان على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم .
{ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءامنواْ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارى } ليس هذا على العموم ، وإنما هو خاص ، وفيه قولان :
أحدهما : عنى بذلك النجاشي وأصحابه لَمَّا أَسْلَمُوا ، قاله ابن عباس ، وسعيد بن جبير .
والثاني : أنهم قوم من النصارى كانوا على الحق متمسكين بشريعة عيسى عليه السلام ، فَلَمَّا بُعِثَ محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به ، قاله قتادة .
{ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً } واحد القسيسين قس ، من قس وهم العباد . وواحد الرهبان راهب ، وهم الزهاد .
{ وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ } يعني عن الإذعان للحق إذا لزم ، وللحجة إذا قامت .
وفي قوله تعالى : { فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ } وجهان :
أحدهما : مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون بالحق ، كما قال تعالى : { لِتَكُونُوا

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ } [البقرة : 143] ، قاله ابن عباس ، وابن جريج .

والثاني : يعني الذين يشهدون بالإيمان ، قاله الحسن .

(374/1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (87) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (88)

قوله تعالى : { يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَآ أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ } فيه تأويلان :

أحدهما : أنه اغتصاب الأموال المستطابة ، فتصير بالغصب حراماً ، وقد كان يمكنهم الوصول إليها بسبب مباح ، قاله بعض البصريين .

والثاني : أنه تحريم ما أبيح لهم من الطيبات ، وسبب ذلك أن جماعة من أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم علي ، وعثمان بن مظعون ، وابن مسعود ، وابن عمر ، هموا بصيام الدهر ، وقيام الليل ، واعتزال النساء ، وجَبِّ أنفسهم ، وتحريم الطيبات من الطعام عليهم ، فأنزل الله تعالى فيهم { لاَ تَحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُم } .

{ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : لا تعتدوا بالغصب للأموال التي هي حرام عليكم .

والثاني : أنه أراد بالاعتداء ما هَمَّ به عثمان بن مظعون من جبِّ نفسه ، قاله السدي .

والثالث : أنه ما كانت الجماعة هَمَّت به من تحريم النساء والطعام ، واللباس ، والنوم ، قاله عكرمة .

والرابع : هو تجاوز الحلال إلى الحرام ، قاله الحسن .

(375/1)

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آَيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (89)

قوله تعالى : { لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ } قد ذكرنا اختلاف المفسرين والفقهاء في لغو اليمين .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ وَلَكِن يُؤَاخِذُوكُمْ بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ } اختلف في سبب نزولها على قولين :

أحدهما : أنها نزلت في عثمان بن مظعون ، حين حرَّم على نفسه الطعام ، والنساء ، بيمين حَلَفَهَا ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم ، قاله السدي .

والثاني : أنها نزلت في عبد الله بن رَوَاحة ، وكان عنده ضيف فأَخَّرَتْ زوجته قِرَاهُ فَحَلَفَ لا يَأكل من الطعام شيئاً ، وَحَلَفَتِ الزوجة لا تأكل منه إن لم يأكل ، وحَلَفَ الضيف لا يأكل منه إن لم يأكلا ، فأكل عبد الله وأكلا معه ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقال : « أَحْسَنْتَ » ونزلت فيه هذه الآية ، قاله ابن زيد .

وقوله تعالى : { وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأيْمَانَ } وعقدها هو لفظ باللسان وقصد بالقلب ، لأن ما لم يقصده في أَيمَانِهِ ، فهو لغو لا يؤاخذ به .

ثم في عقدها قولان :

أحدهما : أن يكون على فعل مستقبل ، ولا يكون على خبر ماض ، والفعل المستقبل نوعان : نفي وإثبات ، فالنفي أن يقول والله لا فعلت كذا ، والإثبات أن يقول : والله لأَفْعَلَنَّ كذا .

وأما الخبر الماضي فهو أن يقول : والله ما فعلت ، وقد فعل ، أو يقول : والله لقد فعلت كذا ، وما فعل ، فينعقد يمينه بالفعل المستقبل في نوعي إثباته ونفيه .

وفي انعقادها بالخبر الماضي قولان .

أحدهما : أنها لا تنعقد بالخبر الماضي ، قاله أبو حنيفة وأهل العراق .

والقول الثاني : أنها تنعقد على فعل مستقبل وخبر ماض يتعلق الحنث بهما ، قاله الشافعي ، واهل الحجاز .

ثم قال تعالى : { فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ } فيه قولان :

أحدهما : أنها كفارة ما عقدوه من الأيمان ، قالته عائشة ، والحسن ، والشعبي ، وقتادة .

والثاني : أنها كفارة الحنث فيما عقدة منها ، وهذا يشبه أن يكون قول ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وإبراهيم .

والأصح من إطلاق هذين القولين أن يعتبر حال اليمين في عقدها وحلها ، فإنها لا تخلو من ثلاثة أحوال :

أحدها : أن يكون عقدها حلها معصية كقوله : والله لا قَتَلْتُ نفساً ولا شربت خمراً ، فإذا حنث فقتل النفس ، وشرب الخمر ، كانت الكفار لتكفير مأثم الحنث .

والحال الثالثة : أن يكون عقدها مباحاً ، وحلها مباحاً كقوله : والله لا لبست هذا الثوب ، فالكفارة تتعلق بهما وهي بالحنث أخص .

ثم قال تعالى : { مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ } فيه قولان :

أحدهما : من أوسط أجناس الطعام ، قاله ابن عمر ، والحسن ، وابن سيرين .

والثاني : من أَوسطه في القدر ، قاله علي ، وعمر ، وابن عباس ، ومجاهد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وقرأ سعيد بن جبير { مِن وَسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلَيكُمْ }
ثم اختلفوا في القدر على خمسة أقاويل :

(376/1)

أحدها : أنه مُدٌّ واحد من سائر الأجناس ، قاله ابن عمر ، وزيد بن ثابت ، وعطاء ، وقتادة ، وهو قول الشافعي .
والثاني : أنه نصف صاع من سائر الأجناس ، قاله علي ، وعمر ، وهو مذهب أبي حنيفة .
والثالث : أنه غداء وعشاء ، قاله علي في رواية الحارث عنه ، وهو قول محمد بن كعب القرظي ، والحسن البصري .
والرابع : أنه ما جرت به عادة المكفر فى عياله ، إن كان يشبعهم أشبع المساكين ، وإن كان لا يشبعهم فعلى قدر ذلك ، قاله ابن عباس ، وسعيد بن جبير .
والخامس : أنه أحد الأمرين من غداء أو عشاء ، قاله بعض البصريين .
ثم قال تعالى : { أَوْ كِسْوَتُهُمْ } وفيها خمسة أقاويل :
أحدها : كسوة ثوب واحد ، قاله : ابن عباس ، ومجاهد ، وطاووس ، وعطاء ، الشافعي .
والثاني : كسوة ثوبين ، قاله أبو موسى الأشعري ، وابن المسيب ، والحسن ، وابن سيرين .
والثالث : كسوة ثوب جامع كالملحفة والكساء ، قاله إبراهيم .
والرابع : كسوة إزار ورداء وقميص ، قاله ابن عمر .
والخامس : كسوة ما تجزىء فيه الصلاة ، قاله بعض البصريين .
ثم قال تعالى : { أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ } يعني أو فك رقبة من أسر العبودية إلى حال الحرية والتحرير ، والفك : العتق ، قال الفرزدق :
أبني غدانة إنني حررتكم ... فوهبتكم لعطية بن جعال
ويجزىء صغيرها ، وكبيرها ، وذكرها ، وأنثاها ، وفي استحقاق أَثمانها قولان :
أحدهما : أنه مستحق ولا تجزىء الكفارة ، قاله الشافعي .
والثاني : أنه غير مستحق ، قاله أبو حنيفة .
ثم قال تعالى : { فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ } فجعل الله الصوم بدلاً من المال عند العجز عنه ، وجعله مع اليسار مخيراً بين التكفير بالإطعام ، أو بالكسوة ، أو بالعتق ، وفيها قولان :
أحدهما : أن الواجب منها أحدها لا يعينه عند الجمهور من الفقهاء .
والثاني : أن جميعها واجب ، وله الاقتصار على أحدها ، قاله بعض المتكلمين ، وشاذ من الفقهاء .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وهذا إذا حقق خلف في العبارة دون المعنى .

واختلف فيما إذا لم يجده صام على خمسة أقاويل :

أحدها : إذا لم يجد قوته وقوت من يقوت صام ، قاله الشافعي .

والثاني : إذا لم يجد ثلاثة دراهم صام ، قاله سعيد بن جبير .

والثالث : إذا لم يجد درهمين ، قاله الحسن .

والرابع : إذا لم يجد مائتي درهم صام ، قاله أبو حنيفة .

والخامس : إذا لم يجد فاضلاً عن رأس ماله الذي يتصرف فيه لمعاشه صام . وفي تتابع صيامه قولان :

أحدهما : يلزمه ، قاله مجاهد ، وإبراهيم ، وكان أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود يقرآن : { فصيام ثلاثة أيام متتابعات }

والثاني : إن صامها متفرقة جاز ، قاله مالك ، والشافعي في أحد قوليه :

{ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ } يعني وحنثتم ، فإن قيل فلِمَ لَمْ يذكر مع الكفارة التوبة؟ قيل : لأنه ليس كل يمين حنث فيها كانت مأثماً توجب التوبة ، فإن اقترن بها المأثم لزمت التوبة بالندم ، وترك العزم على المعاودة .

{ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ } يحتمل وجهين :

أحدهما : يعني احفظوها أن تحلفوا .

والثاني : احفظوها أن تحنثوا .

(377/1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (90) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (91) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (92) لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآَمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (93)

قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ . . . . } الآية . اختلف في سبب نزولها على ثلاثة أقاويل :

أحدها : ما روى ابن إسحاق عن أبي ميسرة قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : اللهم بيِّن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لنا في الخمر بياناً شافياً ، فزلت الآية التي في البقرة : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ } فَدُعِيَ عمر فقرئت عليه ، فقال : اللهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً ، فنزلت الآية التي في سورة النساء : { لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنْتُم سُكَارَى } وكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حضرت الصلاة ينادي لا يقربن الصلاة سكران ، فَدُعِيَ عمر فقرئت عليه ، فقال : اللهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً ، فنزلت التي في المائدة { إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ } إلى قوله تعالى : { فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ } فقال عمر : انتهينا ، انتهينا .

والثاني : أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص وقد لاحى رجلاً على شراب ، فضربه الرجل بلحي جمل ، ففزر قاله مصعب بن سعد .

والثالث : أنها نزلت في قبيلتين من الأنصار ثملوا من الشراب فعبث بعضهم ببعض ، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية ، قاله ابن عباس .

فأما { الْمَيْسِرُ } فهو القمار .

وأما { الأَنصَابُ } ففيها وجهان .

أحدهما : أنها الأصنام تعبد ، قاله الجمهور .

والثاني : أنها أحجار حول الكعبة يذبحون لها ، قاله مقاتل .

وأما { الأَزْلاَمُ } فهي قداح من خشب يُسْتَقْسَمُ بها على ما قدمناه .

قوله تعالى : { رِجْسٌ } يعني حراماً ، وأصل الرجس المستقذر الممنوع منه ، فعبر به عن الحرام لكونه ممنوعاً منه .

ثم قال تعالى : { مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ } أي مما يدعو إليه الشيطان ويأمر به لأنه لا يأمر إلا بالمعاصي ، ولا ينهى إلا عن الطاعات .

فلما حُرِّمَتِ الخمر قال المسلمون : يا رسول الله كيف بإخواننا الذين شربوها وماتوا قبل تحريمها ، فأنزل الله تعالى : { لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ } ، يعني من الخمر قبل التحريم ، { إِذَا مَا اتَّقَواْ } يعني فى أداء الفرائض { وَّءَامَنُواْ } يعني بالله ورسوله { وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ } يعني البر والمعروف ، { ثُمَّ اتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُم اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ } يعني بعمل النوافل ، فالتقوى الأولى عمل الفرائض ، والتقوى الثانية عمل النوفل .

(378/1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (94) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (95)

قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلَوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ } في قوله ليبلونكم تأويلان :

أحدهما : معناه لَيُكَلِّفَنَّكُمْ .

الثاني : لَيَخْتَبِرَنَّكُم ، قاله قطرب ، والكلبي .

وفي قوله : { مِّنَ الصَّيْدِ } قولان :

أحدهما : أن { مِّنَ } للتبعيض في هذا الموضع لأن الحكم متعلق بصيد البَرِّ دون البحر ، وبصيد الحرم والإحرام دون الحل والإحلال .

والثاني : أن { مِّنَ } في هذا الموضع داخلة لبيان الجنس نحو قوله تعالى : { اجْتَنِبُواْ الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ } [الحج : 30] قاله الزجاج .

{ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ } فيه تأويلان :

أحدهما : ما تناله أيدينا : البيض ، ورماحنا : الصيد ، قال مجاهد .

والثاني : ما تناله أيدينا : الصغار ، ورماحنا : الكبار ، قاله ابن عباس .

{ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أن معنى ليعلم الله : ليرى ، فعبر عن الرؤية بالعلم لأنها تؤول إليه ، قاله الكلبي .

والثاني : ليعلم أولياؤه من يخافه بالغيب .

والثالث : لتعلموا أن الله يعلم من يخافه بالغيب .

والرابع : معناه لتخافوا الله بالغيب ، والعلم مجاز ، وقوله : { بِالْغَيْبِ } يعني بالسر كما تخافونه في العلانية .

{ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ } يعني فمن اعتدى في الصيد بعد ورود النهي .

{ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ } أي مؤلم ، قال الكلبي : نزلت يوم الحديبية وقد غشي الصيد الناس وهم محرمون .

قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني الإحرام بحج أو عمرة ، قاله الأكثرون .

والثاني : يعني بالحرم الداخل إلى الحرم ، يقال أحرم إذا دخل في الحرم ، وأَتْهَمَ إذا دخل تهامة ، وأَنْجَدَ إذا دخل نجد ، ويقال أحرم لمن دخل في الأشهر الحرم . قاله بعض البصريين .

والثالث : أن اسم المحرم يتناول الأمرين معاً على وجه الحقيقة دون المجاز من أحرم بحج أو عمرة أو دخل الحرم ، وحكم قتل الصيد فيهما على سواء بظاهر الآية ، قاله علي بن أبي هريرة .

{ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا } فيه قولان :

أحدهما : متعمداً لقتله ، ناسياً لإحرامه ، قاله مجاهد ، وإبراهيم ، وابن جريج .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : متعمداً لقتله ذاكراً لإحرامه ، قاله ابن عباس ، وعطاء ، والزهري .

واختلفوا في الخاطىء في قتله الناسي لإحرامه على قولين .

أحدهما : لا جزاء عليه ، قاله داود .

الثاني : عليه الجزاء ، قاله مالك ، والشافعي ، وأبو حنيفة .

{ فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ } يعني أن جزاء القتل فى الحرم أو الإحرام مثل ما قتل من النعم .

وفي مثله قولان :

أحدهما : أن قيمة الصيد مصروفة في مثله من النعم ، قاله أبو حنيفة .

والثاني : أن عليه مثل الصيد من النعم في الصورة والشبه قاله الشافعي .

{ يَحْكُمْ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ } يعني بالمثل من النعم ، فلا يستقر المثل فيه إلا بحكم عدلين فقيهين ، ويجوز أن يكون القاتل أحدهما .

{ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ } يريد أن مثل الصيد من النعم يلزم إيصاله إلى الكعبة ، وعنى بالكعبة جميع الحرم ، لأنها في الحرم .

(379/1)

واختلفوا هل يجوز أن يهدي في الحرم ما لا يجوز في الأضحية من صغار الغنم على قولين :

أحدهما : لا يجوز قاله : أبو حنيفة .

الثاني : يجوز ، قاله الشافعي .

{ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ } فيه قولان :

أحدهما : أنه يُقَوِّم المثل من النعم ويشتري بالقيمة طعاماً ، قاله عطاء ، والشافعي .

الثاني : يقوِّم الصيد ويشتري بالغنيمة طعاماً ، قاله قتادة ، وأبو حنيفة .

{ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً } يعني عدل الطعام صياماً ، وفيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه يصوم عن كل مد يوماً ، قاله عطاء ، والشافعي .

والثاني : يصوم عن كل مد ثلاثة أيام ، قاله سعيد بن جبير .

والثالث : يصوم عن كل صاع يومين ، قاله ابن عباس .

واختلفوا في التكفير بهذه الثلاثة ، هل هو على الترتيب أو التخيير على قولين :

أحدهما : على الترتيب ، إن لم يجد المثل فالإطعام ، فإن لم يجد الطعام فالصيام ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وعامر ، وإبراهيم ، والسدي .

والثاني : أنه على التخيير في التكفير بأي الثلاثة شاء ، قاله عطاء ، وهو أحد قولي ابن عباس ، ومذهب الشافعي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ لِّيذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ } يعني في التزام الكفارة ، ووجوب التوبة .

{ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ } يعني قبل نزول التحريم .

{ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ } فيه قولان :

أحدهما : يعني ومن عاد بعد التحريم ، فينتقم الله منه بالجزاء عاجلاً ، وعقوبة المعصية آجلاً .

والثاني : ومن عاد بعد التحريم في قتل الصيد ثانية بعد أوله ، فينتقم الله منه .

وعلى هذا التأويل قولان :

أحدهما : فينتقم الله منه بالعقوبة في الآخرة دون الجزاء ، قاله ابن عباس ، وداود .

والثاني : بالجزاء مع العقوبة ، قاله الشافعي ، والجمهور .

(380/1)

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (96) جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (97) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (98) مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (99)

قوله تعالى : { أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحرِ } يعني صيد الماء سواء كان من بحر أو نهر أو عين أو بئر فصيده حلال للمحرم والحلال في الحرم والحل .

{ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ } في طعامه قولان :

أحدهما : طافِيِه وما لَفَظَه البحر ، قاله أبو بكر ، وعمر ، وقتادة .

والثاني : مملوحة ، قاله ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب .

وقوله تعالى : { مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ } يعني منفعة للمسافر والمقيم . وحكى الكلبي أن هذه الآية نزلت في بني مدلج ، وكانوا ينزلون بأسياف البحر ، سألوا عما نضب عنه الماء من السمك ، فنزلت هذه الآية فيهم .

قوله تعالى : { جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِّلنَّاسِ } في تسميتها كعبة قولان :

أحدهما : سميت بذلك لتربيعها ، قاله مجاهد .

والثاني : سميت بذلك لعلوها ونتوئها من قولهم : قد كعب ثدي المرأة إذا علا ونتأ ، وهو قول الجمهور .

وسميت الكعبة حراماً لتحريم الله تعالى لها أن يصاد صيدها ، أو يختلى خلاها ، أو يعضد شجرها .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وفي قوله تعالى : { قِيَاماً لِّلنَّاسِ } ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني صلاحاً لهم ، قاله سعيد بن جبير .

والثاني : تقوم به أبدانهم لأمنهم به في التصرف لمعايشهم .

والثالث : قياماً في مناسكهم ومتعبداتهم .

(381/1)

قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (100) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (101) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (102)

قوله تعالى : { قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ } فيه ثلاث تأويلات :

أحدها : يعني الحلال والحرام ، قاله الحسن .

والثاني : المؤمن والكافر ، قاله السدي .

والثالث : الرديء والجيد .

{ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ } يعني أن الحلال والجيد مع قلتهما خير وأنفع من الحرام والرديء مع كثرتهما .

قال مقاتل : نزلت هذه الآية في حُجَّاجِ اليمامة وقد هَمَّ المسلمون بأحدهم .

قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ } اختلف أهل التأويل في سبب نزول هذه الآية على ثلاثة أقوال :

أحدها : ما روى أنس بن مالك قال : سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ألحفوه بالمسألة ، فصعد المنبر ذات يوم فقال : « لاَ تَسْأَلُونِي عَنْ شَيءٍ إِلاَّ بَيَّنْتُ لَكُمْ » قال أنس : فجعلت أنظر يميناً وشمالاً فأرى كل الناس لاق ثوبه فى رأسه يبكي ، فسأل رجل كان إذا لاحى يدعى إلى غير أبيه فقال : يا رسول الله مَنْ أبي؟ فقال : « أَبُوكَ حُذَافَةُ » فأنشأ عمر فقال : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد عليه السلام رسولاً عائذاً بالله من سوء الفتن ، فأنزل الله تعالى : { لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ } .

والثاني : ما روى الحسن بن واقد عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيكُمُ الحَجَّ فَحِجُّوا » فقام محصن الأسدي وقال : في كل عام يا رسول الله؟ فقال : « أَمَا إِنِّي لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ ، وَلَوْ وَجَبَتْ ثُمَّ تَرَكْتُمْ لَضَلَلْتُمْ ، اسْكَتُوا

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عَنِّي مَا سَكَتُّ عَنْكُمْ ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ واخْتِلاَفِهِم عَلَى أَنْبِيائِهِمْ » فأنزل الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَسْأَلُوا . . . } .

والثالث : أنها نزلت في قوم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، قاله ابن عباس .

{ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرءَانُ تُبْدَ لَكُمْ } جعل نزول القرآن عند السؤال موجباً بتعجيل الجواب .

{ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا } فيها قولان :

أحدهما : عن المسألة .

والثاني : عن الأشياء التي سألوا عنها .

قوله تعالى : { قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَافِرِينَ } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : قوم عيسى سألوه المائدة ، ثم كفروا بها ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنهم قوم صالح سألوا الناقة ، ثم عقروها وكفروا به .

والثالث : أنهم قريش سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحوّل لهم الصفا ذهباً ، قاله السدي .

والرابع : أنهم القوم الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ أبي؟ ونحوه ، فلما أخبرهم به أنكروه وكفروا به ، قاله بعض المتأخرين .

(382/1)

مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (103) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (104)

قوله تعالى : { مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ } يعني ما بحر الله من بحيرة ، ولا سيب سائبة ، ولا وصل وصيلة ، ولا حمى حامياً .

روى أبو صالح عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثم ابن جون : « يَا أَكْثَمُ رَأَيْتُ عَمْرو بْنَ لُحَيٍّ بْنَ قَمْعَةَ بْنَ خَنْدَف يَجُرُّ قَصَبَهُ فِي النَّارِ ، فَمَا رَأَيْتُ رَجُلاً أَشْبَهَ بِرَجُلٍ مِنْكَ بِهِ ، وَلاَ بِهِ مِنْكَ » فقال أكثم : أخشى أن يضرني شبهه يا رسول الله ، فقال : « لاَ إِنَّكَ مُؤْمِنٌ ، وَهُوَ كَافِرٌ ، إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِسْمَاعِيلَ ، وَبَحَرَ البَحِيرَةَ ، وَسَيَّبَ السَّائِبَةَ ، وحَمَى الحَامِي

» . ومعنى قوله يجر قصبه في النار ، يعني أمعاءه ، والبحيرة : الفصلة من قول القائل ، بحرت

This file was downloaded from QuranicThought.com

 مكتبة مشكاة الإسلامية

أذن الناقة إذا شقها ، ومنه قول الأبيرد :

وأمسى فيكم عمران يمشي ... . كأنه جمل بحير

وقد روى أبو إسحاق عن أبي الأحوص عن أبيه قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم : « أَرَأَيْت إبِلَكَ تَكُونَ مُسَلَّمَةً آذَانُهَا فَتَأْخُذَ المُوسَى فَتَجْدَعَهَا تَقُولُ هَذِهِ بَحِيْرَةٌ ، وَتَشُقُّونَ آذَانَهَا تَقُولُونَ هَذِهِ بَحِيْرَةٌ

» قال : فإن ساعِدَ الله أشدُّ ، وموسى الله أحد ، كل مالك لك حلال لا يحرم عليك منه شيء .

وفي البحيرة ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن البحيرة الناقة إذا ولدت خمسة أبطن ، فإن كان الخامس ذكراً أكلته الرجال دون النساء ، وإن كانت أنثى بحروا أذنها أي شقوها ، وتركت ، فلا يشرب لها لبن ، ولا تنحر ، ولا تركب ، وإن كان ميتة اشترك فيه الرجال والنساء ، قاله عكرمة .

والقول الثاني : البحيرة الناقة التي تنجب خمسة أبطن ، فكان آخرها ميتاً ذكراً شقوا أذن الناقة وخلوا عنها ، فلا تُحْلَب وَلاَ تُرْكَب تحرجاً ، قاله أبو عبيدة .

والقول الثالث : أن البحيرة بنت السائبة ، قاله أبو إسحاق ، وأما السائبة ، فإنها المسيبة المخلاة وكانت العرب تفعل ذلك ببعض مواشيها فتحرم الانتفاع بها على أنفسها تقرباً إلى الله تعالى ، قال الشاعر :

عقرتم ناقة كانت لربي ... وسائبة فقوموا للعقاب

وكذا كان بعض أهل الإسلام يعتق عبده سائبة ، ولا ينتفع به ولا بولائه ، وكان أبو العالية سائبة فلما أُتِي مولاه بميراثه فقال : هو سائبة وأبى أن يأخذه .

وأخرجت المسيبة بلفظ السائبة ، كما قيل في عيشة راضية يعني مرضية ، وفي السائبة قولان :

أحدهما : أنها الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس فيهن ذكر سُيِّبَتْ فلم يُرْكَب ظهرها ولم يُجَزّ وبرها ولم يَشْرَب لبنَها إلا ضيفٌ ، وما نتجت بعد ذلك من أنثى شق أُذُنُها ، وسميت بحيرة ، وخُلِّيَتْ مع أمها ، قاله محمد بن إسحاق .

(383/1)

والقول الثاني : أنهم كانوا ينذرون السائبة عند المرض فيسيب الرجل بعيره ولا يركب ، ولا يجلى عن ماء كالبحيرة ، قاله أبو عبيدة .

أما الوصيلة فأجمعوا على أنها من الغنم ، وفيها ثلاثة أقاويل : أحدها : أنها الشاة إذا ولدت سبعة أبطن نُظِرَ في البطن السابع فإن كان جَدْياً ذبحوه ، فأكل الرجال دون النساء ، فقالوا هذا حلال لذكورنا ، حرام على أزواجنا ونسائنا ، وإن كان عناقاً سرحت في غنم الحي ، وإن كان جَدْياً وعناقاً ،

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قالوا وصلت أخاها فسميت وصيلة ، قاله عكرمة .

القول الثاني : أنها الشاة إذا أتأمت عشر إناث في خمسة أبطن ليس فيهن ذكر ، جعلت وصيلة ، فقالوا قد وصلت ، وكان ما ولدت بعد ذلك للذكور دون الإناث قاله محمد بن إسحاق .

والقول الثالث : أن العرب كانت إذا ولدت الشاة لهم ذكراً قالوا هذا لآلهتنا فيتقربون به ، وإذا ولدت أنثى قالوا هذه لنا ، وإذا ولدت ذكراً وأنثى قالوا : وصلت أخاها فلم يذبحوه لمكانها ، قاله أبو عبيدة .

وأما الحام ففيه قول واحد أجمعوا عليه وهو البعير ينتج من صلبه عشرة أبطن ، فيقال حمى ظهره ويخلّى .

(384/1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (105) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آَخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآَثِمِينَ (106) فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآَخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (107) ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (108)

قوله تعالى : { يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ . . . } في قوله : { شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ } ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنها الشهادة بالحقوق عند الحكام .

والثاني : أنها شهادة الحضور للوصية .

والثالث : أنها أيمان ، ومعنى ذلك أيمان بينكم ، فعبر عن اليمين بالشهادة كما قال في أيمان المتلاعنين : { فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ } .

وفي قوله تعالى : { . . . اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ } تأويلان :

أحدهما : يعني من المسلمين ، قاله ابن عباس ، ومجاهد .

والثاني : من حي المُوصِي ، قاله الحسن ، وسعيد بن المسيب ، وعكرمة وفيهما قولان : أحدهما أنهما شاهدان يشهدان على وصية المُوصِي .

والثاني : أنهما وصيان .

{ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ } فيه تأويلان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدهما : من غير دينكم من أهل الكتاب ، قاله ابن عباس ، وأبو موسى ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم ، وشريح .

والثاني : من غير قبيلتكم وعشيرتكم ، قاله الحسن ، وعكرمة ، والزهري ، وعبيدة .

وفي { أَوْ } في هذا الموضع قولان :

أحدهما : أنها للتخيير في قبول اثنين منا أو آخرين من غيرنا .

والثاني : أنها لغير التخيير ، وإن معنى الكلام ، أو آخران من غيركم إن لم تجدوا ، منكم ، قاله ابن عباس وشريح ، وسعيد بن جبير والسدي .

{ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ } يعني سافرتم .

{ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ } وفي الكلام محذوف تقديره : فأصابتكم مصيبة الموت ، وقد أسندتم الوصية إليهما .

ثم قال تعالى : { تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلاَةِ } يعني تستوقفونهما للأيمان وهذا خطاب للورثة ، وفي هذه الصلاة ثلاثة أقوال :

أحدها : بعد صلاة العصر ، قاله شريح ، والشعبي ، وسعيد بن جبير وقتادة .

والثاني : من بعد صلاة الظهر ، والعصر ، قاله الحسن .

والثالث : من بعد صلاة أهل دينهما ومِلَّتِهِمَا من أهل الذمة ، قاله ابن عباس ، والسدي .

{ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ أَرْتَبْتُمْ لاَ تَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً } معناه فيحلفان بالله إن ارتبتم بهما ، وفيهما قولان :

أحدهما : أنهما الوصيان إن ارتبتم بهما في الخيانة أَحْلَفَهُمَا الورثة .

والثاني : أنهما الشاهدان إن ارتبتم بهما ، ولم تُعْرَفْ عدالتهما ، ولا جرحهما ، أحلفهما الحاكم ليزول عنه الارتياب بهما ، وهذا إنما جوزه قائل هذا القول في السفر دون الحضر .

وفي قوله تعالى : { لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً } تأويلان :

أحدهما : لا نأخذ عليه رشوة ، قاله ابن زيد .

والثاني : لا نعتاض عليه بحق .

{ وَلَو كَانَ ذَا قُرْبَى } أي لا نميل مع ذي القربى في قول الزور ، والشهادة بغير حق .

{ وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ } يعني عندنا فيما أوجبه علينا .

قوله تعالى : { فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً } يعني فإن ظهر على أنهما كَذَبَا وخَانَا ، فعبر عن الكذب بالخيانة والإثم لحدوثه عنهما .

وفي الذين : { عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اْستَحَقَّا إِثْماً } قولان :

أحدهما : أنهما الشاهدان ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنهما الوصيان ، قاله سعيد بن جبير .

{ فَئَاخَرَان } يعني من الورثة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا } في اليمين ، حين ظهرت الخيانة .

{ مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ } فيه تأويلان :

(385/1)

أحدهما : الأوليان بالميت من الورثة ، قاله سعيد بن جبير .

والثاني : الأوليان بالشهادة من المسلمين ، قاله ابن عباس وشريح .

وكان سبب نزول هذه الآية ما روى عبد الله بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس قال : خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بدّاء ، فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم ، فلما قدما بتركته ، فقدوا جاماً من فضة مُخَوَّصاً بالذهب فأحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم وجد الجام بمكة ، وقالوا اشتريناه من تميم الداري ، وعدي بن بدّاء ، فقام رجلان من أولياء السهمي فَحَلَفَا : { لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا } وأن الجام لصاحبهم قال : وفيهم نزل : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ } إلى قوله : { واتَّقُواْ اللَّهَ وَاسْمَعُواْ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } .

ثم اختلفوا في حكم هاتي الآيتين هل هو منسوخ أو ثابت .

فقال ابن عباس حكمهما منسوخ . قال ابن زيد : لم يكن الإسلام إلا بالمدينة فجازت شهادة أهل الكتاب وهو اليوم طبق الأرض .

وقال الحسن : حكمهما ثابت غير منسوخ .

(386/1)

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (109)

قوله تعالى : { يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لاَ عِلْمَ لَنآ } .

في قوله : { لاَ عِلْمَ لَنآ } خمسة تأويلات :

أحدها : لم يكن ذلك إنكاراً لِمَا علموه ولكن ذهلوا عن الجواب من هول ذلك اليوم ثم أجابوا بعدما ثابت عقولهم ، قاله الحسن ، والسدي .

والثاني : لا علم لنا إلا ما علمتنا ، قاله مجاهد .

والثالث : لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا ، قاله ابن عباس .

والرابع : لا علم لنا بما أجاب به أممنا ، لأن ذلك هو الذي يقع عليه الجزاء ، وهو مروي عن

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الحسن أيضاً .

والخامس : أن معنى قوله : { مَاذَا أُجِبْتُمْ } أي ماذا عملوا بعدكم { قَالُواْ لاَ عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوْبِ } قاله ابن جريج .

وفي قوله : { عَلاَّمُ الْغُيُوْبِ } تأويلان :

أحدهما : أنه مبالغة .

والثاني : أنه لكثير المعلومات .

فإن قيل : فلم سألهم عما هو أعلم به منهم؟ فعليه جوابان :

أحدهما : أنه إنما سألهم ليعلمهم ما لم يعلموا من كفر أممهم ونفاقهم وكذبهم عليهم من بعدهم .

والثاني : أنه أراد أن يفضحهم بذلك على الأشهاد ليكون ذلك نوعاً من العقوبة لهم .

(387/1)

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (110) وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ (111)

قوله تعالى : { إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ . . . } وإنما ذكَّر الله عيسى عليه السلام نعمته عليه على والدته ، وإن كان لهما ذاكراً لأمرين :

أحدهما : ليتلو على الأمم ما خصه به من الكرامة ومَيّزَه به من علو المنزلة .

والثاني : ليؤكد به حجته ويرد به جاحده .

ثم أخذ تعالى في تعديد نعمه فقال : { إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ } يعني قويتك ، مأخوذ من الأيد وهو القوة ، وروح القدس جبريل ، والقدس هو الله تعالى تقدست أسماؤه .

وتأييده له من وجهين :

أحدهما : تقويته على أمر دينه .

والثاني : معونته على دفع ظلم اليهود والكافرين له .

{ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً } أما كلامه لهم في المهد إنما اختص بتعريفهم حال نبوته ، { قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَمَا كُنتُ وَأَوْصانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَياً } [مريم : 30-31] .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
وكلامه لهم كهلاً دعاؤهم إلى ما أمر الله به من الصلاة والزكاة ، وذلك حين صار ابن ثلاثين سنة وإن كان مبعوثاً حين ولد ، فمكث فيهم ثلاثين سنة ثم رفعه الله ، ولم يبعث الله نبياً حين ولد غيره ولذلك خصه الله بالكلام في المهد صبياً .

ثم قال تعالى : { وَإِذْ عَلَّمْتُك الكِتَابَ } وفيه تأويلان :

أحدهما : يريد الخط .

والثاني : يريد الكتب فعبر عنها بالكتاب إرادة للجنس .

ثم فصل فقال تعالى : { وَالْحِكْمَةَ } وفيها تأويلان :

أحدهما : أنها العلم بما في تلك الكتب .

والثاني : أنها جميع ما يحتاج إليه في دينه ودنياه .

ثم قال تعالى : { وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ } يريد تلاوتهما وتأويلهما .

ثم قال تعالى : { وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونَ طَيْرَاً بِإِذْنِي } يعني بقوله : { تَخْلُقُ } أي تفعل وتصور من الطين مثل صورة الطير ، لأن الخلق فعل لكن على سبيل القصد والتقدير من غير سهو ولا مجازفة ولذلك وُصِفَتْ أفعال الله تعالى بأنها مخلوقة لأنها لا تكون إلا عن قصد وتقدير ووصفت بعض أفعال العباد بأنها مخلوقة إذا كانت مقدرة مقصودة ولم توصف جميعها بهذه الصفة لجواز كون بعضها سهواً أو مجازفة .

وقوله تعالى : { فَتَنفُخُ فِيهَا } يعني الروح ، والروح جسم .

وفي المُتَوَلِّي لنفخها وجهان :

أحدهما : أنه المسيح ينفخ الروح في الجسم الذي صوره من الطين كصورة الطير .

والثاني : أنه جبريل .

وقوله تعالى : { فَتَكُونُ طَيْرَاً بِإِذْنِي } يعني أن الله تعالى يقلبها بعد نفخ الروح فيها لحماً ودماً ، ويخلق فيها الحياة ، فتصير طيراً بإذن الله تعالى وأمره ، لا بفعل المسيح .

ثم قال تعالى : { وَتُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي } أي تدعوني أن أبرىء الأكمه والأبرص ، فأجيب دعاءك وأبرئهما ، وهو فعل الله تعالى ، وإنما نَسَبَهُ إلى المسيح مجازاً لأن فعله لأجل دعائه .

ثم قال تعالى : { وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي } يعني واذكر نعمتي عليك ، إذ تدعوني أن أحيي الموتى ، فأجيب دعاءك ، حتى تخرجهم من القبور أحياء ، ونسب إليه ذلك توسعاً أيضاً لأجل دعائه ، ويجوز أن ينسب إخراجهم إليه حقيقة ، لأن إخراجهم من قبورهم بعد إحياء الله لهم يجوز أن يكون من فعل المسيح .

(388/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قال الكلبي : والذين أحياهم من الموتى رجلان وامرأة .

قوله تعالى : { وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي . . . } في وحيه إلى الحواريين وجهان :

أحدهما : معناه أَلْهَمْتُهُم أن يؤمنوا بي ، ويصدقوا أنك رسولي ، كما قال تعالى : { وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ } [النحل : 68] .

والثاني : يعني ألقيت إليهم بالآيات التي أريتهم أن يؤمنوا بي وبك . وفي التذكير بهذه النعمة قولان :

أحدهما : أنها نعمة على الحواريين أن آمنوا ، فذكر الله تعالى به عيسى لأنهم أنصاره .

الثاني : أنها نعمة على عيسى ، لأنه جعل له أنصاراً من الحواريين قد آمنوا به .

والحواريون : هم خواص عيسى عليه السلام الذين استخلفهم من جملة الناس .

{ قَالُوا ءَامَنَّا } يعني بالله تعالى ربك .

{ وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ } يحتمل وجهين : أحدهما : أنهم أشهدوا عيسى عليه السلام على إسلامهم بالله تعالى وبه .

والثاني : أنهم أشهدوا الله تعالى بذلك على أنفسهم .

(389/1)

إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (112) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (113) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (114) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (115)

قوله تعالى : { إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ } ، قرأ الكسائي وحده { هل تَّستطيع ربَّك } بالتاء والإدغام ، وربك بالنصب ، وفيها وجهان :

أحدهما : معناه هل تستدعي طاعة ربك فيما تسأله ، قاله الزجاج .

والثاني : هل تستطيع أن تسأل ربك ، قاله مجاهد ، وعائشة .

وقرأ الباقون { هل يستطيع ربك } بالياء والإظهار ، وفي ذلك التأويل ثلاثة أوجه :

أحدها : هل يقدر ربك ، فكان هذا السؤال في ابتداء أمرهم قبل استحكام معرفتهم بالله تعالى .

والثاني : معناه هل يفعل ربك ، قاله الحسن ، لأنهم سموا بالحواريين بعد إيمانهم .

والثالث : معناه هل يستجيب لك ربك ويطيعك .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ أَن يُنَزِّلَ عَلَينَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَآءِ } قاله السدي ، قال قطرب : والمائدة لا تكون مائدة حتى يكون عليها طعام ، فإن لم يكن قيل : خِوان ، وفي تسميتها مائدة وجهان :

أحدهما : لأنها تميد ما عليها أي تعطي ، قال رؤبة :

. . . . إلى أمير المؤمنين الممتاد

أي المستعطي .

والثاني : لحركتها بما عليها من قولهم : مَادَ الشيء إذا مال وتحرك ، قال الشاعر :

لعلك باك إن تغنت حمامة ... يميد غصن من الأيك مائل

{ قَالَ اتَّقُواْ اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } فيه قولان :

أحدهما : يعني اتقوا معاصي الله إن كنتم مؤمنين به ، وإنما أمرهم بذلك لأنه أولى من سؤالهم .

والثاني : يعني اتقوا الله فى سؤال الأنبياء إما طلباً لِعَنَتِهِم وإما استزادة للآيات منهم ، إن كنتم مؤمنين بهم ومصدقين لهم لأن ما قامت به دلائل صدقهم يغنيكم عن استزادة الآيات منهم .

قوله تعالى : { قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا } وهذا اعتذار منهم بَيَّنُوا به سبب سؤالهم حين نهوا عنه فقالوا : { نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا } .

يحتمل وجهين :

أحدهما : أنهم أرادوا الأكل منها للحاجة الداعية إليها .

والثاني : أنهم أرادوه تبركاً بها لا لحاجة دعتهم إليها ، وهذا أشبه لأنهم لو احتاجوا لم ينهوا عن السؤال .

{ وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا } يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : تطمئن إلى أن الله تعالى قد بعثك إلينا نبياً .

والثاني : تطمئن إلى أن الله تعالى قد اختارنا لك أعواناً .

والثالث : تطمئن إلى أن الله قد أجابنا إلى ما سألنا .

{ وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا } في أنك نبي إلينا ، وذلك على الوجه الأول .

وعلى الوجه الثاني : صدقتنا في أننا أعوان لك .

وعلى الوجه الثالث : أن الله قد أجابنا إلى ما سألنا .

وفي قولهم { وَنَعْلَمَ } وجهان :

أحدهما : أنه علم مستحدث لهم بهذه الآية بعد أن لم يكن ، وهذا قول من زعم أن السؤال كان قبل استحكام المعرفة .

والثاني : أنهم استزادوا بذلك علماً إلى علمهم ويقيناً إلى يقينهم ، وهذا قول من زعم أن السؤال كان بعد التصديق والمعرفة .

{ وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ } يحتمل وجهين .

أحدهما : من الشاهدين لك عند الله بأنك قد أديت ما بعثك به إلينا .

This file was downloaded from QuranicThought.com

والثاني : من الشاهدين عند من يأتي من قومنا بما شاهدناه من الآيات الدالة على أنك نبي إليهم وإلينا .

قوله تعالى : { قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَآءِ } إنما زيدت الميم في آخر اللهم مثقلة عوضاً عن حرف النداء ، فلم يجز أن يدخل عليه حرف النداء فلا يقال يا اللهم لأن الميم المُعَوِّضة منه أغنت عنه ، فأما قول الشاعر :

وما عليك أن تقولي كلما ... سبحت أو هللت يا اللهم

أردد علينا شيخنا مسلما ... فإننا من خيره لن نعْدَما

فلأن ضرورة الشعر جوزته .

سأل عيسى ربه ، أن ينزل عليهم المائدة التي سألوه ، وفي سؤاله وجهان :

أحدهما : أنه تفضل عليهم بالسؤال ، وهذا قول من زعم أن السؤال بعد استحكام المعرفة .

والثاني : أنه رغبة منه إلى الله تعالى في إظهار صدقه لهم ، وهذا قول من زعم أن السؤال قبل استحكام المعرفة .

{ تَكُونُ لَنَا عِيداً لأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : نتخذ اليوم الذي أنزلت فيه عيداً نعظمه نحن ومن بعدنا قاله قتادة والسدي .

وقيل : إن المائدة أنزلت عليهم في يوم الأحد غداة وعشية ، ولذلك جعلوا الأحد عيداً .

والثاني : معناه عائدة من الله تعالى علينا ، وبرهاناً لنا ولمن بعدنا .

والثالث : يعني نأكل منها جميعاً ، أولنا وآخرنا ، قاله ابن عباس .

{ وَءَايَةً مِّنكَ } يعني علامة الإعجاز الدالة على توحيدك وقيل التي تدل على صدق أنبيائك .

الشكر على ما أنعمت به علينا من إجابتك ، وقيل : أرزقنا ذلك من عندك .

قوله تعالى : { قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ } وهذا وعد من الله تعالى أجاب به سؤال عيسى كما كان سؤال عيسى إجابة للحواريين .

واختلفوا في نزول المائدة على ثلاثة أقاويل .

أحدها : أنه مثل ضربه الله تعالى لخلقه ، ينهاهم به عن مسألة الآيات لأنبيائه ، قاله مجاهد .

والثاني : أنهم سألوا ووعدهم بالإجابة ، فلما قال لهم : { فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ } استعفوا منها فلم تنزل عليهم ، قاله الحسن .

والثالث : أنهم سألوا فأجابهم ، ولم يستعفوا ، لأنه ما حكى الاستعفاء عنهم ، ثم أنزلها عليهم ، لأنه قد وعدهم ، ولا يجوز أن يخلف وعده .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
ومن قال بهذا اختلفوا في الذي كان عليها حين نزلت على ستة أقاويل :

أحدها : أنه كان عليها ثمار الجنة ، قاله قتادة .

والثاني : أنه كان عيها خبز ولحم ، قاله عمار بن ياسر .

والثالث : أنه كان عليها سبعة أرغفة ، قاله إسحاق بن عبد الله .

والرابع : كان عليها سمكة فيها طعم كل الطعام ، قاله عطاء ، وعطية .

والخامس : كان عليها كل طعام إلا اللحم ، قاله ميسرة .

والسادس : رغيفان وحوتان ، أكلو منها أربعين يوماً في سفرة ، وكانوا ومن معهم نحو خمسة آلاف ، قاله جويبر .

(391/1)

وأُمِرُوا أن يأكلوا منها ولا يخونوا ولا يدخروا ، فخانوا وادخروا فَرُفِعَتْ .

وفي قوله تعالى : { . . . عَذَاباً لاَّأُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ } قولان :

أحدهما : يعني من عالمي زمانهم .

والثاني : من سائر العالمين كلهم .

وفيهم قولان : أحدهما : هو أن يمسخهم قردة ، قاله قتادة .

والثاني : أنه جنس من العذاب لا يعذب به غيرهم لأنهم كفروا بعد أن رأوا من الآيات ما لم يره غيرهم ، فكانوا أعظم كفراً فصاروا أعظم عذاباً .

وهل هذا العذاب في الدنيا أو في الآخرة؟ قولان :

وفي الحواريين قولان :

أحدهما : أنهم خواص الأنبياء .

والثاني : أنهم المندوبون لحفظ شرائعهم إما بجهاد أو علم .

وفي تسميتهم بذلك ثلاثة أقاويل :

أحدها : لبياض ثيابهم ، وهذا قول ابن عباس ، تشبيهاً بما هم عليه من نقاء سرائرهم ، قاله الضحاك ، وهو بلغة القبط حواري .

والثاني : لنظافة ثيابهم وطهارتها بطهارة قلوبهم .

والثالث : بجهادهم عن أنبيائهم ، قال الشاعر :

ونحن أناس نملأ البيد مأمنا ... ونحن حواريون حين نزاحف

(392/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117) إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (118)

قوله عز وجل : { وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ . . . } الآية . { إِذْ } ها هنا بمعنى (إذا) كما قال أبو النجم :

ثم جزاك الله عني إذ جزى ... جنات عدن في السموات العلا

يعني إذا جزى ، فأقام الماضي مقام المستقبل وهذا جائز في اللغة كما قال تعالى : { وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ } [الأعراف : 44] .

واختلف أهل التأويل في معنى هذا السؤال وليس باستفهام وإن خرج مخرج الاستفهام على قولين :

أحدهما : أنه تعالى سأله عن ذلك توبيخاً لمن ادعى ذلك عليه ، ليكون إنكاره بعد السؤال أبلغ فى التكذيب وأشد فى التوبيخ والتقريع .

والثاني : أنه قصد بهذا السؤال تعريفه أن قومه غُيِّرُوا بعده وادعوا عليه ما لم يقله .

فإن قيل : فالنصارى لم تتخذ مريم إلهاً ، فكيف قال تعالى فيهم ذلك؟

قيل : لما كان من قولهم أنها لم تلد بشراً وإنما ولدت إلَهاً لزمهم أن يقولوا إنها لأجل البعضي بمثابة من ولدته ، فصاروا حين لزمهم ذلك كالقائلين له .

وفي زمان هذا السؤال قولان :

أحدهما : أن الله تعالى قال ذلك لعيسى حين رفعه إليه في الدنيا ، قاله السدي وميسرة .

والثاني : أن الله تعالى يقول له ذلك يوم القيامة ، قاله ابن جريج وقتادة وهو أصح القولين .

{ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ } أي أدعي لنفسي ما ليس من شأنها ، يعني أنني مربوب ولست برب ، وعابد ولست بمعبود .

وبدأ بالتسبيح قبل الجواب لأمرين :

أحدهما : تنزيهاً له عما أضيف إليه .

الثاني : خضوعاً لعزته وخوفاً من سطوته .

ثم قال : { إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ } فرد ذلك إلى علمه تعالى ، وقد كان الله عالماً به أنه لم يقله ، ولكن قاله تقريعاً لمن اتخذ عيسى إلهاً .

{ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ } فيه وجهان .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدهما : تعلم ما أخفيه ولا أعلم ما تخفيه .

والثاني : تعلم ما أعلم ولا أعلم ما تعلم .

وفي النفس قولان : أحدهما : أنها عبارة عن الجملة كلها .

والثاني : أنها عبارة عن بعضه ، كقولهم قتل فلان نفسه .

{ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ } يحتمل وجهين :

أحدهما : عالم السر والعلانية .

والثاني : عالم ما كان وما يكون .

وفي الفرق بين العالم والعلام وجهان :

أحدهما : أن العلام الذي تقدم علمه ، والعالم الذي حدث علمه .

والثاني : أن العلام الذي يعلم ما كان وما يكون ، والعالم الذي يعلم ما كان ولا يعلم ما يكون .

قوله عز وجل : { مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ } لم يذكر عيسى ذلك على وجه الإخبار به لأن الله عالم به ، ويحتمل وجهين :

أحدهما : تكذيباً لمن اتخذ إلهاً معبوداً .

(393/1)

والثاني : الشهادة بذلك على أمته فيما أمرهم به من عبادة ربه .

قوله تعالى : { أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ } يحتمل وجهين :

أحدهما : إعلامهم أن الله ربه وربهم واحد .

والثاني : أن عليه وعليهم أن يعبدوا رباً واحداً حتى لا يخالفوا فيما عبدوه .

{ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ } يحتمل وجهين :

أحدهما : يعني شاهداً .

والثاني : شاهداً عليهم .

{ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي } فيه وجهان :

أحدهما : أنه الموت .

والثاني : أنه رفعه إلى السماء .

{ . . . الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ } فيه وجهان :

أحدهما : الحافظ عليهم .

والثاني : العالم بهم .

{ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } يحتمل وجهين :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : شاهداً لما حضر وغاب .

والثاني : شاهداً على من عصى ، وأطاع .

قوله عز وجل : { إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه قاله على وجه الاستعطاف لهم والرأفة بهم كما يستعطف العبد سيده .

والثاني : أنه قاله على وجه التسليم لأمر ربه والاستجارة من عذابه .

(394/1)

قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (119) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (120)

قوله تعالى : { قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ } يعني يوم القيامة ، وإنما نفعهم الصدق في ذلك اليوم لوقوع الجزاء فيه وإن كان في كلِّ الأيام نافعاً ، وفي هذا الصدق قولان :

أحدهما : أن صدقهم الذي كان منهم في الدنيا نفعهم في الآخرة جُوزُوا عليه من الثواب ، فعلى هذا المراد بهذا الصدق وجهان محتملان :

أحدهما : أنه صدقهم في عهودهم .

والثاني : أنه تصديقهم لرسل الله وكتبه .

والقول الثاني : أنه صدق يكون منهم في الآخرة ينفعهم لقيامهم فيه بحق الله .

فعلى هذا في المراد بهذا الصدق وجهان محتملان :

أحدهما : أنه صدقهم في الشهادة لأنبيائهم بالبلاغ .

والثاني : صدقهم فيما شهدوا به على أنفسهم عن أعمالهم ، ويكون وجه النفع فيه أن يكفوا المؤاخذة بتركهم كتم الشهادة ، فيغفر لهم بإقرارهم لأنبيائهم وعلى أنفسهم .

وهل هم مصروفون عنه قبل موقف العرض؟ على قولين .

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

(395/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (1) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (2) وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (3)

قوله عز وجل : { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ . . . } الآية قال وهب بن منبه : فاتحة التوارة فاتحة الأنعام إلى قوله : { يَعْدِلُونَ } ، وخاتمة التوراة خاتمة هود .

وقوله : { الْحَمْدُ لِلَّهِ } جاء على صيغة الخبر وفيه معنى الأمر ، وذلك أولى من أن يجيء بلفظ الأمر فيقول احْمِدِ الله ، لأمرين :

أحدهما : أنه يتضمن تعليم اللفظ والمعنى ، وفي الأمر المعنى دون اللفظ .

والثاني : أن البرهان إنما يشهد بمعنى الخبر دون الأمر .

{ الَّذِي خَلَقَ السَمَوَاتِ والأرضَ } لأن خلق السموات والأرض نِعَمٌ تستوجب الحمد ، لأن الأرض تقل ، والسماء تظل ، وهي من أوائل نعمه على خلقه ، ولذلك استحمد بخلقها وأضاف خلقها إلى نفسه عند حمده ، على أن مستحق الحمد هو خالق السموات والأرض ، ليكون باستحقاق الحمد منفرداً لانفراده بخلق السموات والأرض .

وفي جمع السموات وتوحيد الأرض وجهان :

أحدهما : لأن السموات أشرف من الأرض ، والجمع أبلغ في التفخيم من الوحيد كقوله تعالى : { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ } [الحجر : 9] .

والثاني : لأن أوامره إلى الأرض تخترق جميع السماوات السبع .

وفي تقديم السموات على الأرض وجهان :

أحدهما : لتقدم خلقها على الأرض .

والثاني : لشرفها فقدمها على ذكر الأرض وإن كانت مخلوقة بعد الأرض .

وهذان الوجهان من اختلاف العلماء أيهما خُلِقَ أولاً .

{ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ } يعني وخلق ، فغاير بين اللفظ ليكون أحسن في النظم ، والمراد بالظلمات والنور هنا ثلاثة أوجه : أحدها : وهو المشهور من قول قتادة ، قدم الظلمة على النور لأنه قدم خلق الظلمة على خلق النور ، وجمع الظلمات ووحد النور لأن الظلمات أعم من النور .

والثاني : أن الظلمات : الليل ، والنور : النهار .

والثالث : أن الظلمات : الكفر ، والنور : الإيمان ، قاله السدي .

ولأصحاب الخواطر ، فيه ثلاثة أوجه أُخَر :

أحدها : أن الظلمات : الأجسام ، والنور : الأرواح .

الثاني : أن الظلمات : أعمال الأبدان ، والنور : ضمائر القلوب .

والثالث : أن الظلمات : الجهل ، والنور : العلم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } أي يجعلون له مع هذه النَّعَمْ عِدْلاً ، يعني مثلاً .

وفيه قولان :

أحدهما : أنهم يعدلون به الأصنام التي يعبدونها .

والثاني : أنهم يعدلون به إلهاً غيره لم يُخْلَق مثل خلقه .

{ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ } في هذين الأجلين أربعة أقاويل :

أحدها : أن الأجل الأول الذي قضاه أجل الحياة إلى الموت ، والأجل الثاني المسمى عنده أجل الموت إلى البعث ، قاله الحسن ، وقتادة .

الثاني : أن الأجل الأول الذي قضاه أجل الدنيا ، والأجل الثاني المسمى عنه ابتداء الآخرة ، قاله ابن عباس ، ومجاهد .

والثالث : أن الأجل الأول الذي قضاه هو حين أخذ الميثاق على خلقه في ظهر آدم ، والأجل الثاني المسمى عنده الحياة في الدنيا ، قاله ابن زيد .

(396/1)

والرابع : أن الأجل الذي قضاه أجل من مات ، والأجل المسمى عنده أجل من يموت بعد ، قاله ابن شجرة .

{ تَمْتَرُونَ } فيه وجهان :

أحدهما : تشكون ، والامتراء : الشك .

والثاني : تختلفون ، مأخوذ من المراء وهو الاختلاف .

قوله تعالى : { وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن معنى الكلام وهو اله المُدَبِّر في السموات وفي الأرض .

{ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ } أي ما تخفون ، وما تعلنون . والثاني : وهو الله المعبود في السموات ، وفي الأرض .

والثالث : أن في الكلام تقديماً وتأخيراً ، وتقديره : وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الأرض ، لأن في السموات الملائكة ، وفي الأرض الإنس والجن ، قاله الزجاج .

{ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ } أي ما تعلمون من بعد ، ولا يخفى عليه ما كان منكم ، ولا ما سيكون ، ولا ما أنتم عليه في الحال من سر ، وجهر .

(397/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (4) فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ
يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (5) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ
نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ
بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (6) وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا
سِحْرٌ مُبِينٌ (7) وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ (8) وَلَوْ
جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ (9) وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ
سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (10) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ
(11)

قوله عز وجل : { وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ } لأن مشركي قريش لما أنكروا نزول القرآن أخبر الله أنه لو أنزله عليهم من السماء لأنكروه وكفروا به لغلبة الفساد عليهم ، فقال : { وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ } واسم القرطاس لا ينطلق إلا على ما فيه كتابة ، فإن لم يكن فيه كتابة قيل طرس ولم يقل قرطاس . قال زهير بن أبي سلمى :

بها أخاديد من آثار ساكنها ... كما تردد في قرطاسه القلم

{ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ } قال ذلك تحقيقاً لنزوله عليهم .

ويحتمل بلمس اليد دون رؤية العين ثلاثة أوجه :

أحدها : أن نزوله مع الملائكة وهم لا يرون بالأبصار ، فلذلك عَبَّر عنه باللمس دون الرؤية .

والثاني : لأن الملموس أقرب من المرئي .

والثالث : لأن السحر يتخيل في المرئيات ، ولا يتخيل في الملموسات .

{ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ } تكذيباً لليقين بالعناد ، والمبين : ما دل على بيان بنفسه ، والبيِّن : ما دل على بيانه ، فكان المبين أقوى من البيِّن .

قوله عز وجل : { وَقَالُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ } أي ملك يشهد بتصديقه { وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِيَ الأَمْرُ } أي لو أنزلنا ملكاً فلم يؤمنوا لقضي الأمر وفيه تأويلان :

أحدهما : لقضي عليهم بعذاب الاستئصال ، قاله الحسن ، وقتادة ، لأن الأمم السالفة كانوا إذا اقترحوا على أنبيائهم الآيات فأجابهم الله تعالى إلى الإظهار فلم يؤمنوا استأصلهم بالعذاب .

والثاني : أن معنى لقضي الأمر لقامت الساعة ، قاله ابن عباس .

{ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ } أي لا يُمهلون ولا يُؤَخَّرون ، يعني عن عذاب الاستئصال . على التأويل الأول ، وعن قيام الساعة على التأويل الثاني .

{ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً } يعني ولو جعلنا معه ملكاً يدل على صدقه لجعلناه في صورة رجل .

وفي وجوب جعله رجلاً وجهان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : لأن الملائكة أجسامهم رقيقة لا تُرَى ، فاقتضى أن يُجْعَل رجلاً لكثافة جسمه حتى يرى .

والثاني : أنهم لا يستطيعون أن يروا الملائكة على صورهم ، وإذا كان في صورة الرجل لم يعلموا ملك هو أو غير ملك .

{ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَّا يَلْبِسُونَ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : معناه ولخلطنا عليهم ما يخلطون ، قاله الكلبي .

والثاني : لشبهنا عليهم ما يشبهون على أنفسهم ، قال الزجاج : كما يشبهون على ضعفائهم واللبس في كلامهم هو الشك ومنه قول الخنساء :

أصدق مقالته واحذر عداوته ... والبس عليه بشك مثل ما لبسا

والثالث : وللبسنا على الملائكة من الثبات ما يلبسه الناس من ثيابهم ، ليكونوا على صورهم وعلى زِيِّهم ، قاله جويبر .

قوله تعالى : { . . . كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ } أي أوجبها ربكم على نفسه ، وفيها أربعة أوجه :

أحدها : أنها تعريض خلقه لما أمرهم به من عبادته التي تفضي بهم إلى جنته .

والثاني : ما أراهم من الآيات الدالة على وجوب طاعته .

والثالث : إمهالهم عن معالجة العذاب واستئصالهم بالانتقام .

والرابع : قبوله توبة العاصي والعفو عن عقوبته .

{ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ } وهذا توعد منه بالعبث والجزا أَخرجه مَخْرَج القسم تحقيقاً للوعد والوعيد ، ثم أكده بقوله : { لاَ رَيْبَ فِيهِ } .

(398/1)

قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (12) وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (13) قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (14) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15) مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (16)

قوله تعالى : { وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الَّيْلِ وَالنَّهَارِ } من أجسام الحيوان ، لأن من الحيوان ما يسكن ليلاً ، ومنه ما يسكن نهاراً .

فإن قيل : فلم قال { مَا سَكَنَ } ولم يقل ما تحرك؟ قيل لأمرين :

أحدهما : أن ما يَعُمُّه السكون أكثر مما يَعُمُّه الحركة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : لأن كل متحرك لا بد أن تنحل حركته سكوناً ، فصار كل متحرك ساكناً ، وقد قال الكلبي : معناه وله ما استقر في الليل والنهار ، وهما الزمان كله ، لأنه لا زمان إلا ليل أو نهار ، ولا فصل بينهما يخرج عن واحد منهما .

قوله عز وجل : { قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً } يعني إلهاً يَتَوَلاَّنِي .

{ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ } أي خالق السموات والأرض ومبتدئها ، قال ابن عباس : كنت لا أدري ما فاطر حتى اختصم إليّ أعرابيان في بئر ، فقال أحدهما لصاحبه : أنا فَطَرْتُهَا ، أي ابتدأتها ، وأصل الفطر الشق ، ومنه { هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ } [الملك : 3] أي شقوق .

{ وَهُوَ يَطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ } معناه يَرْزُقُ ولا يُرْزَق ، قرأ بعضهم { وَهُوَ يُطْعِمُ ولا يَطْعَمُ } معناه على هذه القراءة : وهو يطعم خلقه ولا يأكل .

{ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ } يعني من أمته ، وفي إسلامه هذا ثلاثة أوجه :

أحدها : استسلامه لأمر الله ، ومثله قول الشاعر :

طال النهار على من لقاح له ... إلا الهديّة أو ترك بإسلام

أي باستسلام .

والثاني : هو دخوله في سِلْمِ الله وخروجه من عداوته .

والثالث : دخوله في دين إبراهيم كقوله تعالى : { مِلَّةَ ءَابِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ } [الحج : 78] ويكون المراد به أول من أَسْلَم من قريش ، وقيل : من أهل مكة .

{ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } يحتمل أن يكون هذا خطاباً من الله لنبيه يَنْهَاهُ به عن الشرك ، ويُحْتَمَل أن يكون المراد به جميع أمته ، وإن توجه الخطاب إليه .

(399/1)

وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (18) قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آَلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (19) الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (20) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآَيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (21)

قوله تعالى : { وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ } فيه وجهان :

أحدهما : معناه إن أَلْحَقَ الله بك ضُراً ، لأن المس لا يجوز على الله .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثاني : معناه وإن جعل الضُرَّ يمسك .

وكذلك قوله : { وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ } .

وفي الضُرِّ والخير وجهان :

أحدهما : أن الضُرَّ السُقْمُ ، والخير العافية .

والثاني : أن الضُرَّ الفقر ، والخير الغنى .

قوله عز وجل : { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ } فيه قولان :

أحدهما : أن معناه القاهر لعباده ، وفوق صلة زائدة .

والثاني : أنه بقهره لعباده مستعلٍ عليهم ، فكان قوله فوق مستعملاً على حقيقته كقوله تعالى : { يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيدِيهِم } [الفتح : 10] لأنها أعلى قوة .

ويحتمل ثالثاً : وهو القاهر فوق قهر عباده ، لأن قهره فوق كل قهر .

وفي هذا القهر وجهان :

أحدهما : أنه إيجاد المعدوم .

والثاني : أنه لا راد لأقداره ولا صَادَّ عن اختياره .

قوله عز وجل : { قَلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً } الآية ، في سبب [نزول] ذلك قولان :

أحدهما : أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : من يشهد لك النبوة ، فأنزل الله تعالى هذه الآية يأمره فيها أن يقول لهم : { أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً } ، ثم أجابه عن ذلك فقال : { قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ } يعني : بصدقي وصحة نبوتي وهي أكبر الشهادات ، قاله الحسن .

والثاني : أن الله تعالى أمره أن يشهد عليهم بتبليغ الرسالة إليهم فقال ذلك ليشهده عليهم .

{ لأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ } فيه وجهان :

أحدهما : لأنذركم [يا] أهل مكة ومن بلغه القرآن من غير أهل مكة .

والثاني : لأنذركم به : [أيها] العربُ ومن بُلِّغ من العَجَم .

قوله عز وجل : { الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ } فيه قولان :

أحدهما : أنه التوراة والإنجيل ، قاله الحسن ، وقتادة ، والسدي ، وابن جريج .

والثاني : أنه القرآن .

{ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُم } فيه قولان :

أحدهما : يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم ، لأن صفته موجودة في كتابهم ، قاله الحسن ، وقتادة ، ومن زعم أن الكتاب هو التوراة والإنجيل .

والثاني : يعرفون الكتاب الدال على صفته ، وصدقه ، وصحة نبوته ، وهذا قول من زعم أن الكتاب هو القرآن .

وعنى بقوله : { كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ } تثبيتاً لصحة المعرفة .

وحكى الكلبي والفراء : أن عمر بن الخطاب قال لعبد الله بن سلام حين أسلم : ما هذه المعرفة التي

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تعرفون بها محمداً صلى الله عليه وسلم كما تعرفون أبناءكم؟ قال : والله لأنا به إذا رأيته أعرف مني بابني وهو يلعب مع الصبيان ، لأني لا أشك أنه محمد ، وأشهد أنه حق ، ولست أدري ما صنع النساء في الابن .

{ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنْفُسَهُمْ } فيه تأويلان :

أحدهما : أنهم خسروا بالكفر منازلهم وأزواجهم في الجنة ، لأنه ليس أحد من مؤمن ولا كافر إلا وله منازل وأزواج ، فإن أسلموا كانت لهم ، وإن كفروا كانت لمن آمن من أهلهم ، وهو معنى قوله تعالى : { الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [المؤمنون : 11] ، قاله الفراء .

والثاني : معناه غبنوها فأهلكوها بالكفر والتكذيب ، ومنه قول الأعشى :

لا يأخذ الرِّشْوَةَ في حُكْمِهِ ... ولا يُبالي خُسْرَ الخاسر

(400/1)

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (22) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (23) انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24) وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آَذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آَيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (25) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (26)

{ ثُمَّ لَمْ تَكُن فَتْنَتُهُمْ . . . } الآية . في الفتنة هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : يعني معذرتهم ، فسماها فتنة لحدوثها عن الفتنة ، قاله قتادة .

والثاني : عاقبة فتنتهم وهو شركهم .

والثالث : يعني بَلِيَّتُهم التي ألزمتهم الحجة وزادتهم لائمة ، قاله أبو عبيد القاسم بن سلام .

{ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ } تبدأوا بذلك من شركهم ، فإن قيل : كيف كذبوا في الآخرة بجحود الشرك ولا يصح منهم الكذب في الآخرة لأمرين :

أحدهما : أنه لا ينفعهم .

والثاني : أنهم مصروفون عن القبائح ملجؤون إلى تركها لإزالة التكليف عنهم ، ولو لم يلجؤوا إلى ترك القبيح ويصرفوا عنه مع كما عقولهم وجب تكليفهم ليقلعوا به عن القبيح ، وفي عدم تكليفهم دليل على إلجائهم إلى تركه .

قيل : عن ذلك جوابان .

أحدهما : أن قولهم { وَاللَّهِ رَبِّنَآ مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ } أي في الدنيا عند أنفسنا لاعتقادنا فيها أننا على

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

صواب ، وإن ظهر لنا خطؤه الآن ، فلم يكن ذلك منهم كذباً ، قاله قطرب .

والثاني : أن الآخرة مواطن ، فموطن لا يعلمون ذلك فيه ولا يضطرون إليه ، وموطن يعلمون ذلك فيه ويضطرون إليه ، فقالوا ذلك في الموطن الأول ، قاله بعض متأخري المتكلمين .

وهذا ليس بصحيح لأنه يقتضي أن يكونوا في الموطن الأول مكلفين لعدم الإلجاء والاضطرار ، وفي الموطن الثاني غير مكلفين .

وقد يعتل الجواب الأول بقوله تعالى بعد هذه الآية : { انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ } فأخبر عنهم بالكذب ، وهم على الجواب الأول غير كاذبين .

وقد أُجِيب عن هذا الاعتراض بجواب ثالث ، وهو أنهم أنكروا بألسنتهم ، فلما نطقت جوارحهم أقروا ، وفي هذا الجواب دخل لأنه قد كذبوا نُطْقَ الجوارح .

{ وَضَلَّ عَنهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ } فيه وجهان :

أحدهما : بسوء كذبهم وجحودهم .

والثاني : فضلت عنهم أوثانهم التي افتروا على الله بعبادتها ، والافتراء : تحسين الكذب .

قوله عز وجل : { وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ } قيل إنهم كانوا يستمعون في الليل قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في صلاته .

وفيه وجهان : أحدهما : يستمعون قراءته ليردوا عليه .

والثاني : ليعلموا مكانه فيؤذوه ، فصرفهم الله عن سماعه ، بإلقاء النوم عليهم ، بأن جعل على قلوبهم أكنة أن يفقهوه .

والأكنة الأغطية واحدها كِنان ، يقال : كَنَنْتُ الشيء إذا غطيته ، وأكننته في نفسي إذا أخفيته ، وفي قراءة علي ، وابن مسعود : على أعينهم غطاء .

{ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْراً } والوقر : الثقل ، ومنه الوَقَار إذا ثقل في المجلس .

{ وَإِن يَرَوْاْ كَلَّ ءَايَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بها } يعني بالآية علامة الإعجاز لما قد استحكم في أنفسهم من حسده وبغضه ، وذلك صرفهم عن سماع القرآن ، لأنهم قصدوا بسماعه الأذى والافتراء .

{ حَتَّى إِذَا جَآءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ } فيما كانوا يجادلون به النبي صلى الله عليه وسلم قولان :

(401/1)

أحدهما : أنهم كانوا يجادلونه بما ذكره الله تعالى من قوله عنهم : { إِنْ هَذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ } ، قال الحسن .

والثاني : هو قولهم : تأكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل ربكم ، قاله ابن عباس .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ومعنى { أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ } أي أحاديث الأولين التي كانوا يسطرونها في كتبهم ، وقيل : إن جادلهم بهذا النضر بن الحارث .

قوله عز وجل : { وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يَنْهَون عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، ويتباعدون عنه فراراً منه ، قاله محمد ابن الحنفية ، والحسن ، والسدي .

والثاني : يَنْهَون عن القرآن أن يُعْمَل بما فيه ، ويتباعدون من سماعه كيلا يسبق إلى قلوبهم العلم بصحته ، قاله مجاهد ، وقتادة .

والثالث : ينهون عن أذى محمد صلى الله عليه وسلم ، ويتباعدون عن اتباعه ، قال ابن عباس : نزلت في أبي طالب كان ينهى المشركين عن أذى محمد صلى الله عليه وسلم ، ويتباعد عما جاء به ، فلا يؤمن به مع وضوح صدقه في نفسه .

واستشهد مقاتل بما دل على ذلك عن شعر أبي طالب بقوله :

ودعوتني وزَعَمْتَ أنَّكَ ناصِحِي ... فلقَدْ صَدَقْت وكُنْتَ ثَمَّ أميناً

وعرضتَ ديناً قد علِمْتُ بأنه ... من خيْرِ أَدْيانِ البَرِيةِ دِيناً

لولا الذَّمَامَةُ أو أُحَاذِرُ سُبَّةً ... لَوَجَدْتَني سَمْحاً بذالك مُبِيناً

فاذهب لأمرك ما عليك غَضَاضَةٌ ... وابشِرْ بذاك وقَرَّ مِنْكَ عيوناً

والله لن يَصِلُوا إليك بِجَمْعِهم ... حتى أُوسَّدَ في التُّرابِ دَفِيناً

فنزلت هذه الآية ، فقرأها عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له أبو طالب : أما أن أدخل في دينك فلا ، قال ابن عباس : لسابق القضاء في اللوح المحفوظ ، وبه قال عطاء ، والقاسم .

(402/1)

وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (27) بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (28) وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (29) وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (30)

قوله عز وجل : { وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : عاينوها ، ومن عاين الشيء فقد وقف عليه .

والثاني : أنها كانت من تحتهم وهم فوقها ، فصاروا وقوفاً عليها .

والثالث : أنهم عرفوها بالدخول فيها ، ومن عرف الشيء فقد وقف عليه .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وذكر الكلبي وجهاً رابعاً : أن معناه ولو ترى إذ حُبِسُوا على النار .

{ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِأَيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } تمنوا الرد إلى الدنيا التي هي دار التكليف ليؤمنوا ويصدقوا ، والتمني لا يدخله صدق ولا كذب ، لأنه ليس بخبر .

ثم قال تعالى : { بَلْ بَدَالَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : بدا لهم وبال ما كانوا يخفون .

والثاني : بدا لهم ما كان يخفيه بعضهم عن بعض ، قاله الحسن .

والثالث : بدا للأتباع مما كان يخفيه الرؤساء .

{ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ } يعني ولو ردوا إلى ما تمنوا من الدنيا لعادوا إلى ما نهوا عنه من الكفر .

{ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } فيه قولان :

أحدهما : أنه خبر مستأنف أخبر الله به عن كذبهم لا أنه عائد إلى ما تقدم من تمنّيهم ، لعدم الصدق والكذب في التمنِّي .

والثاني : { إِنَّهُمْ لَكَاذِبونَ } يعني في الإخبار عن أنفسهم بالإيمان إن رُدُّوا .

(403/1)

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (31) وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (32)

قوله عز وجل : { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَآ إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : وما أمر الدنيا والعمل لها إلا لعب ولهو ، فأما عمل الصالحات فيها فهو من عمل الآخرة ، فخرج من أن يكون لعباً ولهواً .

والثاني : وما أهل الحياة الدنيا إلا أهل لعب ولهو لاشتغالهم بها عما هو أولى منها ، قاله الحسن .

والثالث : أنهم كأهل اللعب واللهو لانقطاع لذاتهم وقصور مدتهم ، وأهل الآخرة بخلافهم لبقاء مدتهم واتصال لذتهم ، وهو معنى قوله تعالى : { وَلَلدَّارُ الأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ } لأنه قَدْ دام لهم فيها ما كان منقطعاً في غيرها .

{ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ } أن ذلك خير لكم .

وذكر بعض الخاطرية قولاً رابعاً : أنها لعب لمن جمعها ، لهو لمن يرثها .

(404/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (33) وَلَقَدْ
كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ
جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ (34) وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ
أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (35) إِنَّمَا
يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (36)

قوله عز وجل : { قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ } يعني من التكذيب . لك ، والكفر بي .

{ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبونَكَ } فيه أربعة أوجه :

أحدها : فإنهم لا يكذبونك بحجة ، وإنما هو تكذيب بهت وعناد ، فلا يحزنك ، فإنه لا يضرك ، قاله أبو صالح ، وقتادة ، والسدي .

والثاني : فإنهم لا يكذبون قولك لعلمهم بصدقك ، ولكن يكذبون ما جئت به ، قاله ناجية بن كعب .

والثالث : لا يكذبونك في السر لعلمهم بصدقك ، ولكنهم يكذبونك في العلانية لعداوتهم لك ، قاله الكلبي .

والرابع : معناه أن تكذيبهم لقولك ليس بتكذيب لك ، لأنك رسول مُبَلّغ ، وإنما هو تكذيب لآياتي الدالة على صدقك والموجبة لقبول قولك ، وقد بين ذلك بقوله تعالى : { وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِئَأَيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } أي يكذبون .

وقرأ نافع والكسائي : { لاَ يُكَذِّبُونَكَ } وهي قراءة عن النبي صلى الله عليه وسلم وتأويلها : لا يجدونك كاذباً .

قوله عز وجل : { . . . وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ } يحتمل أربعة تأويلات :

أحدها : معناه لا مُبطِل لحُجَّتِهِ ولا دافع لبرهانه .

والثاني : معناه لا رَادَّ لأمره فيما قضاه من نصر أوليائه ، وأوجبه من هلاك أعدائه .

والثالث : معناه لا تكذيب لخبره فيما حكاه من نصر مَنْ نُصِرَ وهلاك مَنْ أُهْلِكَ .

والرابع : معناه لا يشتبه ما تخرّصه الكاذبون عليه بما بلّغه الأنبياء عنه .

{ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِىْ الْمُرْسَلِينَ } فيما صبروا عليه من الأذى ، وقُوبلوا عليه من النصر .

قوله عز وجل : { وَإِن كَانَ كَبُرَ إِعْرَاضُهُمْ } فيه قولان :

أحدهما : [إعراضهم] عن سماع القرآن .

والثاني : عن استماعك .

{ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ } أي سرباً ، وهو المسلك فيها ، مأخوذ من نافقاء اليربوع .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَآءِ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : مصعداً ، قاله السدي .

والثاني : دَرَجاً ، قاله قتادة .

والثالث : سبباً ، قاله الكلبي وقد تضمن ذلك قول كعب بن زهير .

ولا لَكُمَا مَنْجىً عَلَى الأرْضِ فَابْغِيَا ... به نَفَقاً أوْ في السَّمَوَات سُلَّماً

{ فَتَأْتِيَهُم بِئَايَةٍ } يعني أفضل من آيتك ولن تستطيع ذلك ، لم يؤمنوا لك ، فلا يحزنك تكذيبهم وكفرهم ، قال الفراء : وفي الكلام مضمر محذوف وتقديره : فتأتيهم بآية فافعل .

{ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى } يعني بالإلجاء والاضطرار .

قال ابن عباس : كل موضع قال الله فيه { ولو شاءَ اللهُ } فإنه لم يشأ .

{ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الجَاهِلِينَ } يعني تجزع في مواطن الصبر ، فتصير بالأسف والتحسر مقارباً لأحوال الجاهلين .

قوله عز وجل : { إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ } الاستجابة هي القبول ، والفرق بينها وبين الجواب : أن الجواب قد يكون قبولاً وغير قبول .

وقوله : { الَّذِينَ يَسْمَعُونَ } فيه تأويلان :

أحدهما : يعني الذين يعقلون ، قاله الكلبي .

والثاني : الذين يسمعون طلباً للحق ، لأن الاستجابة قد تكون من الذين يسمعون طلباً للحق ، فأما من لا يسمع ، أو يسمع لكن لا بقصد طلب الحق ، فلا يكون منه استجابة .

{ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ } فيه قولان :

أحدهما : أن المراد بالموتى هنا الكفار ، قاله الحسن ، وقتادة ومجاهد .

ويكون معنى الكلام : إنما يستجيب المؤمنون الذين يسمعون ، والكفار لا يسمعون إلا عند معاينة الحق اضطراراً حين لا ينفعهم حتى يبعثم الله كفاراً ثم يحشرون كفاراً .

والقول الثاني : أنهم الموتى الذين فقدوا الحياة ، وهو مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ، ويكون معنى الكلام : كما أن الموتى لا يستجيبون حتى يبعثهم الله فكذلك الذين لا يسمعون .

(405/1)

وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (37)
وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (38) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (39)

قوله عز وجل : { وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ } يعني آية تكون دليلاً على صدقه وصحة نبوته .

{ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً } يعني آية يجابون بها إلى ما سألوا .

{ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ } يحتمل وجهين .

أحدهما : لا يعلمون المصلحة في نزول الآية .

الثاني : لا يعلمون أن زيادة الآيات إذا لم يؤمنوا بها ، توجب الزيادة من عذابهم ، لكثرة تكذيبهم .

فإن قيل : فهذه الآية لا تدل على أن الله لم ينزل عليهم آية تقودهم إلى التصديق فلم يلزمهم الإيمان ، قيل : هذا خطأ ، لأن ما أظهره الله من الآيات الدالة على صدق رسوله وصحة نبوته ، أظهر من أن يُخْفَى ، وأكثر من أن ينكر ، وأن القرآن مع عجز من تحداهم الله من الآيات بمثله ، وما تضمنه من أخبار الغيوب وصدق خبره عما كان ويكون أبلغ الآيات وأظهر المعجزات .

وإنما اقترحوا آية سألوها إعناتاً ، فلم يجابوا مع قدرة الله تعالى على إنزالها ، لأنه لو أجابهم إليها لاقترحوا غيرها إلى ما لا نهاية له ، حتى ينقطع الرسول بإظهار الآيات عن تبليغ الرسالة .

وإنما يلزمه إظهار الآيات في موضعين :

أحدهما : عند بعثه رسولاً ليكون مع استدعائه لهم دليل على صدقه .

والثاني : أن يسألها من يعلم الله منه أنه إن أظهرها له آمن به ، وليس يلزمه إظهارها في غير هذين الموضعين .

قوله عز وجل : { وَمَا من دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ } دابة بمعنى ما يدب على الأرض من حيوان كله .

{ وَلاَ طَآئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ } يعني في الهواء ، جميع بين ما هو على الأرض وفيها وما ارتفع عنها .

{ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم } في الأمم تأويلان :

أحدهما : أنها الجماعات .

والثاني : أنها الأجناس ، قاله الفراء .

وليس يريد بقوله : { أَمْثَالُكُم } في التكليف كما جعل قوم اشتبه الظاهر عليهم وتعلقوا مع اشتباه الظاهر برواية أبي ذر ، قال : انتطحت شاتان عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا أبا ذر أتدري فيم انتطحتا؟ قلت : لا ، قال : « لَكِنَّ اللَّهَ يَدْرِي وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا » قال أبو ذر : لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يقلب طائر بجناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علماً ، لأنه إذا كان العقل سبباً للتكليف كان عدمه لارتفاع التكليف .

والمراد بقوله : { أَمْثَالُكُم } وجهان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدهما : أنها أجناس وتتميز في الصور والأسماء .
والثاني : أنها مخلوقة لا تُظْلَم ، ومرزوقة لا تُحْرَم .
ثم قال تعالى : { مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ } فيه تأويلان :
أحدهما : ما تركنا خلقاً إلا أوجبنا له أجلاً ، والكتاب هنا هو إيجاب الأجل كما قال تعالى : { لِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ } [الرعد : 38] قاله ابن بحر وأنشد لنابغة بني جعدة :
بلغو الملوك وأدركوا ال ... كتاب وانتهى الأجل

(406/1)

والتأويل الثاني : وهو قول الجمهور : أن الكتاب هو القرآن الكريم الذي أنزله ، ما أخل فيه بشيء من أمور الدين ، إما مُفَصَّلاً يَسْتَغْنِي عن التفسير ، أو مجْمَلاً جعل إلى تفسيره سبيلاً .
يحتمل تأويلاً ثالثاً : ما فرطنا فيه بدخول خلل عليه ، أو وجود نقص فيه ، فكتاب الله سليم من النقص والخلل .
{ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ } فيه تأويلان :
أحدهما : أن المراد بالحشر الموت ، قاله ابن عباس .
والثاني : أن الحشر الجمع لبعث الساعة .
فإن قيل : فإذا كانت غير مُكَلَّفَةٍ فلماذا تبعث يوم القيامة؟ قيل : ليس التكليف علة البعث ، لأن الأطفال والمجانين يبعثون وإن كانوا في الدنيا غير مكلفين ، وإنما يبعثها ليعوض ما استحق العوض منها بإيلام أو ظلم ، ثم يجعل ما يشاء منها تراباً ، وما شاء من دواب الجنة يتمتع المؤمنون بركوبه ورؤيته .

(407/1)

قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (40) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ (41) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (42) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (43) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (45)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله عز وجل : { فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُوا بِهِ } معنى ذلك أنهم تركوا ما ذَكَّرَهُم الله من آياته الدالة على توحيده وصدق رسوله .

{ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ } يعني من نِعَمِ الدنيا وسَعَة الرزق .

وفي إنعامه عليهم مع كفرهم وجهان :

أحدهما : ليكون إنعامه عليهم داعياً إلى إيمانهم . والثاني : ليكون استدراجاً وبلوى ، وقد روى ابن لهيعة بإسناده عن عقبة ابن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا رَأَيْتَ اللَّه يعطي العِبَادَ مَا يَشَاءُونَ عَلَى مَعَاصِيهِم إِيَّاهُ فَإِنَّمَا ذَلِكَ اسْتِدْرَاجٌ مِنْهُ » ثم تلا : { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابِ كُلِّ شَيْءٍ } .

{ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ } يعني من النِّعَمْ فلم يؤمنوا .

{ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً } يحتمل وجهين .

أحدهما : أنه تعجيل العذاب المُهْلِك جزاء لأمرين .

أحدهما : لكفرهم به .

والثاني : لكفرهم بنِعَمِه .

والوجه الثاني : هو سرعة الموت عند الغفلة عنه بالنِّعَمِ قَطْعاً للذة ، وتعذيباً للحسرة .

ثم قال تعالى : { فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ } وفيه خمسة تأويلات :

أحدها : أن الإبلاس : الإياس قال عدي بن زيد :

ملك إذا حل العفاة ببابه ... غبطوا وأنجح منهم المستبلس

يعني الآيس .

والثاني : أنه الحزن والندم .

والثالث : الخشوع .

والرابع : الخذلان .

والخامس : السكوت وانقطاع الحجة ، ومنه قول العجاج :

يا صاح هل تعرف رسماً مكرساً ... قال نعم أعرفه وأبلسا

(408/1)

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (46) قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ (47) وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (48) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (49) قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى
وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (50) وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا
شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (51) وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ
حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (52) وَكَذَلِكَ فَتَنَّا
بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (53) وَإِذَا جَاءَكَ
الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ
ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (54)

قوله عز وجل : { قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللَّهِ } فيه وجهان :

أحدهما : الرزق ، أي لا أقدر على إغناء فقير ، ولا إفقار غني ، قاله الكلبي .

والثاني : مفاتيح خزائن العذاب لأنه خَوَّفهُم منه ، فقالوا متى يكون هذا؟ قاله مقاتل .

{ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ } فيه وجهان :

أحدهما : علم الغيب في نزول العذاب عليهم متى يكون؟ ، قاله مقاتل .

والثاني : علم جميع ما غاب من ماض ومستقبل ، إلا أن المستقبل لا يعلمه إلا الله أو من أطلعه الله تعالى على علمه من أنبيائه ، وأما الماضي فقد يعلمه المخلوقون من أحد الوجهين : إما من معاينة أو خبر ، فإن كان الإخبار عن مستقبل ، فهو من آيات الله المعجزة ، وإن كان عن ماض فإن علم به غير المخبر والمخبر لم يكن معجزاً ، وإن لم يعلم به أحد وعلم به المخبِر وحده كان معجزاً ، فنفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه علم الغيب ، لأنه لا يعلمه غير الله تعالى ، وإن ما أخبر به من غيب فهو عن الله ووحيه .

{ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ } فيه وجهان :

أحدهما : أنه يريد أنه لا يقدر على ما يعجز عنه العباد ، وإن قدرت عليه الملائكة .

والثاني : أنه يريد بذلك أنه من جملة البشر وليس بمَلَك ، لينفي عن نفسه غُلُوَّ النصارى في المسيح وقولهم : إنه ابن الله .

ثم في نفيه أن يكون ملكاً وجهان :

أحدهما : أنه بَيَّنَ بذلك فضل الملائكة على الأنبياء ، لأنه دفع عن نفسه منزلة ليست له .

والثاني : أنه أراد إني لست ملكاً في السماء ، فأعلم غيب السماء الذي تشاهده الملائكة ويغيب عن البشر ، وإن كان الأنبياء أفضل من الملائكة مع غيبهم عما تشاهده الملائكة .

{ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ } يحتمل وجهين :

أحدهما : أن أخبركم إلا بما أخبرني الله به .

والثاني : أن أفعل إلا ما أمرني الله به .

{ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ } يحتمل وجهين :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : الجاهل والعالم .

والثاني : الكافر والمؤمن .

{ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ } يحتمل وجهين : أحدهما : فيما ضربه الله من مثل الأعمى والبصير .

الثاني : فيما بينه من آياته الدالة على توحيده وصدق رسوله .

قوله عز وجل : { وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِّي } .

روي أن سبب نزول هذه الآية أن الملأ من قريش أتوا النبي صلى الله عليه وسلم وعنده جماعة من ضعفاء المسلمين مثل بلال ، وعمار ، وصهيب ، وخباب بن الأرت ، وابن مسعود ، فقالوا : يا محمد اطرد عنا موالينا وحلفاءنا فإنما هم عبيدنا وعتقاؤنا ، فلعلك إن طردتهم نتبعك ، فقال عمر : لو فعلت ذلك حتى نعلم ما الذي يريدون وإلاَمَ يصيرون ، فَهَمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك حتى نزلت هذه الآية . ونزل في الملأ من قريش { وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ } الآية ، فأقبل عمر فاعتذر من مقالته فأنزل الله فيه : { وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمَنُونَ بِئَأَيَاتِنا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ } الآية .

(409/1)

وفي قوله تعالى : { الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم } أربعة تأويلات :

أحدها : أنها الصلوات الخمس ، قاله ابن عباس ، ومجاهد .

والثاني : أنه ذكر الله ، قاله إبراهيم النخعي .

والثالث : تعظيم القرآن ، قاله أبو جعفر .

والرابع : أنه عبادة الله ، قاله الضحاك .

ومعنى قوله : { يُرِيدُونَ وَجْهَهُ } فيه قولان :

أحدهما : يريدون بدعائهم ، لأن العرب تذكر وجه الشيء إرادة له مثل قولهم : هذا وجه الصواب تفخيماً للأمر وتعظيماً .

والثاني : معناه يريدون طاعته لقصدهم الوجه الذي وجَّهَهُم إليه .

{ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ } فيه ثلاث أقوال :

أحدها : يعني ما عليك من حساب عملهم من شيء من ثواب أو عقاب .

{ وَمَا مِنْ حِسابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ } يعني وما من حساب عملك عليهم من شيء ، لأن كل أحد مؤاخذ بحساب عمله دون غير ، قاله الحسن .

والثاني : معناه ما عليك من حساب رزقهم وفقرهم من شيء .

والثالث : ما عليك كفايتهم ولا عليهم كفايتك ، والحساب الكفاية كقوله تعالى : { عَطَاءً حِسَاباً } [النبأ : 36] أي تاماً كافياً ، قاله ابن بحر .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قوله عز وجل : { وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ } يعني لاختلافهم في الأرزاق ، والأخلاق ، والأحوال .

وفي إفتان الله تعالى لهم قولان :

أحدهما : أنه ابتلاؤهم واختبارهم ليختبر به شكر الأغنياء وصبر الفقراء ، قاله الحسن ، وقتادة .

والثاني : تكليف ما يشق على النفس مع قدرتها عليه .

{ لِّيَقُولُواْ أَهَؤُلآءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا } وهذا قول الملأ من قريش للضعفاء من المؤمنين ، وفيما مَنَّ الله تعالى به عليهم قولان :

أحدهما : ما تفضل الله به عليهم من اللطف في إيمانهم .

والثاني : ما ذكره من شكرهم على طاعته .

قوله عز وجل : { وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِئَأَيَاتِنَا } يعني به ضعفاء المسلمين وما كان من شأن عمر .

{ فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ } فيه قولان :

أحدهما : أنه أمر بالسلام عليهم من الله تعالى ، قاله الحسن .

والثاني : أنه أمر بالسلام عليهم من نفسه تكرمة لهم ، قاله بعض المتأخرين .

وفي السلام قولان :

أحدهما : أنه جمع السلامة .

والثاني : أنه السلام هو الله ومعناه ذو السلام .

{ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ } فيه قولان :

أحدهما : معناه أوجب الله على نفسه .

والثاني : كتب في اللوح المحفوظ على نفسه .

و { الرَّحْمَةَ } يحتمل المراد بها هنا وجهين :

أحدهما : المعونة .

والثاني : العفو .

{ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءَاً بِجَهَالَةٍ } في الجهالة تأويلان :

أحدهما : الخطيئة ، قاله الحسن ، ومجاهد ، والضحاك .

والثاني : ما جهل كراهية عاقبته ، قاله الزجاج .

ويحتمل ثالثاً : أن الجهالة هنا ارتكاب الشبهة بسوء التأويل .

{ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ } يعني تاب من عمله الماضي وأصلح في المستقبل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ (55) قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (56) قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ
بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (57) قُلْ لَوْ أَنَّ
عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ (58) وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا
يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ
وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (59)

قوله عز وجل : { قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِن رَّبِّي } في البينة هنا قولان :

أحدهما : الحق الذي بان له .

والثاني : المُعْجِزُ في القرآن .

{ وَكَذَّبْتُم بِهِ } فيه وجهان :

أحدهما : وكذبتم بالبينة .

والثاني : وكذبتم بربكم .

{ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ } فيه قولان :

أحدهما : ما يستعجلون به من العذاب الذي أُوعِدُوا به قبل وقته ، كقوله تعالى : { وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ } ، قاله الحسن .

والثاني : ما استعجلوه من اقتراح الآيات لأنه طلب الشيء في غير وقته ، قاله الزجاج .

{ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ } فيه تأويلان :

أحدهما : الحكم في الثواب والعقاب .

والثاني : الحكم في تمييز الحق من الباطل .

{ يَقُصُّ الْحَقَّ } قرأ ابن كثير ونافع وعاصم { يَقُصُّ } بصاد غير معجمة من القَصَص وهو الإخبار به ، وقرأ الباقون { يَقْضِي } بالضاد معجمة من القضاء ، وهو صنع الحق وإتمامه .

قوله عز وجل : { وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ } فيه وجهان : أحدهما : خزائن غيب السموات والأرض والأرزاق والأقدار ، وهو معنى قول ابن عباس .

والثاني : الوصول إلى العلم بالغيب .

{ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ } فيه وجهان :

أحدهما : أن ما في البّر ما على الأرض ، وما في البحر ما على الماء ، وهو الظاهر ، وبه قال الجمهور .

والثاني : أن البَرّ القفر ، والبحر القُرى لوجود الماء فيها ، فلذلك سميت بحراً ، قاله مجاهد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا } يعني قبل يبسها وسقوطها .

{ وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ } يحتمل وجهين :

أحدهما : ما في بطنها من بذر .

والثاني : ما تخرجه من زرع .

{ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ } يحتمل وجهين :

أحدهما : أن الرطب النبات واليابس الجواهر .

والثاني : أن الرطب الحي ، واليابس الميت .

{ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ } يعني في اللوح المحفوظ .

(411/1)

وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (60) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (61) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ (62)

قوله عز وجل : { وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيلِ } يعني به النوم ، لأنه يقبض الأرواح فيه عن التصرف ، كما يقبضها بالموت ، ومنه قول الشاعر :

إنَّ بَنِي الأَدْرَدِ لَيْسوا مِن أَحَدْ ... وَلاَ تَوَفَّاهُم قُرَيْشٌ في العَدَدْ

أي لا تقبضهم .

{ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ } أي ما كسبتم لأنه مستفاد بعمل الجارحة ، ومنه جوارح الطير لأنها كواسب بجوارحها ، وجَرْحُ الشهادة هو الطَّعْن فيها لأنه مكسب الإثم ، قاله الأعشى :

وهوَ الدَّافِعُ عن ذي كُرْبَةٍ ... أَيْدِي القَوْمِ إذا الْجَانِي اجْتَرَحْ

{ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ } يعني في النهار باليقظة ، وتصرف الروح بعد قبضها بالنوم .

{ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمّىً } يعني استكمال العمر وانقضاء الأجل بالموت .

{ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ } يعني بالبعث والنشور في القيامة .

{ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } في الدنيا من خير وشر .

قوله عز وجل : { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ } فيه وجهان :

أحدهما : أنه أعلى قهراً ، فلذلك قال : { فَوْقَ عِبَادِهِ } .

والثاني : أن الأقدر إذا استحق صفة المبالغة عبَّر عنه بمثل هذه العبارة ، فقيل : هو فوقه في القدرة

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أي أقدر ، وفوقه في العلم أي أعلم .

{ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً } فيه وجهان :

أحدهما : أنه جوارحهم التي تشهد عليهم بما كانوا يعملون .

والثاني : الملائكة . ويحتمل { حَفَظَةً } وجهين :

أحدهما : حفظ النفوس من الآفات .

والثاني : حفظ الأعمال من خير وشر ، ليكون العلم بإتيانها أزجر عن الشر ، وأبعث على الخير .

{ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ } يعني أسباب الموت ، بانقضاء الأجل .

فإن قيل : المتولِّي لقبض الروح مَلَك الموت ، وقد بين ذلك بقوله تعالى : { قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُم } [السجدة : 11] فكيف قال : { تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا } والرسل جمع .

قيل : لأن الله أعان مَلَك الموت بأعوان من عنده يتولون ذلك بأمره ، فصار التوفِّي من فعل أعوانه ، وهو مضاف إليه لمكان أمره ، كما يضاف إلى السلطان فعل أعوانه من قتل ، أو جلد ، إذا كان عن أمره .

{ وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ } فيه وجهان :

أحدهما : لا يؤخرون .

الثاني : لا يُضَيِّعُونَ ، قاله ابن عباس .

قوله عز وجل : { ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللَّهِ مَوْلاَهُم الْحَقِّ } وفي متولِّي لرد قولان :

أحدهما : أنهم الملائكة التي توفتهم .

والثاني : أنه الله بالبعث والنشور .

وفي ردهم إلى الله وجهان :

أحدهما : معناه ردهم إلى تدبير الله وحده ، لأن الله دبرهم عند خلقهم وإنشائهم ، مكَّنهم من التصرف فصاروا في تدبير أنفسهم ، ثم كَفَّهم عنه بالموت فصاروا في تدبير الله كالحالة الأولى ، فصاروا بذلك مردودين إليه .

والثاني : أنهم ردوا إلى الموضع الذي لا يملك الحكم عليهم فيه إلا الله ، فجعل الرد إلى ذلك الموضع رداً إليه .

فإن قيل : فكيف قال : { مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ } وقد قال : { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُم } [محمد : 11] . قيل : عنه جوابان :

أحدهما : أنه قال هذا لأنهم دخلوا في جملة غيرهم من المؤمنين المردودين فعمَّهم اللفظ .

(412/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثاني : أن المولى قد يعبر به عن الناصر تارة وعن السيد أخرى ، والله لا يكون ناصراً للكافرين ، وهو سيد الكافرين والمؤمنين .

و { الْحَقِّ } هنا يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدهما : أن الحق هو من أسمائه تعالى .

والثاني : لأنه مستحق الرد عليه .

والثالث : لحُكْمِهِ فيهم بالرد .

{ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ } يعني القضاء بين عباده .

فإن قيل : فقد جعل لغيره الحكم؟

فعنه جوابان :

أحدهما : أن له الحكم في يوم القيامة وحده .

والثاني : أن غيره يحكم بأمره فصار الحكم له .

ويحتمل قوله : { أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ } وجهاً ثانياً : أن له أن يحكم لنفسه فصار بهذا الحكم مختصاً .

{ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : يعني سرعة الحكم بين العباد لتعجيل الفصل ، وعبر عن الحكم بالحساب من تحقيق المستوفِي بهما من قليل وكثير .

والثاني : وهو الظاهر أنه أراد سرعة محاسبة العباد على أعمالهم .

ويحتمل مراده بسرعة حسابه وجهين .

أحدهما : إظهار قدرته بتعجيل ما يعجز عنه غيره .

والثاني : أنه يبين به تعجيل ما يستحق عليه من ثواب ، وتعجيل ما يستحق على غيره من عقاب جمعاً بين إنصافه وانتصافه .

(413/1)

قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (63) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ (64) قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (65)

قوله عز وجل : { قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ } فيه ثلاثة تأويلات :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدها : أن العذاب الذي من فوقهم الرجم ، والذي من تحت أرجلهم الخسف ، قاله ابن جبير ، ومجاهد ، وأبو مالك .

والثاني : أن العذاب الذي من فوقهم أئمة السوء ، والعذاب الذي من تحت أرجلهم عبيد السوء ، قاله ابن عباس .

والثالث : أن الذي من فوقهم الطوفان ، والذي من تحت أرجلهم الريح ، حكاه علي بن عيسى .

ويحتمل أن العذاب الذي من فوقهم طوارق السماء التي ليست من أفعال العباد لأنها فوقهم ، والتي من تحت أرجلهم ما كان من أفعال العباد لأن الأرض تحت أرجل جميعهم .

{ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً } فيه تأويلان :

أحدهما : أنها الأهواء المُخْتَلَفَة ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنها الفتن والاختلاف ، قاله مجاهد .

ويحتمل ثالثاً : أي يسلط عليكم أتباعكم الذين كانوا أشياعكم ، فيصيروا لكم أعداء بعدما كانوا أولياء ، وهذا من أشد الانتقام أن يستعلي الأصاغر على الأكابر .

روي أن موسى بن عمران عليه السلام دعا ربه على قوم فأوحى الله إليه : أو ليس هذا هو العذاب العاجل الأليم .

هذا قول المفسرين من أهل الظاهر ، وَتَأَوَّلَ بعض المتعمقين في غوامض المعاني { عَذَاباً مِن فَوقِكُمْ } معاصي السمع والبصر واللسان { أَوْمِن تَحْتِ أَرْجلِكُمْ } المشي إلى المعاصي حتى يواقعوها ، وما بينهما يأخذ بالأقرب منهما { أَوَيَلْبِسَكُمْ شِيَعاً } يرفع من بينكم الأُلفة .

{ وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ } تكفير أهل الأهوال بعضهم بعضاً ، وقول الجمهور : { وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ } يعني بالحروب والقتل حتى يفني بعضهم بعضاً ، لأنه لم يجعل الظفر لبعضهم فيبقى .

{ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآياتِ } يحتمل وجهين :

أحدهما : نفصل آيات العذاب وأنواع الانتقام .

والثاني : نصرف كل نوع من الآيات إلى قوم ولا يعجزنا أن نجمعها على قوم .

{ لَعَلَّهُم يَفْقَهُونَ } أي يتعظون فينزجرون .

واختلف أهل التأويل في نزول هذه الآية على قولين :

أحدهما : أنها في أهل الصلاة ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، وأن نزولها شق على النبي صلى الله عليه وسلم ، [فقام] فصلى صلاة الضحى وأطالها فقيل له : ما أطلت صلاة كاليوم ، فقال : « إِنَّهَا صَلاَةُ رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ ، إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يُجِيرَنِي مِنْ أَرْبعِ فَأَجَارَنِي مِنْ خَصْلَتَينِ وَلَمْ يُجِرْنِي مِنْ خَصْلَتَينِ : سَأَلْتُهُ أَلاَّ يُهْلِكَ أُمَّتِي بِعَذَابٍ مِنْ فَوقِهِم كَمَا فَعَلَ بِقَومِ نُوحٍ ، وَبِقَومِ لُوطٍ فَأَجَارَنِي ، وَسَأَلْتُهُ أَلاَّ يَهْلِكَ أُمَّتِي بعذاب مِنْ تَحْتِ أَرْجلِهِم كَمَا فَعَلَ بِقَارُونَ فَأَجَارَنِي ، وَسَأَلْتُهُ أَلاَّ يُفَرِّقَهُمْ شِيَعاً فَلَمْ يُجِرْنِي ، وَسَأَلْتُهُ أَلاَّ يُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ فَلَمْ يُجِرْنِي » وَنَزَلَ عَلَيهِ قَولُه تعالى :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
{ الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُواْ أَن يَقُولُواْ ءَامَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ } [العنكبوت : 221]
والقول الثاني : أنها نزلت في المشركين ، قاله بعض المتأخرين .

(414/1)

وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (66) لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (67) وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (68) وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (69)

قوله عز وجل : { وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ } وفيما كذّبوا به قولان :
أحدهما : أنه القرآن ، قاله الحسن ، والسدي .
والثاني : تصريف الآيات ، قاله بعض المتأخرين .
{ وَهُوَ الْحَقُّ } يعني ما كذبوا به ، والفرق بين الحق والصواب أن الحق قد يُدْرَكُ بغير طلب ، والصواب لا يُدْرَكُ إلا بطلب .
{ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ } فيه ثلاثة أقاويل :
أحدها : معناه لست عليكم بحفيظ لأعمالكم لأجازيكم عليها ، وإنما أنا منذر ، قاله الحسن .
والثاني : لست عليكم بحفيظ أمنعكم من أن تكفروا ، كما يمنع الوكيل على الشيء من إلحاق الضرر به ، قاله بعض المتأخرين .
والثالث : معناه لست آخذكم بالإيمان اضطراراً وإجباراً ، كما يأخذ الوكيل بالشيء ، قاله الزجاج .
{ لِّكُلِ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } فيه ثلاثة أقاويل :
أحدهما : معناه أن لكل خَبَرٍ أَخْبَرَ الله تعالى به من وعد أو وعيد مستقراً في مستقبل الوقت أو ماضيه أو حاضره في الدنيا وفي الآخرة ، وهذا معنى قول ابن عباس ، ومجاهد .
والثاني : أنه وعيد من الله للكافرين في الآخرة لأنهم لا يقرون بالبعث ، قاله الحسن .
والثالث : أنه وعيد لهم بما ينزل بهم في الدنيا ، قاله الزجاج .
قوله عز وجل : { وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ } فيه ثلاثة تأويلات :
أحدها : وما على الذين يتقون الله في أوامره ونواهيه من حساب الكفار فيما فعلوه من الاستهزاء والتكذيب مآثم يؤاخذون بها ، ولكن عليهم أن يذكروهم بالله وآياته لعلهم يتقون ما هم عليه من الاستهزاء والتكذيب ، قاله الكلبي .
والثاني : وما على الذين يتقون الله من الحساب يوم القيامة ما على الكفار في الحساب من التشديد

This file was downloaded from QuranicThought.com

والتغليظ لأن محاسبة المتقين ذكرى وتخفيف ، ومحاسبة الكفار تشديد وتغليظ لعلهم يتقون إذا علموا ذلك .

والثالث : وما على الذين يتقون الله فيما فعلوه من رد وصد حساب ، ولكن اعدلوا إلى الذكرى لهم بالقول قبل الفعل ، لعلهم يتقون إذا علموا .

ويحتمل هذا التأويل وجهين :

أحدهما : يتقون الاستهزاء والتكذيب .

والثاني : يتقون الوعيد والتهديد .

(415/1)

وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (70)

قوله عز وجل : { وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً } فيهم قولان :

أحدهما : أنهم الكفار الذين يستهزئون بآيات الله إذا سمعوها ، قاله علي بن عيسى .

والثاني : أنه ليس قوم لهم عيد يلهون فيه إلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن أعيادهم صلاة وتكبير وبر وخير ، قاله الفراء .

{ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا } يحتمل وجهين :

أحدهما : معناه وغرتهم الحياة الدنيا بالسلامة فيها ، ونيل المطلوب منها .

والثاني : معناه وغرتهم الدنيا بالحياة والسلامة منها ، فيكون الغرور على الوجه الأول بالحياة ، وعلى الثاني بالدنيا .

{ وَذَكِّرَ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ } قيل معناه أن لا تبسل كما قال تعالى : { يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ } [النساء : 176] بمعنى أن لا تضلوا .

وفي قوله : { أَن تُبْسَلَ } ستة أوجه :

أحدها : أن تسلم ، قاله الحسن ، وعكرمة ، ومجاهد ، والسدي .

والثاني : أن تُحْبَس ، قاله قتادة .

والثالث : أن تُفْضح ، قاله ابن عباس .

والرابع : أن تُؤْخَذ بما كسبت ، قاله ابن زيد .

والخامس : أن تُجْزَى ، قاله الكلبي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والسادس : أن تُرْتَهن ، قاله الفراء ، من قولهم أسد باسل لأن فريسته مُرْتَهَنَة معه لا تَفْلِت منه ، ومنه قول عوف بن الأحوص الكلابي :

وإبسالي بني بغير جرم ... بعوناه ولا بدم مراق

وقوله : بعوناه أي جنيناه ، وأصل الإبسال التحريم من قولهم : شراب بَسْل اي حرام ، قال الشاعر :

بَكَرت تَلُومُكَ بَعْدَ وَهْنٍ في النَّدى ... بسلٌ عليكِ مَلاَمَتِي وَعِتَابي

أي حرام عليك .

وفي قوله تعالى : { . . . وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا } تأويلان :

أحدهما : معناه وإن تفد كل فدية من جهة المال والثروة ، قاله قتادة ، والسدي ، وابن زيد .

والثاني : من جهة الإسلام والتوبة ، قاله الحسن .

واختلف في نسخها على قولين :

أحدهما : أنها منسوخة بقوله تعالى : { فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيثُ وَجَدْتُمُوهُم } [التوبة : 5] قاله قتادة .

والثاني : أنها ثابتة على جهة التهديد كقوله تعالى : { ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً } [المدثر : 11] ، قاله مجاهد .

(416/1)

قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (71) وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (72) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (73)

قوله تعالى : { قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا } يعني الأصنام ، وفي دعائها في هذا الموضع تأويلان :

أحدهما : عبادتها .

والثاني : طلب النجاح منها .

فإن قيل : فكيف قال ولا يضرنا؟ ودعاؤها لما يستحق عليه من العقاب ضارٌّ؟

قيل : معناه ما لا يملك لنا ضراً ولا نفعاً .

{ وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ } بالإسلام .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
{ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ . . . } فيه قولان :
أحدهما : أنه استدعاؤها إلى قصدها واتباعها ، كقوله تعالى : { فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيهِم } [إبراهيم : 37] أي تقصدهم وتتبعهم .
والثاني : أنها أَمْرُهَا بالهوى .
وحكى أبو صالح عن ابن عباس : أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وامرأته حين دعَوا ابنهما عبد الرحمن إلى الإسلام والهدى أن يأتيهما .
قوله تعالى : { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَواتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ } في الحق الذي خلق به السموات والأرض أربعة أقاويل :
أحدها : أنه الحكمة .
والثاني : الإحسان إلى العباد .
والثالث : نفس خلقها فإنه حق .
والرابع : يعني بكلمة الحق .
{ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ } فيه قولان :
أحدهما : أن يقول ليوم القيامة : كن فيكون ، لا يثنّي إليه القول مرة بعد أخرى ، قاله مقاتل .
والثاني : أنه يقول للسموات كوني صوراً يُنْفَخ فيه لقيام الساعة ، فتكون صوراً مثل القرآن ، وتبدل سماءً أخرى ، قاله الكلبي .
وفي قوله تعالى : { . . . وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ } قولان :
أحدهما : أن الصور قرن ينفخ فيه النفخة الأولى للفناء ، والثانية للإنشاء علامة للانتهاء والابتداء ، وهو معنى قوله تعالى : { وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ } [الزمر : 68] .
والثاني : أن الصور جمع صورة تنفخ فيها روحها فتحيا .
ثم قال تعالى : { عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ . . . } فيه قولان :
أحدهما : أنه عائد إلى خلق السموات والأرض ، والغيب ما يغيب عنكم ، والشهادة ما تشاهدون .
والثاني : أنه عائد إلى نفخ الصور هو عالم الغيب والشهادة المتولي للنفخة .

(417/1)

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آَزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آَلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (74) وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآَفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (79)

قوله تعالى : { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ ءَازَرَ . . . } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدهما : أن آزر اسم أبيه ، قاله الحسن ، والسدي ، ومحمد بن إسحاق ، قال محمد : كان رجلاً من أهل كوتى قرية من سواد الكوفة .

والثاني : أن آزر اسم صنم ، وكان اسم أبيه تارح ، قال مجاهد .

والثالث : أنه ليس باسم ، وإنما هو صفة سب بعيب ، ومعناه معوج ، كأنه عابه باعوجاجه عن الحق ، قاله الفراء .

فإن قيل : فكيف يصح من إبراهيم – وهو نبي – سبَّ أباه؟

قيل : لأنه سبّه بتضييعه حق الله تعالى ، وحق الوالد يسقط في تضييع حق الله .

قوله تعالى : { وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ } ذلك وذاك وذا : إشارات ، إلا أن ذا لما قَرُبَ ، وذلك لما بَعُد ، وذاك لتفخيم شأن ما بَعُدَ .

وفي المراد بملكوت السموات والأرض خمسة أوجه :

أحدها : أنه خلق السموات والأرض ، قاله ابن عباس .

والثاني : مُلْك السموات والأرض .

واختلف من قال بهذا فيه على وجهين :

أحدهما : أن الملكوت هو المُلْك بالنبطية ، قاله مجاهد .

والثاني : أنه المُلْك بالعربية ، يقال مُلْك وملكوت كما يقال رهبة ورهبوت ، ورحمة ورحموت ، والعرب تقول : رهبوت خير من رحموت ، أي أن تُرْهَب خير من أن تُرْحَم ، قاله الأخفش .

والثالث : معناه آيات السموات والأرض ، قاله مقاتل .

والرابع : هو الشمس والقمر والنجوم ، قاله الضحاك .

والخامس : أن ملكوت السماوات : القمر ، والنجوم ، والشمس ، وملكوت الأرض : الجبال ، والشجر ، والبحار ، قاله قتادة .

{ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ } يحتمل وجهين : أحدهما : من الموقنين لوحدانية الله تعالى وقدرته .

والثاني : من الموقنين نبوته وصحة رسالته . قوله عز وجل : { فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيلُ رَءَا كَوْكَباً } قال مجاهد : ذكر لنا أنه رأى الزهرة طلعت عشاءً .

{ قَالَ هَذَا رَبِّي } ومعنى جَنَّ عليه الليل ، أي ستره ، ولذلك سمي البستان جَنَة لأن الشجر يسترها ، والجِنُّ لاستتارهم عن العيون ، والجُنُون لأنه يستر العقل ، والجَنِين لأنه مستور في البطن ، والمِجَنّ لأنه يستر المتترس ، قال الهذلي :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وماء وردت قبل الكرى ... وقد جنه السدف الأدهم

وفي قوله تعالى : { هَذَا رَبِّي } خمسة أقاويل :

أحدها : أنه قال : هذا ربي في ظني ، لأنه في حال تقليب واستدلال .

والثاني : أنه قال ذلك اعتقاداً أنه ربه ، قاله ابن عباس .

والثالث : أنه قال ذلك في حال الطفولية والصغر ، لأن أمه ولدته في مغارة حذراً عليه من نمرود ، فلما خرج عنه قال هذا القول قبل قيام الحجة عليه ، لأنها حال لا يصح فيها كفر ولا إيمان ، ولا يجوز أن يكون قال ذلك بعد البلوغ .

والرابع : أنه لم يقل ذلك قول معتقد ، وإنما قاله على وجه الإنكار لعبادة الأصنام ، فإذا كان الكوكب والشمس القمر وما لم تصنعه يد ولا عَمِلَه بشر لم تكن معبودة لزوالها ، فالأصنام التي هي دونها أولى ألاّ تكون معبودة .

(418/1)

والخامس : أنه قال ذلك توبيخاً على وجه الإنكار الذي يكون معه ألف الاستفهام وتقديره : أهذا ربي ، كما قال الشاعر :

رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع ... فقلت وأنكرت الوجه هم هم

بمعنى أهم هم؟

{ فَلَمَّا أَفَلَ } أي غاب ، قال ذو الرمة :

مصابيح ليست باللواتي يقودها ... نجوم ولا بالآفلات الدوالك

{ قَالَ لاَ أُحِبُّ الأفِلِينَ } يعني حُبَّ رَبٍّ معبود ، وإلا فلا حرج في محبتهم غير حب الرب .

{ فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِغاً } أي طالعاً ، وكذلك بزغت الشمس أي طلعت .

فإن قيل : فَلِمَ كان أفولها دليلاً على أنه لا يجوز عبادتها وقد عبدها مع العلم بأفولها خلق من العقلاء؟ قيل لأن تغيرها بالأفول دليل على أنها مُدَبَّرة محدثة ، وما كان بهذه الصفة استحال أن يكون إلهاً معبوداً .

(419/1)

وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (80) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81) الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82) وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آَتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (83)

قوله تعالى : { الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ } في الظلم ها هنا قولان :

أحدهما : أنه الشرك ، قاله ابن مسعود ، وأُبَيّ بن كعب ، روى ابن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية شق على المسلمين فقالوا : ما منَّا من أحد إلا وهو يظلم نفسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَيسَ كَمَا تَظُنُّونَ ، وَإِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ » { يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الْشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } [لقمان : 13] .

والثاني : أنه سائر أنواع الظلم .

ومن قال بهذا اختلفوا في عمومها وخصوصها على قولين :

أحدهما : أنها عامة .

والثاني : أنها خاصة .

واختلف من قال بتخصيصها فيمن نزلت على قولين :

أحدهما : أن هذه الآية نزلت في إبراهيم خاصة وليس لهذه الأمة منها شيء ، قاله علي كرّم الله وجهه .

والثاني : أنها فيمن هاجر إلى المدينة ، قاله عكرمة .

واختلفوا فيمن كانت هذه الآية جواباً منه على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه جواب من الله تعالى فصل به بين إبراهيم ومن حَاجّه من قومه ، قاله ابن زيد ، وابن إسحاق .

والثاني : أنه جواب قومه لما سألهم { أَيُّ الْفَرِيقَينِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ } ؟ فأجابوا بما فيه الحجة عليهم ، قاله ابن جريج .

والثالث : أنه جواب إبراهيم كما يسأل العالم نفسه فيجيبها ، حكاه الزجاج .

قوله تعالى : { وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَاهَآ إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ } وفي هذه الحجة التي أوتيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : قوله لهم : { أَتَعْبُدُونَ مِنْ دِونِ اللَّهِ مَا لاَ يمْلِكُ لَكُم ضَراً وَلاَ نَفْعاً } أم تعبدون من يملك الضر والنفع؟ فقالوا : مالك الضر والنفع أحق .

والثاني : أنه لما قال : { فَأَيُّ الْفَرِيقَينِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ } عبادة إله واحد أم آلهة شتى؟ فقالوا : عبادة إله واحد فأقروا على أنفسهم .

والثالث : أنهم لما قالوا لإبراهيم ألا تخاف أن تخبلك آلهتنا؟ فقال : أما تخافون أن تخبلكم آلهتكم بجمعكم للصغير مع الكبير في العبادة .

واختلفوا في سبب ظهور الحجَّة لإبراهيم على قولين :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدهما : أن الله تعالى أخطرها بباله حتى استخرجها بفكره .

والثاني : أنه أمره بها ولقنه إياها .

{ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَشَاءُ } فيه أربعة أوجه :

أحدها : عند الله بالوصول لمعرفته .

والثاني : على الخلق بالاصطفاء لرسالته .

والثالث : بالسخاء .

والرابع : بحسن الخلق .

وفيه تقديم وتأخير ، وتقديره : نرفع من نشاء درجات .

(420/1)

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ
وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ
(85) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (86) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ
وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (87) ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (88) أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ
بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (89) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ (90)

قوله عز وجل : { . . . فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ } فيهم خمسة أقاويل :

أحدها : فإن تكفر بها قريش فقد وكلنا بها الأنصار ، قاله الضحاك .

والثاني : فإن يكفر بها أهل مكة فقد وكلنا بها أهل المدينة ، قاله ابن عباس .

والثالث : فإن تكفر بها قريش فقد وكلنا بها الملائكة ، قاله أبو رجاء .

والرابع : أنهم الأنبياء الثمانية عشر الذين ذكرهم الله تعالى من قبل بقوله : { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ } ، قاله الحسن ، وقتادة .

والخامس : أنهم كل المؤمنين ، قاله بعض المتأخرين .

ومعنى قوله : { فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا } أي أقمنا بحفظها ونصرتها ، يعني : كتب الله وشريعة دينه .

(421/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آَبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (91) وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (92)

قوله عز وجل : { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : وما عظموه حق عظمته ، قاله الحسن ، والفراء ، والزجاج .

والثاني : وما عرفوه حق معرفته ، قاله أبو عبيدة .

والثالث : وما وصفوه حق صفته ، قاله الخليل .

والرابع : وما آمنوا بأن الله على كل شيء قدير ، قاله ابن عباس .

{ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِن شَيْءٍ } يعني من كتاب من السماء .

وفي هذا الكتاب الذي أنكروا نزوله قولان :

أحدهما : أنه التوراة ، أنكر حبر اليهود فيما أنزل منها ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى هذا الحبر اليهودي سميناً ، فقال له : « أَمَا تَقْرَءُونَ فِي التَّوْرَاةِ : أَنَّ اللَّهَ يَبْغَضُ الحَبْرَ السَّمِينَ » فغضب من ذلك وقال : ما أنزل الله على بشر من شيء ، فتبرأت منه اليهود ولعنته ، حكاه ابن بحر .

والقول الثاني : أنه القرآن أنكروه رداً لأن يكون القرآن مُنَزَّلاً .

وفي قائل ذلك قولان :

أحدهما : قريش .

والثاني : اليهود .

فرد الله تعالى عليهم بقوله : { قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَآءَ بِهِ مُوسَى } يعني التوراة لاعترافهم بنزولها .

ثم قال : { نُوراً وَهُدىً لِّلنَّاسِ } لأن المنزل من السماء لا يكون إلا نوراً وهدىً .

ثم قال : { تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً } يعني أنهم يخفون ما في كتابهم من بنوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وصفته وصحة رسالته .

قوله عز وجل : { وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ } يعني القرآن ، وفي { مُبارَكٌ } ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه العظيم البركة لما فيه من الاستشهاد به .

والثاني : لما فيه من زيادة البيان لأن البركة هي الزيادة .

والثالث : أن المبارك الثابت .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ مُّصَدِقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ } فيه قولان :

أحدهما : الكتب التي قبله من التوراة ، والإنجيل ، وغيرهما ، قاله الحسن البصري .

والثاني : النشأة الثانية ، قاله علي بن عيسى .

{ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى } يعني أهل أم القرى ، فحذف ذكر الأهل إيجازاً كما قال : { وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ } [يوسف : 82] .

و { أُمَّ الْقُرَى } مكة وفي تسميتها بذلك أربعة أقاويل : -

أحدها : لأنها مجتمع القرى ، كما يجتمع الأولاد إلى الأم .

والثاني : لأن أول بيت وضع بها ، فكأن القرى نشأت عنها ، قاله السدي .

والثالث : لأنها معظمة كتعظيم الأم ، قاله الزجاج .

والرابع : لأن الناس يؤمونها من كل جانب ، أي يقصدونها .

ثم قال : { وَمَنْ حَوْلَهَا } قال ابن عباس : هم أهل الأرض كلها .

{ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالأَخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ } وفيما ترجع إليه هذه الكناية قولان :

أحدهما : إلى الكتاب ، وتقديره : والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون بهذا الكتاب ، قاله الكلبي .

والثاني : إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وتقديره : والذين يؤمنون بالآخرة ، يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم لِمَا قد أظهر الله تعالى من معجزته وأَبَانَه الله من صدقه ، قاله الفراء .

فإن قيل : فيمن يؤمن بالآخرة من أهل الكتاب لا يؤمنون به؟ قيل : لا اعتبار لإيمانهم بها لتقصيرهم في حقها ، فصاروا بمثابة من لم يؤمن بها .

(422/1)

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (93) وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (94)

قوله عز وجل : { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيهِ شَيْءٌ } فيمن نزل فيه ذلك قولان :

أحدهما : أنه مسيلمة الكذاب ، قاله عكرمة .

والثاني : مسيلمة والعنسي ، قاله قتادة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقد روى معمر عن الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ كَأَنَّ فِي يَدِيَّ سُوَارَينِ مِن ذَهبٍ ، فَكَبُرَ عليَّ ، فَأُوحِي إِلَيَّ أَنْ أَنْفُخَهُمَا فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا ، فَأَوَّلْتُ ذَلِكَ كَذَّابَ اليَمَامَةِ وَكَذَّابَ صَنْعَاءَ العَنَسِي

» . { وَمَن قَالَ سَأُنزِلَ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : من تقدم ذكره من مدعي الوحي والنبوة .

والثاني : أنه عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، قاله السدي ، قال الفراء : كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فإذا قال النبي : { غَفُورٌ رَّحِيمٌ } كتب { سَمِيعٌ عَلِيمٌ } و { عَزِيزٌ حَكِيمٌ } فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم : « هُمَا سَوَاء » حتى أملى عليه { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِن طِينٍ } إلى قوله : { خَلْقاً أَخَرَ } فقال ابن أبي السرح : { فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ } تعجباً من تفصيل خلق الإنسان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « هَكَذَا نَزَلَتْ » فشك وارتد .

والثالث : ما حكاه الحكم عن عكرمة : أنها نزلت في النضر بن الحارث ، لأنه عارض القرآن ، لأنه قال : والطاحنات طحناً ، والعاجنات عجناً ، والخابزات خبزاً ، فاللاقمات لقماً .

وفي قوله : { وَالْمَلاَئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ } قولان :

أحدهما : باسطوا أيديهم بالعذاب ، قاله الحسن ، والضحاك .

والثاني : باسطو أيديهم لقبض الأرواح من الأجساد ، قاله الفراء .

ويحتمل ثالثاً : باسطوا أيديهم بصحائف الأعمال .

{ أَخْرِجُواْ أَنْفُسَكُمُ } فيه قولان :

أحدهما : من أجسادكم عند معاينة الموت إرهاقاً لهم وتغليظاً عليهم ، وإن كان إخراجها من فعل غيرهم .

والثاني : أخرجوا أنفسكم من العذاب إن قدرتم ، تقريعاً لهم وتوبيخاً بظلم أنفسهم ، قاله الحسن .

ويحتمل ثالثاً : أن يكون معناه خلصوا أنفسكم بالاحتجاج عنها فيما فعلتم .

{ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ } والهون بالضم الهوان ، قاله ذو الأصبع العدواني :

أذهب إليك أمي براعية ... ترعى المخاض ولا أغضي على الهون

وأما الهَوْن بالفتح فهو الرفق ومنه قوله تعالى : { الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوناً } يعني برفق وسكينة ، قال الراجز :

هونكما لا يرد الدهر ما فاتا ... لا تهلكن أسى في أثر من ماتا

قوله عز وجل : { وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ } الفرادى الواحدان ، ويحتمل وجهين :

أحدهما : فرادى من الأعوان .

والثاني : فرادى من الأموال .

{ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ } يعني ما ملكناكم من الأموال ، والتخويل تمليك المال ، قال أبو النجم :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أعطى فلم يبخل ولم يبخل ... كوم الذرى من خول المخول

{ وَمَا نَرَى مَعَكُم شُفعاءَكُمُ } فيه وجهان :

أحدهما : آلهتهم التي كانوا يعبدونها ، قاله الكلبي .

والثاني : الملائكة الذين كانوا يعتقدون شفاعتهم ، قاله مقاتل .

(423/1)

{ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَآءُ } فيه وجهان :

أحدهما : يعني شفعاء ، قاله الكلبي .

والثاني : أى متحملين عنكم تحمل الشركاء عن الشركاء .

{ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ } فيه وجهان :

أحدهما : تفرق جمعكم في الآخرة .

والثاني : ذهب تواصلكم في الدنيا ، قاله مجاهد .

ومن قرأ { بَيْنَكُمْ } بالفتح ، فمعناه تقطع الأمر بينكم .

{ وَضَلَّ عَنكُم مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } فيه وجهان :

أحدهما : من عدم البعث والجزاء .

والثاني : من شفعائكم عند الله .

فإن قيل : فقوله : { وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا } خبر عن ماض ، والمقصود منه الاستقبال؟

فعن ذلك جوابان . أحدهما : أنه يقال لهم ذلك في الآخرة فهو على الظاهر إخبار .

والثاني : أنه لتحققه بمنزلة ما كان ، فجاز ، وإن كان مستقبلاً أن يعبر عنه بالماضي .

(424/1)

إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (95) فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (96) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (97)

قوله عز وجل : { . . . فَالِقُ الْحَبِّ وَالْنَّوَى } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يعني فالق الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة ، قاله الحسن . وقتادة ، والسدي ، وابن زيد

This file was downloaded from QuranicThought.com

.

والثاني : أن الفلق الشق الذي فيهما ، قال مجاهد .

والثالث : أنه يعني خالق الحب والنوى ، قاله ابن عباس .

وذكر بعض أصحاب الغوامض قولاً رابعاً : أنه مُظْهِرُ ما في حبة القلب من الإخلاص ، والرياء .

{ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الَحيِّ } فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يخرج السنبلة الحية من الحبة الميتة ، والنخلة الحية من النواة الميتة ، ويعني بإخراج الميت من الحي أن يخرج الحبة الميتة من السنبلة الحية ، والنواة الميتة من النخلة الحية ، قاله السدي .

والثاني : أن يخرج الإنسان من النطفة ، والنطفة من الإنسان ، قاله ابن عباس .

والثالث : يخرج المؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن ، قاله الحسن .

وقد ذكرنا فيه احتمالاً ، أنه يخرج الفَطِن الجَلْد من البليد العاجز ، ويخرج البليد العاجز من الفَطِن الجَلْد .

{ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ } أي تصرفون عن الحق .

{ فَالِقُ الإِصْبَاحِ } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : فالق الإصباح ، قاله قتادة .

والثاني : أنه إضاءة الفجر ، قاله مجاهد .

والثالث : أن معناه خالق نور النهار ، وهذا قول الضحاك .

والرابع : أن الإصباح ضوء الشمس بالنهار وضوء القمر بالليل ، قاله ابن عباس .

{ وَجَعَلَ اللَّيلَ سَكَناً } فيه قولان :

أحدهما : أنه سُمِّي سكناً لأن كل متحرك بالنهار يسكن فيه .

والثاني : لأن كل حي يأوي فيه إلى مسكنه .

{ وَالشَّمْسَ والْقَمَرَ حُسْبَاناً } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : معناه يجريان في منازلهما بحساب وبرهان فيه بدء ورد إلى زيادة ونقصان ، قاله ابن عباس والسدي .

والثاني : أي جعلهما سبباً لمعرفة حساب الشهور والأعوام .

والثالث : أي جعل الشمس والقمر ضياء ، قاله قتادة ، وكأنه أخذه من قوله تعالى : { وَيُرْسِلَ عَلَيهَا حُسْبَاناً مِنَ السَّمَآءِ } [الكهف : 40] قال : ناراً .

(425/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (98) وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (99)

قوله عز وجل : { وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ } يعني آدم عليه السلام .

{ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوَدَعٌ } فيه ستة تأويلات :

أحدها : فمستقر في الأرض ومستودع في الأصلاب ، قاله ابن عباس .

والثاني : فمستقر في الرحم ومستودع في القبر ، قاله ابن مسعود .

والثالث : فمستقر في أرحام النساء ومستودع في أصلاب الرجال ، قاله عطاء ، وقتادة .

والرابع : فمستقر في الدنيا ومستودع في الآخرة ، قاله مجاهد .

والخامس : فمستقر في الأرض ومستودع في القبر ، قاله الحسن .

والسادس : أن المستقر ما خُلِق ، والمستودع ما لم يُخلق ، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً .

قوله عز وجل : { وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ } فيه قولان :

أحدهما : معناه رزق كل شيء من الحيوان .

والثاني : نبات كل شيء من الثمار .

{ فَأَخْرَجْنَا مِنهُ خَضِراً } يعني زرعاً رطباً بخلاف صفته عند بذره .

{ نُّخْرِجُ مِنهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً } يعني السنبل الذي قد تراكب حبه .

{ وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ } القنوان جمع قنو وفيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه الطلع ، قاله الضحاك .

والثاني : أنه الجمار .

والثالث : هي الأعذاق ، قال امرؤ القيس

أثت أعاليه وآدت أصوله ... ومال بقنوان من البسر أحمرا

{ دَانِيَةٌ } فيه قولان :

أحدهما : دانية من المجتني لقصر نخلها وقرب تناولها ، قاله ابن عباس .

والثاني : داينة بعضها من بعض لتقاربها ، قاله الحسن .

{ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ } يعني بساتين من أعناب .

{ مُشْتَبِهاً وَغَيرَ مُتَشَابِهٍ } فيه وجهان :

أحدهما : مشتبها ورقه مختلفاً ثمره ، قال قتادة .

والثاني : مشتبهاً لونه مختلفاً طعمه ، قاله الكلبي .

{ انظُرُواْ إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ } قرأ حمزة والكسائي بالضم ، وقرأ الباقون بالفتح ، وفي اختلافه بالضم

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والفتح قولان :

أحدهما : أن الثُّمُر بالضم جمع ثمار ، وبالفتح جمع ثمرة ، قاله علي بن عيسى .

والثاني : أن الثُّمُر بالضم : المال ، وبالفتح : ثمر النخل ، قاله مجاهد ، وأبو جعفر الطبري .

{ وَيَنْعِهِ } يعني نضجة وبلوغه .

(426/1)

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ (100)

قوله عز وجل : { وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن المجوس نسبت الشر إلى إبليس ، وتجعله بذلك شريكاً لله .

والثاني : أن مشركي العرب جعلوا الملائكة بنات الله وشركاء له ، قاله قتادة ، والسدي ، وابن زيد كقوله تعالى : { وَجَعَلُواْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ } فَسَمَّى الملائكة لاختفائهم عن العيون جنة .

والثالث : أنه أطاعوا الشيطان في عبادة الأوثان حتى جعلوها شركاء لله في العبادة ، قاله الحسن ، والزجاج .

{ وَخَلَقَهُمْ } يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه خلقهم بلا شريك [له] ، فَلِمَ جعلوا له في العبادة شريكاً؟ .

والثاني : أنه خلق من جعلوه شريكاً فكيف صار في العبادة شريكاً .

وقرأ يحيى بن يعمر { وَخَلْقَهُمْ } بتسكين اللام . ومعناه أنهم جعلوا خلقهم الذي صنعوه بأيديهم من الأصنام لله شريكاً .

{ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ } في خرقوا قراءتان بالتخفيف والتشديد ، وفيه قولان :

أحدهما : أن معنى خرقوا كذبوا ، قاله مجاهد ، وقتادة ، وابن جريج ، وابن زيد .

والثاني : معناه وخلقوا له بنين وبنات ، والخلق والخرق واحد ، قاله الفراء .

والقول الثاني : أن معنى القراءتين مختلف ، وفي اختلافهما قولان :

أحدهما : أنها بالتشديد على التكثير .

والثاني : أن معناها بالتخفيف كذبوا ، وبالتشديد اختلفوا .

والبنون قول النصارى في المسيح أنه ابن الله ، وقول اليهود أن عزيراً ابن الله .

والبنات قول مشركي العرب في الملائكة أنهم بنات الله .

{ بِغَيْرِ عِلْمٍ } يحتمل وجهين :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدهما : بغير علم منهم أن له بنين وبنات .

والثاني : بغير حجة تدلهم على أن له بنين وبنات .

(427/1)

بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (101) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (102) لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (103)

قوله عز وجل : { لاَّ تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ } فيه لأهل التأويل خمسة أقاويل :

أحدها : معناه لا تحيط به الأبصار ، وهو يحيط بالأبصار ، واعتل قائل هذا بقوله : { فَلَمَّا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ } فوصف الله الغرق بأنه أدرك فرعون ، وليس الغرق موصوفاً بالرؤية ، كذلك الإدراك هنا ، وليس ذلك بمانع من الرؤية بالإبصار ، غير أن هذا اللفظ لا يقتضيه وإن دل عليه قوله : { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } .

والقول الثاني : معناه لا تراه الأبصار وهو يرى الأبصار ، واعتل قائلو ذلك بأمرين :

أحدهما : أن الأبصار ترى ما بينها ولا ترى ما لاصقها ، وما بين البصر فلا بد أن يكون بينهما فضاء ، فلو رأته الأبصار لكان محدوداً ولخلا منه مكان ، وهذه صفات الأجسام التي يجوز عليها الزيادة والنقصان .

والثاني : أن الأبصار تدرك الألوان كما أن السمع يدرك الأصوات ، فلما امتنع أن يكون ذا لون امتنع أن يكون مرئياً ، كما أن ما امتنع أن يكون ذا صوت امتنع أن يكون مسموعاً .

والقول الثالث : لا تدركه أبصار الخلق في الدنيا بدليل قوله : { لاَ تَدْرِكُهُ الأَبْصَارُ } وتدركه في الآخرة بدليل قوله : { إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } [القيامة : 23] وهو يدرك الأبصار في الدنيا والآخرة .

والرابع : لا تدركه أبصار الظالمين في الدنيا والآخرة ، وتدركه أبصار المؤمنين ، وهو يدرك الأبصار في الدنيا والآخرة ، لأن الإدراك له كرامة تنتفي عن أهل المعاصي .

والقول الخامس : أن الأبصار لا تدركه في الدنيا والآخرة ، ولكن الله يحدث لأوليائه حاسة سادسة سوى حواسهم الخمس يرونه بها ، اعتِلاَلاً بأن الله أخبر برؤيته ، فلو جاز أن يُرَى في الآخرة بهذه الأبصار وإن زِيْدَ في قواها جاز أن يرى بها في الدنيا وإن ضعفت قواها بأضعف من رؤية الآخرة ، لأن ما خُلِقَ لإدراك شيء لا يُعْدَمُ إدراكه ، وإنما يختلف الإدراك بحسب اختلاف القوة والضعف ، فلما كان هذا مانعاً من الإدراك – وقد أخبر الله تعالى بإدراكه – اقتضى أن يكون ما أخبر به حقاً لا يدفع بالشبه ، وذلك بخلق حاسة أخرى يقع بها الإدراك .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ثم قال : { وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } فاحتمل وجهين من التأويل :

أحدهما : لطيف بعباده في الإنعام عليهم ، خبير بمصالحهم .

والثاني : لطيف في التدبير خبير بالحكمة .

(428/1)

قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (104) وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآَيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (105)

قوله عز وجل : { وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن يتلو بعضها بعضاً فلا ينقطع التنزيل .

والثاني : أن الآية تنصرف في معان متغايرة مبالغة في الإعجاز ومباينة لكلام البشر .

والثالث : أنه اختلاف ما تضمنها من الوعد والوعيد والأمر والنهي ، ليكون أبلغ في الزجر ، وأدعى إلى الإجابة ، وأجمع للمصلحة .

ثم قال تعالى : { وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ } وفي الكلام حذف ، وتقديره : ولئلا يقولوا درست ، فحذف ذلك إيجازاً كقوله تعالى : { يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ } [النساء : 167] أي لئلا تضلوا .

وفي { دَرَسْتَ } خمس قراءات يختلف تأويلها بحسب اختلافها :

إحداهن : { دَرَسْتَ } بمعنى قرأت وتعلمت ، تقول ذلك قريش للنبي صلى الله عليه وسلم ، قاله ابن عباس ، والضحاك ، وهي قراءة حمزة ، والكسائي .

والثانية : { دَارَسْتَ } بمعنى ذاكرت وقارأت ، قاله مجاهد ، وسعيد بن جبير ، ومروي عن ابن عباس ، وهي قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو .

وفيها على هذه القراءة تأويل ثانٍ ، أنها بمعنى خاصمت وجادلت .

والثالثة : { دَرَسَتْ } بتسكين التاء بمعنى انمحت وتقادمت ، قاله ابن الزبير ، والحسن ، وهي قراءة ابن عامر .

والرابعة : { دُرِسَتْ } بضم الدال لما لم يسم فاعله تليت وقرئت ، قاله قتادة .

والخامسة : { دَرَسَ } بمعنى قرأ النبي صلى الله عليه وسلم وتلا ، وهذا حرف أبي بن كعب ، وابن مسعود .

{ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : لقوم يعقلون .

والثاني : يعلمون وجوه البيان وإن لم يعلموا المبين .

This file was downloaded from QuranicThought.com

(429/1)

اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (106) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (107) وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (108)

قوله عز وجل : { وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دَونِ اللَّهِ فَيَسُبُّواْ اللَّهَ عَدْوَاْ بِغَيْرِ عِلْمٍ } يعني اعتداء ، وقرأ أهل مكة عَدُوّاً بالتشديد بمعنى أنهم اتخذوه عدوّاً . وفيه قولان :

أحدهما : لا تسبوا الأصنام فتسب عبدة الأصنام من يسبها ، قاله السدي .

والثاني : لا تسبوها فيحملهم الغيظ والجهل على أن يسبوا من تعبدون كما سَبَبْتم ما يعبدون .

{ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : كما زينا لكم فعل ما أمرناكم به من الطاعات كذلك زينا لمن تقدم من المؤمنين فعل ما أمرناهم به من الطاعات ، قاله الحسن .

والثاني : كذلك شبهنا لكل أهل دين عملهم بالشبهات ابتلاء لهم حتى قادهم الهوى إليها وعَمُوا عن الرشد فيها .

والثالث : كما أوضحنا لكم الحِجج الدالة على الحق كذلك أوضحنا لمن قبلكم من حجج الحق مثل ما أوضحنا لكم .

(430/1)

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (109) وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (110)

قوله عز وجل : { وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا } هؤلاء قوم من مشركي أهل مكة حلفوا بالله لرسوله صلى الله عليه وسلم لئن جاءتهم آية اقترحوها ليؤمنن بها ، قال ابن جريج : هم المستهزئون .

واختلف في الآية التي اقترحوها على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن تجعل لنا الصفا ذهباً .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثاني : ما ذكره الله في آخر : { لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلاَلَهَا تَفْجِيراً أَوْ تُسقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَينَا كِسَفاً } إلى قوله : { كِتَاباً نَقْرَؤُهُ } فأمر الله نبيه حين أقسموا له أن يقول لهم { قُلْ إِنَّمَا الأَيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ } .

والثالث : أنه لما نزل قوله تعالى في الشعراء : { إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُم لَهَا خَاضِعِينَ } قال المشركون : أنزلها علينا حتى نؤمن بها إن كنت من الصادقين ، فقال المؤمنون : يا رسول الله أنزلها عليهم ليؤمنوا ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، قاله الكلبي :

وليس يجب على الله إجابتهم إلى اقتراحهم لا سيما إذا علم أنهم لا يؤمنون بها ، واختلف في وجوبها عليه إذا علم إيمانهم بها على قولين وقد أخبر أنهم لا يؤمنون بقوله : { وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ } .

ثم قال تعالى : { وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُم وَأَبْصَارَهُم كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ } وهذا من الله عقوبة لهم ، وفيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها عقوبة من الله في الآخرة يقلبها في النار .

والثاني : في الدنيا بالحيرة حتى يزعج النفس ويغمها .

والثالث : معناه أننا نحيط بذات الصدور وخائنة الأعين منهم .

وفي قوله : { أَوَّلَ مَرَّةٍ } تأويلان :

أحدهما : أول مرة جاءتهم الآيات .

والثاني : أن الأول أحوالهم في الدنيا كلها ، ثم أكد الله تعالى حال عنتهم .

(431/1)

وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (111)

فقال : { وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً } فيه قراءاتان :

إحداهما : { قِبَلا } بكسر القاف وفتح الباء ، قرأ بها نافع ، وابن عامر ، ومعنى ذلك معاينة ومجاهرة ، قاله ابن عباس وقتادة .

والقراءة الثانية : بضم القاف والباء وهي قراءة الباقين ، وفي تأويلها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن القُبُل جمع قبيل وهو الكفيل ، فيكون معنى { قُبُلاً } أي كُفَلاء .

والثاني : أن معنى ذلك قبيلة قبيلة وصفاً صفاً ، قاله مجاهد .

والثالث : معناه مقابلة ، قاله ابن زيد ، وابن إسحاق .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفيّة الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثم قال : { مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ } يعني بهذه الآيات مع ما اقترحوها من قبل .

ثم قال : { إِلاَّ أَن يَشَآءَ اللَّهُ } فيه قولان :

أحدهما : أن يعينهم عليه .

والثاني : إلا أن يشاء أن يجبرهم عليه ، قاله الحسن البصري .

ثم قال : { وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ } فيه وجهان :

أحدهما : يجهلون فيما يقترحونه من الآيات .

والثاني : يجهلون أنهم لو أجيبوا إلى ما اقترحوا لم يؤمنوا طوعاً .

(432/1)

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (112) وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ (113)

قوله عز وجل : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً } أي جعلنا للأنبياء أعداء كما جعلنا لغيرهم من الناس أعداء .

وفي { جَعَلْنَا } وجهان :

أحدهما : معناه حكمنا بأنهم أعداء .

والثاني : معناه تركناهم على العداوة ، فلم نمنعهم منها .

وفي { شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ } ثلاثة أقاويل :

أحدها : يعني شياطين الإنس الذين مع الإنس ، وشياطين الجن الذين مع الجن ، قاله عكرمة ، والسدي .

والثاني : شياطين الإنس كفارهم ، وشياطين الجن كفارهم ، قاله مجاهد .

والثالث : أن شياطين الإنس والجن مردتهم ، قاله الحسن ، وقتادة .

{ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ } في يوحي ثلاثة أوجه :

أحدها : يعني يوسوس بعضهم بعضاً .

والثاني : يشير بعضهم إلى بعض ، فعبر عن الإشارة بالوحي كقوله : { فَأَوْحَى إِلَيهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيّاً } [مريم : 11] و { زُخْرُفَ الْقَوْلِ } ما زينوه لهم من الشبه في الكفر وارتكاب المعاصي .

والثالث : يأمر بعضهم بعضاً كقوله : { وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا } [فصلت : 12] أي أمر .

ثم قال : { وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ } يحتمل وجهين :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
أحدهما : ما فعلوه من الكفر .
والثاني : ما فعلوا من زخرف القول .
وفي تركهم على ذلك قولان :
أحدهما : ابتلاء لهم وتمييزاً للمؤمنين منهم .
والثاني : لا يلجئهم إلى الإيمان فيزول التكليف .
قوله عز وجل : { وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالأَخِرَةِ } أي تميل إليه قلوبهم ، والإصغاء : الميل ، قال الشاعر :
ترى السفيه به عن كل محكمة ... زيغ وفيه إلى التشبيه إصغاء
وتقدير الكلام ، يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ليغروهم ولتصغي إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وقال قوم : بل هي لام أمر ومعناها الخبر .
{ وَلِيَرْضَوْهُ } لأن من مَالَ قلبه إلى شيء رضيه وإن لم يكن مرضياً .
{ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ } فيه وجهان :
أحدهما : وليكتسبوا من الشرك والمعاصي ما هم مكتسبون ، قاله جويبر .
والثاني : وليكذبوا على الله ورسوله ما هم كاذبون ، وهو محتمل .

(433/1)

أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (114) وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (115)

قوله عز وجل : { أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً } فيه وجهان :
أحدهما : معناه هل يجوز لأحد أن يعدل عن حكم الله حتى أعدل عنه .
والثاني : هل يجوز لأحد أن يحكم مع الله حتى أحتكم إليه .
والفرق بين الحَكَم والحَاكِم ، أن الحَكَمَ هو الذي يكون أهلاً للحُكْم فلا يَحْكُمُ إلا بحق ، والحَاكِمُ قد يكون من غير أهله فَيَحْكُمُ بغير حق ، فصار الحَكَم من صفات ذاته ، والحَاكِمِ من صفات فعله ، فكان الحَكَم أبلغ في المدح من الحَاكِم .
ثم قال : { وَهُوَ الَّذِيِّ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً } في المفصَّل أربعة تأويلات :
أحدها : تفصيل آياته لتبيان معانيه فلا تُشْكِل .
والثاني : تفصيل الصادق من الكاذب .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثالث : تفصيل الحق من الباطل ، والهدى من الضلال ، قاله الحسن .

والرابع : تفصيل الأمر من النهي ، والمستحب من المحظور ، والحلال من الحرام .

وسبب نزول هذه الآية أن مشركي قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : اجعل بيننا وبينك حَكَماً إن شئت من أحبار اليهود وإن شئت من أحبار النصارى ، ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك ، فنزلت عليه هذه الآية .

قوله عز وجل : { وَتَمَّتَ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً } يعني القرآن ، وفي تمامه أربعة أوجه محتملة :

أحدها : تمام حُجَجِهِ ودلائله .

والثاني : تمام أحكامه وأوامره .

والثالث : تمام إنذاره بالوعد والوعيد .

والرابع : تمام كلامه واستكمال صوره .

وفي قوله : { صِدْقاً وَعَدْلاً } وجهان :

أحدهما : صدقاً في وعده ووعهده ، وعدلاً في أمره ونهيه ، قاله ابن بحر .

والثاني : صدقاً فيما حكاه ، عدلاً فيما قضاه ، وهو معنى قول قتادة .

وقد مضى تفسير { لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ } .

(434/1)

وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (116) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (117) فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (118) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (119) وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (120)

قوله عز وجل : { وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : سره وعلانيته ، قاله مجاهد ، وقتادة .

والثاني : ظاهر الإثم : ما حرم من نكاح ذوات المحارم بقوله تعالى : { حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ . . . } الآية . وباطنه الزِّنى ، قاله سعيد بن جبير .

والثالث : أن ظاهر الإثم أُوْلآت الرايات من الزواني ، والباطن ذوات الأخدان ، لأنهن كُنَّ يستحللنه سراً ، قاله السدي ، والضحاك .

والرابع : أن ظاهر الإثم العِرية التي كانو يعملون بها حين يطوفون بالبيت عراة ، وباطنه الزِّنى ،

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قاله ابن زيد .

ويحتمل خامساً : أن ظاهر الإثم ما يفعله بالجوارح ، وباطنه ما يعتقده بالقلب .

(435/1)

وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (121)

قوله عز وجل : { وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : المراد بها ذبائح كانت العرب تذبحها لأوثانها ، قاله عطاء .

والثاني : أنها الميتة ، قاله ابن عباس .

والثالث : أنه صيد المشركين الذين لا يذكرون اسم الله ، ولا هم من أهل التسمية ، يَحْرُمُ على المسلمين أن يأكلوه حتى يكونوا هم الذين صادوه ، حكاه ابن بحر .

والرابع : أنه ما لم يُسَمَّ اللَّهُ عند ذبحه .

وفي تحريم أكله ثلاثة أقاويل :

أحدها : لا يحرم [سواء] تركها عامداً أو ناسياً ، قاله الحسن ، والشافعي .

والثاني : يحرم إن تركها عامداً ، ولا يحرم إن تركها ناسياً ، قاله أبو حنيفة .

والثالث : يحرم سواء تركها عامداً أو ناسياً ، قاله ابن سيرين ، وداود .

{ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ } فيه تأويلان :

أحدهما : أن المراد به المعصية ، قاله ابن عباس .

والثاني : المراد به الإثم .

{ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ } يعني المجادلة في الذبيحة ، وفيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه عنى بالشياطين قوماً من أهل فارس كتبوا إلى أوليائهم من قريش أن محمداً وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله ، ولا يأكلون ما ذبح الله يعني الميتة ، ويأكلون ما ذبحوه لأنفسهم ، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية ، قاله عكرمة .

والثاني : أن الشياطين قالوا ذلك لأوليائهم من قريش ، قاله ابن عباس .

والثالث : أن قوماً من اليهود قالوا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا مروي عن ابن عباس .

وفي وحيهم إليهم وجهان :

أحدهما : أنها إشارتهم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : رسالتهم .

{ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ } يعني في أكل الميتة ، إنكم لمشركون إن استحللتموها .

(436/1)

أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (122)

قوله عز وجل : { أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : كان ميتاً حين كان نطفة فأحييناه بنفخ الروح [فيه] ، حكاه ابن بحر .

والثاني : كان ميتاً بالكفر فأحييناه بالهداية إلى الإيمان ، حكاه ابن عيسى .

والثالث : كان ميتاً بالجهل فأحييناه بالعمل ، أنشدني بعض أهل العلم ما يدل على صحة هذا التأويل لبعض شعراء البصرة .

وفي الجهل قبل الموت لأهله ... فأجسامهم قبل القبور قبور

وإن امرءا لم يحيى بالعلم ميت ... فليس له حتى النشور نشور

{ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن النور القرآن ، قاله الحسن .

والثاني : انه العلم الذي يهدي إلى الرشد .

والثالث : أنه حُسْنُ الإيمان .

وقوله : { يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ } يحتمل وجهين :

أحدهما : ينشر به ذكر دينه بين الناس في الدنيا حتى يصير كالماشي .

والثاني : يهتدي به بين الناس إلى الجنة فيكون هو الماشي .

{ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا } فيه قولان :

أحدهما : أن الظلمات الكفر .

والثاني : الجهل ، وشبهه بالظلمة لأن صاحبه في حيرة تفضي به إلى الهلكة كحيرة الماشي في الظلمة .

واختلفوا في هذه الآية على قولين .

أحدهما : أنها على العموم في كل مؤمن وكافر ، قاله الحسن وغيره من أهل العلم .

والثاني : أنها على الخصوص في مُعَيَّن .

وفيمن تعين نزول ذلك فيه قولان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
أحدهما : أن المؤمن عمر بن الخطاب ، والكافر أبو جهل ، قاله الضحاك . ومقاتل .

والثاني : أن المؤمن عمار بن ياسر ، والكافر أبو جهل ، قاله عكرمة ، والكلبي .

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (123) وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ (124)

قوله عز وجل : { وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ } يعني علامة تدل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وصحة رسالته .

{ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : لن نؤمن بالآية .

والثاني : لن نؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم .

{ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ } يحتمل وجهين :

أحدهما : مثل ما أوتي رسل الله من الكرامة .

الثاني : مثل ما أوتوا من النبوة .

{ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ } قصد بذلك أمرين :

أحدهما : تفرد الله تعالى بعلم المصلحة فيمن يستحق الرسالة .

والثاني : الرد عليهم في سؤال ما لا يستحقونه ، والمنع مما لا يجوز أن يسألوه .

{ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجرَمُواْ صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ } الصَّغَار : الذل سمي صَغَاراً لأنه يصغر إلى الإنسان نفسه .

وفي قوله : { عِنْدَ اللَّهِ } ثلاثة أوجه :

أحدها : من عند الله ، فحذف « من » إيجازاً .

والثاني : أن أنفتهم من اتباع الحق صَغَار عند الله وذل إن كان عندهم تكبراً وعزاً ، قاله الفراء .

والثالث : صَغَار في الآخرة ، قاله الزجاج .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (125)

قوله عز وجل : { فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ } فيه قولان :

أحدهما : يهديه إلى نيل الثواب واستحقاق الكرامة .

والثاني : يهديه إلى الدلائل المؤدية إلى الحق .

{ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ } يعني بشرح الصدر سعته لدخول الأسلام إيه وثبوته فيه كقوله تعالى : { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَك } [الشرح : 1] .

روى عمرو بن مرة عن أبي جعفر قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي المؤمنين أكْيَس؟ قال : « أَكْثَرُهُم ذِكْراً لِلْموتِ وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَاداً » قال : وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : قالوا : كيف يشرح صدره يا رسول الله؟ قال : « نُورٌ يُقْذَفُ فَيَنْشَرِحُ لَهُ وَيَنفَسِحُ » قالوا : فهل لذلك أمارة يُعْرَفُ بها؟ قال : « الإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الخُلُودِ وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الغُرورِ وَالاسْتِعْدَادِ لِلْموتِ قَبْلَ لِقَاءِ المَوتِ » وروى ابن مسعود مثل ذلك .

ثم قال : { وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ } فيه قولان :

أحدهما : يضله عن الهداية إلى الحق .

والثاني : عن نيل الثواب واستحقاق الكرامة .

{ يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً } يعني ضيقاً لا يتسع لدخول الإسلام .

{ حَرَجاً } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن يكون شديد الصلابة حتى لا يثبت فيه شيء .

والثاني : شديد الضيق حتى لا يدخله شيء .

والثالث : أن موضعه مُبْيَض .

{ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَآءِ } فيه أربعة أوجه :

أحدها : كأنه كُلِّف الصعود إلى السماء في امتناعه عليه وبعده منه .

والثاني : كأنه لا يجد مسلكاً لضيق المسالك عليه إلا صعوداً في السماء يعجز عنه .

والثالث : كأنه قلبه بالنبو عنه والنفور منه صاعداً إلى السماء .

والرابع : كأن قلبه يصعد إلى السماء بمشقته عليه وصعوبته عنده .

ثم قال تعالى : { كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ } في الرجس خمسة تأويلات :

أحدها : أنه ما لا خير فيه ، قاله مجاهد .

والثاني : أنه العذاب ، قاله ابن زيد .

والثالث : السخط ، قاله ابن بحر .

والرابع : انه الشيطان ، قاله ابن عباس .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والخامس : أن الرجس والنجس واحد ، وهو قول بعض نحويي الكوفة ، وحكاه عَلِيُّ بن عيسى .
وقد روى قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا دخل الخلاء قال : « اللهم إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الرِّجْسِ وَالنَّجَسِ الهَبِيثِ الخَبِيثِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
. »

(439/1)

وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (126) لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (127)

قوله عز وجل : { وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً } قد ذكرنا أن الصراط هو الطريق ، ومنه قول عامر ابن الطفيل :
شحنا أرضهم بالخيل حتى ... تركناهم أذل من الصراط
وفيه ها هنا قولان :
أحدهما : يريد أن الإسلام هو الصراط المستقيم إلى الله تعالى ، قاله الكلبي .
والثاني : يريد أن ما في القرآن من البيان هو الصراط المستقيم .
{ قَدْ فَصَّلْنَا } يحتمل وجهين :
أحدهما : بيَّنَّا .
والثاني : ميَّزنا .
قوله عز وجل : { لَهُم دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ } وهي الجنة ، وفي تسميتها دار السلام وجهان :
أحدهما : لأنها دار السلامة الدائمة من كل آفة ، قاله الزجاج .
والثاني : أن السلام هو الله ، والجنة داره ، فلذلك سُمِّيَتْ دار السلام ، وهذا معنى قول الحسن ، والسدي .
وفي قوله : { عِندَ رَبِّهِمْ } وجهان :
أحدهما : أن دار السلام عند ربهم في الآخرة لأنها أخص به .
والثاني : معناه أن لهم عن ربهم أن ينزلهم دار السلام .
{ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } يحتمل وجهين :
أحدهما : وهو ناصرهم في الدنيا على إيمانهم .
والثاني : وهو المتولِّي لثوابهم في الآخرة على أعمالهم .

(440/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (128)

قوله عز وجل : { وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً } يعني يحشر الجن والإنس جميعاً يوم القيامة .

{ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِّنَ الإنسِ } فيه قولان :

أحدهما : قد استكثرتم من إغوئهم وإضلالهم ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، ومجاهد .

والثاني قد استكثرتم من الإنس بإغوائكم لهم .

{ وَقَالَ أَولِيَاؤُهُمْ مِّنَ الإنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ } فيه ثلاثة أقاويل : أحدها : معناه استمتع بعضنا بصحبة بعض في التعاون والتعاضد .

والثاني : استمتع بعضنا ببعض فيما زينوه من اتباع الأهواء وارتكاب المعاصي .

والثالث : أن الاستمتاع بهم ما كانوا عليه من التعوذ بهم كقوله تعالى : { وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ } ، قال الحسن ، وابن جريج . ثم فيه وجهان :

أحدهما : أنه استمتاع الإنس بالجن .

والثاني : أنه استمتاع الإنس بعضهم ببعض .

وفيه وجه ثالث : أن الإنس استمتعوا بالجن ، والجن استمتعوا بالإنس في اعتقادهم أنهم يقدرون على النفع .

{ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا } فيه قولان :

أحدهما : أنه الموت ، قاله الحسن ، والسدي .

والثاني : الحشر .

{ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ } أي منزل إقامتكم ، لأن المثوى الإقامة ، ومنه قول الشاعر :

لقد كان في حول ثواءً ثويته ... تقضي لبانات وتسأم سائم

{ خَالِدِينَ فِيهَآ إِلاَّ مَا شَآءَ اللَّهُ } في { إِلاَّ } في هذا الموضوع ثلاثة أوجه :

أحدها : أنها بمعنى لكن ، قاله سيبويه .

والثاني : أنها بمعنى سوى ، قاله الفراء .

والثالث : أنها مستعملة على حقيقتها ، وهو قول الجمهور .

وفي هذا الاستثناء ثلاثة أقاويل .

أحدها : أن مدة الاستثناء هي مدة العرض في القيامة وذلك ما بين بعثهم من قبورهم إلى حين مصيرهم إلى جهنم ، فكأنه قال : النار مثواكم خالدين فيها إلا هذه المدة التي ذكرها ، فإنهم فيها

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

غير خالدين في النار .

والثاني : معناه خالدين فيها إلا ما شاء الله من تجديد جلودهم بعد إحراقها وتصريفهم في أنواع العذاب أو تركهم فيها على حالتهم الأولى ، فيكون الاستثناء في صفة العذاب لا في الخلود في النار .

والثالث : أنه جعل أمرهم في مبلغ عذابهم ومدته إلى مشيئته تعالى ، قاله ابن عباس ، قال : ولا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه ، ولا ينزلهم جنة ولا ناراً .

(441/1)

وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (129)

قوله عز وجل : { وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً } فيه خمسة تأويلات :

أحدها : معناه وكذلك نَكِلُ بعضهم إلى بعض ، فلا نعينهم ، ومن سُلِبَ معونة الله كان هالكاً .

والثاني : وكذلك نجعل بعضهم لبعض ولياً على الكفر .

والثالث : وكذلك نولِّي بعضهم عذاب بعض في النار .

والرابع معناه أن بعضهم يتبع بعضاً في النار من الموالاة وهي المتابعة ، قاله قتادة .

والخامس : تسليط بعضهم على بعض بالظلم والتعدي ، قاله ابن زيد .

(442/1)

يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (130)

قوله عز وجل : { يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ } المعشر : الجماعة التامة من القوم التي تشتمل على أصناف الطوائف ، ومنه قيل للعَشَرَة لأنها تمام العِقْد .

{ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلُ مِنكُمْ يَقُصُّون عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي } اختلفوا في الرسالة إلى الجن على ثلاثة أقاويل .

أحدها : ان الله بعث إلى الجن رسلاً منهم ، كما بعث إلى الإنس رسلاً منهم ، قاله الضحاك وهو ظاهر الكلام .

والثاني : أن الله لم يبعث إليهم رسلاً منهم ، وإنما جاءتهم رسل الإنس ، قاله ابن جريج ، والفراء ، والزجاج ، ولا يكون الجمع في قوله : { أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ } مانعاً من أن يكون الرسل من أحد

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفريقين ، كقوله تعالى : { يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ } [الرحمن : 22] وإنما هو خارج من أحدهما .

والثالث : أن رسل الجن هم الذين لمَّا سمعوا القرآن { وَلَّوْاْ إِلَى قَومِهِم مُّنذِرِينَ } [الأحقاف : 29] ، قاله ابن عباس .

وفي دخولهم الجنة قولان :

أحدهما : قاله الضحاك .

والثاني : أن ثوابهم أن يجاروا من النار ، ثم يُقَال لهم كونوا تراباً كالبهائم ، حكاه سفيان عن ليث .

{ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَذَا } يحتمل وجهين :

أحدهما : ينذرونكم خذلان بعضكم لبعض وتبرؤ بعضكم من بعض في يوم القيامة .

والثاني : ينذرونكم ما تلقونه فيه من العذاب على الكفر ، والعقاب على المعاصي .

{ قالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا } يحتمل وجهين :

أحدهما : إقرارهم على أنفسهم بأن الرسل قد أنذروهم .

والثاني : شهادة بعضهم على بعض بإنذار الرسل لهم .

{ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا } فيه وجهان :

أحدهما : وغرتهم زينة الحياة الدنيا .

والثاني : وغرتهم الرياسة في الدنيا .

ويحتمل ثالثاً : وغرتهم حياتهم في الدنيا حين أمهلوا .

{ وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِم } وفي هذه الشهادة أيضاً الوجهان المحتملان إلا أن تلك شهادة بالإنذار وهذا بالكفر .

(443/1)

ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (131) وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (132)

قوله تعالى : { ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ } فيه وجهان :

أحدهما : وما كان ربك مهلك القرى بظلم منه ولكن بحق استوجبوا به الهلكة ، وهو معنى قول مقاتل .

والثاني : وما كان ربك مهلك القرى بظلم أهلها حتى يقدم إنذارهم ويرفع أعذارهم ويخرجوا من حكم الغافلين فيما ينزل بهم ، وهو معنى قول مجاهد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله عز وجل : { وَلِكُلٍ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا } معناه ولكل عامل بطاعة الله أو معصيته درجات ، يعني منازل ، وإنما سُمِّيت درجات لتفاضلها كتفاضل الدَرَجِ في الارتفاع والانحطاط .

وفيها وجهان :

أحدهما : أن المقصود بها الأعمال المتفاضلة .

والثاني : أن المقصور بها الجزاء المتفاضل .

ويحتمل هذا التفضيل بالدرجات على أهل الجنة ، وأهل النار ، لأن أهل النار يَتفاضلون في العقاب بحسب تفاضلهم في السيئات ، كما يتفاضل أهل الجنة في الثواب لتفاضلهم في الحسنات ، لكن قد يعبر عن تفاضل أهل الجنة بالدَرَج ، وعن تفاضل أهل النار بالدرك ، فإذا جمع بينهما بالتفاضل عبر عن تفاضلهما بالدرج تغليباً لصفة أهل الجنة .

(444/1)

وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آَخَرِينَ (133) إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآَتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (134) قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (135)

قوله عز وجل : { قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُم } فيه خمسة تأويلات :

أحدها : على طريقتكم .

والثاني : على حالتكم .

والثالث : على ناحيتكم ، قاله ابن عباس ، والحسن .

والرابع : على تمكنكم ، قاله الزجاج .

والخامس : على منازلكم ، قاله الكلبي .

{ إِنِّي عَامِلٌ } يعني أنذركم من جزاء المطيع بالثواب ، والعاصي بالعقاب .

{ فَسوفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونَ لَهُ عاقِبَةُ الدَّارِ } فيه وجهان :

أحدهما : تعلمون ثواب الآخرة بالإيمان ، وعقابها بالكفر ترغيباً منه في ثوابه وتحذيراُ من عقابه .

والثاني : تعلمون نصر الله في الدنيا لأوليائه ، وخذلانه لأعدائه ، قاله ابن بحر .

(445/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (136)

قوله عز وجل : { وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً } . .

{ مِمَّا ذَرَأَ } مما خلق ، مأخوذ من الظهور ، ومنه قيل ملح ذُرْ أي لبياضه ، وقيل لظهور الشيب ذُرْأَة ، والحرث : الزرع ، والأنعام : الإبل والبقر والغنم ، مأخوذ من نعمة الوطء .

وهذا إخبار منه عن كفار قريش ومن تابعهم من مشركي العرب ، كانوا يجعلون لله في زروعهم ومواشيهم نصيباً ، ولأوثانهم وأصنامهم نصيباً ، فجعل الله أوثانهم شركاءهم؛ لأنهم قد أشركوهم في أموالهم بالنصيب الذي قد جعلوه فيها لهم ، ونصيبهم في الزرع جزء منها يجعلونه مصروفاً في النفقة عليها وعلى خدامها .

وفي نصيبهم من الأنعام ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه كنصيبهم من الزرع مصروف في النفقة عليها وعلى خدامها .

والثاني : أنه قربان لأوثانهم كانوا يتقربون به إليها .

والثالث : أنه البحيرة ، والسائبة ، والوصيلة ، والحام .

ثم قال تعالى : { فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ }

فاختلف أهل التأويل في المراد بذلك على أربعة أوجه :

أحدها : أنه كان إذا اختلط بأموالهم شيء مما جعلوه لأوثانهم ، ردوه ، وإذا اختلط بها ما جعلوه لله لم يردوه ، قاله ابن عباس ، وقتادة .

والثاني : أنه كان إذا هلك ما لأوثانهم غرموه ، وإذا هلك ما لله لم يغرموه ، قاله الحسن ، والسدي .

والثالث : أنهم كانوا يصرفون بعض ما جعلوه لله في النفقة على أوثانهم ولا يفعلون مثل ذلك فيما جعلوه لأوثانهم ، قاله بعض المتأخرين .

والرابع : أن كل شيء جعلوه لله من ذبائحهم لم يأكلوه حتى يذكروا عليه اسم أوثانهم ، ولا يذكرون اسم الله فيما جعلوه لأوثانهم ، قاله ابن زيد .

(446/1)

وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (137)

قوله عز وجل : { وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ } أما شركاؤهم ها هنا ففيهم أربعة أقاويل :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدها : الشياطين ، قاله الحسن ، ومجاهد ، والسدي .

والثاني : أنهم قوم كانوا يخدمون الأوثان ، قاله الفراء ، والزجاج .

والثالث : أنهم الغواة من الناس .

وفي الذي زينوه لهم من قتل أولادهم قولان :

أحدهما : أنه كان أحدهم يحلف إن وُلِدَ له كذا وكذا غلام ان ينحر أحدهم كما حلف عبد المطلب في نحر ابنه عبد الله ، قاله الكلبي .

والثاني : أنه وَأْدُ البنات أحياءً خِيْفَةَ الفقر ، قاله مجاهد .

{ لِيُرْدُوهُمْ } أي ليهلكوهم ، ومنه قوله تعالى : { وَمَا يُغْنِي عَنهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى } [الليل : 11] يعني إذا هلك .

وفي ذلك وجهان : أحدهما : أنهم قصدوا أن يردوهم بذلك كما قصدوا إغواءَهم .

والثاني : أنهم لم يقصدوا ذلك وإنما آلَ إليه فصارت .

هذه لام العاقبة كقوله : { فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرعَونَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً } [القصص : 8] لأن عاقبته صارت كذلك وإن لم يقصدوها .

(447/1)

وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (138)

قوله عز وجل : { وَقَالُوا هَذِهِ أَنعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ } أي ومنه قوله تعالى : { وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً } [الفرقان : 22] أي حراماً ، قال الشاعر :

قبت مرتفقاً والعين ساهرة ... كأن نومي عليَّ الليل محجور

{ لاَّ يَطْعَمُهَآ إِلاَّ مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ } قال الكلبي : جعلوها للرجال دون النساء .

وفي الأنعام والحرث التي قالوا إنه لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم قولان .

أحدهما : أن الأنعام التي يحكمون فيها بهذا الحكم عندهم هي البَحِيْرَةِ والحام خاصة ، والحرث ما جعلوه لأوثانهم ، قاله الحسن ، ومجاهد .

والثاني : أن الأنعام هي ذبائح الأوثان ، والحرث ما جعلوه لها .

ثم قال تعالى : { وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا } فيها قولان :

أحدهما : أنها السائبة .

والثاني : أنها التي لا يحجون عليها ، قاله أبو وائل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ وَأَنْعَامٌ لاَّ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا } وهي قربان أوثانهم يذكرون عليها اسم الأوثان ، ولا يذكرون عليها اسم الله تعالى .

{ افْتِرَآءً عَلَيْهِ } أي على الله وفيه قولان :

أحدهما : أن إضافتهم ذلك إلى الله هو الافتراء عليه .

والثاني : أن ذكرهم أسماء أوثانهم عند الذبيحة بدلاً من اسم الله هو الافتراء عليه .

(448/1)

وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (139) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (140)

{ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا } ، قرأ الأعمش { خَالِصٌ } ، وفي { خَالِصَةٌ } وفي { خَالِصٌ } وجهان :

أحدهما : أن { خَالِصَةٌ } أبلغ من { خَالِصٌ } وإن كانت في معناه فدخلت الهاء للمبالغة كقولهم : علاَّمة ، ونسَّابة ، قاله الكسائي .

والثاني : أن دخول الهاء يوجب عوده إلى الأنعام لتأنيثها ، وحذف الهاء ، يوجب عوده إلى ما في بطونها لتذكيره ، قاله الفراء .

وفي ذلك ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن ما في بطونها الأجنة ، قاله : مجاهد .

والثاني : الألبان ، قاله قتادة .

والثالث : الجميع : الأجنة والألبان ، قاله مقاتل .

وفي جعلهم ذلك لذكورهم دون إناثهم وأزواجهم قولان :

أحدهما : لأن الذكور هم خدام الأوثان .

والثاني : تفضيلاً للذكور على الإناث .

وأصل الذكور من الذِّكْر ، وفي أخذه من الذِّكْر وجهان :

أحدهما : لأنه المذكور بين الناس فكان أنبه ذِكْراً من الأنثى .

والثاني : لأنه أشرف ، والذِّكْر هو الشرف ، قاله الله تعالى : { وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ } [الزخرف : 44] أي شرف .

(449/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (141) وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (142)

قوله عز وجل : { وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ . . . } أما الجنات فهي البساتين يحفها الشجر ، وأما الروضة فهي الخضراء بالنبات ، وأما الزهرة فهي باختلاف الألوان الحسنة .

وفي قوله : { مَعْرُوشَاتٍ } أربعة أقاويل :

أحدها : أنه تعريش الناس الكروم وغيرها ، بأن ترفع أغصانها ، قاله ابن عباس ، والسدي .

والثاني : أن تعريشها هو رفع حظارها وحيطانها .

والثالث : أنها المرتفعة عن الأرض لعلو شجرها ، فلا يقع ثمرها على الأرض ، لأن أصله الارتفاع ولذلك سُمِّيَ السرير عرشاً لارتفاعه ، ومنه قوله تعالى : { خاوية على عروشها } [الكهف : 42] و [الحج : 45] أي على أعاليها وما ارتفع منها .

والرابع : أن المعروشات ما عرشه الناس ، وغير المعروشات ما نبت في البراري والجبال .

{ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ } وإنما قدم ذكر الأكل لأمرين :

أحدهما : تسهيلاً لإيتاء حقه .

والثاني : تغليباً لحقهم وافتتاحاً بنفعهم بأموالهم .

وفي قوله : { وَءَاتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ } ثلاثة أقاويل :

أحدها : الصدقة المفروضة فيه : العُشْر فيما سقي بغير آلة ، ونصف العشر فيما سقي بآلة ، وهذا قول الجمهور .

والثاني : أنها صدقة غير الزكاة ، مفروضة يوم الحصاد والصرام وهي إطعام من حضر وترك ما تساقط من الزرع والثمر ، قاله عطاء ومجاهد .

والثالث : أن هذا كان مفروضاً قبل الزكاة ثم نسخ بها ، قاله ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم .

{ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } فيه خمسة أقاويل :

أحدها : أن هذا الإسراف المنهي عنه هو أن يتجاوز رب المال إخراج القدر المفروض عليه إلى زيادة تجحف به ، قاله أبو العالية ، وابن جريج .

وقد روى سعد بن سنان عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المُعْتَدِي فِي

This file was downloaded from QuranicThought.com

الصَّدَقَةِ كَمَانِعِهَا » وقيل : إنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقد تصدق بجميع ثمرته حتى لم يبق فيها ما يأكله .

والثاني : هو أن يأخذ السلطان منه فوق الواجب عليه ، قاله ابن زيد .

والثالث : هو أن يمنع رب المال من دفع القدر الواجب عليه ، قاله سعيد بن والمسيب .

والرابع : أن المراد بهذا السرف ما كانوا يشركون آلهتهم فيه من الحرث والأنعام ، قاله الكلبي .

والخامس : هو أن يسرف في الأكل منها قبل أن يؤدي زكاتها ، قاله ابن بحر .

قوله عز وجل : { وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الحمولة كبار الإبل التي يُحْمَلُ عليها ، والفرش صغارها التي لا يحمل عليها ، مأخوذ من افتراش الأرض بها على الاستواء كالفرش .

وقال ابن بحر الافتراش الإضجاع للنحر ، فتكون الحمولة كبارها ، والفرش صغارها ، قال الراجز :

أورثني حمولة وفرشا ... أمسّها في كل يوم مسّا

أي أمسحها ، قاله ابن مسعود ، والحسن ، ومجاهد .

(450/1)

والثاني : أن الحَمُولة ما حُمِلَ عليه من الإبل والبقر ، والفرش : الغنم ، قاله ابن عباس ، وقتادة ، ومنه قول ابن مسلمة :

وحوينا الفرش من أنعامكم ... والحمولات وربات الحجل

والثالث : أن الحملة ما حمل من الإبل ، والبقر ، والخيل ، والبغال ، الحمير ، والفرش ما خلق لهم من أصوافها وجلودها .

{ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ } يحتمل وجهين :

أحدهما : من الحمولة ليبين أن الانتفاع بظهرها لا يمنع من جواز أكلها .

والثاني : أنه إذن منه في عموم أكل المباح من أموالهم ، ونهى عن أكل ما لا يملكونه .

{ وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ } فيها قولان :

أحدهما : أنها طريقه التي يدعوكم إليها من كفر وضلال .

والثاني : أنها تخطيه إلى تحريم الحلال وتحريم الحرام ، وقد ذكرنا ما في ذلك من زيادة التأول ومن الاحتمال ، وأنه الانتقال من معصية إلى أخرى حتى يستوعب جميع المعاصي ، مأخوذ من خطو القدم : انتقالها من مكان إلى مكان .

{ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ } فيه قولان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحدهما : أنه ما بان لكم من عداوته لأبيكم آدم .

والثاني : ما بان لكم من عداوته لأوليائه من الشياطين ، قاله الحسن .

ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (143) وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (144)

قوله عز وجل : { ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ } أما الزوج فاسم ينطلق على الواحد وعلى الاثنين ، يقال للاثنين زوج ، ويقال للواحد زوج لأنه لا يكون زوجاً إلا ومعه آخر له مثل اسمه ، قال لبيد :

من كل محفوف يظل عصيه ... زوج عليه كلة وقرامها

فلذلك قال : { ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ } لأنها ثمانية آحاد .

ثم فسرها فقال : { مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ } يعني ذكراً وأنثى .

{ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ } يعني ذكراً وأنثى .

{ قُلْ ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ } إبطالاً لما حرمته الجاهلية منها في البحيرة ، والسائبة ، والوصيلة ، والحام .

{ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ } يعني قولهم : { مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَرْحَامِ خالصةً لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا } .

ثم قال تعالى : { وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ } يريد به ما أراده في الضأن والمعز وأن هذه الثمانية أزواج حلال لا يحرم منها شيء بتحريمكم .

حكى أبو صالح عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتاه عوف بن مالك ، فقال له : أَحَلَّلْتَ ما حرمه أباؤنا ، يعني من البحيرة ، والسائبة ، والوصيلة ، والحام ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وقال : { ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ } فسكت عوف لظهور الحجة عليه .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (145)

قوله عز وجل : { قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً } يعني أن ما حرموه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام لم يحرمه الله تعالى ولا أوحى إليَّ بتحريمه ، ثم بيَّن المحرَّم على وجه الاستثناء لأن نفي التحريم خرج مخرج العموم ، فقال : { إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً } وهي التي خرجت روحها بغير ذكاة .

{ أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً } يعني مهراقاً مصبوباً ومنه سمي الزنا سفاحاً لصب الماء فيه ضائعاً ، وقال طرفة بن العبد :

إني وجدِّك ما هجوتك والأن ... صاب يسفح فوقهن دم

فأما الدم غير مسفوح فإن كان ذا عروق يجمد عليها كالكبد والطحال فهو حلال لقوله صلى الله عليه وسلم : « أُحِلَّتْ لَنَا مِيْتَتَانِ وَدَمَانِ ، فَالمِيْتَتَانِ : الحُوتُ وَالجَرَادُ ، وَالدَّمَانِ : الكَبِدُ وَالطُّحَالُ » . وإن كان غير ذي عروق يجمد عليها وإنما هو مع اللحم وفيه ، ففي تحريمه قولان :

أحدهما : لا يحرم لتخصيص التحريم بالمسفوح ، وهو قول عائشة ، وعكرمة ، وقتادة ، قال عكرمة : لولا هذه الآية لتتبع المسلمون عروق اللحم كما تتبعها اليهود .

والثاني : أنه حرام لأنه من جملة المسفوح وبعضه ، وإنما ذكر المسفوح لاستثناء الكبد والطحال منه .

{ أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ } يعني نجساً حراماً .

{ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ } يعني ما ذبح للأوثان والأصنام ، سماه فسقاً لخروجه عن أمر الله .

فإن قيل : لم اقتصر هنا على تحريم هذه الأربعة وقد ذكر في المائدة غيرها من المنخنقة والموقوذة والمتردية؟ قيل : لأن هذا كله من جملة الميتة فذكره هناك مفصلاً وها هنا في الجملة .

وفي هذه الآية قولان :

أحدهما : أنها مشتملة على جميع المحرمات فلا يحرم من الحيوان ما عدا هذا المذكور فيها ، وهذا قول ابن عباس ، وعائشة .

والثاني : أنا تشتمل على تحريم ما تضمنها وليست مستوعبة لجميع المحرمات لما جاءت به السنة من تحريم كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطير ، وهذا قول الجمهور .

(453/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (146)

قوله عز وجل : { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ } هذا التحريم على الذين هادوا إنما هو تكليف بلوى وعقوبة ، فأول ما ذكره من المحرمات عليهم { كُلَّ ذِي ظُفُرٍ } وفيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه ما ليس منفرج الأصابع كالإبل والنعام والأوز والبط ، قاله ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي .

والثاني : أنه عنى أنواع السباع كلها .

والثالث : أنه كل ذي مخلب من الطير ، وكل ذي حافر من الدواب .

ثم قال : { وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها شحوم الثّرْب خاصة ، قاله قتادة .

والثاني : أنه كل شحم لم يكن مختلطاً بعظم ولا على عظم ، قاله ابن جريج .

والثالث : أنه شحم الثرب والكلى ، قاله السدي وابن زيد .

ثم قال : { إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا } يعني شحم الجنب وما علق بالظهر فإنه لم يحرم عليهم .

ثم قال : { أَوْ الْحَوَايَآ } وفيها أربعة تأويلات :

أحدها : أنها المباعر ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، ومجاهد ، والسدي .

والثاني : أنها بنات اللبن ، قاله عبد الرحمن بن زيد .

والثالث : أنها الأمعاء التي عليها الشحم من داخلها ، قاله بعض المتأخرين .

والرابع : أنها كل ما تحوّى في البطن واجتمع واستدار ، قاله علي بن عيسى .

{ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ } فيه قولان :

أحدهما : أنه شحم الجنب .

والثاني : أنه شحم الجنب والأليه ، لأنه على العصعص ، قاله ابن جريج ، والسدي .

{ ذَالِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ } يحتمل وجهين :

أحدهما : ببغيهم على موسى عليه السلام فيما اقترحوه وعلى ما خالفوه .

والثاني : ببغيهم على أنفسهم في الحلال الذي حرموه .

{ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ } فيما حكاه عنهم وحرمه عليهم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (147) سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا
لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ
هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (148) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ
الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (149) قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا
فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (150)
قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ
نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا
بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151)

قوله عز وجل : { قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمُ عَلَيْكُمُ } وهذا أمر من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ، أن يدعو الناس إليه ليتلو عليهم ما حرمه الله عليهم ، وما أحله لهم ليقلعوا عما كانت الجاهلية عليه من تحريم المباح وإباحة الحرام .

والتلاوة : هي القراءة ، والفرق بين التلاوة والمتلو ، والقراءة والمقروء أن التلاوة والقراءة للمرة الأولى ، والمتلو والمقروء للثانية وما بعدها ، ذكره علي بن عيسى ، والذي أراه من الفرق بينهما أن التلاوة والقراءة يتناول اللفظ ، والمتلو والمقروء يتناول الملفوظ .

ثم إن الله أخذ فيا حرم فقال : { أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً } يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : ألا تشركوا بعبادته عبادة غيره من شيطان أو وثن .

والثالث : أن يحمل الأمرين معاً .

ثم قال : { وَبِالْوَالِدَينَ إِحْسَاناً } تقديره : وأوصيكم بالوالدين إحساناً ، والإحسان تأدية حقوقهما ومجانبة عقوقهما والمحافظة على برهما .

{ وَلاَ تَقْتُلُوْاْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقَكُمْ وَإِيَّاهُمْ } وذلك أنهم كانوا في الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الإملاق .

وفي الإملاق قولان :

أحدهما : أنه الإفلاس ، ومنه الملق لأنه اجتهاد المفلس في التقريب إلى الغنى طمعاً في تأجيله .

والثاني : أن الإملاق ومعناهما قريب وإن كان بينهما فرق ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة ، والسدي ، والضحاك ، وابن جريج .

ثم ذكر فساد اعتقادهم في الإملاق بأن قال : { نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ } لأن رزق العباد كلهم ، من كفيل ومكفول ، على خالقهم .

ثم قال : { وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ } وفيها أربعة تأويلات :

أحدها : أن ذلك عام في جميع الفواحش سرها وعلانيتها ، قاله قتادة .

والثاني : أنه خاص في الزنى ، ما ظهر منها : ذوات الحوانيت ، وما بطن : ذوات الاستسرار ،

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قاله ابن عباس ، والحسن ، والسدي .

والثالث : ما ظهر منها : نكاح المحرمات ، وما بطن : الزنى ، قاله مجاهد ، وابن جبير .

والرابع : أن ما ظهر منها : الخمر ، وما بطن منها : الزنى ، قاله الضحاك .

وقد ذكرنا فيه احتمال تأويل خامس : أن ما ظهر منها أفعال الجوارح ، وما بطن منها اعتقاد القلوب .

ثم قال : { وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إلاَّ بِالْحَقِّ } والنفوس المحرمة : نفس مسلم ، أو معاهد ، والحق الذي تقتل به النفس ما بيّنه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ إلاَّ بِإحْدَى ثَلاَثٍ : كُفْرٌ بَعْدَ إيمَانٍ ، أَوْزِنًى بَعْدَ إحْصَانٍ ، أَوْ قَتْلُ نَفْسٍ بِغَيْرِ نَفْسٍ » . ثم قال : { ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ } يعني أن الله وصى عباده بذلك ، ووصية الله واجبة .

ثم قال : { لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : تعقلون تحريم ذلك عليكم وتعلمونه .

والثاني : تعملون عمل من يعقل وهو ترك ما أوجب العقاب من هذه المحرمات .

(455/1)

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (152) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153)

قوله عز وجل : { وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } إنما خص مال اليتيم بالذكر وإن كان مال غيره في التحريم بمثابته ، لأن الطمع فيه لقلة مراعيه أقوى ، فكان بالذكر أولى .

وفي قوله : { إلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } أربعة تأويلات :

أحدها : حفظ ماله عليه إلى أن يكبر ليتسلمه ، قاله الكلبي .

والثاني : أن ذلك هو التجارة به ، قاله مجاهد .

والثالث : هو ألا يأخذ من الربح إذا اتجر له بالمال شيئاً ، قاله الضحاك .

والرابع : هو أن يأكل الولي بالمعروف من ماله إن افتقر ، ويترك إن استغنى ، ولا يتعدى من الأكل إلى الباس ولا غيره ، قاله ابن زيد .

ويحتمل خامساً : أن التي هي أحسن : حفظ أصوله وتثمير فروعه .

ثم قال : { حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ } والأشد القوة والشباب .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وفي حدها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الحلم حين تكتب له الحسنات وعليه السيئات ، قاله ربيعة ، وزيد بن أسلم ، ومالك .

والثاني : أن الأَشُد ثلاثون سنة ، قاله السدي .

والثالث : أن الأشد ثماني عشرة سنة ، ذكره علي بن عيسى وفيه وجوه أُخَر نذكرها من بعد .

ثم قال تعالى : { وَأَوْفُواْ الْكَيلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ } يعني بالعدل ، أمر في مال البائع من تأدية بمثل ما أُمِر به في مال اليتيم .

ثم قال : { لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا } يعني أنه لما كان العدل في الوزن والكيل مستحقاً ، وكان تحديد أقل القليل متعذراً ، كان ذلك عفواً ، لأنه لا يدخل في الوسع فلم يكلفه .

ثم قال : { وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى } يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : إذا حكمتم فأنصفوا .

الثاني : إذا شهدتم فاصدقوا .

الثالث : إذا توسطتم فلا تميلوا .

ثَمَ قال : { وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُواْ } فيه قولان :

أحدهما : أن عهد الله كل ما أوجبه الإنسان على نفسه من نذر وغيره .

الثاني : أنه الحلف بالله أن يلزم الوفاء به إلا في معصية .

{ ذَالِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ } فيه وجهان :

أحدهما : أنه راجع إلى الذين هادوا وما أوصاهم به في التوراة .

والثاني : أنه راجع إلى المسلمين وما وصاهم به في القرآن .

قوله عز وجل : { وَ◌َأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ } فيه قولان :

أحدهما : القرآن .

والثاني : الشرع وسُمِّيَ ذلك صراطاً ، والصراط هو الطريق لأنه يؤدي إلى الجنة فصار طريقاً إليها .

{ فَاتَّبِعُوهُ } يعني في العمل به .

{ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : ما تقدم من الكتب المنزلة نسخها بالقرآن ، وهو محتمل .

والثاني : ما تقدم من الأديان المتقدمة نسخها بالإسلام وهو محتمل .

والثالث : البدع والشبهات .

{ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ } يعني عن طريق دينه .

ويحتمل وجهاً ثانياً : أن يكون سبيله نصرة دينه وجهاد أعدائه ، فنهى عن التفرق وأمر بالأجتماع .

This file was downloaded from QuranicThought.com

ثُمَّ آَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (154) وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (155)

قوله عز وجل : { ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ }

وفي قوله : { تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ } خمسة أقاويل :

أحدها : تماماً على إحسان موسى بطاعته ، قاله الربيع ، والفراء .

والثاني : تماماً على المحسنين ، قاله مجاهد ، وكان ابن مسعود . يقرأ : { تَمَاماً عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنُوْا } .

والثالث : تماماً على إحسان الله إلى أنبيائه ، قاله ابن زيد .

والرابع : تماماً لكرامته في الجنة على إحسانه في الدنيا ، قاله الحسن وقتادة .

والخامس : تماماً لنعمة الله على إبراهيم لأنه من ولده ، قاله ابن بحر .

(457/1)

أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (156) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآَيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آَيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (157) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آَيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آَيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (158)

قوله عز وجل : { هَلْ يَنظُرُونَ إِلاّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلاَئِكَةُ } فيه وجهان :

أحدهما : هل ينتظرون إلا أن تأتيهم الملائكة رسلاً ، يعني الكفار الذين يتوقفون عن الإيمان مع ظهور الدلائل .

والثاني : هي ينظرون يعني في حُجَج الله ودلائله إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم ، قاله جويبر .

{ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ } فيه وجهان :

أحدهما : أمر ربك بالعذاب ، قاله الحسن .

والثاني : قضاء ربك في القيامة ، قاله مجاهد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ } فيه قولان :

أحدهما : أنه طلوع الشمس من مغربها ، قاله مجاهد ، وقتادة ، والسدي ، قال ابن مسعود : مع القمر في وقت واحد وقرأ : { وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ } [القيامة : 9] .

والثاني : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض ، قاله أبو هريرة .

{ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ . . . } في أول آيات الساعة وآخرها قولان :

أحدهما : أن أولها الدجال ، ثم الدخان ، ثم يأجوج ومأجوج ، ثم الدابة ، ثم طلوع الشمس من مغربها ، { لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ } هذا قول معاذ بن جبل .

والثاني : أن أولها خروج الدجال ، ثم خروج يأجوج ومأجوج ، ثم طلوع الشمس من مغربها { لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مَن قَبْلُ } ثم خروج الدابة ، وهذا قول حذيفة بن اليمان ورواه مرفوعاً .

ثم اختلفوا في ألا ينفعها إيمانها بظهور أول الآيات أو بظهور آخرها على قولين :

أحدهما : إذا خرج أول الآيات ، طرحت الأقلام ، وجلست الحفظة ، وشهدت الأجساد على الأعمال .

والقول الثاني : أن ذلك يكون بخروج آخر الآيات ليكون لنا فيها أثر في الإنذار .

ثم قال : { أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً } أما إيمانها قبل هذه الآيات فمُعْتَدٌّ به ، وأما بعدها فإن لم تكسب فيه خيراً لم يُعْتَدّ به ، وإن كسبت فيه خيراً ففي الاعتداد به قولان :

أحدهما : يُعْتَدُّ به ، وهو ظاهر الآية أن يكون قبل الآيات أو بعده .

والثاني : لا يُعْتَدُّ به ، ويكون معناه : لم تكن آمنت من قبل وكسب في إيمانها خيراً ، وهذا قول السدي .

وفي الخير الذي تكسبه وجهان :

أحدهما : تأدية الفروض على أكمل أحوالها .

والثاني : التطوع بالنوافل بعد الفروض .

روى مجاهد عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بَابُ التَّوْبَةِ مَفْتُوحُ مِن قِبَلِ المَغْرِبِ ، فَالتَّوْبَةُ مَقْبَولَةٌ إلاَّ مِنْ ثَلاثَةٍ : مِنْ إبْلِيس رَأْسِ الكُفْرِ ، وَمِنْ قَابِيل قَاتِلِ هَابِيلَ ، وَمَنْ قَتَلَ نَبِيًّا لاَ تَوْبَةَ لَهُ ، فَإِذَا طَلَعَت الشَّمْسُ مِن ذَلِكَ البَابِ كَالعَكَرِ الأَسْوَدِ لاَ نورَ لَهَا حَتَّى تَتَوَسَّطَ السَّماءَ ثُمَّ تَرْجِعُ فَيُغْلَقَ البَابُ وَتُرَدُّ التَّوبَةُ فَلاَ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُن ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيراً ، ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى مَشَارِقِهَا ، فَتَطْلُعُ بَعْدَ ذلِكَ عِشْرِينَ وَمِائَة سَنَة إِلاَّ أَنَّهَا سُنُونَ تَمُرُّ مَراً » .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (159)

قوله عز وجل : { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمُ وَكَانُواْ شِيَعاً } فيهم أربعة أقاويل :

أحدها : أنهم اليهود خاصة ، قاله مجاهد .

والثاني : اليهود والنصارى ، قاله قتادة .

والثالث : أنهم جميع المشركين ، قاله الحسن .

والرابع : أهل الضلالة من هذه الأمة ، قاله أبو هريرة .

وفي تفريقهم الذي فرقوه قولان :

أحدهما : أنه الدين الذي أمر الله به ، فرقوه لاختلافهم فيه باتباع الشبهات .

والثاني : أنه الكفر الذي كانوا يعتقدونه ديناً لهم .

ومعنى قوله : { وَكَانُواْ شيَعاً } يعني فرقاً .

ويحتمل وجهاً آخر : أن يكون الشيع المتفقين على مشايعة بعضهم لبعض ، وهو الأشبه ، لأنهم يتمالأون على أمر واحد مع اختلافهم في غيره .

وفي أصله وجهان :

أحدهما : أصله الظهور ، من قولهم شاع الخبر إذا ظهر .

والثاني : أصله الاتباع ، من قولهم شايعه على الأمر إذا اتبعه ، قاله الزجاج .

ثم قال تعالى : { لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ } فيه قولان :

أحدهما : لست من قتالهم في شيء ، ثم نسخها بسورة التوبة ، قاله الكلبي .

والثاني : لست من مخالطتهم في شيء ، نَهْيٌ لنبيه صلى الله عليه وسلم عن مقاربتهم ، وأمر له بمباعدتهم ، قاله قتادة ، كما قال النابغة :

إذا حاولت في أسد فجوراً ... فإني لست منك ولست مني .

(459/1)

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (160)

قوله عز وجل : { مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا } في الحسنة والسيئة هنا قولان :

أحدهما : أن الحسنة الإيمان ، والسيئة الكفر ، قاله أبو صالح .

والثاني : أنه على العموم في الحسنات والسيئات أن جعل جزاء الحسنة عشر أمثالها تفضلاً ، وجعل

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

جزاء السيئة مثلها عدلاً ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَبْعَدَ اللَّهُ مَنْ غَلَبَتْ وَاحِدَتُهُ عَشْراً » . ثم في ذلك قولان :

أحدهما : أنه عام في جميع الناس .

والثاني : أنه خاص في الأعراب إذا جاء أحدهم بحسنة فله عشر أمثالها ، فأما غيرهم من المهاجرين فلمن جاء منهم بحسنة سبعمائة ، قاله ابن عمر ، وأبو سعيد الخدري .

فأما مضاعفة الحسنة بعشر أمثالها فلأن الله فرض عُشْر أموالهم ، وكانوا يصومون في كل شهر ثلاثة أيام وهي البيض منه ، فكان آخر العُشْر من المال آخر جميع المال ، وآخر الثلاثة الأيام آخر جميع الشهر .

وأما مضاعفة ذلك بسبعمائة ضعف فلقوله تعالى : { مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَآءُ } [البقرة : 261] ، فضاعف الله الحسنة بسبعمائة ضعف ، وكان الحسن البصري يقرأ : { فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالُهَا } بالتنوين ، وَوَجْهُهُ في العربية صحيح .

وحكى ابن بحر في الآية تأويلاً يخرج عن عموم الظاهر ، وهو أن الحسنة اسم عام يطلق على كل نوع من الإيمان وينطلق على عمومه ، فإن انطلقت الحسنة على نوع واحد منه ، فليس له عليها من الثواب إلا مثل واحد ، وإن انطلقت على حسنة تشتمل على نوعين ، كان الثواب عليها مثلين كقوله : { اتَّقُواْ اللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُم كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ } [الحديد : 28] ، والكفل : النصيب كالمثل ، فجعل لمن اتقى وآمن بالرسول نصيبين ، نصيباً لتقوى الله ، ونصيباً لإيمانه برسوله ، فدل على أن الحسنة التي جعلت لها عشر أمثالها هي التي جمعت عشرة أنواع من الحسنات ، وهو الإيمان الذي جمع الله في صفته عشرة أنواع بقوله : { إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } إلى قوله : { وَأَجْراً عَظِيماً } [الاحزاب : 35] ، فكانت هذه الأنواع العشرة التي ثوابها عشرة أمثالها ، فيكون لكل نوع منها مثل ، وهذا تأويل فاسد ، لخروجه عن عموم الظاهر ، لما لا يحتمله تخصيص العموم ، لأن ما جمع عشرة أنواع فهو عشر حسنات ، فليس يجزي عن حسنة إلا مثلها ، وبطل أن يكون جزاء الحسنة عشر أمثالها .

وذكر بعض المفسرين تأويلاً ثالثاً : أن له عشر أمثالها في النعيم والزيادة لا في عظيم المنزلة ، لأن منزلة التعظيم لا تنال إلا بالطاعة ، وهذه مضاعفة تفضيل كما قال : { لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ } [فاطر : 30] .

(460/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (161)
قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ
الْمُسْلِمِينَ (163)

قوله عز وجل : { قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } هذا أمر من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يذكر للناس حال عبادته ومن له الأمر في حياته ومماته .

فقال { إِنَّ صَلاَتِي } وهي الصلاة المشروعة ذات الركوع والسجود المشتملة على التذلل والخضوع لله تعالى دون غيره من وثن أو بشر .

ثم قال : { وَنُسُكِي } وفيه هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الذبيحة في الحج والعمرة ، قاله سعيد بن جبير ، ومجاهد وقتادة والسدي والضحاك .

والثاني : معناه ديني ، قاله الحسن .

والثالث : معناه عبادتي ، قاله الزجاج ، من قولهم فلان ناسك أي عابد ، والفرق بين الدين والعبادة : أن الدين اعتقاد ، والعبادة عمل .

قوله تعالى : { وَمَحيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : أن حياته ومماته بيد الله تعالى لا يملك غيره له حياة ولا موتاً ، فلذلك كان له مصلياً وناسكاً .

والثاني : أن حياته لله في اختصاصها بطاعته ، ومماته له في رجوعه إلى مجازاته .

ووجدت فيها وجهاً ثالثاً : أن عملي في حياتي ووصيتي عند مماتي لله .

ثم قال : { رَبِّ الْعَالَمِينَ } صفة الله تعالى أنه مالك العالم دون غيره ، فلذلك كان أحق بالطاعة والتعبد من غيره .

ثم قال تعالى : { لاَ شَرِيكَ لَهُ } يحتمل وجهين :

أحدهما : لا شريك له في ملك العالمين .

والثاني : لا شريك له في العبادة .

{ وَبِذَالِكَ أُمِرْتُ } يعني ما قدم ذكره .

{ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ } يعني من هذه الأمة حثّاً على اتباعه والمسارعة بالإسلام .

(461/1)

قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ
إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (164)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قوله عز وجل : { قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ } وسبب [نزول] ذلك أن كفار قريش دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملة آبائه في عبادة اللات والعزى ، وقالوا : يا محمد إن كان وزراً فهو علينا دونك ، فنزلت هذه الآية عليه .

{ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا } يعني إلا عليها عقاب معصيتها ولها ثواب طاعتها .

{ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } أي لا يتحمل أحد ذنب غيره فيأثم به ويعاقب عليه ، ولا يحمل ذنبه غيره ، فيبرأ منه ويسلم من عقابه .

وفي أصل الوزر وجهان :

أحدهما : أصله الثقل ، من قوله : { وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ } [الشرح : 2-3] ومنه سمي وزير الملك لتحمله القل عنه .

والثاني : أن أصله الملجأ من قوله : { كَلاَّ لاَ وَزَرَ } [القيامة : 11] ومنه سُمِّي وزير المَلِكِ لأنه يلجأ إليه في الأمور .

(462/1)

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آَتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (165)

قوله عز وجل : { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلآئِفَ الأَرْضِ } فيه أربعة أوجه :

أحدها : أنه جعلهم خلفاً من الجان سكاناً للأرض ، قاله ابن عباس .

والثاني : أن أهل كل عصر يخلف أهل العصر الذي قبله ، كلما مضى أهل عصر خلفه أهل عصر بعده على انتظام ، حتى تقوم الساعة على العصر الأخير فلا يخلق عصر ، فصارت هذه الأمة خلفاً للأمم الماضية .

والثالث : جعل بعضهم خليفة لبعض ليتآلفوا بالتعاون .

والرابع : لأنهم آخر الأمم وكانوا خلفاً لمن تقدمهم ، قال الشماخ :

تصيبكم وتخطئني المنايا ... وأخلق في ربوع عن ربوع

{ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ } يعني ما خالف بينهم في الغنى بالمال وشرف الآباء وقوة الأجسام ، وهذا ، وإن ابتداه تفضلاً من غير جزاء ولا استحقاق ، لحكمة منه تضمنت ترغيباً في الأعلى وترهيباً من الأدنى ، لتدم له الرغبة والرهبة .

وقد نبه على ذلك بقوله : { لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا ءَاتَاكُمْ } يعني من الغنى والقوة وفيه وجهان :

أحدهما : ليختبركم بالاعتراف .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ } فإن قيل : فكيف جعله سريعاً وهو في الآخرة؟ فعنه ثلاثة أجوبة :

أحدها : أن كل آت قريب ، كقوله : { وَمَا أَمْرُ الْسَّاعِةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ } [النحل : 77] .

والثاني : إن ربك سريع العقاب في الدنيا لمن استحق منه تعجيل العقاب فيها .

والثالث : أنه إذا شاء عاقب ، فصار عقابه سريعاً لأنه يقترن بمشيئته ، وهذ قول ابن بحر .

{ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } جمعاً منه بين ما يقتضي الرهبة من سرعة العقاب وبين ما يقتضي الرغبة من الغفران والرحمة ، لأن الجمع بين الرغبة والرهبة أبلغ في الانقياد إلى الطاعة والإقلاع عن المعصية ، والله عز وجل أعلم .

(463/1)

المص (1) كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (2) اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (3)

قوله عز وجل : { المص } فيه لأهل التأويل تسعة أقاويل :

أحدها : معناه : أنا الله أُفَضِّل ، قاله ابن عباس ، وسعيد بن جبير .

والثاني : أنه [حرف] هجاء [من] المصور ، قاله السدي .

والثالث : أنه اسم السورة من أسماء القرآن ، قاله قتادة .

والرابع : أنه اسم السورة مفتاح لها ، قاله الحسن .

والخامس : أنه اختصار من كلام يفهمه النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً .

والسادس : هي حروف هجاء مقطعة نبه بها على إعجاز القرآن .

والسابع : هي من حساب الجمل المعدود استأثر الله بعلمه .

والثامن : هي حروف تحوي معاني كثيرة دل الله تعالى خلقه بها على مراده من كل ذلك .

والتاسع : هي حروف اسم الله الأعظم .

ويحتمل عندي قولاً عاشراً : أن يكون المراد به : المصير إلى كتاب أنزل إليك من ربك ، فحذف باقي الكلمة ترخيماً وعبر عنه بحروف الهجاء لأنها تذهب بالسامع كل مذهب ، وللعرب في الاقتصار على الحروف مذهب كما قال الشاعر :

قلت لها قفي فقالت قاف ... .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أي وقفت .

قوله عز وجل { كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ } يعني القرآن .

{ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ } وفي الحرج ها هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الضيق ، قاله الحسن ، وهو أصله .

قال الشماخ بن ضرار :

ولو ردت المعروف عندي رددتها ... لحاجة لا العالي ولا المتحرج

ويكون معناه : فلا يضيق صدرك خوفاً ألا تقوم بحقه .

والثاني : أن الحرج هنا الشك ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي . قال الراجز :

آليت لولا حرج يعروني ... ما جئت أغزوك ولا تغزوني

ومعناه : فلا تشك فيما يلزمك فيه فإنما أنزل إليك لتنذر به .

والثالث : فلا يضيق صدرك بأن يكذبوك ، قاله الفراء .

ثم قال : { لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ } فجعله إنذاراً للكافرين وذكرى للمؤمنين ليعود نفعه على الفريقين .

(464/1)

وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ (4) فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (5) فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (6) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ (7)

قوله عز وجل : { وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا } الآية ، هذا إخبار من الله تعالى عن حال من أهلكه بكفر تحذيراً للمخاطبين به عن مثله ، وقوله : { وَكَم } هي كلمة توضع للتكثير ، « ورُب » موضوعة للتقليل ، وذلك هو الفرق بين كم ورب .

قال الفرزدق :

كم عمة لك يا جرير وخالة ... فدعاء قد حلبت على عشاري

فدل ذلك على تكثير العمات والخالات :

وفي قوله : { أَهْلَكْنَاهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً } وإنما الهلاك بعد مجيء البأس أربعة أوجه :

أحدها : معناه أهلكناها حكماً فجاءها بأسنا فعلاً .

والثاني : أهلكناها بإرسال الملائكة إليها بالعذاب فجاءها بأسنا بوقوع العذاب لهم .

والثالث : أهلكناها بخذلاننا لها عن الطاعة فجاءها بأسنا عقوبة على المعصية .

This file was downloaded from QuranicThought.com

والرابع : أن البأس والهلاك وقعا معاً في حال واحدة ، لأن الهلاك كان بوقوع البأس فلم يفترقا ، وليس دخول الفاء بينهما موجبة لافتراقهما بل قد تكون بمعنى الواو كما يقال أعطيت وأحسنت ، فكان الإحسان بالعطاء ولم يكن بعد العطاء ، قاله الفراء .

وقوله : { بَيَاتاً } يعني في نوم الليل .

{ أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ } يعني في نوم النهار وقت القائلة .

فإن قيل : فلم جاءهم بالعذاب في وقت النوم دون اليقظة؟ قيل : لأمرين :

أحدهما : لأن العذاب في وقت الراحة أشد وأغلظ .

والثاني : لئلا يتحرزوا منه ويهربوا عنه ، لاستسلام النائم وتحرز المستيقظ ، والبأس : شدة العذاب ، والبؤس : شدة الفقر .

قوله عز وجل : { فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرسَلِينَ } فيه وجهان :

أحدهما : لنسألن الذين أرسل إليهم عن قبول الرسالة والقيام بشروطها ، ولنسألن المرسلين عن أداء الرسالة والأمانة فيها .

والثاني : لنسألن الذين أرسل إليهم عن حفظ حرمان الرسل ، ولنسألن المرسلين عن الشفقة على الأمم .

(465/1)

وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (8) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ (9)

قوله عز وجل : { وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الوزن ها هنا هو القضاء بالحق ، أي بالعدل ، قاله مجاهد .

والثاني : أنه موازنة الحسنات والسيئات بعلامات يراها الناس يوم القيامة .

والثالث : أنه موازنة الحسنات والسيئات بميزان له كفتان ، قاله الحسن وطائفة .

واختلف من قال بهذا في الذي يوزن على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الذي يوزن هوالحسنات والسيئات بوضع إحداهما في كفة والأخرى في كفة ، قاله الحسن والسدي .

والثاني : أن الذي يوزن صحائف الأعمال ، فأما الحسنات والسيئات فهي أعمال ، والوزن إنما يمكن في الأجسام ، قاله عبد الله بن عمر .

والثالث : أن الذي يوزن هو الإنسان ، قال عبيد بن عمير ، قال يؤتى بالرجل العظيم الجثة فلا يزن

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT
جناح بعوضة .
{ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } فيه ثلاثة أقاويل :
أحدها : معناه فمن قُضي له بالطاعة .
والثاني : معناه فمن كانت كفة حسناته أثقل من كفة سيئاته .
والثالث : معناه فمن زادت حسناته على سيئاته .
{ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } يعني بما لهم من الثوب ، وبضده إذا خفت .

(466/1)

وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (10)

قوله عز وجل : { وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ } فيه وجهان :
أحدهما : سهلنا عليكم التصرف فيها حتى وصلتم إلى مرادكم منها .
والثاني : ملكناكم إياها حتى صرتم أحق بها .
{ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ } فيه وجهان :
أحدهما : ما تعيشون به من نبات وحيوان .
والثاني : ما تتوصلون به إلى معايشكم فيها من زراعة أو عمل .

(467/1)

وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (11)

قوله عز وجل : { وَلَقَدْ خَلَقَنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ } فيه لأهل التأويل أربعة أقاويل :
أحدها : ولقد خلقناكم في أصلاب الرجال ثم صورناكم في أرحام النساء ، قاله عكرمة .
والثاني : ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم في ظهره ، قاله مجاهد .
والثالث : خلقناكم نطفاً في أصلاب الرجال وترائب النساء ، ثم صورناكم عند اجتماع النطفتين في الأرحام ، وهو معنى قول الكلبي .
والرابع : خلقناكم في بطون أمهاتكم ، ثم صورناكم فيها بعد الخلق بشق السمع والبصر ، قاله معمر .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لأَدَمَ } فإن قيل فالسجود عبادة لا تجوز إلا الله تعالى ، فكيف أمر به لآدم عليه السلام؟ قيل : فيه لأهل العلم قولان :

أحدهما : أنه أمرهم بالسجود له تكرمة وهو لله تعالى عبادة .

والثاني : أنه جعله قبلة سجودهم لله تعالى .

فإن قيل : فالأمر بالسجود لآدم قبل تصوير ذريته ، فكيف قال : { ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ } ؟

فعن ذلك ثلاثة أجوبة :

أحدها : أنه صورهم في صلب آدم ثم قال للملائكة : اسجدوا .

والثاني : معناه ثم صورناكم ثم أخبرناكم بِأَنَّا قلنا للملائكة : اسجدوا .

والثالث : اي في الكلام تقديماً وتأخيراً ، وتقديره : ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ثم صورناكم .

وفيه جواب رابع أنكره بعض النحويين وهو : أن { ثُمَّ } هنا بمعنى الواو ، قاله الأخفش .

(468/1)

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (12) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (13) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (14) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (15)

قوله عز وجل : { قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدهما : أنه أُهْبِط من السماء لأنه كان فيها ، قاله الحسن .

والثاني : من الجنة .

والثالث : أنه أهبط من المنزلة الرفيعة التي استحقها بطاعة الله إلى المنزلة الدَّنِيَّةِ التي استوجبها لمعصيته ، قاله ابن بحر .

{ فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا } وليس لأحد من المخلوقين أن يتكبر فيها ولا في غيرها ، وإنما المعنى : فما لمن يتكبر أن يكون فيها وإنما المتكبر في غيرها .

وفي التكبر وجهان :

أحدهما : تكبر عن الله أن يمتثل له .

والثاني : تكبر عن آدم أن يسجد له .

{ فَاخْرُجْ } فيها قولان :

أحدهما : من المكان الذي كان فيه من السماء أو الجنة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثاني : من جملة الملائكة الذين كان منهم أو معهم .

{ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ } فيه وجهان :

أحدهما : بالمعصية في الدنيا لأن العاصي ذليل عند من عصاه .

والثاني : بالعذاب في الآخرة لأن المعذب ذليل بالعذاب .

وفي هذا القول من الله تعالى لإبليس وجهان :

أحدهما : أنه قال ذلك على لسان بعض الملائكة .

والثاني : أنه أراه معجزة تدله على ذلك .

قوله عز وجل : { قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } فيه قولان :

أحدهما : أنه سأله الإنظار بالعقوبة إلى البعث وهو يوم القيامة .

والثاني : أنه سأله الإنظار بالحياة إلى يوم يبعثون وهو يوم القيامة لئلا يذوق الموت ، فَأُجِيْبَ بالإنظار إلى يوم الوقت المعلوم وهي النفخة الأولى ليذوق الموت بين النفختين وهو أربعون سنة ، قاله الكلبي .

فإن قيل : فكيف قدر الله مدة أجله وفي ذلك إغواؤه بفعل المعاصي تعويلاً على التوبة في آخر الأجل؟

قيل : قد علم الله من حاله أنه لا يتوب من معصيته بما أوجبه من لعنته بقوله تعالى : { وَأَنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَومِ الدِّينِ } فجاز مع علمه بهذه أن يقدر له مدة أجله ولو كان كغيره ما قدرت له مدة أجله .

فإن قيل : كيف أقدم إبليس على هذا السؤال مع معصيته؟ قيل : كما ينبسط الجاهل في سؤال ما لا يستحقه .

فإن قيل : فكيف أجاب الله سؤاله مع معصيته؟ قيل : في إجابته دعاء أهل المعاصي قولان :

أحدهما : لا تصح إجابتهم لأن إجابة الدعاء تكرمة للداعي وأهل المعاصي لا يستحقون الكرامة ، فعلى هذا إنما أنظره الله تعالى وإن كان عقيب سؤاله ابتداء منه لا إجابة له .

والثاني : أنه قد يجوز أن تجاب دعوة أهل المعاصي على وجه البلوى وتأكيد الحجة ، فتكون إجابة المطيعين تكرمة ، وإجابة العصاة بلوى .

فإن قيل : فهل ينظر غير إبليس إلىلوقت الذي سأل وقد قال من المنظرين؟ قيل : نعم وهو من لم يقض الله تعالى عليه الموت من عباده الذين تقوم عليهم الساعة .

(469/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَآَتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17)

قوله عز وجل : { قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُستَقِيمَ } اختلف أهل العربية في معنى قوله : { فبما أغويتني } على قولين :

أحدهما : أنه على معنى القسم وتقديره : فبإغوائك لي لأقعدن لهم صراطك المستقيم .

والثاني : أنه على معنى المجازاة ، تقديره : فلأنك أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم .

واختلف أهل العلم في قوله : { أَغْوَيْتَنِي } على أربعة أقاويل :

أحدها : معناه أضللتني ، قاله ابن عباس وابن زيد .

والثاني : معناه خيبتني من جنتك ، ومنه قول الشاعر :

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ... ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً

أي ومن يخب .

والثالث : معناه عذبتني كقوله تعالى : { فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَياً } [مريم : 59] أي عذاباً ، قاله الحسن .

والرابع : معناه أهلكتني بلعنك لي ، يقال غوى الفصيل إذا أشفى على الهلاك بفقد اللبن ، قال الشاعر :

معطفة الأثناء ليس فصيلها ... برازئها دراً ولا ميّت غوى

وقوله : { لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ } أي على صراطك المستقيم ، وفيه تأويلان :

أحدهما : طريق مكة ليصد عن قصدها في الحج والعمرة ، قاله ابن مسعود .

والثاني : طريق الحق ليصد عنها بالإغواء ، قاله مجاهد .

قوله عز وجل : { ثُمَّ لأَتِيَنَّهُم مِّنَ بَيْنِ أَيْدِيهِمِ . . . } الآية . فيه أربعة تأويلات :

أحدها : { مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ } أي أشككهم في آخرتهم ، { وَمِنْ خَلْفِهِمْ } أرغبهم في دنياهم ، { وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ } : أي من قبل حسناتهم ، { وَعَن شَمَآئِلِهِم } من قبل سيئاتهم ، قاله ابن عباس .

والثاني : { مِنّ بَيْنِ أيْدِيهِمْ } : من قبل ، دنياهم ، { وَمِنْ خَلْفِهِمْ } : من قبل آخرتهم ، { وَعَنْ أَيْمأنِهِمْ } : الحق أشككهم فيه ، { وَعَن شَمَآئِلِهِمْ } : الباطل أرغبهم فيه ، قاله السدي وإبراهيم .

والثالث : { مِنّ بَيْنِ أَيْدِيهِم } { وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ } من حيث ينظرون ، { وَمِنْ خَلْفِهِم } { وَعَنْ شَمَائِلِهِم } : من حيث لا يبصرون ، قاله مجاهد .

والرابع : أراد من كل الجهات التي يمكن الاحتيال عليهم منها ، ولم يذكر من فوقهم لأن رحمة الله تصده ، ولا من تحت أرجلهم لما فيه التنفير ، قاله بعض المتأخرين .

ويحتمل تأويلاً خامساً : { مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِم } : فيما بقي من أعمارهم فلا يقدمون على طاعة ، { وَمِنْ خَلْفِهِم } : فيما مضى من أعمارهم فلا يتوبون عن معصية ، { وَعَنْ أَيْمَانِهِم } : من قبل غناهم فلا

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ينفقونه في مشكور ، { وَعَن شَمَآئِلِهِمِ } : من قبل فقرهم فلا يمتنعون فيه عن محظور .

ويحتمل سادساً : { مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِم } : بسط أملهم ، { وَمِنْ خَلْفِهِم } تحكيم جهلهم ، { وعن أيمانهم } : فيما ييسر لهم ، { وَعَن شَمَآئِلِهِم } : فيما تعسر عليهم ،

ثم قال : { وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : شاكرين لنعمك .

والثاني : مقيمين على طاعتك .

فإن قيل : فكيف علم إبليس ذلك؟ فعنه جوابان :

أحدهما : أنه ظن ذلك فصدق ظنه ، كما قال تعالى : { وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِم إِبْلِيس ظَنَّهُ } [سبأ : 20] وسبب ظنه أنَّه لما أغوى آدم واستزله قال : ذرية هذا أضعف منه ، قاله الحسن .

والثاني : أنه يجوز أن يكون علم ذلك من جهة الملائكة بخبر من الله .

(470/1)

قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (18)

قوله عز وجل : { قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا } يحتمل وجهين :

أحدهما : من حيث كان من جنة أو سماء .

والثاني : من الطاعة ، على وجه التهديد .

{ مَذْءُوماً مَّدْحُوراً } في قوله : { مَذْءُوماً } خمسة تأويلات :

أحدها : يعني مذموماً ، قاله ابن زيد ، وقرأ الأعمش { مذوماً }

والثاني : لئيماً ، قاله الكلبي .

والثالث : مقيتاً ، قاله ابن عباس .

والرابع : منفياً ، قاله مجاهد .

والخامس : أنه شدة العيب وهو أسوأ حالاً من المذموم ، قاله الأخفش ، قال عامر بن جذامة :

جذامة لم يأخذوا الحق بل ... زاغت قلوبهم قبل القتال ذأماً

وأما المدحور ففيه قولان :

أحدهما : المدفوع . الثاني : المطرود ، قاله مجاهد والسدي .

(471/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وَيَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (19) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآَتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21)

قوله عز وجل : { وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ } يعني حواء ، وفي الجنة التي أمر بسكناها قولان :

أحدهما : في جنة الخلد التي وعد المتقون ، وجاز الخروج منها لأنها لم تجعل ثواباً فيخلد فيها ولا يخرج منها .

والثاني : أنها جنة من جنات الدنيا لا تكليف فيها وقد كان مكلفاً .

{ فَكُلاَ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتَمُا } يحتمل وجهين :

أحدهما : من حيث شئتما من الجنة كلها .

والثاني : ما شئتما من الثمار كلها لأن المستثنى بالنهي لمَّا كان ثمراً كان المأمور به ثمراً .

{ وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ } قد ذكرنا اختلاف الناس فيها على ستة أقاويل :

أحدها : أنه البُرّ ، قاله ابن عباس .

والثاني : الكَرْم ، قاله السدي .

والثالث : التين ، قاله بان جريج . والرابع : شجرة الكافور ، قاله علي بن أبي طالب .

والخامس : شجرة العلم ، قاله الكلبي .

والسادس : أنها شجرة الخلد التي كانت تأكل منها الملائكة ، قاله ابن جدعان ، وحكى محمد بن إسحاق عن أهل الكتابين أنها شجرة الحنظل ولا أعرف لهذا وجهاً .

فإذا قيل : فما وجه نهيهما عن ذلك مع كمال معرفتهما؟

قيل : المصلحة في استدامة ، المعرفة ، والابتلاء بما يجب فيه الجزاء .

قوله عز وجل : { فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا . . . } أما الوسوسة فهي إخفاء الصوت بالدعاء ، يقال وسوس له إذا أوهمه النصيحة ، ووسوس إليه إذا ألقى إليه المعنى ، وفي ذلك قول رؤبة بن العجاج :

وسوس يدعو مخلصاً رب الفلق ... سراً وقد أوّن تأوين العقق

فإن قيل : فكيف وسوس لهما وهما في الجنة وهو خارج عنها؟ فعنه ثلاثة أجوبة هي أقاويل اختلف فيها أهل التأويل :

أحدها : أنه وسوس إليها وهما في الجنة في السماء ، وهو في الأرض ، فوصلت وسوسته بالقوة التي خلقها الله له إلى السماء ثم الجنة ، قاله الحسن .

والثاني : أنه كان في السماء وكانا يخرجان إليه فيلقاهما هناك .

والثالث : أنه خاطبهما من باب الجنة وهما فيها .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ . . . وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الْشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ } وهذا هو الذي ألقى به من الوسوسة إليهما استغواءً لهما بالترغيب في فضل المنزلة ونعيم الخلود .

فإن قيل : هل تصورا ذلك مع كمال معرفتهما؟

قيل : إنما كملت معرفتهما بالله تعالى لا بأحكامه .

وفي قول إبليس ذلك قولان :

أحدهما : أنه أوهمهما أن ذلك في حكم الله جائز أن يقلب صورتهما إلى صور الملائكة وأن يخلدهما في الجنة .

والثاني : أنه أوهمهما أنهما يصيران بمنزلة الملائكة في علو المنزلة مع علمهما بأن قلب الصور لا يجوز .

قوله عز وجل : { وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ } أي حلق لهما على صدقه في خبره ونصحه في مشورته ، فقبلا قوله وتصورا صدقه لأنهما لم يعلما أن أحداً يجترىء على الحلف بالله كاذباً .

ويحتمل وجهاً آخر : أن يكون معنى قوله : { وَقَاسَمَهُمَا } أي قال لهما : إن كان ما قلته خيراً فهو لكما دوني وإن كان شراً فهو عليّ دونكما ومن فعل ذلك معكما فهو من الناصحين لكما ، فكانت هذه مقاسمتهما أن قسم الخير لهما والشر له على وجه الغرور لتنتفي عنه التهمة ويسرع إليه القبول .

(472/1)

فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (22) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23)

قوله عز وجل : { فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ } معناه فحطهما بغرور من منزلة الطاعة إلى حال المعصية .

فإن قيل : فهل علما عند أكلهما أنها معصية؟

قيل : لا ، لأن إقدامهما عليها مع العلم بأنها معصية يجعلها كبيرة ، والأنبياء معصومون من الكبائر ، وإنما أقدما عليها لشبهة دخلت عليهما بالغرور .

{ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا } فإن قيل :

فلم بدت لهما سوآتهما ولم تكن بادية لهما من قبل؟

ففي ذلك ثلاثة أجوبة :

أحدها : أنهما كانا مستورين بالطاعة فانكشف الستر عنهما بالمعصية .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : أنهما كانا مستورين بنور الكرامة فزال عنهما بذلك المهانة .

والثالث : أنهما خرجا بالمعصية من أن يكونا من ساكني الجنة ، فزال عنهما ما كانا فيه من الصيانة .

{ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ } في { وَطَفِقَا } وجهان :

أحدهما : قاما يخصفان ، قاله ابن بحر .

والثاني : جعلا يخصفان ، أي قطعان .

{ مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ } وفيه قولان :

أحدهما : ورق الموز .

والثاني : ورق التين ، قاله ابن عباس .

(473/1)

قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (24) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (25)

قوله عز وجل : { قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ } فإن قيل :

فالمأمور بالهبوط آدم وحواء لأن إبليس قد كان أهبط من قبل حين امتنع عن السجود لآدم ، فكيف عبر عنهما بلفظ الجمع؟

فعن ذلك ثلاثة أجوبة :

أحدها : أنه خبر عن هبوطهم مع تفرقهم وإن خرج مخرج الأمر ، قاله السدي .

والثاني : أنهم آدم وحواء والحية ، فكانوا جماعة ، قاله أبو صالح .

والثالث : أنهم آدم وحواء والوسوسة ، قاله الحسن .

فهبط آدم بأرض الهند على جبل يقال له واسم ، وهبطت حواء بجدة ، وهبطت الحية بأصفهان .

وفي مهبط إبليس قولان . أحدهما بالأبلة .

والثاني : بالمدار .

وقيل أسكنهما الجنة لئلا ساعات خلت من يوم الجمعة ، وأخرجهما لتسع ساعات خلت من ذلك اليوم .

{ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ } أما المستقر ففيه وجهان :

أحدهما : أنه فعل الاستقرار . والثاني : أنه موضع الاستقرار ، قاله أبو صالح .

وأما المتاع فهو المنتفع به من عروض الدنيا التي يستمتع بها .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقوله : { إِلَى حِينٍ } يعني إلى انقضاء الدنيا ، والحين وقت مجهول القدر ينطلق على طويل الزمان وقصيره وإن كان موضوعاً في الأغلب للتكثير .

قال الشاعر :

وما مزاحك بعد الحلم والدين ... وقد علاك مشيب حين لا حين

أي وقت لا وقت .

(474/1)

يَا بَنِي آَدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآَتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آَيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (26)

قوله عز وجل : { يَا بَنِيَ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ } نزلت هذه الآية في قوم من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويرون أن ذلك أبلغ في الطاعة وأعظم في القربة .

وفي دخول الشبهة عليهم في ذلك وجهان :

أحدهما : أن الثياب قد دنستها المعاصي فخرجوا عنها .

والثاني : تفاؤلاً بالتعري من الذنوب فقال الله تعالى :

{ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً } أي ما تلبسون من الثياب .

فإن قيل : فليس ذلك بمنزل من السماء .

فعنه جوابان :

أحدهما : أنه لما كان ينبت من المطر الذي نزل من السماء صار كالمنزل من السماء ، قاله الحسن .

والثاني : أن هذا من بركات الله ، والبركة تنسب إلى أنها تنزل من السماء ، كما قال تعالى : { وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ } [الحديد : 25] .

ثم قال : { يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ } أي يستر عوراتكم ، وسميت العورة سوأة لأنه يسوء صاحبها انكشافها .

ثم قال : { وَرِيشاً } وهذه قراءة أهل الأمصار وكان الحسن يقرأ : { وَرِيَاشاً } وفيه أربعة تأويلات :

أحدهما : أنه المعاش ، قاله معبد الجهني .

والثاني : أنه اللباس والعيش والنعيم ، قاله ابن عباس .

والثالث : أنه الجمال والزينة ، قاله ابن زيد ، ومنه قوله رؤبة :

إليك أشكو شدة المعيش ... وجهد أعوام نتفن ريشي

يريد أذهبن جمالي وزينتي .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والرابع : أنه المال : قاله ابن الزبير ومجاهد ، قال الشاعر :

فريشي منكم وهواي معكم ... وإن كانت زيارتكم لماما

وفي الريش والرياش وجهان :

أحدهما : أن معناهما واحد وإن اختلف لفظهما .

والوجه الثاني : أن معناهما مختلف ، فالريش ما بطن ، والرياش ما ظهر .

ثم قال : { وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ } وفي لباس التقوى سبعة تأويلات :

أحدها : أنه الإيمان ، قاله قتادة والسدي .

الثاني : الحياة ، قاله معبد الجهني .

والثالث : أنه العمل الصالح ، قاله ابن عباس .

والرابع : أنه السمت الحسن ، قاله عثمان بن عفان .

والخامس : خشية الله ، قاله عروة بن الزبير .

السادس : ستر العورة للصلاة التي هي التقوى ، قاله ابن زيد . والسابع : لبس ما يُتَّقَى به الحر والبرد ، قاله ابن بحر .

وفي قوله : { ذَلِكَ خَيْرٌ } وجهان :

أحدهما : أنه راجع إلى لباس التقوى ومعنى الكلام أن لباس التقوى خير من الرياش واللباس ، قاله قتادة والسدي .

والثاني : أنه راجع إلى جميع ما تقدم من { قَدْ أَنزَلْنَا عليكُمْ لِبَاساً يُوارِي سَوْءَاتِكُم وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوى } ، ثم قال : { ذَلِكَ } الذي ذكرته هو { خَيْرٌ } كله .

(475/1)

يَا بَنِي آَدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآَتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (27)

قوله عز وجل : { يَا بَنِي ءَادَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ } وهذا خطاب توجه إلى من كان من العرب يطوف بالبيت عرياناً ، فقيل لهم لا يفتننكم الشيطان بغروره كما فتن أبويكم من قبل حتى أخرجهما من الجنة ، ليكون إشعارهم بذلك أبلغ في الزجر من مجرد النهي .

{ ينزعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن لباسهما كان أظفاراً تستر البدن فنزعت عنهما وتركت زينة وتبصرة ، قاله ابن عباس .

الثاني : أن لباسهما كان نوراً ، قاله وهب بن منبه .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
والثالث : أن نزع عنهما لباسهما من تقوى الله وطاعته ، قاله مجاهد . { لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا } فيه قولان :

أحدهما : أجسادهما من العورة حين خرجا من لباسهما ، وهو مقتضى قول ابن عباس .

والثاني : سوأة معصيتهما حتى خرجا من تقوى الله وطاعته ، وهو معنى قول مجاهد .

{ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنَ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ } فيه وجهان :

أحدهما : قومه ، وهو قول الجمهور .

والثاني : جيلُهُ ، قاله السدي .

{ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ } يحتمل وجهين :

أحدهما : من حيث لا تبصرون أجسادهم .

والثاني : من حيث لا تعلمون مكرهم وفتنتهم .

(476/1)

وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آَبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (28) قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (29) فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (30)

قوله عز وجل : { وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَآءَنَا } في هذه الآية ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها وردت في العرب الذين كانوا يطوفون عراة ، والفاحشة التي فعلوها كشف العورة ، وهذا قول أكثر المفسرين .

والثاني أنها في عبدة الأوثان ، والفاحشة التي فعلوها الشرك ، قاله الحسن .

والثالث أنها اتخاذ البَحِيْرَةِ والسائبة والوصيلة والحام ، قاله الكلبي .

قوله عز وجل : { قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ } فيه وجهان :

أحدهما : بالصدق .

والثاني : بالعدل .

{ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : معناه توجهوا حيث كنتم في الصلاة إلى الكعبة ، قاله مجاهد .

والثاني : معناه اجعلوا سجودكم خالصاً لله تعالى دون ما سواه من الأوثان والأصنام ، قاله الربيع بن أنس .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثالث : معناه اقصدوا المسجد في وقت كل صلاة ، أمراً بالجماعة لها ، ندباً عند الأكثرين ، وحتماً عن الأقلين .

والرابع : أن أي موضع أدركت فيه وقت الصلاة فصل فيه فإنه مسجد ولا تؤخرها إلى حضور المسجد .

{ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : يعني أقروا له بالوحدانية وإخلاص الطاعة .

والثاني : ارغبوا إليه في الدعاء بعد إخلاصكم له الدين .

{ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : كما بدأكم شقياً وسعيداً ، كذلك تبعثون يوم القيامة ، قاله ابن عباس .

الثاني : كما بدأكم فآمن بعضكم وكفر بعضكم ، كذلك تبعثون يوم القيامة . روى أبو سفيان عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تُبْعَثُ كُلُّ نَفْسٍ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ » .

والثالث : كما خلقكم ولم تكونوا شيئاً ، كذلك تعودون بعد الفناء أحياء ، قاله الحسن ، وابن زيد .

والرابع : كما بدأكم لا تملكون شيئاً ، كذلك تبعثون يوم القيامة .

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرلاً وَأَوَّلُ مَنْ يُكَسَى إِبْرَاهِيمُ عَلَيهِ السَّلاَمُ » ثم قرأ { كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ } [الأنبياء : 104] .

(477/1)

يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (31)

قوله عز وجل : { يَا بِنِي ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمُ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أن ذلك وارد في ستر العورة في الطواف على ما تقدم ذكره ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وعطاء ، وقتادة ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم .

والثاني : أنه وارد في ستر العورة في الصلاة ، قاله مجاهد ، والزجاج .

والثالث : أنه وارد في التزين بأجمل اللباس في الجمع والأعياد .

والرابع : أنه أراد به المشط لتسريح اللحية .

{ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ } يعني ما أحله الله لكم .

ويحتمل أن يكون هذا أمر بالتوسع في الأعياد .

{ وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } فيه ثلاثة تأويلات :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

أحدها : لا تسرفوا في التحريم ، قاله السدي .

والثاني : معناه لا تأكلوا حراماً فإنه إسراف ، قاله ابن زيد .

والثالث : لا تسرفوا في أكل ما زاد على الشبع فإنه مضر ، وقد جاء في الحديث : « أَصْلُ كُلِّ دَاءٍ البردة » ، يعني التخمة .

ويحتمل تأويلاً رابعاً : لا تسرفوا في الإنفاق .

وقوله : { إِنَّهُ لاَ يحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : لا يحب أفعالهم في السرف .

والثاني : لا يحبهم في أنفسهم لأجل السرف .

(478/1)

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (32)

قوله عز وجل : { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِّي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ } يعني ستر العورة ردا على تركها من العرب في الطواف .

ويحتمل ثانياً : أن يريد زينتها في اللباس .

ثم قال : { وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ } فيه قولان :

أحدهما : أنهم كانوا يحرمون في الإحرام أكل السمن واللبن ، قاله ابن زيد ، والسدي .

والثاني : أنها البَحَيْرَةُ والسائبة التي حرموها على أنفسهم ، قاله الحسن ، وقتادة .

وفي طيبات الرزق قولان :

أحدهما : أنه المستلذ .

والثاني : أنه الحلال .

{ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ } يعني أن الذين آمنوا في الحياة الدنيا له الطيبات من الرزق يوم القيامة لأنهم في القيامة يختصون بها وفي الدنيا قد يشركهم الكفار فيها .

وفي قوله : { خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ } وجهان :

أحدهما : خالصة لهم من دون الكفار .

والثاني : خالصة من مضرة أو مأثم .

(479/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (33)

قوله عز وجل : { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ } فيه وجهان :

أحدهما : أن الفواحش : الزنى خاصة ، وما ظهر منها : المناكح الفاسدة ، وما بطن : الزنى الصريح .

والثاني : أن الفواحش : جميع المعاصي ، وما ظهر منها : أفعال الجوارح ، وما بطن : اعتقاد القلوب .

{ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ } فيه وجهان :

أحدهما : أن الإثم الخيانة في الأمور ، والبغي : التعدي في النفوس .

والثاني : الإثم : الخمر ، والبغي : السكر ، قال الشاعر :

شربت الإثم حتى ضَلَّ عقلي ... كذاك الإثم تذهب بالعقول

وسمي الخمر بالإثم ، والسكر بالبغي لحدوثه عنهما .

(480/1)

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (34) يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (35) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (36)

قوله عز وجل : { وَلِكُلَّ أُمَّةٍ أَجَلٌ } فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : ولكل أمة كتاب فيما قضاه الله عليهم من سعادة أو شقاوة ، من عذاب أو رحمة ، قاله جويبر .

الثاني : ولكلٍ نبي يدعوهم إلى طاعته وينهاهم عن معصيته ، قاله معاذ بن جبل .

والثالث : لكل أمة أجل فيما قدره الله من حياة ، وقضاه عليهم من وفاة .

ويحتمل رابعاً : ولكل أمة مدة يبقون فيها على دينهم أن يحدثوا فيه الاختلاف .

{ فِإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ } فيه قولان :

أحدهما : أجل موتهم .

الثاني : أجل عذابهم ، قاله جويبر .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

{ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ } يحتمل وجهين :

أحدهما : لا يزيد أجل حياتهم ولا ينقص .

والثاني : لا يتقدم عذابهم ولا يتأخر .

(481/1)

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (37)

قوله عز وجل : { . . . أُوْلَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ } فيه خمسة تأويلات :

أحدها : هو عذاب الله الذي أعده لمن أشرك ، قاله الحسن ، والسدي .

والثاني : ما سبق لهم من الشقاء والسعادة ، قاله ابن عباس .

والثالث : نصيب من كتابهم الذي كتبنا لهم أو عليهم بأعمالهم التي عملوها في الدنيا من خير أو شر ، قاله قتادة .

والرابع : نصيبهم مما كتب لهم من العمر والرزق والعمل ، قاله الربيع بن أنس ، وابن زيد .

والخامس : نصيبهم مما وعدوا في الكتاب من خير أو شر ، قاله الضحاك .

{ حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم } في توفي الرسل هنا قولان :

أحدهما : أنها وفاة الموت في الدنيا التي توبخهم عندها الملائكة .

والثاني : أنها وفاة الحشر إلى النار يوم القيامة ، قاله الحسن .

(482/1)

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ (38) وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (39)

قوله عز وجل : { . . . حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جِمِيعاً } يعني في النار أدرك بعضهم بعضاً حتى استكملوا فيها .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ } يعني الأتباع للقادة لأنهم بالاتباع لهم متأخرون عنهم ، وكذلك في دخول النار تقدم القادة على الأتباع .

{ رَبَّنَا هَؤُلآءِ أَضَلُّونَا فَئَاتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ } يريد بأحد الضعفين عذابهم على الكفر ، وبالآخر عذابهم على الإغواء .

ويحتمل هذا القول من الأتباع وجهين :

أحدهما : تخفيف العذاب عنهم .

والثاني : الانتقام من القادة بمضاعفة العذاب عليهم .

فأجابهم الله قال : { لِكُلٍّ ضِعْفٌ } يعني أنه وإن كان للقادة ضعف العذاب ، لأن أحدهما بالكفر ، والآخر بالإغواء ، فلكم أيها الأتباع ضعف العذاب ، وهذا قول الجمهور ، وإن ضعف الشيء زيادة مثله .

وفيه وجه ثان : قاله مجاهد : أن الضعف من أسماء العذاب .

(483/1)

إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (40) لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (41)

قوله عز وجل : { إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِئَايَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَآءِ } فيه خمسة أقاويل :

أحدها : أي لا تفتح لأرواحهم لأنها تفتح لروح الكافر وتفتح لروح المؤمن ، قاله ابن عباس ، والسدي .

والثاني : لا تفتح لدعائهم ، قاله الحسن .

والثالث : لا تفتح لأعمالهم ، قاله مجاهد ، وإبراهيم .

والرابع : لا تفتح لهم أبواب السماء لدخول الجنة لأن الجنة في السماء ، وهذا قول بعض المتاخرين .

والخامس : لا تفتح لهم أبواب السماء لنزول الرحمة عليهم ، قاله ابن بحر .

{ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ } فيه قولان :

أحدهما : سم الخياط : ثقب الإبرة ، قاله ابن عباس ، الحسن ، ومجاهد ، وعكرمة ، والسدي .

والثاني : أن سم الخياط هو السم القاتل الداخل في مسام الجسد أي ثقبه .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وفي { الْجَمَلِ } قراءتان :

إحداهما : وعليها الجمهور ، الجَمَل بفتح الجيم وتخفيف الميم وهو ذو القوائم الأربع .

والثانية الجُمَّل بضم الجيم وتشديد الميم وهو القلس الغليظ ، وهذه قراءة سعيد بن جبير ، وإحدى قراءتي ابن عباس ، وكان ابن عباس يتأول أنه حبل السفينة .

ومعنى الكلام أنهم لا يدخلون الجنة أبداً كما لا يدخل الجمل في سم الخياط أبداً ، وضرب المثل بهذا أبلغ في إياسهم من إرسال الكلام وإطلاقه في النفي ، والعرب تضرب هذا للمبالغة ، قال الشاعر :

إذا شاب الغراب أتيت أهلي ... وعاد القار كاللبن الحليب

قوله عز وجل : { لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ } قال الحسن : فراش من نار ، والمهاد : الوِطَاء ، ومنه أخذ مهد الصبي .

{ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ } فيها ثلاثة أوجه :

أحدها : أنها اللحف .

والثاني : اللباس .

والثالث : الظلل ، قاله الحسن .

والمراد بذلك أن النار من فوقهم ومن تحتهم ، فعبر عما تحتهم بالمهاد ، وعما فوقهم بالغواش .

(484/1)

وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (42) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43)

قوله عز وجل : { وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِنْ غِلٍّ . . . } فيه أربعة أوجه :

أحدها : الأهواء والبدع ، قاله سهل بن عبد الله .

والثاني : التباغض والتحاسد .

والثالث : الحقد .

والرابع : نزع من نفوسهم أن يتمنوا ما لغيرهم . وفي نزعه وجهان :

أحدهما : أن الله نزع ذلك من صدورهم بلطفه .

والثاني : ان ما هداهم إليه من الإيمان هو الذي نزعه من صدورهم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وفي هذا الغل قولان :

أحدهما : أنه غل الجاهلية ، قاله الحسن .

والثاني : أنهم لا يتعادون ولا يتحاقدون بعد الإيمان ، وقد روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير ممن قال الله فيهم : { وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ } .

وقيل : إنها نزلت في أهل بدر .

ويحتمل قوله : { وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذا } وجهين :

أحدهما : هدانا لنزع من صدورنا .

والثاني : هدانا لثبوت الإيمان في قلوبنا حتى نزع الغل من صدورنا .

وفيه وجه ثالث : قال جويبر : هدانا لمجاوزة الصراط ودخول الجنة .

(485/1)

وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (44) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ كَافِرُونَ (45) وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (46) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (47)

قوله عز وجل : { . . . وَعَلَى الأَعَرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمُ } أما الأعراف فسور بين الجنة والنار ، قاله مجاهد ، والسدي ، وهو جَمْعٌ وَاحِدُهُ عُرْف وهو ما ارتفع عن غيره ، ومنه عرف الديك وعرف الفرس ، قال الراجز :

كل كتاب لجمعه موافي ... كالعلم الموفي على الأعراف .

وفي الذين على الأعراف خمسة أقاويل :

أحدها : أنهم فضلاء المؤمنين وعلماؤهم ، قاله الحسن ، ومجاهد ، قال أمية بن أبي الصلت :

وآخرون على الأعراف قد طمعوا ... بجنة حفها الرمان والخضر .

وهذا وإن كان شعراً جاهلياً وحال الأعراف منقول عن خبر يروى فيحتمل أمرين :

أحدهما : أن يكون أمية قد وصل إلى علمه من الصحف الشرعية .

والثاني : أن يكون الله قد انطق به أمية إلهاماً لتصديق ما جاء به القرآن .

والثاني : أنهم ملائكة يُرون في صور الرجال ، قاله أبو مجلز .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
والثالث : أنهم قوم بطأت بهم صغائرهم إلى آخر الناس ، قاله حذيفة .

والرابع : أنه قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فجعلوا هنالك حتى يقضى الله من أمرهم ما يشاء ثم يدخلهم الجنة ، قاله ابن مسعود .

والخامس : أنهم قوم قتلوا في سبيل الله وكانوا عصاة لآبائهم ، قيل إنهم غزوا بغير إذنهم ، وقد روى محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال :

سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف فقال : « هُمْ قَومٌ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِمَعْصِيةِ آبَائِهِمْ ، فَمَنَعَهُمْ قَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَنِ النَّارِ ومنعهم مَعْصِيَةُ آبَائِهِم أَنْ يَدْخُلُواْ الجَنَّةَ » ومعنى قوله : { يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ } يعني يعرفون أهل النار وأهل الجنة بعلامتهم التي يتميزون بها ، وعلامتهم في وجوههم وأعينهم ، قال الحسن البصري : علامة أهل النار سواد الوجوه وزرقة العيون ، وعلامة أهل الجنة بياض الوجوه وحسن العيون .

فإن قيل في أصحاب الأعراف : إنهم فضلاء المؤمنين كان ذلك زيادة في ثوابهم ومبالغة في كرامتهم لأنهم يرون منازلهم في الجنة فيستمتعون بها ، ويرون عذاب النار فيفرحون بالخلاص منها .

وإن قيل : إنهم المفضلون وأصحاب الصغائر من المؤمنين كان ذلك لنقص ثوابهم عن استحقاق الدخول للجنة .

وإن قيل : إنهم الملائكة ، احتمل أمرهم ثلاثة أوجه :

أحدها : أن يؤمروا بذلك حمداً لأهل الجنة وذماً لأهل النار وزيادة في الثواب والعقاب .

والثاني : أن يكونوا حفظة الأعمال في الدنيا الشاهدين بها عند الله في الآخرة أمروا بذلك ، ما أدوه من الشهادة تبشيراً لأهل الجنة وتوبيخاً لأهل النار .

والثالث : أن يكونوا خزنه الجنة والنار ، فإن من الملائكة من أفرد لخزنة الجنة ، ومنهم من أفرد لخزنة النار ، ويكون هؤلاء قد جمع لهم بين الأمرين ، والله أعلم بغيب ذلك .

وحكى ابن الأنباري أن قوله : { وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ } معناه على معرفة أهل الجنة والنار رجال ، وأن قوله : { ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ لاَ خَوفٌ عَلَيكُم } الآية من قول أصحاب الأعراف ، وهو مخالف لقول جميع المفسرين .

(486/1)

وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (48) أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (49)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وفي قوله : { وَنَادَى } وجهان :

أحدهما : أنه بمعنى ينادي ، لأنه في المستقبل .

والثاني : أنه على الحذفِ وتقديره : إذا كان يوم القيامة نادى أصحاب الأعراف .

(487/1)

وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (50) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (51)

قوله عز وجل : { . . . أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ } فيه وجهان :

أحدهما : من ماء الرحمة ومما رزقكم الله من القربة .

والثاني : من ماء الحياة ومما رزقكم الله من النعم .

(488/1)

وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (52) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (53)

قوله عز وجل : { وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ } يعني القرآن .

{ فصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ } فيه وجهان :

أحدهما : بيَّنَّا ما فيه من الحلال والحرام على علم بالمصلحة .

والثاني : ميزنا به الهدى من الضلالة على علم بالثواب والعقاب .

{ هُدىً وَرَحْمَةً } يحتمل وجهين :

أحدهما : أن الهدى البرهان .

والثاني : أن الهدى الإرشاد ، والرحمة : اللطف .

قوله عز وجل : { هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ } أي هل ينظرون ، فعبر عن الانتظار بالنظر ، { إِلاَّ تَأْوِيلَهُ } أي تأويل القرآن ، وفيه وجهان :

أحدهما : عاقبته من الجزاء ، قاله الحسن .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والثاني : ما فيه من البعث والنشور والحساب .

{ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ } فيه وجهان :

أحدهما : القضاء به ، قاله الحسن .

الثاني : عاقبة ما وعدهم الله به في الدنيا والآخرة ، قال الكلبي .

{ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ } فيه قولان :

أحدهما : معنى نسوه أعرضوا عنه فصار كالمنسي ، قاله أبو مجلز .

والثاني : تركوا العمل به ، قاله الزجاج .

{ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ } يحتمل وجهين :

أحدهما : أنبياء الله في الدنيا بكتبه المنذرة .

والثاني : الملائكة عند المعاينة بما بشروهم به من الثواب العقاب .

(489/1)

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (54)

قوله عز وجل : { إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّموَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ } وفي ترك تعجيل خلقها في أقل الزمان مع قدرته على ذلك أربعة أوجه :

أحدها : أن إنشاءها شيئاً بعد شيء وحالاً بعد حال أبلغ في الحكمة وأدل على صحة التدبير ليتوالى مع الأوقات بما ينشئه من المخلوقات تكرار المعلوم بأنه عالم قادر يصرف الأمور على اختياره ويجريها على مشيئته .

والثاني : أن ذلك لاعتبار الملائكة ، خلق شيئاً بعد شيء .

والثالث : أن ذلك ترتب على الأيام الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة وهي ستة أيام فأخرج الخلق فيها ، قاله مجاهد .

والرابع : ليعلمنا بذلك ، الحساب كله من ستة ومنه يتفرع سائر العدد قاله ابن بحر .

{ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } فيه قولان :

أحدهما : معناه استوى أمره على العرش ، قاله الحسن .

والثاني : استولى على العرش ، كما قال الشاعر :

قد اسْتَوَى بِشْرٌ على العِرَاقِ ... مِن غَيْرِ سَيْفٍ ودم مُهْرَاقٍ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وفي { الْعَرْشِ } ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه المُلْك كني عنه بالعرش والسرير كعادة ملوك الأرض في الجلوس على الأسرة ، حكاه ابن بحر .

والثاني : أنه السموات كلها لأنها سقف ، وكل سقف عند العرب هو عرش ، قال الله تعالى : { خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا } [الكهف : 42] [الحج : 45] أي على سقوفها .

والثالث : أنه موضع في السماء في أعلاها وأشرفها ، محجوب عن ملائكة السماء .

{ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ } أي يغشي ظلمة الليل ضوء النهار .

{ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً } لأن سرعة تعاقب الليل والنهار تجعل كل واحد منهما كالطالب لصاحبه .

{ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ } يحتمل وجهين :

أحدهما : مذللات بقدرته .

والثاني : جاريات بحكمه .

{ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ } يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه مالك الخلق وتدبيرهم .

والثاني : إليه إعادتهم وعليه مجازاتهم .

(490/1)

ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (55) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (56)

قوله عز وجل : { ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً } فيه وجهان :

أحدهما : في الرغبة والرهبة ، قاله ابن عباس .

والثاني : التضرع : التذلل والخضوع ، والخفية : إخلاص القلب .

ويحتمل أن التضرع بالبدن ، والخفية إخلاص القلب .

{ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } يعني في الدعاء ، والاعتداء فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن يسأل ما لا يستحقه من منازل الأنبياء ، قاله أبو مجلز .

والثاني : أنه يدعو باللعنه والهلاك على من لا يستحق ، قاله مقاتل .

والثالث : أن يرفع صوته بالدعاء ، روى أبو عثمان النهدي عن أبي موسى الأشعري قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة فأشرفوا واد ، فجعل الناس يكبرون ويهللون ويرفعون أصواتهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنفُسِكُم إِنَّكُم لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِباً

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

إِنَّكُم تَدْعُونَ سَمِيعاً قَرِيباً وَهُوَ مَعَكُمْ

» . قوله عز وجل : { وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا } فيه أربعة أقاويل :

أحدها : لا تفسدوها بالكفر بعد إصلاحها بالإيمان .

والثاني : لا تفسدوها بالظلم بعد إصلاحها بالعدل .

والثالث : لا تفسدوها بالمعصية بعد إصلاحها بالطاعة ، قاله الكلبي .

والرابع : لا تفسدوها بقتل المؤمن بعد إصلاحها ببقائه ، قاله الحسن .

{ وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً } يحتمل وجهين :

أحدهما : خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه .

والثاني : خوفاً من الرد وطمعاً في الإجابة .

{ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ } فإن قيل : فلم أسقط الهاء من قريب والرحمة مؤنثة؟

فعن ذلك جوابان .

أحدهما : أن الرحمة من الله إنعام منه فَذُكِّرَ على المعنى ، وهو أن إنعام الله قريب من المحسنين ، قاله الأخفش .

والثاني : أن المراد به مكان الرحمة ، قاله الفراء ، كما قال عروة بن حزام :

عَشِيَّة لاَ عَفْرَاءَ منكِ قَرِيبَةٌ ... فَتَدْنُو ولا عَفْرَاءُ مِنْكِ بَعِيدُ

فأراد بالبعد مكانها فأسقط الهاء ، وأرادها هي بالقريبة فأثبت الهاء .

(491/1)

وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (57) وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ (58)

قوله عز وجل : { وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ } يعني طيب التربة .

{ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ } يعني يخرج نباته حسناً جيداً .

{ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً } فيه قولان :

أحدهما : أن النكد القليل الذي لا ينتفع به ، قاله السدي .

والثاني : أنه العسر بشدته المانع من خيره ، قال الشاعر :

وَأَعْطِ مَا أَعطَيْتَهُ طَيِّباً ... لاَ خَيْرَ فِي الْمَنْكُودِ وَالنَّاكِدِ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر ، فجعل المؤمن كالأرض الطيبة والكافر كالأرض الخبيثة السبخة ، قاله ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي .

(492/1)

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (59) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (60) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (61) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (62) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (63) فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (64) وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (65) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (66) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (67) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (68) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (69)

قوله عز وجل : { . . . وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً } فيها قولان :

أحدهما : القوة ، قاله ابن زيد .

والثاني : بسط البدن وطول الجسد ، قيل : إنه كان أقصرهم طولاً اثني عشر ذراعاً .

{ فَاذْكُرُوا ءَالآءَ اللَّهِ } معناه نعم الله ، وقال الشاعر :

أَبْيَضُ لاَ يَرْهَبُ الهزَالَ وَلاَ ... يَقْطَعُ رَحِماً وَلاَ يَخُونُ إِلَى

(493/1)

قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (70) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (71) فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (72)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله تعالى : { قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ } في الرجس ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه العذاب ، قاله زيد بن أسلم .

والثاني : السخط ، قاله ابن عباس .

والثالث : أن الرجس والرجز بمعنى واحد إلا أن الزاي قلبت سيناً كما قلبت السين تاء في قول الشاعر :

أَلاَ لَحَى اللَّهُ بَنِي السَّعْلاَةِ ... عَمْرِو بنِ يَرْبُوعَ لِئَامَ النَّاتِ

لَيْسوا بِأَعْفَافٍ وَلاَ أَكْيَاتِ ... يريد الناس ، وأكياس .

قوله عز وجل : { . . . فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا } يعني الأصنام ، وفي مراده بتسميتهم وجهان :

أحدهما : في تسميتها آلهة يعبدونها .

والثاني : أنه تسميتهم لبعضها أنه يسقيهم المطر ، والآخرة أنه يأتيهم بالرزق ، والآخر أنه يشفي المريض ، والآخر يصحبهم في السفر .

وقيل : إنه ما أمرهم هود إلا بتوحيد الله والكف عن ظلم الناس فأبوا وقالوا : من أشد منا قوة ، فأهلكوا .

(494/1)

وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آَيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آَلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (74) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آَمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (75) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آَمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (76) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (77) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (78)

قوله عز وجل : { . . . هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً } في الآية هنا وجهان :

أحدهما : أن الآية الفرض كما قال تعالى : { وَأَنزَلْنَا فِيهَا ءَايَاتٍ } [النور : 1] أي فرضاً ، ويكون معنى الكلام هذه ناقة الله عليكم فيها فرض أن تذروها { تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ } أي لا تعقروها .

والثاني : أنها العلامة الدالة على قدرته .

والآية فيها آيتان :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

إحداهما : أنها خرجت من صخرة ملساء تمخضت بها كما تتمخض المرأة ثم انفلقت عنها على الصفة التي طلبوها .

والثانية : أنه كان لها شرب يوم ، ولهم شرب يوم يخصهم لا تقرب فيه ماءهم ، حكي ذلك عن أبي الطفيل والسدي وابن إسحاق .

قوله عز وجل : { . . . وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ } فيه وجهان :

أحدهما : يعني أنزلكم في الأرض وهي أرض الحجر بين الشام والمدينة .

والثاني : فيها من منازل تأوون إليها ، ومنه قولهم : بوأته منزلاً ، إذا أمكنته منه ليأوي إليه ، قال الشاعر :

وَبُوِّئَتْ فِي صَمِيمِ مَعْشَرِهَا ... فَتَمَّ فِي قَوْمِهَا مَبْوَؤُهَا

أي مكنت من الكرم في صميم النسب .

{ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً } والقصور ما شيد وعلا من المنازل اتخذوها في سهول الأرض ليصيِّفوا فيها .

{ وَتَنْحِتونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً } لتكون مساكنهم في الشتاء لأنها أحصن وأبقى وأدفأ فكانوا طوال الآمال طوال الأعمار .

{ فَاْذْكُرُوا ءَالآءَ اللَّهِ } فيه ما قدمنا ، أي نعمه أو عهوده .

{ ولا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفسِدِينَ } فيه وجهان :

أحدهما : لا تعملوا فيها بالمعاصي .

والثاني : لا تدعوا إلى عبادة غير الله .

وفي العبث وجهان :

أحدهما : أنه السعي في الباطل .

والثاني : أنه الفعل المؤدي لضير فاعله .

قوله عز وجل : { فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ } فيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها حركة الأرض تضطرب من تحتهم .

والثاني : أنها الصيحة ، قاله مجاهد ، والسدي .

والثالث : أنها زلزلة أهلكوا بها ، قاله ابن عباس .

{ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِم جَاثِمِينَ } قال محمد بن مروان السدي : كل ما في القرآن من { دَارِهِمْ } فالمراد به مدينتهم ، وكل ما فيه من { دِيَارِهِم } فالمراد به مساكنهم ، وفي الجاثم قولان :

أحدهما : أنه البارك على ركبتيه لأنهم أصبحوا موتى على هذه الحال .

والثاني : معناه أنهم أصبحوا كالرماد الجاثم لأن الصاعقة أحرقتهم .

وقيل : إنه كان بعد العصر .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

{ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ } أي خرج من بين أظهرهم ، وقيل إن صالحاً خرج عنهم إلى رملة فلسطين بمن آمن معه من قومه وهم مائة وعشرة ، وقيل إنه لم تهلك أمة ونبيها بين أظهرها .

(495/1)

فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (79) وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (80) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (81) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (82)

قوله عز وجل : { . . . إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ } فيه وجهان :

أحدهما : من إتيان الأدبار .

والثاني : يتطهرون بإتيان النساء في الأطهار ، قال الشاعر :

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا سَدُّوا مَآزِرَهُم ... دُونَ النِّسَاءِ وَلَو بَانَتْ بِأَطْهَارِ

(496/1)

فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (83) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (84)

{ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ } فيه وجهان :

أحدها : فخلصناه .

والثاني : على نجوة من الأرض ، وقيل : إن أهله ابنتاه واسمهما زينا ورميا . { مِنَ الْغَابِرِينَ } فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : من الباقين في الهلكى ، والغابر الباقي ، ومنه قول الراجز :

فَمَا وَنَى مُحَمَّدٌ مُذْ أَنْ غَفَر ... لَهُ الإِلَهُ مَا مَضَى وَمَا غَبَر

والثاني : من الغابرين في النجاة ، من قولهم : قد غبر عنا فلان زماناً إذا غاب ، قال الشاعر :

أَفَبَعْدَنَا أو بَعْدَهُمْ ... يُرْجَى لِغَابِرِنَا الْفَلاَحُ

والثالث : من الغابرين في الغم ، لأنها لقيت هلاك قومها ، قاله أبو عبيدة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

(497/1)

وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (85) وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (86) وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (87)

قوله عز وجل : { وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعَدُونَ } الصراط : الطريق ، قال الشاعر :

شَحَنَّا أَرْضَهُمْ بِالْخَيْلِ حَتَّى ... تَرَكْنَاهُمْ أَذَلَّ مِن الصِّرَاطِ

وفي المراد به ثلاثة أقاويل :

أحدهما : أنهم كانوا يقعدون على الطريق إلى شعيب يؤذون من قصده للإيمان به ويخوفونه بالقتل ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة .

والثاني : أنه نهاهم عن قطع الطريق ، قاله أبو هريرة .

والثالث : أنهم العشارون نهاهم عن تعشير أموال الناس .

{ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ } ويحتمل وجهين :

أحدهما : تصدون المؤمنين عن طاعة الله وعبادته .

والثاني : تصدون من أراد الإيمان بإغوائه ومخادعته .

{ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً } قال قتادة : يعني تبغون السبيل عوجاً عن الحق .

والفرق بين العوج بالكسر وبالفتح أن العوج بكسر العين ما كان في الدين ، ولا يُرَى ، والعوج بفتح العين ما كان في العود ، وما يرى .

{ وَاذْكُرواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ } حكى الزجاج فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : كثر عددكم بعد القلة قال ابن عباس : وذلك أن مدين بن إبراهيم تزوج زينا بنت لوط وولد آل مدين منها .

والثاني : كثركم بالغنى بعد الفقر .

والثالث : كثركم بالقوة بعد الضعف .

وذكر بعض المفسرين وجهاً رابعاً : أنه كثرهم بطول الأعمار بعد قصرها من قبل .

(498/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (88) قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (89)

قوله عز وجل : { قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا } والفرق بين الملة والدين أن الملة ما شرعه الله ، والدين ما اعتقده الناس تقرباً إلى الله ، فصار كل دين ملة وليس كل ملة ديناً .

فإن قيل : فالعود إلى الشيء الرجوع إليه بعد الخروج منه فهل كان شعيب على ملة قومه من الكفر حتى يقول : { إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم } .

في الجواب عنه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن هذه حكاية عمن اتبع شعيباً من قومه الذين كانوا قبل اتباعه على ملة الكفر .

الثاني : أنه قال ذلك على التوهم أنه لو كان عليها لم يعد إليها .

والثالث : أنه يطلق ذكر العَود على المبتدىء بالفعل وإن لم يسبق منه فعل مثله سن قولهم : قد عاد عليّ من فلان مكروه وإن لم يسبقه بمثله كقول الشاعر :

لَئِن كَانَت الأَيَّامُ أَحسَنَّ مَرَّةً ... إِلَيَّ فَقَدْ عَادَتْ لَهُنَّ ذُنُوبُ

أَتَى دَونَ حُلْوِ الْعَيْشِ شَيْءٌ أُمِرُّهُ ... كُرُوبٌ عَلَى آثَارِهِنّ كُرُوبُ

ثم قال : { وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا } فيه قولان :

أحدهما : أن نعود في القرية إلاّ أن يشاء الله ، قاله بعض المتكلمين .

والثاني : وهو قول الجمهور أن نعود في ملة الكفر وعبادة الأوثان .

فإن قيل فالله تعالى لا يشاء عبادة الأوثان فما وجه هذا القول من شعيب؟ فالجواب عنه من ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه قد كان في ملتهم ما يجوز التعبد به .

والثاني : أنه لو شاء عبادة الوثن لكانت عبادته طاعة لأنه شاءه كتعبده بتعظيم الحجر الأسود .

والثالث : أن هذا القول من شعيب علىلتعبيد والامتناع كقوله تعالى : { حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ } [الأعراف : 40] وكقولهم : حتى يشيب الغراب .

ثم قال : { رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَومِنَا بِالْحَقِّ وَأَنت خَيرُ الْفَاتِحِينَ } فيه وجهان :

أحدهما : اكشف بيننا وبين قومنا ، قاله قتادة .

والثاني : احكم بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الحاكمين . وذكر الفراء ، أن أهل عُمان يسمون القاضي الفاتح والفتاح . وقال غيره : إنه لغة مراد ، قال الشاعر :

أَلاَ أَبْلِغْ بَنِي عُصمَ رَسُولاً ... بِأَنِّي عَنْ فَتَّاحِكُمْ غَنِي

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقد قال ابن عباس : كنت لا أدري ما قوله : { رَبَّنَا افتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الفَاتِحِينَ } حتى سمعت بنت ذي يزن تقول : تعالَيْ أفاتحك ، يعني أقاضيك .

وقيل : إنه سمي بذلك لأنه يفتح باب العلم الذي قد انغلق على غيره .

فإن قيل : فما معنى قوله { بِالْحَقِّ } ومعلوم أن الله لا يحكم إلا بالحق؟ .

ففي الجواب عنه أربعة أوجه : أحدها : أنه قال ذلك صفة لحكمه لا طلباً له .

والثاني : أنه سأل الله أن يكشف لمخالفه من قومه أنه على حق .

والثالث : أن معناه احكم بيننا الذي هو الحق ، قاله ابن بحر .

والرابع : احكم في الدنيا بنصر الحق ، قاله السدي .

(499/1)

وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ (90) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (91) الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (92)

قوله عز وجل : { الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيباً كَأَنَ لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا } فيه أربعة تأويلات :

أحدها : كأنك لم يقيموا فيها ، قاله ابن قتيبة .

والثاني : كأن لم يعيشوا فيها ، قاله الأخفش .

والثالث : كأن لم ينعموا فيها ، قاله قتادة .

والرابع : كأن لم يعمروا فيها ، قاله ابن عباس .

{ الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً كَانُواْ هَمُ الخَاسِرِينَ } فيه وجهان :

أحدهما : بالكفر .

والثاني : بالهلاك ، قاله ابن عباس .

(500/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com